ألف سؤال وإشكال

بقلم

علي الكوراني العاملي

المجلد الثاني



على المخالفين لأهل البيت الطاهرين

بقلم

علي الكوراني العاملي

المجلد الثاني

الطبعة الأولى ١٤٢٤ـ ٢٠٠٤

الكتاب:..ألف سؤال وإشكال ج٢

المؤلف:..علي الكوراني العاملي

الناشر:.. دارالهدى

الطبعة:..الثانية

العدد:.. ٢٠٠٠ نسخة

١٤٢٩ هجرية ـ ٢٠٠٨ ميلادية

الشابك: ٦-٦٠-٨٢٢٢-٩٦٤

فهرس الموضوعات

الفصل السابع عشر: أهل السنة..ضد السنة !

الفصل الثامن عشر

تهوّك المخالفين لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام

الفصل التاسع عشر

الطعن في عصمة الأنبياء والإنتقاص من مقامهم عليهم السلام

الفصل العشرون

قرشيات البخاري في الطعن بنبينا صلى الله عليه وآله أسوأ من الإسرائيليات !

الفصل الحادي والعشرون

طعنهم في عصمة نبينا صلى الله عليه وآله وتفضيل بعض أصحابه عليه !

الفصل الثاني والعشرون

منهج مفسري الخلافة في الإنتقاص من شخصية النبي صلى الله عليه وآله

الفصل الثالث والعشرون

صور من قسوة الحكام التي أرادوا تبريرها بنسبتهم القسوة الى النبي صلى الله عليه وآله

الفصل الرابع والعشرون

تأسيس دين الظنون هو الهدف من اتهامهم النبي صلى الله عليه وآله بالعمل بالظن !

تقديم بقلم:
سماحة آية الله السيد علي الحسيني الميلاني

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين

وبعد، فإن العقائد أهم مطالب الدين وأشرف مسائل المسلمين ، لاسيما الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ بالإمام يُعبد الله عز وجل ، ومنه تؤخذ معالم الدين .

وعقيدتنا أن النبي صلى الله عليه وآله قد أوصى بالإمامة ونصَّ على أن الإمام من بعده عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام . أما مخالفونا فقد حاولوا أن يبرروا الأمر الواقع بعد وفاته صلى الله عليه وآله فاضطربوا وتحيروا ، فمنهم من ذهب إلى أن النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على أحد ومات بغير وصية كالقاضي العضدي والتفتازاني وغيرهما . ومنهم من زعم أنه نص وأوصى ، واختلف هؤلاء بين قائل بأنه كان نصاً جلياً ، وقائل بأنه كان نصاً خفياً ، وقد أغرب ابن تيمية بقوله إن النبي صلى الله عليه وآله نص بالوصية على خلافة أبي بكر ، ولكن خفي عليه ، وعلى ابنته ، وعلى عمر ، وعلى سائر المهاجرين والأنصار ! (منهاج السنة:١/٤٩٨).

فلما رأوا أن هذه الدعاوى لاتُقنع ولاتصلح لتبرير ما وقع ، عمدوا إلى استعمال القوة ضد الشيعة ، محاولين القضاء على مذهب أهل البيت عليهم السلام بالقضاء على أتباعه ! بل تصدوا الى كل من روى حديثاً في صالحهم من غيرهم ، كما فعلوا بالنسائي والحاكم النيسابوري ، وابن السقا الواسطي ، وأمثالهم من أئمتهم .

كما وضعوا كتباً للتهجم على الشيعة والتشيع وأكثروا ، وسلكوا فيها كل الطرق للرد على هذا المذهب وأنصاره ، والصد عن تقدمه وانتشاره ! فكم من رواية اختلقوا ، وكم من حقيقة كتموا أو حرفوا !

وقد قابل ذلك علماء هذه الطائفة بالصبر والتحمل ، ولم تثن عزائمهم التهجمات ولا السياط والسجون ، حتى استشهد منهم الكثير !

وقد انقسمت الكتب التي ألفها علماؤنا في الباب إلى ثلاثة أنواع:

منها ، ما وضعوه جواباً على شبهات الخصوم ، كالرد على كتاب (العثمانية) للجاحظ وكتاب (الشافي في الامامة) في الرد على كتاب (المغني) للقاضي عبد الجبار المعتزلي و(عبقات الأنوار) في الرد على (التحفة الإثني عشرية) والرد على (الصواعق المحرقه) و(الوشيعة) (ومسائل جار الله) وغير ذلك .

ومنها ، ما ألفوه للتعريف بمذهب الشيعة وبيان أدلتهم على عقائدهم ، كشروح (التجريد) و (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) (ونهج الحق وكشف الصدق) و(دلائل الصدق) و (الغدير في الكتاب والسنة والأدب) ...

ومنها ، ماكتبوه سؤالاً للمخالفين وإشكالاً عليهم ، على ضوء رواياتهم وأقوال علمائهم في أشهر كتبهم ، وهذا النوع في كتب أصحابنا قليل مثل(كتاب أغلاط العامة للشيخ الكراجكي) ، و(كتاب مخالفة أهل السنة للكتاب والسنة) ، للعلامة الحلي .

ومن أحسن ما أخرج للناس في زماننا في هذا المجال كتاب (ألف سؤال وإشكال) من مؤلفات العلامة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الكوراني العاملي دام فضله ، فقد وقفت عليه فألفيته حاوياً لأمهات المسائل الخلافية ، يطرحها بأسلوب بديع وأدب رفيع ، مستنداً الى أشهر الكتب المعتمدة عند أهل السنة ، ومستشهداً بآراء وأقوال كبار علمائهم في مختلف العلوم ، ثم يلقي على أساسها الأسئلة ويلزمهم بلوازم أدلتهم ، فإن وافقوا عليها ورد عليهم الإشكال ، وإن أبوا الإلتزام بها وجب عليهم رفع اليد عن صحة تلك الكتب ، ورفض أصحاب تلك الأقوال .

هذا ، بالإضافة إلى ما يجده القارئ فيه من تحقيقات ثمينة وفوائد جليلة .

فأسال الله العلي القدير لسماحة الشيخ الكوْراني المزيد من التوفيق والتسديد ، فإنه في هذا الزمان ، من أبرز حماة المذهب الحق والذابين عنه باليد واللسان ، وأن ينفع الباحثين بآثاره القيمة ، وأن يجعل كتابه في كتابه يوم القيامة ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ذو القعدة الحرام ١٤٢٤ علي الحسيني الميلاني

مقدمة

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين

وبعد ، فقد طرح المخالفون لمذهب أهل البيت الطاهرين عليهم السلام إشكالاتهم وشبهاتهم على مذهبنا وأتباعه ، وكرروها في خطبهم وكتبهم ، وملؤوا منها الأسواق ، ومواقعهم في شبكات النت ، ووزعوا كتيباتها وأشرطتها في الحرمين ، وفي بلاد المسلمين ، والمهجر !

وهي شبهاتٌ أجاب عنها علماء الشيعة القدماء والمعاصرون ، فجزاهم الله خير الجزاء لدفاعهم عن ظلامة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام ومذهبهم الحق .

وهذه أسئلة وإشكالات علمية ، كتبناها لتكون جواباً على ما يثيرونه علينا ، وتنبيهاً إلى أن الأولى لهم أن يعالجوا المشكلات التي امتلأت بها مصادرهم ، وقامت عليها مؤلفاتهم وآراؤهم في مسائل العقائد والفقه والتفسير ، فإن إصلاح الدار أوْجبُ من انتقاد الجار !

وقد اعتمدنا في هذه المسائل على مصادرهم الأساسية في الحديث والتفسير والفقه والعقائد ، وأقوال كبار أئمتهم من القدماء والمتأخرين .

واعتمدنا في ترتيب أبوابها على كتبنا: الوهابية والتوحيد ، وتدوين القرآن ، والعقائد الإسلامية ، وآيات الغدير ، وغيرها .

أما المنهج الذي اخترناه فهو تحريرالمسألة بعبارة مليئة موثقة ، ثم توجيه الأسئلة حولها أو الإشكالات ، لتسهيل الأمر على القارئ والباحث .

وهذا هو المجلد الثاني من كتاب (**ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين**عليهم السلام) ، وقد لاقى المجلد الأول منه رواجاً حسناً ، ونفدت نسخه في مدة قصيرة ، لبساطة منهجه وقوة حجته بفضل الله تعالى.

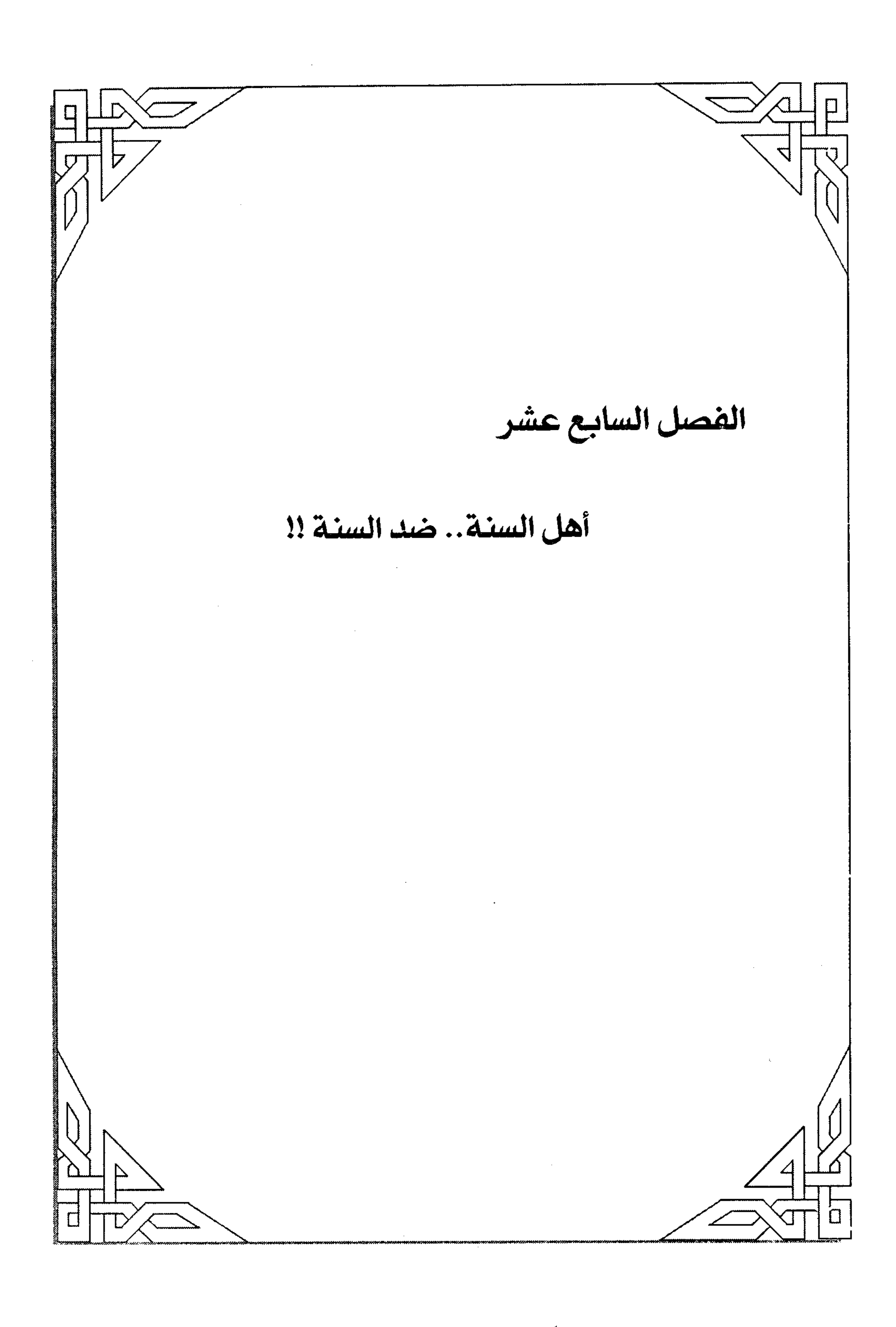
ومع أنه مضت شهور على صدور المجلد الأول وانتشرت نسخه المطبوعة في البلاد ، وفي شبكات النت ، إلا أنه لم يصلنا أيُّ نقد أو ردّ على شئ من مسائله من المخالفين لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام مع أن منهم متفرغين في إلقاء الشبهات على المذهب وأتباعه ! ولعلهم بحاجة الى وقت أطول لكي يراجعوا ويفكروا ، ولا نظن أنهم يأتون بطائل ، أو يرجعون الى حاصل .

نسأل الله أن يهديهم الى الكفّ عن عملهم لتشويه مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وأن يتجهوا بدل ذلك الى احترام مذاهب المسلمين والتقريب بينهم ، وإنصاف أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله والإعتراف بمقامهم الرباني وفضائلهم وظلامتهم ، والتعايش والتحابب مع شيعتهم، ومع أتباع كافة المذهب ، خاصة في هذا الظرف الذي تشهد فيه الأمة هجمة من أعدائها على كافة بلادها ، وكافة أبنائها ومقدساتها .

والله ولي القصد والتوفيق ، والهادي إلى سواء السبيل .

حرره: علي الكوراني العاملي عامله الله بلطفه

الحوزة العلمية بقم المشرفة- شوال المكرم١٤٢٤



الفصل السابع عشر

أهل السنة.. ضد السنة !!

المسألة: ١١٠

جريمة تغييب سنة النبي صلى الله عليه وآله

مع أن النبي صلى الله عليه وآله أمر المسلمين بكتابة حديثه وتبليغه الى الناس ، فقد ارتكبت السلطة بعده صلى الله عليه وآله عملاً غريباً بإعلانها تحريم كتابة حديثه صلى الله عليه وآله بل تحريم مجرد تحديث الناس بالحديث النبوي ولو في المسجد !

وقد جمع أبو بكر وعمر ما كتبه الناس من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله ثم أحرقاها !

وواصل عمر سياسة التشديد على الصحابة ، فضرب بعضهم وحبَس بعضاً آخر لمجرد أنه حدَّث حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله !

كما أصدر مرسوماً مشدداً الى ولاته بحرق كل ما كتب من السنة أو مَحْوِه !

ولا يمكنك أن تجد تفسيراً لذلك إلا في شعار(حسبنا كتاب الله !) الذي رفعه عمر بالتفاهم مع زعماء قريش في وجه النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يغمض عينيه ! فقد اتفقوا فيما بينهم على أن يقبلوا منه القرآن دون السنة !

أما عليٌّ وبقية أئمة العترة عليهم السلام فقد وقفوا في وجه قرار منع التحديث ، وشجعوا الصحابة على التحديث وتدوين الحديث ، عملاً بأمر النبي صلى الله عليه وآله بكتابة سنته الذي روته مصادرهم فضلاً عن مصادرنا:

روى أبو داود:١٧٦/٢ (عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله(ص)أريد حفظه فنهتني قريش ، وقالوا أتكتب كل شئ تسمعه ورسول الله(ص)بشر يتكلم في الغضب والرضا؟! فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله(ص)فأومأ بإصبعه الى فيه فقال: أكتب ، فوالذي نفسي

بيده ما يخرج منه إلا حق !) . (ورواه أحمد:١٩٢/٢ ، بتفاوت يسير).

وروى أحمد:٢/ ٢١٥ ، عن(عبدالله بن عمرو بن العاص قال قلت: يا رسول الله إني أسمع منك أشياء أفاكتبها ؟ قال: نعم . قلت: في الغضب والرضا؟ قال: **نعم ، فإني لا أقول فيهما إلا حقاً !)** .

وروى الحاكم:١٠٥/١ حديث النسائي هذا وفيه (ما خرج منه إلا حق) ثم قال: فليعلم طالب هذا العلم أن أحداً لم يتكلم قط في عمرو بن شعيب ، وإنما تكلم مسلم في سماع شعيب من عبدالله بن عمرو ، فإذا جاء الحديث عن عمرو بن شعيب عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو ، فإنه صحيح) . انتهى .

وقال في ص١٠٦:(نعم فإنه لاينبغي لي أن أقول إلاحقاً) وقال:(رواة هذا الحديث قد احتجَّا بهم(يقصد البخاري ومسلماً)عن آخرهم غير الوليد ، وأظنه الوليد بن أبي الوليد الشامي ، فإنه الوليد بن عبدالله ، وقد عُلِّمتْ على أبيه الكتَبة ، فإن كان كذلك فقد احتج مسلم به).

وروى الحاكم أيضاً:٥٢٨/٣ (عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله أتأذن لي فأكتب ما أسمع منك؟ قال نعم . قلت في الرضاء والغضب؟ قال: **نعم فإنه لاينبغي لي أن أقول عند الرضاء والغضب إلا حقاً !** ثم قال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) . انتهى.

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ قام الدين الإلهي على إرسال الأنبياء عليهم السلام وتنزيل الكتب والصحف الإلهية، فالكتاب والكتابة من أولى خصائصه وبدهياته، فما هو السبب في أن الجيل الأول من صحابة نبينا صلى الله عليه وآله حرَّموا تدوين أحاديثه فضيعوا حقيقتها على أجيال الأمة، ولم يسمحوا بكتابتها إلا بعد قرن أو قرنين، حتى وصلت الينا في حالتها الفعلية، ومشاكلها الكثيرة التي تضج منها مصادر السنة النبوية!

بل فتحوا بذلك الباب للأعداء لاتهام الإسلام بالتخلف عن الكتابة، التي هي من أول شروط المدنية والوعي الثقافي؟!

٢ ـ ألا ترون أن رواية الشاب عبد الله العاص، تكشف لنا حقيقة خطيرة هي أن القرشيين الذين دخل الإسلام قليلٌ منهم باختيارهم، ودخل فيه أكثرهم مجبرين تحت السيف بعد هزيمتهم على يد النبي صلى الله عليه وآله في فتح مكة، كانوا يخافون أن يكرِّس النبي صلى الله عليه وآله الخلافة من بعده لعترته، فكوَّنوا في حياة النبي صلى الله عليه وآله حركة عملت داخل الصحابة لمنع تدوين كلامه الشريف، وكانت تصل بالشباب الذين يدونون أحاديثه الشريفة مثل عبد الله العاص وتنهاهم عن ذلك، بحجة أن النبي بشر يغضب ويتكلم على أشخاص ويحذر منهم ويلعنهم بغير حق، فإذا كُتب ذلك صار جزءً من الدين، وأضرَّ بمصلحة هؤلاء القرشيين!

وقد جاء موقف النبي صلى الله عليه وآله حاسماً، حيث أمر بمواصلة كتابة حديثه لأن منطقه مصون بعصمة الله تعالى في الرضا والغضب: **(وما ينطق عن الهوى). فماذا تقولون في هذا التفسير؟**

٣ ـ ما رأيكم في الرواية التالية عن عبدالله العاص ، التي تدل على أن الذين نهوه عن كتابة الحديث كانوا يتعمدون الكذب على النبي ﷺ في حياته ويسخرون من كتابة أحاديثه؟! فقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد:١٥١/١: (عن عبدالله بن عمرو قال كان عند رسول الله(ص)ناس من أصحابه وأنا معهم وأنا أصغر القوم فقال النبي(ص): من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . فلما خرج القوم قلت:كيف تحدثون عن رسول الله(ص)وقد سمعتم ما قال ! وأنتم تنهمكون في الحديث عن رسول الله(ص)؟! فضحكوا فقالوا: يا ابن أخينا إن كل ما سمعنا منه عندنا في كتاب !). انتهى .

فالرواية تشير الى أنهم قرشيون (فقالوا يا ابن أخينا) ، وأنهم كانوا يكذبون عمداً على النبي ﷺ، وأن ابن العاص انتقدهم بأنكم سمعتم لتوِّكم تحذير النبي ﷺ لمَن يكذب عليه ووعيده له بنار جهنم ، وها أنا أراكم تتحدثون عن لسانه بما لم يقل؟! فضحكوا منه وقالوا له: أيها الولد إننا نكتب حديثه مثلك فنحن نتحدث عنه مما هو مكتوب عندنا !!

○ ○

المسألة: ١١١

تدوين السنة حرام . . والأحوط شرعاً إحراق السنة

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ:١/٥: (قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله(ص)وكانت خمسمائة حديث ، فبات ليلته يتقلب كثيراً ! قالت فغمني فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشئ بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها، فقلت لمَ أحرقتها؟ قال خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني ، فأكون قد نقلت ذاك !). انتهى .

وغرض عائشة تبرير فعل أبيها ، وكفّ ألسنة الناس عنه ! ولذلك لم تذكر في هذه الرواية أن أباها ناشد الناس أن يأتوه بما كتبوه من حديث النبيصلى الله عليه وآله، فتصور الناس أنه يريد تدوين السنة ، فأتوه به بطيب نية فجمعه عنده ثم أحرقه !

أما عمر فأحرق السنة ولم يتأرق أبداً !

قال ابن سعد في الطبقات:٥/١٤٠: (عبد الله بن العلاء قال سألت القاسم يملي عليَّ أحاديث فقال: إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب ، فأنشد الناس أن يأتوه بها ، فلما أتوه بها أمر بتحريقها !). انتهى .

وضغط الصحابة على عمر فطلب المهلة شهراً !

روى في كنز العمال:١٠/٢٩١عن ابن عبد البر في كتاب العلم: (عن الزهري ، عن عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله (ص) في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها ، فظل عمر يستخير الله فيها شهراً!

ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتاباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشئ أبداً) ! انتهى .

وروى عن ابن سعد في الطبقات ، عن الزهري قال: أراد عمر بن الخطاب أن يكتب السنن فاستخار الله شهراً ، ثم أصبح وقد عُزم له (يقصد عزم له الله) فقال: ذكرت قوماً كتبوا كتاباً فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله) ! انتهى .

ثم أصدر مرسوما خلافيا بمحو السنة المدونة !

روى في كنز العمال: ٢٩١/١٠عن ابن عبد البر في العلم وأبي خثيمة:(عن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يحدث أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب هذه الأحاديث أو كتبها ثم قال: لا كتاب مع كتاب الله .

عن يحيى بن جعدة قال: أراد عمر أن يكتب السنة ، ثم بدا له أن لا يكتبها ، ثم كتب في الأمصار: من كان عنده شئ من ذلك فليمحه) !! انتهى .

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ كيف تفسرون تحريم عمر تدوين السنة ، مع أنه كان يرى أن العلم الذي له قيمة يجب أن يُدوَّن ، فهو الذي طلب من النبيصلى الله عليه وآله أن يسمح له ولرفقائه أن يكتبوا أحاديث اليهود ، لأنها أخذت بمجامع قلوبهم حسب تعبيره !

قال السيوطي في الدر المنثور:١٤٨/٥:(عن الحسن ، أن عمر بن الخطاب قال: يارسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها! فقال:يا ابن الخطاب أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟!) .

وقال الحاكم في المستدرك:١٠٦/١: (وقد صحت الرواية عن أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: قيدوا العلم بالكتاب...عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: قيدوا العلم بالكتاب). انتهى.

٢ ـ لماذا اعتذر أبو بكر وابنته عائشة بأن السبب في تحريمه تدوين السنة وإحراق المكتوب منها ، هو الخوف من كذب رواتها قال: (خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت، ولم يكن كما حدثني)! ولم يعتذر بذلك عمر ؟!

وإذا صح عذر أبي بكر ، فلماذا خالفوه ودونوا السنة بعد أكثر من مئة سنة وبعد أن كثرت وسائط الرواة ، وزاد الكذب على رسول اللهصلى الله عليه وآله ؟!!

٣ ـ من هم هؤلاء القوم الذين قال عنهم عمر إنهم كتبوا كتاباً فيه سنة نبيهم فتركوا كتاب ربهم ، ولماذا لم يسمهم ! (فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتاباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشئ أبداً) ؟! لقد كان أذكى من صاحبه أبي موسى حيث

أوهم أنه يريد اليهود ولم يسمِّهم ، بينما سماهم أبو موسى! ففي مجمع الزوائد: ١٥٠/١، عن أبي موسى قال: قال رسول الله(ص): إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً واتبعوه وتركوا التوراة) . لكنه كلام لاينطبق على تاريخ اليهود ولا النصارى أبداً ! فالذي حدث بعد نبي الله موسى عليه السلام أن أكثر قومه أطاعوا وصيه يوشع عليه السلام مدة قليلة ثم انقلبوا على أعقابهم بعد يوشع ولم يقبلوا الأوصياء عليهم السلام، بل شكلوا دولة القضاة التي هي أشبه بدولة الخلفاء القرشية . وفي هذه المدة لم يكتبوا أحاديث موسى ولا يوشع عليهما السلام ، بل قاموا بتحريف التوراة .

والأمر بعد داود وسليمان عليهما السلام أوضح ، فقد انقلبوا على أعقابهم أيضاً ولم يقبلوا آصف بن برخيا الذي كان وصي سليمان عليهما السلام، والذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ! وبعد ذلك بزمان طويل كتبوا كتباً في تشريعات موسى عليه السلام!ولكنهم لم يُكبُّوا عليها ولم يتركوا التوراة ، لأنها شروح للتوراة المحرفة ، متجانسة معها .

أما النصارى فبعد تضييعهم الإنجيل كتبوا الأناجيل الموجودة وأكبوا عليها !

فالذين عناهم أبو موسى وعمر لاوجود لهم !!

٤ ـ تشير النصوص الى أن تدوين السنة كان مطلباً مُلحّاً لعامة الصحابة ، وأنهم ضغطوا على عمر فاستمهلهم ليفكر في الأمر ، وفكر شهراً حتى هدأ جَوُّهم ، ثم صعد المنبر وأعلن للمسلمين ما عزمه الله له ! (**فأشاروا عليه أن يكتبها ، فظل عمر يستخير الله فيها شهراً ! ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال...**)؟! فهل نزل الوحي على عمر بأن رأيه وعزمه بمنع كتابة السنة هو عزم الله تعالى، وأن أمره الولاة بمحو المكتوب منها وإحراقه ، قرارٌ من الله تعالى ؟!

۞ ۞

المسألة: ١١٢

تواضع عمر للصحابة لكي ينفذوا قراره

روى ابن ماجة:١٢/١ (عن قرظة بن كعب قال: بعثنا عمر بن الخطاب الى الكوفة وشيعنا ، فمشى معنا الى موضع يقال له صِرار فقال: أتدرون لم مشيت معكم ؟ قال قلنا: لحق صحبة رسول الله(ص)ولحق الأنصار .

قال لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به ، فأردت أن تحفظوه لممشاي معكم . إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل ، فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم وقالوا أصحاب محمد ، فأقلوا الرواية عن رسول الله(ص) ثم أنا شريككم) . انتهى .

ورواه الدارمي:٨٥/١ عن قرظة بن كعب وقال في آخره:(قال قرظة:وإن كنتُ لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول الله(ص)وإني لمن أحفظهم له ، فإذا ذكرت وصية عمر سكتتُ)!!

وفي رواية أخرى: (فما حدثت بشئ ، وقد سمعت كما سمع أصحابي)!!

ثم قال الدارمي: (معناه عندي الحديث عن أيام رسول الله(ص) ليس السنن والفرائض) . انتهى.

يريد الدارمي التخفيف عن عمر ، وأن يحصر منعه عن التحديث بالأمور السياسية وحروب النبي صلى الله عليه وآله دون بيان الفرائض وأحكام الإرث والمستحبات ! ولكنه بذلك يخالف نص عمر في المنع ، ويعترف عن عمر بأن السبب سياسي ، وأن عذر عمر بانشغال الناس بالحديث عن القرآن ، عذر شكلي لا أكثر !

ورواه الحاكم في مستدركه:١٠٢/١وقال في آخره (فلما قدم قرظة قالوا حدثنا

قال: نهانا ابن الخطاب ! هذا حديث صحيح الإسناد له طرق تجمع ويذاكر بها. وقرظة بن كعب الأنصاري صحابي سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن شرطنا في الصحابة أن لا نطويهم . وأما سائر رواته فقد احتجَّا بهم) . انتهى.

○ ○

الأسئلة

١ ـ من الواضح أن المطلب الذي أراده عمر من هؤلاء الصحابة مطلبٌ مهم عنده ، وصعبٌ عليهم ، لأنه يخالف توجيهات النبي صلى الله عليه وآله التي عملوا به ، ولذا خرج الى توديعهم مسافة طويلة ، مع أنه لم يكن يخرج الى توديع أحد من الصحابة ، فهذه المرة هي المرة الوحيدة ! و(صِرار) بكسر أوله ، وبالراء المهملة أيضاً في آخره: بئر قديمة ، على ثلاثة أميال من المدينة تلقاء حرة واقم) . (معجم ما استعجم للبكري:٣/٨٣٠) .

ويفهم من قوله لهم (وأنا شريككم) أنهم كانوا يرون أن عدم التحديث عن النبي صلى الله عليه وآله إثمٌ ومعصية لأنه كتمانٌ لما سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله ومخالفة لأمره أياهم بأن يبلغ الشاهد منهم الغائب ! فأراد عمر أن يطمئنهم بأن كتمانهم ضرورة ، وأنه لا إثم عليهم فيه ! وإن يكن فيه إثم فهو شريكهم فيه !

فهل يوجد فرق بين كلامه هذا وقوله: يا صحابة رسول الله ، أكتموا أحاديث نبيكم صلى الله عليه وآله، وأنا شريككم في الإثم ؟!

وهل يجوز أن تطلب من أحد أن يفعل محرماً وتكون شريكه في الإثم ؟!

٢ ـ يدل قول الصحابي قرظة: (فما حدثت بشئ وقد سمعت كما سمع أصحابي.. وإن كنت لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول الله(ص)وإني لمن أحفظهم

له ، فإذا ذكرت وصية عمر سكتت ... ! فلما قدم قرظة قالوا حدثنا قال: نهانا ابن الخطاب !) . على أن المسألة ليست طلباً أخوياً ، بل نهيٌ مشدد ، وتهديدٌ أيضاً !
فهل يجوزلصحابي أن يأمر الصحابة بالكتمان وينهاهم عن التبليغ الواجب؟!

٣ ـ كيف تتصورون حالة المسلم الجديد في الكوفة الذي سمع بمجيء صحابة رسول الله ﷺ إليها ، ففرح وجاء يسألهم عن النبي ﷺ ليحدثوه عنه فقالوا له معذرةً لانستطيع أن نحدث عنه ﷺ بشئ ، لأن عمر نهانا عن الحديث عنه ﷺ !
وكيف تتصورون حالة طالب العلم الذي جاء الى المدينة فواجه نفس الكلام ؟!
أليس من حقه أن يقول ما بال هؤلاء الصحابة ! بالأمس مات نبيهم ودفنوه وجلسوا مكانه ، وهاهم يدفنون سنته معه ويكتمونها ؟!

○ ○

المسألة: ١١٣

التحديث عن النبيصلى الله عليه وآله حرام . وعقوبته الإقامة الجبرية !

روى الحاكم:١١٠/١: (عن سعد بن إبراهيم عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب قال لابن مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذر: ماهذا الحديث عن رسول الله؟! وأحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب... هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وإنكار عمر أمير المؤمنين على الصحابة كثرة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآلهفيه سنة ولم يخرجاه) . انتهى .

وقول الحاكم (كثرة الحديث) كلامٌ منه ، فقد نهاهم عمر عن التحديث كلياً !!

وروى في كنز العمال:٢٨٥/١٠ عن ابن عساكر: (عن عبد الرحمن بن عوف قال: والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث الى أصحاب رسول الله(ص) فجمعهم من الآفاق: عبدالله بن حذافة ، وأبا الدرداء ، وأبا ذر ، وعقبة بن عامر ، فقال: ماهذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله(ص)في الآفاق؟ قالوا أتنهانا ؟! قال لا ، أقيموا عندي ، لا والله لا تفارقوني ما عشت ! فنحن أعلم نأخذ ونرد عليكم . فما فارقوه حتى مات) . انتهى .

وروى الدارمي:١٣٦/١: (ثنا الأوزاعي ، حدثني أبو كثير ، حدثني أبي قال: أتيت أباذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال: ألم تُنْهَ عن الفتيا؟! فرفع رأسه إليه فقال: أرقيبٌ أنت عليَّ؟! لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار الى قفاه ، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله قبل أن تجيزوا عليَّ لأنفذتها !) !

وقد بتره البخاري فقال في:٢٥/١:(وإنما العلم بالتعلم ، وقال أبوذر: لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار الى قفاه ، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله (ص) قبل أن تجيزوا عليَّ لأنفذتها) . انتهى . فانظر الى أمانة البخاري !!

وروى في كنز العمال:٢٩٩/١٠ عن ابن عبد البر في العلم، وابن عساكر والدينوري: (عن ابن سيرين أن عمر قال لأبي موسى:أما بلغني أنك تفتي الناس ولست بأمير؟ قال: بلى . قال: فولِّ حارَّها من تولى قارَّها) . انتهى .

يقصد أنك لست الخليفة ، ولذلك يحرم عليك الفتوى في أمور الدين ، لأن حق الفتوى فقط للخليفة الذي هو عمر ، وعلى الباقين طاعته !

○ ○

الأسئلة

١ ـ ما هو المستند الفقهي عند عمر في حبسه الصحابة بجرم التحديث عن النبيﷺ؟ وإذا كان له مستند صحيح فلماذا لاتحكمون بحبس المحدِّثين ؟!

٢ ـ ما هو المستند الشرعي لحصر الفتوى وبيان أحكام الشرع الشريف بمن كان رئيس الدولة ، أو موظفاً عند الحكومة ؟! وهل تلتزمون بذلك ؟!

٣ ـ لم يثبت عندكم حديث أن الصحابة كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، ومع ذلك قبله علماؤكم به في الفقه وأصول الفقه والعقائد ! فما رأيكم بمن يقتدي بالصحابة الذين حبسهم عمر بجرم الحديث عن رسول اللهﷺ، لأنهم صحابة أتقياء الذي رفضوا أن يكتموا الحق ، وما رأيكم عليه السلام إذا دعا على عمر لأنه حبسهم ظلماً وعدواناً ، وكتَمَ الحق ؟ فهل يكفر بذلك ؟!

○ ○

المسألة: ١١٤

السبب الحقيقي لتغييب أبي بكر وعمر سنة النبي صلى الله عليه وآله !

روى أبو داود:٢/٤٠٤: (عن عمرو بن أبي قرة قال: كان حذيفة بالمدائن ، فكان يذكر أشياء قالها رسول الله(ص)لأناس من أصحابه في الغضب ، فينطلق ناس ممن سمع ذلك من حذيفة فيأتون سلمان فيذكرون له قول حذيفة ، فيقول سلمان: حذيفة أعلم بما يقول ، فيرجعون الى حذيفة فيقولون له: قد ذكرنا قولك لسلمان فما صدقك ولا كذبك .

فأتى حذيفة سلمان وهو في مَبْقَلة فقال: يا سلمان ما يمنعك أن تصدقني بما سمعت من رسول الله(ص)؟ فقال سلمان: إن رسول الله(ص)كان يغضب فيقول في الغضب لناس من أصحابه ، ويرضى فيقول في الرضا لناس من أصحابه ! أما تنتهي حتى تورث رجالاً حبَّ رجال ورجالاً بغضَ رجال ، وحتى توقع اختلافاً وفرقة ؟ ولقد علمت أن رسول الله(ص)خطب فقال: أيما رجل من أمتي سببته سبَّةً أو لعنته لعنةً في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون ، وإنما بعثني رحمة للعالمين فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة . والله لتنتهين أو لأكتبن الى عمر). انتهى .

فهذه الحادثة التي وقعت في المدائن في عهد عمر ، بين اثنين من كبار الصحابة ، تدل على أن حذيفة الذي أجمع المسلمون على أنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه كان يعرف أسماء المنافقين ، كان يروي أحاديث غضب النبي صلى الله عليه وآله على بعض أصحابه ولعنه إياهم ، وأنها كانت أحاديث خطيرة بحيث لو عرفها المسلمون لتبرؤوا من أولئك الصحابة ، وأن سياسة عمر كانت تحريم روايتها

تحريماً مشدداً ، الى حد أن الوالي الذي يرويها يتعرض لغضب الخليفة وعقوبته عزله، حتى لو كان من وزن حذيفة أمين رسول الله ﷺ! فسياسة عمر كانت التغطية المشددة على الممدوحين والملعونين على لسان النبي ﷺ !!

أما الحديث الذي نسبته الرواية الى النبي ﷺ عن لسان سلمان رحمه الله (إن رسول الله (ص) كان يغضب فيقول في الغضب لناس من أصحابه ، ويرضى فيقول في الرضا لناس من أصحابه) ! فسوف تعرف أنه موضوع وأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى وأن الملعونين على لسان الأنبياء عليهم السلام محكومٌ عليهم من الله تعالى بالطرد الأبدي من رحمته لعصيانهم وطغيانهم ، وأن اللعن الإلهي لا يمكن رفعه .

بل يفهم من الآيات والأحاديث أن لعنة الأنبياء عليهم السلام تجري في ذرية الملعون الى يوم القيامة ، فهو يبلغ حداً ينضب صلبه من الخير ويختار أولاده طريق الشر !

وهذا ما يفسر لنا تشاؤم العرب من الملعون ، فقد تشاءم عمر من ناقة لعنها بدوي ! فكيف بمن لعنه رسول الله ﷺ ؟! روى في كنز العمال:٨٧٧/٣ (عن أبي عثمان قال: بينما عمر يسير ورجل على بعير له فلعنه ، فقال من هذا اللاعن؟ قالوا: فلان قال: تخلف عنا أنت وبعيرك ، لاتصحبنا راحلة ملعونة) !!

إن رواية أبي داود وأمثالها تدل على أن السبب الحقيقي في منع كتابة الحديث النبوي والتحديث ، هو التغطية على الذين غضب عليهم رسول الله ﷺ ولعَنَهُم ، والتغطية على مَن مدحهم وأمرَ الصحابة والأمة باتباعهم ! وهذا واضح من قوله: (حتى تورث رجالاً حبَّ رجال ، ورجالاً بغضَ رجال ، وحتى توقع اختلافاً وفرقة) ، وأن الموضوع يتصل بأناس من وزن أهل البيت عليهم السلام ورجال السلطة كعمر وأبي بكر ! وهذا يستوجب إعادة النظر في أصل شرعية السلطة وشخصياتها !!

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ أليس من حق المسلمين أن يعرفوا موقف نبيهمﷺمن صحابته ، وقد بينه لهم وأبلغهم إياه وأمرهم بإبلاغه؟ فلماذا كتمه أبو بكر وعمر ، ونهيا عن كتابته وروايته ، والله تعالى يقول: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَابَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ. ؟!

٢ ـ هل يستحق الصحابة الملعونون على لسان رسول اللهﷺأن ترتكب السلطة تغييب السنة النبوية للتغطية عليهم ، وتتهم رسولَ اللهﷺمن أجلهم بأنه أخطأ في ذمهم ولعنهم ، كما أخطأ في مدح غيرهم من عترته عليهم السلام وشيعتهم ، وتفتري عليه بأنه يقول في الغضب والرضا غير الحق ، وهي تقرأ قول الله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى . ؟!

٭ ٭

المسألة: ١١٥

تفنيد ما زعموه من أعذار لتغييب السنة !

يرجع ما ذكره أبو بكر وعمر وأتباعهما ، في الدفاع عن منعهما من كتابة سنة النبي صلى الله عليه وآله وروايتها ، الى ثلاثة أمور :

الأول: أن هدفهما التثبت ومنع الكذب في التحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد اعتذر بذلك أبو بكر ، ثم اعتذروا به عن عمر .

الثاني: الخوف من انشغال الناس بالحديث عن القرآن . وقد ذكره عمر في أوائل خلافته .

الثالث: الخوف من اختلاط الحديث النبوي بالقرآن . وقد اعتذر به عمر ، ولعله في أواخر خلافته ، حيث كثر انتقاد الصحابة لسياسة منع التحديث !

○ ○

الأسئلة

١ ـ لماذا لم يرد عذر التثبت من الحديث إلا على لسان أبي بكر ، ولم يؤكد عليه عمر ، بل لم يذكره أبداً في حيثيات حكمه ؟

٢ ـ إذا كان غرض السلطة التثبت في رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، فلماذا لم تستعمل الطرق الطبيعية لتعليم الصحابة كيف يتثبتون ، فتعلن مثلاً أن يحضر كل من يحفظ حديثاً أو عنده شئ مكتوبٌ من السنة، الى دار الخلافة، ثم تكلف شخصاً أو هيئة للتثبت وطلب الشهود على كل حديث .

فهل خفي عليها ذلك حتى قامت بإحراق السنة وحرَّمت كتابتها وروايتها؟!
وقد قالت إنها استعملته في القرآن؟ أم أنها لم تكن تريد سنة النبيﷺ أصلاً ، فجمعتها لكي تحرقها ! أما أنها كانت تريد الإنتقاء فتأخذ بعضها وتغيب بعضها؟!

٣ ـ إن أبا بكر لم يكتف بحرق ما جمعه من مدونات الصحابة من السنة ، بل نهى عن الحديث كلياً ، وأمر المسلمين أن يكتفوا بما حلله القرآن وحرمه فقط، وهذا يكشف عن رفضه للسنة كلياً، بحجة أن فيها أحاديث مختلفاً فيها!

قال في تذكرة الحفاظ:٢/١ عن أبي بكر: (جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله(ص)أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً ، فلاتحدثوا عن رسول الله شيئاً !! فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه) ! انتهى.

فكيف تجمعون بين قول أبي بكر: فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ! (تذكرة الحفاظ:٢/١) ، وقولكم عن النبيﷺ: حدثوا عن أهل الكتاب ولاحرج ! أليس معنى ذلك رفض سنة النبيﷺالتي هي نصف الإسلام ، واستيراد سنة اليهود والنصارى بدلها ؟!

٤ ـ كيف تقولون إن عمر منع عن كثرة التحديث وليس عن أصله ، مع أن قراراته بالمنع جاءت نهياً وزجراً مطلقاً بدون تعليل! وقدصرح قرظة بأن عمر نهاهم عن الحديث ومنعهم منه منعاً باتاً، لكي لايشغلوا الناس به عن القرآن !

٥ ـ إن مقولة عمر (جرِّدوا القرآن) وإيهامه الناس بأن الحديث يشغلهم عن القرآن غير صحيح ، لأن غرضه إما ضرورة التوازن في صرف المسلمين أوقاتهم بين القرآن والسنة ، وإما المحافظة على فهم القرآن وعدم تشويشه بالسنة .

وترك التحديث عن النبيﷺليس علاجاً لأي من المشكلتين؟! فمسألة

الوقت ـ على أنها بعيدة عن قصد عمر ـ علاجها بتوجيه قسم من المسلمين الى الإهتمام بالقرآن وتعليمه ، وقسم آخر الى السنة .

ومسألة التشويش على فهم القرآن علاجها بأن يعين عمر مفسرين موثوقين عنده ، عايشوا نزول القرآن وتفسير النبي صلى الله عليه وآله لآياته ، يقومون بتفسير القرآن للمسلمين بالأحاديث التي يرتضيها عمر .

لكن مقصوده الحقيقي هوأن يترك المسلمون السنة، ويقرؤوا القرآن ولو من غير فهم، ولايسألوا عن معاني آياته ، ولا يفسروها حتى بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله !

ويؤيد ذلك منعه المسلمين من السؤال عن معاني آيات القرآن كما في قصة صبيغ التميمي وغيره ! وهذه سياسة التجهيل بدل التعليم ! والكتمان بدل التبليغ !

٦ ـ أما مقولة اختلاط السنة بالقرآن ، فلو قالها غير عمر لسخر منه العلماء وقالوا هذا امتهانٌ للعقل! فالقرآن والسنة مقولتان متميزتان ، وقد كانا معاً ولم يختلطا ولم يشتبها ، حتى عند متوسطي الثقافة والمعرفة ، فضلاً عن العلماء والفقهاء !

ولكن كلامه صار عند محبيه عذراً مقبولاً لمجرد أنه صدر عن عمر ! وصاروا يبحثون عن وجه معقول لكلام غير معقول ! ومثله قول عمر ومن وافقه: نزل القرآن على سبعة أحرف! وأن النبي صلى الله عليه وآله قصد ألفاظه لامعانيه ، فما زال محبوه الى يومنا يبحثون عن السبعة أشكال التي نزل فيها القرآن من عند الواحد الأحد !

قال الباحث المصري محمود أبو رية تعليقاً على عذر اختلاط السنة بالقرآن ، في كتابه أضواء على السنة المحمدية ص٥٠: (وهو سبب لايقتنع به عاقل عالم.. اللهم إلا إذا جعلنا الأحاديث من جنس القرآن في البلاغة ، وأن أسلوبها في الإعجاز من أسلوبه ! وهذا ما لايقره أحد حتى الذين جاءوا بهذا الرأي ، إذ معناه إبطال

معجزة القرآن وهدم أصولها من القواعد ... وبين الحديث والقرآن ولاريب فروق كثيرة يعرفها كل من له بصر بالبلاغة وذوق في البيان ... على أن هذا السبب الذي يتشبثون به قد زال بعد أن كتب القرآن في عهد أبي بكر على ما رووه، وبعد أن نسخ في عهد عثمان ووزعت منه نسخ على الأمصار ، وأصبح من العسير بل من المستحيل أن يزيدوا على القرآن حرفاً واحداً...). انتهى .

فما رأيكم ؟!

۞ ۞

المسألة: ١١٦

دفاع ابن حبان عن أبي بكر وعمر في تغييب السنة ؟

من أقدم المدافعين عن تغييب أبي بكر وعمر لسنة النبي ﷺ، محمد بن حبَّان البستي الخراساني توفي سنة ٣٥٤ ، قال في كتابه المجروحين: ٣٣/١:

(أخبرنا عبد الملك بن محمد قال: سمعت عباس بن محمد يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجهاً ما عقلناه .

قال أبو حاتم(يقصد نفسه ابن حبان): فهذا عناية هذه الطائفة (يعني أهل السنة والجماعة وقد تسموا بذلك في عهد معاوية) بحفظ السنن على المسلمين ، وذب الكذب عن رسول رب العالمين ، ولولاهم لتغيرت الأحكام عن سننها ، حتى لم يكن يعرف أحد صحيحها من سقيمها ، والملزق بالنبي(ص)والموضوع عليه ، مما رويَ عن الثقات والأئمة في الدين .

فإن قال قائل: فكيف جَرَحْتَ مَنْ بعد الصحابة؟ وأبيتَ ذلك في الصحابة ، والسهوُ والخطأ موجودٌ في أصحاب رسول الله(ص) كما وجد فيمن بعدهم من المحدثين ؟ يقال له: إن الله عز وجل نزَّه أقدار أصحاب رسوله عن ثلب قادح ، وصان أقدارهم عن وقيعة متنقص ، وجعلهم كالنجوم يقتدى بهم ... فالثلب لهم غير حلال ، والقدح فيهم ضد الإيمان ، والتنقيص لأحدهم نفس النفاق ، لأنهم خير الناس قرناً بعد رسول الله ، بحكم من **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى** (ص). وإن من تولى رسول الله إيداعهم ماولاه الله بيانه الناس ، لبالحري من أن لايجرح ، لأن رسول الله لم يودع أصحابه الرسالة وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب إلا وهم عنده صادقون جائزوا الشهادة ، ولو لم يكونوا كذلك لم يأمرهم

بتبليغ من بعدهم ما شهدوا منه ، لأنه لو كان كذلك لكان فيه قدحاً في الرسالة . وكفى بمن عدله رسول الله شرفاً ! وإن من بعد الصحابة ليسوا كذلك ، لأن الصحابي إذا أدى الى من بعده يحتمل أن يكون المبلغ إليه منافقاً أو مبتدعاً ضالاً ينقص من الخبر أو يزيد فيه ، ليضل به العالم من الناس ، فمن أجله ما فرقنا بينهم وبين الصحابه ، إذ صان الله عز وجل أقدار الصحابة عن البدع والضلال !) .

وقال في:٣٤/١: (ذكر بعض السبب الذي من أجله منع عمر بن الخطاب الصحابة من إكثار الحديث: حدثنا عمر بن محمد الهمداني قال: ... عن قرظة بن كعب قال: خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر بن الخطاب الى صرار فتوضأ ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم ؟ قالوا: نعم نحن أصحاب رسول الله(ص) مشيت معنا . قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دويٌّ بالقرآن كدويِّ النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث ، جردوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله(ص) ، إمضوا وأنا شريككم! فلما قدم قرظة قالوا: حدثنا قال: نهانا عمر بن الخطاب !

قال أبو حاتم: لم يكن عمر بن الخطاب- وقد فعل- يتهم الصحابة بالتقول على النبي(ص) ولا ردَّهم عن تبليغ ما سمعوا من رسول الله ، وقد علم أنه قال: ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأنه لايحل لهم كتمان ما سمعوا من رسول الله ، ولكنه علم ما يكون بعده من التقول على رسول الله ، لأنه قال: إن الله تبارك وتعالى نزل الحق على لسان عمر وقلبه! وقال: إن يكن في هذه الأمة محدثون فعمر منهم ! فعمر من الثقات المتقين ، الذين شهدوا الوحي والتنزيل ، فأنكر عليهم كثرة الرواية عن النبي(ص) !! انتهى .

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ ما رأيكم في افتخار ابن حبان بأن طائفته أهل السنة قد اهتموا بتدوين السنة ولولاهم لضاعت ! ويقول إنه لايصح الإشكال على عمر بأنه نهى عن كتابتها وعن التحديث وحبس الصحابة بسبب ذلك ، وأحرق المكتوب من السنة ، وأمر ولاته في أرجاء الدولة الإسلامية أن يمحوا ما كتبه المسلمون منها...! الخ. لأن عمر ومن تبعه من الصحابة معصومون ، بدليل أن النبيﷺسلمهم أمانة الرسالة وأوصى بهم وهو لاينطق عن الهوى، فأمرُه أمرُ الله تعالى ونهيُه نهيُ الله تعالى ، ومجرد تزكيتهﷺلصحابته وتسليمهم أمانة الرسالة للأجيال ، تجعلهم عدولاً معصومين وتجعل عملهم حجة ، فيجب أن نتبعهم ونقدسهم ، سواء دونوا السنة أم حرموا الأمة من تدوينها ، أم أحرقوا المدون منها ! وسواء رووها أم منعوا من روايتها وعاقبوا من رواها!

وكأن ابن حبان أصيب بغرام الصحابة فقرأ وصية النبيﷺللأمة: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي... قرأها: وصحابتي !! وإلا فما دليله على أن النبي ﷺترك الإسلام أمانة بأيدي أبي بكر وعمر؟! وكيف لم يدعيا هما ذلك مع شدة حاجتهما اليه في السقيفة ، وعندما نهيا الأمة عن التحديث والتدوين ؟!

وما قيمة ما رواه عن النبيﷺأحاديث مكذوبة في عصمة عمر ، لم يروها عمر نفسه ، ولا احتج به في تصحيح أعماله عندما كان الصحابة يخطئونه ؟!

وكيف جعل ابن حبَّان نفسه أفهم من الصحابي قرظة بن كعب ، فزعم أن عمر نهاهم عن نوع من الأحاديث دون غيرها ، أو نهاهم عن كثرة التحديث ، والحديث الصحيح عندهم يقول :(**فلما قدم قرظة قالوا: حدثنا قال: نهانا عمر بن**

الخطاب ... قال قرظة: وإن كنت لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول الله (ص) وإني لمن أحفظهم له ، فإذا ذكرت وصية عمر سكتت ! قال: فما حدثت بشئ، وقد سمعت كما سمع أصحابي) !!

لكن ابن حبان من أولئك الذين يجعلون الأسود أبيض كالثلج ، من أجل عمر !

٢ ـ لو سألنا ابن حبان: إن الصحابة الذين زعمتم أن النبي ﷺ ألزم الأمة بأخذ الدين منهم وطاعتهم ، قد اختلفوا على آراء متناقضة لايمكن الجمع بينها ، فقد حبس بعضهم بعضاً ، وسبَّ بعضهم بعضاً ، وتبرأ بعضهم من بعض ، وكفَّر بعضهم بعضاً ، وقتل بعضهم بعضاً ..! فهل يعقل أن يعطي الله الحكيم تعالى ورسوله الرحيم ﷺ أمانة الرسالة بيد أناس من هذا النوع ؟!

هل تجيبون على ذلك بأنهم جميعاً معصومون عن الخطأ مهما عملوا فيلزم منه أن الله أنزل ديناً على نبي ، وسلمه الى صحابته المتناقضين المتناحرين؟ !

أو تقولون إذا اختلفوا فالحق مع عمر ومن تبعه ، لأن الله أجرى الحق على لسان عمر ! وإن اقتتلوا وتبرأ بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضاً فيجب علينا أن نتولى عمر ، ومن رضي عنه عمر ونترك الباقين؟ فيكون مقصودكم من عدالة الصحابة: عمر فقط، ويكون له حق النقض عليهم، ويكون معنى: إن الله ورسوله سلماً أمانة الرسالة الى الصحابة، أنهما سلماها الى عمر وحده ؟!!

بل يكون لعمر عندكم حق نقض أوامر رسول الله ﷺ ! لأنكم دافعتم عن نقضه أمر النبي ﷺ لصحابته بتبليغ أحاديثه ؟!

○ ○

المسألة: ١١٧

دفاع الذهبي عن أبي بكر وعمر في تغييب السنة

من أكثر المتحمسين في الدفاع عن تغييب أبي بكر وعمر للسنة ، الحافظ الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ ، قال في تذكرة الحفاظ:٢/١: (أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أفضل الأمة ، وخليفة رسول الله(ص) ... أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ! فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه .

فهذا المرسل يدلك أن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري ، لا سدٌّ باب الرواية ، ألا تراه لمَّا نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب ، كيف سأل عنه في السنة ، فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ، ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج.... نعم ، فرأس الصادقين في الأمة الصديق وإليه المنتهى في التحري في القول وفي القبول .

وقد نقل الحاكم فقال.... قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله (ص) وكانت خمسمائة حديث ، فبات ليلته يتقلب كثيراً قالت فغمني فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشئ بلغك؟ فلما أصبح قال: أيْ بنيَّه ، هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها ، فدعا بنار فحرقها ، فقلت لم أحرقتها؟ قال خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم تكن كما حدثني ، فأكون قد نقلت ذاك . فهذا لايصح والله أعلم) . انتهى .

ولم يذكر الذهبي علة رده لحديث الحاكم وقوله لايصح ! ومن عادته أن يرد ما صح عنده بلا سبب ، بل دفعاً بالصدر كما يقولون ، من أجل الدفاع عن أبي بكر وعمر ، فقط لا غير ! وهل يريد الذهبي أكثر صراحة من حديثه المرسل الذي ارتضاه هو عن أبي بكر في منع السنة وفيه: (فلاتحدثوا عن رسول الله شيئاً ! فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه) !

كما أن الذهبي نسيَ أن شعار(كتاب الله حسبنا) قبل أن يكون شعار الخوارج كان شعاراً لعمر وأبي بكر ، وأنه رفعه في وجه النبيصلى الله عليه وآله، وأن أبا بكر وغيره أيدوه وصاحوا: القول ما قاله عمر ! وأن ذلك مروي ببضع روايات في البخاري ، وبأكثر منها صراحةً في غيره ! (قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وكثر اللغط ! قال: قوموا عني ولاينبغي عندي التنازع ! فخرج ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه)! (البخاري:١/٣٧)

ثم قال الذهبي:

(أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أبو حفص العدوي، الفاروق وزير رسول الله (ص) ، ومن أيد الله به الإسلام وفتح به الأمصار ، وهو الصادق المحدَّث الملهم، الذي جاء عن المصطفى(ص)أنه قال: (لو كان بعدي نبي لكان عمر) الذي فر منه الشيطان وأُعْلِيَ به الإيمان وأُعْلِنَ الأذان . قال نافع بن أبي نعيم ، عن نافع ابن عمر قال: قال النبيصلى الله عليه وآله: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

فيا أخي إن أحببت أن تعرف هذا الإمام حق المعرفة ، فعليك بكتابي (نعم السَّمَر في سيرة عمر) فإنه فارق فيصل بين المسلم والرافضي ! فوالله ما يغض من عمر إلا جاهل دائص ، أو رافضي فاجر ، وأين مثل أبي حفص؟ فما دار الفلك على مثل شكل عمر ، وهو الذي سنَّ للمحدثين التثبت في النقل وربما كان

يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب ، فروى الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد: أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له ، فرجع فأرسل عمر في أثره فقال لم رجعت؟ قال سمعت رسول الله (ص)يقول: إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع. قال لتأتيني على ذلك بينة أو لأفعلن بك! فجاءنا أبو موسى منتقعاً لونه ونحن جلوس فقلنا ما شأنك؟ فأخبرنا وقال: فهل سمعه أحد منكم؟ فقلنا نعم، كلنا سمعه فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره .

أحبَّ عمر أن يتأكد عنده خبر أبي موسى بقول صاحب آخر ، ففي هذا دليل عن أن الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد ، وفي ذلك حض على تكثير طرق الحديث لكي يرتقى عن درجة الظن الى درجة العلم ، إذ الواحد يجوز عليه النسيان والوهم ، ولا يكاد يجوز ذلك على ثقتين لم يخالفهما أحد . وقد كان عمر من وجله أن يخطئ الصاحب على رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرهم أن يقلوا الرواية عن نبيهم ، ولئلا يتشاغل الناس بالأحاديث عن حفظ القرآن .

وقد روي عن شعبة وغيره ، عن بيان الشعبي ، عن قرظة بن كعب قال: لما سيَّرنا عمر الى العراق مشى معنا عمر وقال: أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا نعم تكرمة لنا . قال: ومع ذلك إنكم تأتون أهل قرية لهم دويٌّ بالقرآن كدوي النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم . جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله ، وأنا شريككم! فلما قدم قرظة بن كعب قالوا حدثنا فقال: نهانا عمر رضي الله عنه!

... عن أبي هريرة قلت له: أكنت تحدث في زمان عمر هكذا؟ فقال: لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم ، لضربني بمخفقته !

... عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه أن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري ، فقال قد أكثرتم الحديث عن رسول الله(ص).

ابن علية عن رجاء بن سلمة قال: بلغني أن معاوية كان يقول: عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر ! فإنه كان قد أخاف الناس في الحديث عن رسول الله (ص) . انتهى .

شحن الذهبي كلامه كما ترى بتأجيج عاطفة حب عمر التي تربى عليها السنيون ، وبُغضهم للرافضة الذي تربوا عليه ، لأن الرافضة لايقبلون أعذار عمر لتعطيل السنة ، ولايقبلون ما سطره محبوه من أسرار الحكمة الإلهية في فعله ، وأنه مسددٌ معصومٌ في كل أقواله وأفعاله حتى في تعطيل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله!

وهذا يدل على أن الذهبي وهو باحث متتبع إمام عندهم ، ليس لديه ما يدافع به عن أبي بكر ولا عمر إلا العاطفة ! لكن هل سيتخذ نفس الموقف إذا وجد في تاريخ الأنبياء عليهم السلام أن أحد الحكام بعد إبراهيم أوبعد موسى أو سليمان عليهم السلام منع أمته من تدوين أحاديثه وروايتها،وهل سيدافع عنه بالعاطفة؟!

بل ما هو موقفه لو أن عثمان أو علياً عليه السلام أو حاكماً مسلماً بعد عمر ، منع المسلمين من رواية أحاديث عمر وسيرته وفتاواه ، وعاقب على ذلك بحجة المحافظة على صحتها وسلامتها وإيصالها الى الأجيال ؟!

وهل سمعتم في التاريخ أن أصحاب نبي منعوا رواية سنته وتدوينها ، لشدة حرصهم عليها ! حتى ضاع كثير منها ، واختلط صحيحها بمكذوبها ؟!

أو سمعتم أن ولداً من شدة محافظته على جواهر أبيه وحرصه على إيصالها سالمة الى أحفاده ، أخفى مكانها ولم يخبر به أحداً ، حتى مات وضاع منها ما ضاع ، وحصل منها ما حصل غير سالم ؟!

لاأدري بأي ذهن يفكر المدافعون عن سياسة تغييب السنة ومنع روايتها وتدوينها؟وهل يخفى عليهم ذلك ، أم يتصورون أنه كان خافياً على الخلفاء؟!

كلا . . ولكنه التعصب للأشخاص يُعمي عن السواطع ، ويصمُّ عن القوارع !

وعلى هذا التعصب قام تاريخ ، وبنيت ثقافة وتربت أجيال.. إلا من عصم الله .

أما نحن فنحب رسول الله ﷺ حباً مطلقاً غير مشروط ، وأما غيره فنحبُّهم حباً مشروطاً بأن لايصطدم مع بدائه العقل ، فإذا اصطدم نكون مع عقولنا ! ومشروطاً بأن لايصطدم مع أمر النبي ﷺ ونهيه ، فإذا اصطدم فنحن مع النبي ﷺ لاغير !

أيها المسلم ، يكفيك أثقالٌ حملتها بالوراثة فكلفت نفسك تبرير أعمال الصحابة المتناقضة ، دون أن يكلفك بذلك الله تعالى ولارسوله ﷺ!

وحسبتها جزءً من الدين ، وما أنزل الله بها من الدين !

وحاشا الله تعالى أن يكلف المسلمين باتباع جماعة متضاربين !

○ ○

الأسئلة

١ ـ يؤكد الذهبي على جانب واحد هو أن أبا بكر وعمر عمل ما عملاه من إحراق أحاديث النبي صلى الله عليه وآله ومحوها ، ومنع الناس من كتابتها ، ومنع الصحابة من تحديث الناس عن نبيهم صلى الله عليه وآله.. من أجل الحفاظ على سنة النبي صلى الله عليه وآله وإيصالها الى الأجيال سالمة كاملة ! فكيف تفسرون ذلك ؟!

٢ ـ كيف يفسر الذهبي ما رواه الشافعي في مسنده ص٣٩٠ وص٤٢٠ ، وفي كتاب الأم:١٦/٧ و٣٠٣: (عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه قال: قال رسول الله(ص): لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: ما ندري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه !؟

ورواه في كنز العمال:١٧٣/١بلفظ:(ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ! وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله) .

وفي ص١٩٤بلفظ: (عسى أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته ! يبلغه الحديث عني فيقول: ما قال ذا رسول الله ! دع هذا وهات ما في القرآن !). انتهى .

وإذا لم تنطبق هذه الأحاديث على أبي بكر وعمر ، فعلى من تنطبق ؟!

٣ ـ بماذا تفسرون قول الذهبي: (فما دار الفلك على مثل شكل عمر)؟! هل يقصد أنه متفرد بجماله المادي والمعنوي على كل العالم ، فلا يوجد له نظير تحت أفلاك السماء ، حتى من الصحابة والأنبياء عليهم السلام ؟!

٤ ـ قال الذهبي: (وهو الذي سنّ للمحدثين التثبت في النقل ، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب ، فروى الجريري عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد: أن

أبا موسى سلَّمَ على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له ، فرجع فأرسل عمر في أثره فقال: لم رجعت؟ قال سمعت رسول الله يقول: إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع. قال لتأتيني على ذلك ببينة ، أو لأفعلن بك) ! انتهى.

أقول: لابد أن نحمل عمل عمر على أنه تأديبٌ لصديقه أبي موسى الأشعري ، في مرة من مرات عدم رضاه عليه ! ولايمكن أن نحمله على أنه كان يتثبت من أحاديث الآحاد ، وهو الذي نهى عن أصل التحديث عن النبي صلى الله عليه وآله حتى مع التثبت، وعاقب عليه بالجلد والسجن؟! وهو الذي قَبل من أبي بكر حديثاً لم يروه أحد غيره، وخصص به عموم القرآن، عندما رفض أبوبكر أن يعطي الزهراء عليها السلام إرثها من النبي صلى الله عليه وآله وادعى أن النبي صلى الله عليه وآله مستثنى من آيات الإرث، وأنه سمعه يقول: نحن معاشر الأنبياء لانورث ! فلم يقل له عمر: (لتأتيني على ذلك ببينة أو لأفعلن بك) !

قال الغزالي في المستصفى ص٢٤٩: (وكلام من ينكر خبر الواحد ولايجعله حجة في غاية الضعف ، ولذلك تُرك توريث فاطمة رضي الله عنها بقول أبي بكر: نحن معاشر الأنبياء لا نورث.. الحديث) !

وقال في المنخول ص٢٥٢: (قالت المعتزلة: لايخصص عموم القرآن بأخبار الآحاد ، فإن الخبر لايقطع بأصله بخلاف القرآن .

وقالت الفقهاء يخصص به لأنه يتسلط على فحواه ، وفحواه غير مقطوع به.

قال القاضي: أنا أتوقف فيه ، إذ ظاهر القرآن مقطوع الأصل غير مقطوع الفحوى ، ونص أخبار الآحاد مقطوع الفحوى غير مقطوع الأصل . والمختار أنه يخصص ، لعلمنا أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقبلون حديثاً نصاً ينقله إليهم الصدِّيق في تخصيص عموم القرآن، كيف وكانوا يقبلون نقل التفسير من الآحاد

وهو أعظم من التخصيص ، ولما أن هموا بقسمة تركة رسول الله(ص)نقل أبوبكر عنه أنه قال: نحن معاشر الأنبياء لانورث ، فتركوه، وإن كانت آية الوراثة تشمله بعمومها) !!

وقال الرازي في المحصول:٨٦/٣: (أجمعت الصحابة على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ، وبينوه بخمس صور ، إحداها: أنهم خصصوا قوله تعالى: يوصيكم الله في أولادكم...بما رواه الصديق أنه عليه الصلاة والسلام قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث) . انتهى . فما رأيكم ؟!

٥ ـ قال الذهبي: (ابن علية ، عن رجاء بن سلمة قال: بلغني أن معاوية كان يقول: عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر ! فإنه كان قد أخاف الناس في الحديث عن رسول الله) ! انتهى. فمعاوية يمدح عمر بمنعه التحديث عن النبي ﷺويقول إنه اختار أحاديث معينة سمح بها ، فعليكم بها دون غيرها مما حدَّث به الصحابة الذين كسروا سياسة المنع بعد عمر !

فهل تقبلون قول معاوية وتجعلون من شروط التصحيح أن يكون الحديث مروياً في زمن عمر ، ومسكوتاً عليه منه ؟

وإن فعلتم ذلك فهل يبقى شئ من أحاديثكم في فضائل عمر وأبي بكر وعثمان ومعاوية ، أم ترفضونها لأنها ظهرت بعد وفاتهم ؟!

○ ○

المسألة: ١١٨

إعطاؤهم عمر حق النقض على أحاديث النبي صلى الله عليه وآله !!

أراد الشيخ رشيد رضا صاحب تفسير المنار أن يحقق قفزة في الدفاع عن تغييب أبي بكر وعمر للسنة النبوية ، فأغمض عينيه أولاً عن بداهة العقل في الكتابة والتدوين ، وعن تاريخ الدين الإلهي والأنبياء عليهم السلام والشعوب .

وأهمل ثانياً كل الأحاديث الآمرة بكتابة السنة ، كحديث عبدالله العاص ، وسنذكر طرفاً منها . ثم بحث ، وبحث.. فوجد بعض روايات عن النبي(تنهى) عن كتابة حديثه صلى الله عليه وآله ، فحمد الله عليها لأنها ترفع المسؤولية عن عاتق أبي بكر وعمر ، وتضعها على عاتق النبي صلى الله عليه وآله ، وتقول هو الذي نهى عن كتابة حديثه !

فأفتى رضا بترجيح روايات منع التدوين على روايات الأمر بالتدوين ، وجعل دليله فعل أبي بكر وعمر ! أي استدل بالمدعى عليه على إثبات الدعوى !!

ثم بحث ، وبحث.. فجاء بفرية تخرُّ منها الجبال ! فزعم أن عمل أبي بكر وعمر يكشف أن لهما حق النقض على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله!!

قال في تفسيره (:١٠/ ٧٦٦ و:٥١١/١٩ ، كما نقله عنه أبو رية في أضواء على السنة المحمدية): (وقول عمر بن الخطاب عند الفكر في كتابة الأحاديث أو بعدم الكتابة مع كتاب الله في الرواية الأولى، وقوله في الرواية الثانية بعد الإستشارة في كتابتها: والله إني لا أشوب كتاب الله بشئ أبداً .

وقولُ ابن عباس: كنا نكتب العلم ولا نكتبه . أي لا لأحد أن يكتب عنا .

ونهيه في الرواية الأخرى عن الكتابة...

ومحوُ زيد بن ثابت للصحيفة ثم إحراقها ، وتذكيره بالله من يعلم أنه توجد صحيفة أخرى في موضع آخر ولوبعيداً، أن يخبره بها ليسعى إليها ويحرقها...

وقولُ سعيد بن جبير عن ابن عمر: إنه لو كان يعلم بأنه يكتب عنه لكان ذلك فاصلاً بينهما . ومحوُ عبد الله بن مسعود للصحيفة التي جاءه بها عبد الرحمن بن الأسود وعلقمة ، وقوله عند ذلك: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره .

كل هذا الذي أورده ابن عبد البر ، وأمثاله مما رواه غيره ، كإحراق أبي بكر لما كتبه ، وعدم وصول شئ من صحف الصحابة الى التابعين ، وكون التابعين لم يدونوا الحديث لنشره إلا بأمر الأمراء ، يؤيد ما ورد من أنهم كانوا يكتبون الشئ لأجل حفظه ، ثم يمحونه... وإذا أضفت الى هذا ماورد في عدم رغبة كبار الصحابة في التحديث بل في رغبتهم عنه ، بل في نهيهم عنه ، قويَ عندك ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث(كلها)ديناً عاماً دائماً كالقرآن !

ولو كانوا فهموا من النبي أنه يريد ذلك لكتبوا ولأمروا بالكتابة ، ولجمع الراشدون ما كتب ، وضبطوا ما وثقوا به وأرسلوه الى عمالهم ليبلغوه ويعملوا به ، ولم يكتفوا بالقرآن). انتهى.

فتأمل جيداً قوله: (قويَ عندك ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث (كلها)ديناً عاماً دائماً كالقرآن) ! فالسر كله في رفض بعض السنة وقبول بعضها!!

○ ○

الأسئلة

١ ـ نلاحظ أن هذا المفسر المثقف الناصبي ، وغيره من الذين احتجوا بأحاديث نهي النبيصلى الله عليه وآله عن كتابة حديثه ، لم يسألوا أنفسهم أنه لو صح أنه كانت توجد أثارة من علم عن النبيصلى الله عليه وآله تنهى عن رواية حديثه أو كتابته ، لتمسك بها أبو بكر وعمر مع شدة حاجتهم اليها !

مع أنا لانجد شيئاً من ذلك رغم تتبع علمائهم لأعذارهم وحرصهم على تبرير فعلتهم ! فقد طلب أبو بكر من الناس أن يأتوه بما دونوه من سنة النبيصلى الله عليه وآله وجاؤوه به صادقين وهم لايتصورون أنه سيحرقه ! وتأرق ليله كما تقول عائشة ، ثم قرر إحراقه بحجة وجوب التحقق من رواة الحديث النبوي!

فلو كان هناك أثارة من علم ، أو شبهة تنهى عن التدوين ، لاستند إليها وأراح نفسه ! ولو قلنا إنه لم يطلع عليها لأطلعه عليها الصحابة !

ولو وجد شئ من ذلك لقاله الصحابة لعمر عندما أشاروا عليه بتدوين السنة ، ولم يذكر أحد منهم ولا نصف رواية ، تزعم أن النبيصلى الله عليه وآله نهى عنه !

ألا يكفي ذلك للحكم بأن أحاديث النهي عن الكتابة قد وُضعت بعد قرار تغييب السنة ومنع كتابتها ، من أجل تبرير عمل أبي بكر وعمر؟!

أوَليس ذلك موجباً لأن يتوقف الباحث المنصف في أحاديث النهي، ولايعارض بها أحاديث الأمر بالتدوين ، كما ارتكب رشيد رضا ؟!

٢ ـ ماتوصل اليه رشيد رضا من تتبعه لآراء(كبارالصحابة)في تدوين السنة وأنهم(لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث كلها ديناً عاماً دائماً كالقرآن) هو وصفٌ دقيق لحالة الشيخين وتحيرهما وتصرفاتهما المتضاربة تجاه سنة النبيصلى الله عليه وآله!

فقد أرادا أن يكون (بعض)سنة النبي صلى الله عليه وآله ديناً كالقرآن وليس(كلها)! ولكنهما لم يجرؤا على إعلان ذلك خوفاً من أن يقرأ عليهما بعض الصحابة: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)؟! ألم يقل لكم الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) . (الحشر:٧) ؟!!

نعم ، إنه لا تفسير لمواجهتما للنبي صلى الله عليه وآله لمنعه من كتابة وصيته ، ثم منعهما من تدوين سنته ، ثم مصادرتهما حرية الصحابة في تحديث الأمة عن نبيها صلى الله عليه وآله، ثم تحديثهما هما عن النبي صلى الله عليه وآله.. الخ . إلا أنهما أرادا اختيار هذا (البعض) الذي يصلح أن يكون جزءاً من الدين ، واستبعاد ذلك (البعض) الذي لايصلح !! وقد صرح بنحو ذلك عمر فقال للصحابة الذين حبسهم بجرم التحديث: (أقيموا عندي ، لاوالله لاتفارقوني ما عشت ! فنحن أعلم نأخذ ونرد عليكم) . (كنز العمال:١٩/٢٨٥) !

نعم إن الذي أفصح عنه رشيد رضا هو لبُّ المسألة ، وهو تحديد دائرة الدين وجعل هذا الشئ جزءً منه أو خارجاً عنه !

لكن الذي يملك هذا الحق في اعتقادنا نحن أتباع أهل البيت الطاهرين عليهم السلام هو فقط رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله! لا عمر ، ولا علي ، ولا كل الصحابة ، ولا كل أهل الأرض أجمعين أكتعين !

ويظهر أن أتباع أبي بكر وعمر يعتقدون أن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله أعطيا هذا الحق للشيخين فصارا أمينين على الرسالة بعد النبي صلى الله عليه وآله! وهذا يعني تأسيس دين جديد يكون فيه لأبي بكر وعمر حق النقض على أحاديث خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ؟!! فهل تعطون لهما حقاً لم يعطه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله فقال: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أحد عَنْهُ حَاجِزِينَ. (الحاقّة: ٤٣ـ٤٦) ؟!!

٣ ـ مادام الله تعالى أعطى بزعمكم لعمر بن الخطاب حق الحذف والإثبات في سنة النبي صلى الله عليه وآله ! فلا بد أن تضيفوا أصلاً جديداً لأصول الإسلام وهو: عدم حجية سنة النبي صلى الله عليه وآله إلا ما أمضاه عمر وجعله جزءاً من الدين !

لكن كيف تعرفون ذلك بيقين ، والأحاديث عن عمر متفاوتة بل متناقضة؟! فلا بد لكم من الإحتياط بترك السنة حتى تعلموا ما أمضاه منها عمر !!

وبعبارة أخرى: لو فرضنا أن سنة النبي صلى الله عليه وآله عشرون ألف حديثاً ، ثابتاً قطعيَّ الصدور عنه صلى الله عليه وآله ، فبعضها جزءٌ من الدين وبعضها ليس منه ، وما لم تعلموا ذلك يقيناً يجب التوقف عن نسبة أي حديث منها ، حتى يثبت إمضاء عمر له !

فيكون المطلوب في البحث العلمي صحة السند الى عمر ، لا الى النبي صلى الله عليه وآله!

ويكون الميزان الشرعي ما قَبِلَهُ عمر من قول النبي ، وليس ما قاله النبي صلى الله عليه وآله!!

ويكون الأصل عدم حجية قول النبي صلى الله عليه وآله حتى نعرف رأي عمر فيه !!

وعلى هذا الأصل لايسلم لكم من السنة حتى ربع صحيح البخاري!

وعليه ، فالأصح أن تسموا السنة سنة عمر وليس سنة النبي صلى الله عليه وآله؟! لأنكم جعلتم حق طاعة عمر على الأمة أعظم من حق النبي صلى الله عليه وآله ، لأن طاعة النبي صلى الله عليه وآله في مثل قوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، مشروطة بأن لايزيد في أوامر ربه حرفاً ولا ينقص منها حرفاً ، بينما وجوب طاعة عمر غير مشروط ، فله أن ينقص ما شاء من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله ويمنع من العمل بها !! فأفصحوا واعلنوها بأن عمر نبي فوق النبي صلى الله عليه وآله!!

○ ○

المسألة: ١١٩

أحاديث غيبوها عن البحث من أجل تبرير تغييب السنة !

أمر النبي صلى الله عليه وآله بكتابة أحاديثه الشريفة

روى البخاري في صحيحه:٣٦/١: (فجاء رجل من أهل اليمن فقال: أكتب لي يا رسول الله ، فقال: أكتبوا لأبي فلان) .

وفي:٩٥/٣: (فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال أكتبوا لي يا رسول الله ، فقال رسول الله(ص):أكتبوا لأبي شاه . قلت للأوزاعي: ما قوله أكتبوا لي يا رسول الله ؟ قال هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله(ص) . انتهى .

(ورواه في:٣٨/٨ وأحمد في مسنده:٢٣٨/٢ ، ومسلم:١١٠/٤ و١١١، وأبو داود:٤٤٨/١ و:٣٤/٤ ، وص١٧٧و٣٦٨). وجاء في هامش ص٧٦: الذين كتبوا عبد الله بن عمرو ، وكان عنده صحيفة يسميها الصادقة . والترمذي:١٤٦/٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح . وقد روى شيبان عن يحيى بن أبي كثير مثل هذا . والبيهقي في السنن:٥٢/٨ ، والسيوطي في الدر المنثور:١٢٢/١ .

وعقد الهيثمي في مجمع الزوائد:١٥٠/١، باباً بعنوان (باب كتابة العلم) لم يرو فيه ما تقدم من البخاري ، وروى فيه أحاديث وآثاراً في تحريم كتابة السنة ، وفي الحث على كتابتها ، وضعَّفها ما عدا بعض الآثار .

وأولها: حديثٌ ظاهر الوضع لمصلحة عمر: عن ابن عباس وابن عمر قالا: خرج رسول الله(ص)معصوباً رأسه فرقى المنبر فقال: ما هذه الكتب التي يبلغني أنكم تكتبونها ، أكتاب مع كتاب الله؟! يوشك أن يغضب الله لكتابه فيسري عليه ليلاً فلا يترك في ورقة ولا في قلب منه حرفاً إلا ذهب به ! فقال بعض من حضر

المجلس: فكيف يا رسول الله بالمؤمنين والمؤمنات؟ قال من أراد الله به خيراً أبقى في قلبه لا إله إلا اله . رواه الطبراني في الأوسط وفيه عيسى بن ميمون الواسطي وهو متروك ، وقد وثقه حماد بن سلمة).

أقول: لو كان لهذا الحديث وجود لرفعه عمر علماً عندما تحير شهراً !!

ثم روى الهيثمي حديثاً آخر مثله مكذوباً على أبي سعيد الخدري لمصلحة أبي بكر وعمر ، قال: كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي(ص)فخرج علينا فقال: ما هذا تكتبون؟ فقلنا: ما نسمع منك ، فقال: أكتاب مع كتاب الله ! إمحضوا كتاب الله وأخلصوه ! قال فجمعنا ما كتبناه في صعيد واحد ، ثم أحرقناه بالنار ! فقلنا: أيْ رسولَ الله ، نتحدث عنك؟ قال: نعم ، تحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . قال قلنا: أيْ رسولَ الله ، أنتحدث عن بني إسرائيل؟ قال: نعم ، تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، فإنكم لا تحدثون عنهم بشئ ، إلا وقد كان فيهم أعجب منه.

وقال الهيثمي: قلت: له حديث في الصحيح بغير هذا السياق ، رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

ثم روى حديثاً آخر مكذوباً أيضاً: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: لاتكتبوا عني إلا القرآن فمن كتب عني غير القرآن فليمحه ! وحدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج ، فذكر الحديث. رواه البزار وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف.

ثم روى أثراً عن أبي بردة بن أبي موسى وصححه ، قال: كتبت عن أبي كتاباً فقال لولا أن فيه كتاب الله لأحرقته ، ثم دعا بركن أو بإجانة فغسلها ثم قال عِ عني ما سمعت مني ولا تكتب عني ، فإني لم أكتب عن رسول الله كتاباً ، كدت أن تهلك أباك ! رواه الطبراني في الكبير والبزار بنحوه ، إلا أن البزار قال إحفظ كما حفظنا

عن رسول الله . ورجاله رجال الصحيح . انتهى.

ويكفي لرد هذا الأحاديث والحكم بأنها مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنه لو صح شئ منها لأخذه عمر قميص عثمان يوم فكر شهراً والصحابة يُلحُّون عليه في كتابة السنة ، ولَخَطَبَ به فوق المنبر مرات !

وأما أثر أبي موسى فلا قيمة له ، لأنه نهيٌ من أبي موسى وليس نهياً نبوياً !

ومما رواه الهيثمي: (عن أبي هريرة قال: ماكان أحد أعلم بحديث رسول الله (ص)مني إلا ماكان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب بيده ويعيه بقلبه ، وكنت أعيه بقلبي ولا أكتب بيدي. واستأذن رسول الله في الكتابة عنه فأذن له.

وعن رافع بن خديج قال خرج علينا رسول الله(ص)فقال: تحدثوا ، وليتبوأ من كذب على مقعده من جهنم . قالوا يا رسول الله أنا نسمع منك أشياء فنكتبها قال: أكتبوا ولا حرج . وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله(ص): قيِّد العلم . قلت: وما تقييده ؟ قال: الكتابة .

وعن ثمامة قال: قال لنا أنس: قيدوا العلم بالكتابة . رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

وعن أنس قال شكى رجل الى النبي(ص)سوء الحفظ فقال: إستعن بيمينك . وعن أبي هريرة أن رجلاً شكى الى رسول الله(ص)سوء الحفظ فقال: إستعن بيمينك على حفظك) . انتهى.

وهذه الأحاديث حتى لو ضعَّفوها ، تؤيد ما صح عندهم من أمر النبي صلى الله عليه وآله بكتابة حديثه كما في البخاري ، وتنسجم مع أسلوب الدين الإلهي في الكتاب والكتابة ، ومع سيرة الأنبياء عليهم السلام، وسيرة العقلاء والشعوب في كل العصور .

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ مادام صح عندكم في البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله أمر أن يكتبوا خطبته الشريفة الى رجل يماني طلبها ، مع أن النبي صلى الله عليه وآله كان على قيد الحياة ، وبإمكان المسلم أن يرجع اليه ويسأله عما يريد ! فكيف ترفعون اليد عنها ، وتقبلون ما يعارضها مع أنه ضعيف معلول، توجد قرائن على وضعه لمصلحة تغييب السنة ؟!

٢ ـ ما دام ثبت عندكم أن بعض أحاديث النهي عن الكتابة موضوعة لتبرير عمل أبي بكر وعمر ، ألا يوجب ذلك أن تفتحوا باب الشك في الأحاديث المؤيدة لأعمالهما الأخرى ، التي اعترض عليها الصحابة أو أهل البيت عليهم السلام ؟!

٣ ـ لماذا تُعرضون عن أحاديث أهل البيت عليهم السلام التي تؤكد أمر النبي صلى الله عليه وآله بكتابة السنة ، وتعرضون عن سيرتهم العملية في مقاومة تغييب السنة ، وأنتم تروون أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى الأمة قائلاً: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي)؟!

○ ○

المسألة:١٢٠

أحاديث وجوب طلب العلم

عندما يصل المدافعون عن سياسة تغييب السنة الى أحاديث وجوب طلب العلم وبذله ، وأحاديث وجوب أن يبلغ الشاهد الغائب ، وأحاديث ثواب التحديث وحفظ الأحاديث..الخ. يحاولون العبور عنها وتجاهلها ، أو الإلتفاف عليها كما التفُّوا على أحاديث الأمر بكتابة السنة ، ويقولون إنها تقصد التبليغ الشفهي دون المكتوب ، وتقصد الحفظ في الصدر بدون الكتابة !

لكن هل يستطيع عاقل أن يقنع نفسه بأن النبي صلى الله عليه وآله أكد على أمته فقال: إحفظوا أحاديثي وحدثوا بها ، لكن يحرم عليكم أن تكتبوها ! وبلغوها الى الأجيال لكن تبليغاً شفهياً فقط ، لا كتبياً ؟!

ونحن نورد فينا يلي نماذج لأربعة أنواع من الأحاديث في مصادرهم ، كلها تأمر بالتحديث وتدوين الحديث ، أو تستلزم ذلك بالضرورة ، وهي:

أحاديث وجوب طلب العلم وتعليمه .

وأحاديث وجوب التبليغ والتحديث

وأحاديث النهي عن كتمان العلم

وأحاديث من حفظ على أمتي أربعين حديثاً .

أما أحاديث وجوب طلب العلم ، وفيها أحاديث صحيحة متفق عليها ، وهي بمجموعها متواترة في مصادر الشيعة والسنة . فإذا كان طلب العلم فريضة ، وعلم الدين إنما هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله ، فهو يستلزم بالضرورة أنه يجب على الصحابة بذل العلم وأن يحدثوا بما سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله كما يستلزم جواز

كتابة الحديث أو وجوبها، لأنه لايمكن لأكثر المسلمين أن يحفظوا الحديث من إلقائه مرة أو مرتين ، بل ولا خمس مرات !

فهل سقطت هذه الفريضة بمجرد وفاة النبي ﷺ أم أراد عمر أن يحصر مصدر العلم به شخصياً ، وبأحاديث أهل الكتاب التي أجازها وشجعها ؟!

روى البخاري في صحيحه:٢٨/١: (باب فضل من علَّمَ وعَلِم...عن النبي(ص) قال: **مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعانٌ لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعَلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) .**

وفي ابن ماجة:٨١/١: (قال رسول الله(ص): **طلب العلم فريضة على كل مسلم).**

(قال فإني سمعت رسول الله(ص)يقول: **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) .**

وقد عقد أبو داود:١٧٥/٢باباً باسم (باب الحث على طلب العلم) أورد فيه روايات . وكذلك الترمذي:١٣٧/٤ باسم (باب فضل طلب العلم)، وأوسع منه في مستدرك الحاكم: ٨٩/١ و: ٥١١/٣ ومسند أحمد:٢٤٠/٤، والدارمي:٩٥/١ والبيهقي:٢٨٢/١ والهيثمي:١٢٤/١ و ١٣١ و١٩١ و ٢٠١ وكنز العمال:١٣٠/١٠ الى ٢٦١ و:٨٥/١٢ و:١٣/ ٤٢٦ و:٨٤٠/١٥ و:١٢٧/١٦ ... وغيرها .

كما عقد الترمذي:١٣٨/٤ باباً بإسم (باب ما جاء في الإستيصاء بمن يطلب العلم). جاء فيه عن أبي هارون قال: (كنا نأتي أبا سعيد فيقول مرحباً بوصية رسول الله إن

النبي(ص)قال: إن الناس لكم تبعٌ وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين ، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً .

عن أبي سعيد الخدري عن النبي(ص)قال: يأتيكم رجال من قبل المشرق يتعلمون فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيراً . قال: فكان أبوسعيد إذا رآنا قال مرحباً بوصية رسول الله(ص). انتهى .

والسؤال هنا: كيف نفَّذ أبو بكر وعمر هذه الوصية ! وأي صدمة كان يواجهها طالب العلم عندما كان يأتي الى مدينة النبي صلى الله عليه وآله ومركز أصحابه ، فلا يجد شخصاً يعلمه أو يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟! لأن أبا بكر وعمر منعا التحديث عن النبي صلى الله عليه وآله تحت طائلة العقوبة والسوط والسجن !!

○ ○

الأسئلة

١ ـ هل ألغى أبو بكر وعمر فريضة طلب العلم في مدة سلطتهما ؟ فإن كان الجواب بالإيجاب فهو البدعة مقابل القرآن والسنة ! وإن كان بالنفي فكيف يجب طلب العلم ويحرم التحديث عن النبي صلى الله عليه وآله ؟!

٢ ـ استطاع عمر أن يتخلص من مطلب الصحابة في تدوين السنة النبوية ، وأن يمنع كتابتها في المدينة المنورة وبقية ولايات الدولة الإسلامية ، وأن يمنع مجرد التحديث عن النبي صلى الله عليه وآله منعاً باتاً ، حتى أنه حبس بعض الصحابة بهذا الجرم ! وضرب بعض الصحابة الكبار مثل أبي بن كعب ! فهل وجدتم اعتراضاً من أحد من الصحابة على تعطيل عمر لفريضة طلب العلم ؟!

وإذا لم يعترض الصحابة على تعطيل فريضة لخوفهم من عمر ، فمعناه أن عمر كان بإمكانه أن يوقف أي فريضة مشابهة ، والصحابة أمامه مشلولون لا يملكون إلا الصمت !! فقد روى عمر بن شبة في تاريخ المدينة:٦٨١/٢ ، قال: (بينما عمر يمشي وخلفه عدة من أصحاب رسول الله وغيرهم ، بدا له فالتفت ، فما بقي منهم أحدٌ إلا سقط إلى الأرض على ركبتيه) !!

ألا يستوجب ذلك إعادة النظر في أعمال عمر التي سكت عليها الصحابة طيلة خلافته ! وكل ما ادعيتم أنه إجماع الصحابة لسكوتهم عن فعل عمر ؟!

۞ ۞

المسألة: ١٢١

آيات وأحاديث النهي عن كتمان العلم

قال الله تعالى: أم تَقُولُونَ إنَّ إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أعلم أم اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . (سورة البقرة:١٤٠)

وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ . إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وأنا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . (سورة البقرة:١٥٩ ـ ١٦٠)

وروى البخاري:١/٣٨ ونحوه في:٣/٧٤ (عن أبي هريرة قال: إن الناس يقولون أكثر أبوهريرة ، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً ، ثم يتلو: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى..الى قوله الرحيم . إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله(ص)بشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لايحفظون) .

وروى في:١/٤٨: (قال ابن شهاب: كان عروة يحدث عن حمران ، فلما توضأ عثمان قال: ألا أحدثكم حديثاً، لولا آية ما حدثتكموه: سمعت النبي (ص) يقول: لا يتوضأ رجل يحسن وضوءه ويصلي الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة حتى يصليها . قال عروة الآية: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا...). (ونحوه في مسلم:١/١٤٢ و:٧/١٦٧ وابن ماجه:١/٩٧ وأحمد:٢/٢٤٠ و٢٤٧ والحاكم:٢/٢٧١ والسيوطي في الدر المنثور:١/١٦٣)

وقال السيوطي في:١٦٢/٢: (وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله: الذين يبخلون.. الآية.. قال: هؤلاء يهود يبخلون بما آتاهم الله من الرزق ، ويكتمون ما آتاهم الله من الكتب إذا سئلوا عن الشئ !

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: كان علماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم ، وينهون العلماء أن يعلموا الناس شيئاً ، فعيَّرهم الله بذلك ، فأنزل الله: الذين يبخلون .. الآية !!

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن سعيد بن جبير: الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل قال: هذا في العلم ، ليس للدنيا منه شئ) !

وعقد الترمذي:١٣٨/٤، باباً باسم (باب ما جاء في كتمان العلم) وروى فيه (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله(ص): من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار . ثم قال: وفي الباب عن جابر، وعبد الله بن عمر . قال أبو عيسى (أي الترمذي) :هذا حديث حسن) .

وفي سنن ابن ماجة:٩٧/١:(عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله(ص): من كتم علماً مما ينفع الله به في أمر الناس وأمر الدين ، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار) .انتهى .

وروى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:٢٦٧/٢٠، عن علي عليه السلام: ليس كل ذي عين يبصر ، ولا كل ذي أذن يسمع ، فتصدقوا على أولي العقول الزَّمِنَة والألباب الحائرة ، بالعلوم التي هي أفضل صدقاتكم . ثم تلا: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَابَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ.

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ إذا لم يكن نهي عمر أمراً بالكتمان، فهل هو أمر ببذل العلم والحديث ؟!

وإذا لم يكن امتناع قرظة وأمثاله عن التحديث كتماناً ، فما هو الكتمان الذي تنهى عنه الآيات والأحاديث؟!

أليس من الكتمان امتناع أكثر الصحابة من التحديث عن النبي صلى الله عليه وآله رغم إلحاح المسلمين عليهم ، خاصة المسلمين الجدد الذين لم يروا نبيهم صلى الله عليه وآله، وكانوا في شغف لأن يسمعوا أحاديثه ، ويتعرفوا على أخباره؟!

قال الحاكم في المستدرك:١٠٢/١: (فلما قدم قرظة قالوا حدثنا ، قال: نهانا ابن الخطاب ! هذا حديث صحيح الإسناد له طرق تجمع ويذاكر بها) . انتهى.

وفي مصنف عبد الرزاق:٥٨٤/٣: (أتى رجل أبا الدرداء فسأله عن آية فلم يخبره فولى الرجل وهو يقول: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى..!!).

٢ ـ هل تقدمون نهي أبي بكر وعمر عن التحديث وأمرهما بالكتمان ، على نهي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله عن الكتمان ، وأمرهما ببذل العلم ؟!

وماذا تقولون في فتاوي أئمتكم كالجصاص والآمدي والمناوي وغيرهم: ففي الأحكام للآمدي:٥٩/٢:(ومنها قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى.. الآية. ووجه الحجة بها أن الله تعالى توعد على كتمان الهدى، وذلك يدل على إيجاب إظهار الهدى، وما يسمعه الواحد من النبي(ص) فهو من الهدى فيجب عليه إظهاره) .

وفي أحكام القرآن للجصاص:١٢٢/١: (ولذلك قال أبو هريرة: لولا آية في كتاب

الله عز وجل ما حدثتكم ، ثم تلا: الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى، فأخبر أن الحديث عن رسول الله(ص)من البينات والهدى الذي أنزله الله تعالى ... وقد روى حجاج ، عن عطاء ، عن أبي هريرة ، عن النبي(ص) قال: من كتم علماً يعلمه ، جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار .

فإن قيل: روي عن ابن عباس أن الآية نزلت في شأن اليهود حين كتموا ما في كتبهم من صفة رسول الله(ص)؟

قيل له: نزول الآية على سبب غير مانع من اعتبار عمومها في سائر ما انتظمته ، لأن الحكم عندنا للفظ لا للسبب ، إلا أن تقوم الدلالة عندنا على وجوب الإقتصار به على سببه) .

وفي فيض القدير للمناوي:٤/٧٠٧:(وقد تظافرت النصوص القرآنية على ذم كاتم العلم: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَايَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إلا النَّارَ وَلايُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلايُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وإذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ! فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم ، تارةً بخلاً به ، وتارة اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا ، وتارة خوفاً أن يُحتجَّ عليهم بما أظهروه منه ! وهذا قد يبتلى به طوائف من المنتسبين للعلم ، فإنهم تارةً يكتمونه بخلاً به ، وتارة كراهة أن ينال غيرهم من الفضل والتقدم والوجاهة ما نالوه ، وتارة اعتياضاً برئاسة أو مال فيخاف من إظهاره انتقاص رتبته ، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة أو اعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة ، فيكتم من العلم مافيه حجة لمخالفه، وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل! وذلك كله مذمومٌ ، وفاعله مطرودٌ من منازل الأبرار ومقامات الأخيار، مستوجب للَّعنة في هذه الدار ودار القرار).انتهى.

فهل ينطبق ذلك على أبي بكر وعمر ومن أطاعهما في كتمان السنة ؟!

٣ ـ احتج علينا المخالفون بأنا نقول بإمامة علي والأئمة من ذريته عليهم السلام استناداً الى نص النبي صلى الله عليه وآله فقالوا أين النص؟ وأجبناهم بالأحاديث الصحيحة المتواترة التي رواها رواتهم ودونتها صحاحهم رغم تغييب السنة ، كحديث الغدير ، وحديث الثقلين ، وحديث المنزلة ، وعشرات غيرها !

ولنا أن نجيبهم أيضاً ، بأن سياسة أبي بكر وعمر في تغييب السنة وتعطيلها، تُسقط حجتكم علينا ومطالبتكم بالأحاديث من مصادركم ، لأن أئمتكم تعمدوا تغييبها ، وعاقبوا رواتها بالضرب والسجن !

وبهذا يظهر بطلان قول ابن تيمية في منهاج سنته:٤٨/٧: (لكن أهل العلم يعلمون بالإضطرار أن النبي(ص)لم يبلغ شيئاً من إمامة علي ، ولهم على هذا طرق كثيرة يثبتون بها هذا العلم، منها: أن هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، فلو كان له أصل لنقل كما نقل أمثاله من حديثه ، لاسيما مع كثرة ما ينقل من فضائل علي من الكذب الذي لا أصل له ، فكيف لاينقل الحق الصدق الذي قد بلغ للناس؟! ولأن النبي(ص)أمر أمته بتبليغ ما سمعوا منه ، فلا يجوز عليهم كتمان ما أمرهم الله بتبليغه). انتهى.

لأنا نقول له: نعم إن النبي صلى الله عليه وآله بلَّغ الأمة ولاية علي عليه السلام في عشرات الأحاديث والخطب في مناسبات عديدة ، وأمر الحاضرين بتبليغ ما سمعوا منه ، لكن مخالفي علي عليه السلام ألزموا المسلمين بعدم كتابة الحديث ، وحرموا عليهم حتى قول (قال رسول الله صلى الله عليه وآله) ! فالكتمان وقع منهما لامن النبي صلى الله عليه وآله!

ولذا ورد عن الإمام العسكري عليه السلام في قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أنزل الله مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قليلاً أُولَئِكَ مَايَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إلا النَّارَ وَلايُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلايُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. (البقرة:١٧٤) قال: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَاأَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ ، المشتمل على ذكر فضل محمد صلى الله عليه وآله على جميع النبيين ، وفضل

علي عليه السلام على جميع الوصيين، وَيَشْتَرُونَ بِهِ ـ بالكتمان ـ ثَمَناً قليلاً، يكتمونه ليأخذوا عليه عرضاً من الدنيا يسيراً ، وينالوا به في الدنيا عند جهال عباد الله رياسة . قال الله تعالى: أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ـ يوم القيامة ـ إلا النَّارَ ، بدلاً من إصابتهم اليسير من الدنيا لكتمانهم الحق . وَلايُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بكلام خير ، بل يكلمهم بأن يلعنهم ويخزيهم ويقول بئس العباد أنتم! غيَّرتم ترتيبي وأخرتم من قدمته ، وقدمتم من أخرته ، وواليتم من عاديته ، وعاديتم من واليته). انتهى.

ويظهر منه أن الكتمان المذموم في الآية شامل لكتمان اليهود ، ولكتمان قريش لصفات النبي وآله ، وكتمان فضائلهم صلوات الله عليهم . فما رأيكم؟!

٤ ـ نعيد آية الكتمان لنعرف حكم اللعن فيها ، قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَابَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُون). فمن هم الذين يشملهم هذا اللعن ، وهل لعنهم واجبٌ، أو مستحب ؟!

○ ○

المسألة: ١٢٢

أحاديث وجوب التبليغ والتحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله

ماذا يصنع المدافعون عن تغييب السنة بهذه المجموعة من الأحاديث المتواترة التي تنص على أنه صلى الله عليه وآله كان يوصي دائماً بأن يبلغ الحاضر الغائب؟!

فقد عقد البخاري:٣٤/١ باباً باسم (باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب) وأورد فيه ما يدل على وجوب تبليغ أحاديث النبي صلى الله عليه وآله. وكذا في:١٩١/٢ ، وفيها: (قال: اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع) ونحوه في:٩٤/٥ و١٢٧ . وفي:٢٣٦/٦: (ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه) . ثم قال البخاري: (وكان محمد إذا ذكره قال: صدق النبي(ص) ، ثم قال: ألا هل بلغت ألا هل بلغت ؟). وكرره في:١٨٦/٨ وفي:٩١/٨: (فإنه رب مبلغ يبلغه من هو أوعى له). وفي ص١١٥: (ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه) .

ونحوه في صحيح مسلم:١٠٨/٥ ، وابن ماجه:٨٥/١ و٨٦ ، والترمذي:١٥٢/٢ ، وعقد الأخير في: ١٤١/٤ ، باباً باسم (باب في الحث على تبليغ السماع) روى فيه عن زيد بن ثابت (سمعت رسول الله(ص) يقول: نَضَّرَ الله أمرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه . ثم قال الترمذي: وفي الباب عن عبدالله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وجبير بن مطعم ، وأبي الدرداء ، وأنس . وروى نحوه عن عبد الله بن مسعود . ثم قال: هذا حديث حسن صحيح).

وكذا في مستدرك الحاكم:١٧٤/٣ ، وسنن البيهقي:١٤٠/٥ و:٩٢/٦ وفيه: (ألا ليبلغ

الشاهد الغائب ، مرتين ، فرب مبلغ هو أوعى من سامع). ونحوه في:٢٠/٨و:٢١٢/٩ وسنن النسائي:٢٠٦/٥ ، ومسند أحمد:٨٣/١ و٤٣٧ و:٣١/٤ ، وكذا في:٣٧/٥ و٣٩ و١٨٣.

وفي ص٤ من مسند أحمد:٥/: (ألا إن ربي داعيَّ ، وإنه سائلي هل بلغت عبادي ، وأنا قائل له رب قد بلغتهم ، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب).

وفي ص٤١ منه:(فلعل الغائب أن يكون أوعى له من الشاهد). وفي ص٤٥ منه: (ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، مرتين) .

وفي ص٧٣ منه: (ثم قال ليبلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلغ أسعد من سامع . قال حميد قال الحسن حين بلغ هذه الكلمة: قد والله بلغوا أقواماً كانوا أسعد به) .

وفي٣٦٦ منه: (فليبلغ الشاهد الغائب . ولولا عزمة رسول الله(ص)ما حدثتكم) .

وفي:٤٥٦/٦ (فمن حضر مجلسي وسمع قولي فليبلغ الشاهد منكم الغائب) .

وفي مجمع الزوائد:١٣٩/١:(وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله(ص)كان يقول إني محدثكم الحديث فليحدث الحاضر منكم الغائب.رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون . وفيه:(فرفع يديه(ص)الى السماء فقال: اللهم اشهد . ثم قال يا أيها الناس ليبلغ الشاهد منكم الغائب. (وقال الراوي): فادنوا نبلغكم كما قال لنا رسول الله . رواه البزار ورجاله موثقون) .

وفي كنز العمال:٢٢٤/١٠: (إني أحدثكم الحديث فليحدث الحاضر منكم الغائب. طب ـ عن عبادة بن الصامت) .

وفي ص٢٢٩: إني أحدثكم بحديث فليحدث الحاضر منكم الغائب- الديلمي عن عبادة بن الصامت . نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه - حم ، ه ، ص ـ عن أنس، الخطيب عن أبي هريرة ، طبـ عن عمير بن قتادة الليثي ، طس عن سعد ، الرافعي في تاريخه عن ابن عمر). انتهى. وقد أورد تحت الأرقام التي بعده نحو ثلاثين حديثاً بألفاظ ما تقدم ، أو مضمونها ، أو مايشهد لها .

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ هذه أحاديث نبوية صحيحة ومتواترة ، تؤكد فريضة شرعية في أعناق الصحابة: أن يبلغوا ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

فما قولكم بمن يستدركُ على رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: أيها المسلمون قال رسول الله ليبلغ الشاهد منكم الغائب، ولكني أنهاكم عن ذلك وأعاقبكم عليه، فلا تحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله بشيء ، وأنا شريككم في الإثم ! فإن لم يكن هذا استدراكاً على النبي صلى الله عليه وآله، فما هو الإستدراك الذي يعتبر رداً على النبي صلى الله عليه وآله ؟!

٢ ـ عاش الصحابة خوفاً شديداً من عمر ، لنهيه إياهم عن كتابة الحديث والتحديث ، وأزمة تأنيب ضمير لتركهم فريضة فرضها عليهم النبي صلى الله عليه وآله!

ونلاحظ ذلك حتى عند الصحابة والرواة الذين حدثوا الناس بعد وفاة عمر بسنين طويلة ، كما في قول أبي هريرة الذي تقدم من البخاري: (ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً ، ثم يتلو: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ...) وفي قول البخاري عن شيخه محمد بن سلام: (وكان محمد إذا ذكره قال: صدق النبي(ص)، ثم قال: ألا هل بلغت ، ألا هل بلغت ؟ وما تقدم من مجمع الزوائد: (ولولا عزمة رسول الله(ص) ما حدثتكم... فادنوا نبلغكم كما قال لنا رسول الله(ص) !

فما قولكم في هذا الإرهاب العمري الذي صار ديناً ، أو خوفاً مستمراً ؟!

○ ○

المسألة: ١٢٣

أحاديث: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً

اهتم عدد من علماء المسلمين السنة والشيعة بتأليف كتاب يحتوي على أربعين حديثاً ، في موضوع واحد ، أو مواضيع متعددة ، لقول النبي صلى الله عليه وآله: (من حفظ من أمتي أربعين حديثاً ينتفعون به بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً). وقد أوردت معاجم المؤلفات أسماء العديد منها:

من ذلك: الأربعون حديثاً لمحمد بن المقري المتوفى ٣٨١ (معجم المؤلفين: ٨/٢١٠) ، والأربعون حديثاً لابن أبي الصيف المتوفى ٦٠٩، عن أربعين شيخاً في أربعين بلداً (الأعلام:٦/٣٦) ، والأربعون حديثاً الطائية لأبي الفتوح الطائي المتوفى سنة ٥٥٥ عن أربعين شيخاً (الأعلام:٧/٢٤)، والأربعون حديثاً في العبادات، لابن أبي زيد الأندلسي (الأعلام:٨/٢٤٠) والأربعون البلدانية لابن عساكر ، والأربعون في الجهاد للمقري ، والأربعون العشارية للعراقي ، وهي مطبوعة .

ومن أشهرها عند الشيعة الأربعون حديثاً للبهائي من الشيعة ، والأربعون حديثاً للنووي من السنة .

وقد أورد الطهراني رحمه الله في المجلد الأول من الذريعة نحو ثمانين كتاباً لمؤلفين شيعة باسم:الأربعون حديثاً، وقال في ص٤٠٩/١: (قد تحققت السنة الأكيدة البالغة إلينا بالطرق الصحيحة عن سيد الرسل صلى الله عليه وآله بقوله: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً..إلخ. قال شيخنا الشهيد سنة ٧٨٦ في أول أربعينه: إن حديث حفظ الأربعين هو المشهور في النقل الصحيح عنه صلى الله عليه وآله.

كما عقد العلامة المجلسي في أول مجلدات البحار باباً لمن حفظ أربعين حديثاً ، أورد فيه ما وصل إليه من رواياته عن كتب كثيرة بأسانيد متعددة ومتون متقاربة ، وقال في آخر الباب: هذا المضمون مشهور مستفيض بين الخاصة والعامة بل قيل إنه متواتر). انتهى. (ورواه في الكافي:٤٩/١ ، ونحوه في عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٢٨/١و٤١ ، والخصال ص٥٤١ ، و٥٤٢، والأمالي ص٣٨٢ ، وثواب الأعمال ص١٣٤، وغيرها) .

ونسبه العلامة الى النبي صلى الله عليه وآله بلا ترديد في تحرير الأحكام:٤٠/١فقال: قال صلى الله عليه وآله:من حفظ من أمتي أربعين حديثاً ينتفعون به ، بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً).

ورواه في كنز العمال:١٥٨/١٠ بألفاظ متقاربة وطرق متعددة ، منها: (من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي- ابن النجار- عن أبي سعيد.

من حمل من أمتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً - عن أنس .

وفي ص١٦٤:(من تعلم أربعين حديثاً ابتغاء وجه الله تعالى ليعلم به أمتي في حلالهم وحرامهم ، حشره الله يوم القيامة عالماً - أبونعيم - عن علي.

وفي ص٢٢٤:(من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها ، بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً - عد في العلل - عن ابن عباس عن معاذ ، حب في الضعفاء - عن ابن عباس ، ابن سعد وابن عساكر من طرق عن أبي هريرة ، ابن الجوزي عن أنس .

من حفظ على أمتي أربعين حديثاً فيما ينفعهم من أمر دينهم ، بُعث يوم القيامة من العلماء، وفضل على العالم على العابدسبعين درجة، الله أعلم بمابين كل درجتين- ع، عد ، هب - عن أبي هريرة . انتهى . ونحوه الأحاديث التي بعده الى رقم ٢٩١٩٢ .

ومن طريف ما رواه في كنز العمال:٢٣٢/١٠:(من كتب عني أربعين حديثاً رجاء أن يغفر الله له ، غفر له وأعطاه ثواب الشهداء . ابن الجوزي في العلل ، عن ابن عمرو .

لكن مع تصحيح علماء الشيعة لهذا الحديث ، وكثرة طرقه عند السنيين ، وعمل الجميع به ، وتأليفهم الكتب الأربعينية ، فلا عبرة بتضعيفهم له !!

○ ○

الأسئلة

١ ـ ما رأيكم في أسانيد حديث (من حفظ على أمتي أربعين حديثاً..) ، ولماذا لا تأخذون بسنده الصحيح من طرق أهل البيت عليهم السلام ؟

٢ ـ من الواضح أن هدف النبي صلى الله عليه وآله أن تصل أحاديثه وما أوحاه الله اليه الى أوسع نطاق من الأمة والعالم ، وأن يحفظ الصحابة والرواة هذه الأحاديث ويعلموها للناس ، بمختلف الوسائل المناسبة المتجددة في كل عصر .

فلماذا لاتعترفون بأن عمر نقض هذا الغرض النبوي في إصراره على تغييب السنة ومنع تدوينها ، وحتى التحديث بها ، ومعاقبته على ذلك ؟!

○ ○

المسألة: ١٢٤

متى تم الإفراج عن تدوين السنة وبأي شروط؟!

استطاع عمر بن الخطاب أن يمنع الأمة من كتابة حديث نبيها صلى الله عليه وآله! واستبدلها بإسرائيليات تميم الداري التي كان يلقيها في المسجد النبوي يومين أسبوعياً !! ثم زاده عثمان يوماً آخر ، فصارت مجالس تميم ثلاثة أيام .

ثم أضاف اليه كعب الأحبار وأعطاه يومين في الأسبوع !

ولك أن تقدر حالة أهل البيت عليهم السلام والصحابة الأبرار ، الذين حرَّم عليهم عمر باسم مصلحة الإسلام أن يقولوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله!!

وحالة الجمهور المتعطش لمعرفة سيرة نبيه ومعجزاته وأحاديثه صلى الله عليه وآله!

وهذا التعطش يفسر لنا الخروقات لقانون عمر ، التي لم يستطع السيطرة عليها !

وقد استمر منع التحديث وكتابة الحديث بعد عمر في خلافة عثمان ، لكنه كان متسامحاً غالباً في خرق المنع ، فكثرت في زمنه الخروقات !

ومع أن عصر خلافة علي عليه السلام الذي دام أكثر من خمس سنوات ، كَسَرَ منع عمر وفتح الباب على مصراعيه للتحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وكتابة حديثه.. لكن ما أن استشهد الإمام عليه السلام وسيطر معاوية حتى أعاد سياسة المنع العمرية ! فكان معاوية يقول: (عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر ، فإنه كان قد أخاف الناس في الحديث عن رسول الله (ص). (تذكرة الحفاظ للذهبي:٥/١)

وعادت سياسة المنع ، وغالى فيها المتعصبون لعمر ، ورووا الأحاديث التي تنهى عن كتابة التحديث، وكان بعضهم ينظر الى كتابة الأحاديث على أنها إثم! لكن ذلك لم يمنع انتشار التحديث الشفهي خاصة أن السلطة كانت بحاجة اليه !

وهكذا استمر منع التدوين أكثر من قرن من الزمان ، حتى دعا عمر بن عبد العزيز الأموي ، في مطلع القرن الثاني علماء السلطة الى كتابته ، وعمل شخصياً على كسر حرمة الكتابة !

(قال أبو قلابة: خرج علينا عمر بن عبد العزيز لصلاة الظهر ومعه قرطاس، ثم خرج علينا لصلاة العصر وهو معه فقلت له: يا أمير المؤمنين ما هذا الكتاب ؟ قال: حديث حدثني به عون بن عبد الله ، فأعجبني فكتبته). (الدارمي:١/١٣٠) .

لكن مع ذلك ، تأخرت استجابتهم لدعوته فترة زمنية طويلة !

قال الدارمي:١٢٦/١:(عن عبد الله بن دينار قال كتب عمر بن عبد العزيز الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أكتب الى بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله (ص) ، وبحديث عمر ، فإني قد خشيت درس العلم وذهابه) .

وفي طبقات ابن سعد:٤٨٠/٨: (أخبرنا يزيد بن هارون ، عن يحيى بن سعيد ، عن عبد الله بن دينار قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن حزم أن: أنظر ما كان من حديث رسول الله(ص)، أو سنة ماضية ، أو حديث عمرة (خادمة عائشة) فاكتبه ، فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله).

وفي تنوير الحوالك للسيوطي ص٤: (وأخرج الهروي في ذم الكلام من طريق يحيى بن عبدالله بن دينار ، قال: لم يكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الحديث إنما كانوا يؤدونها لفظاً ويأخذونها حفظاً ، إلا كتب الصدقات والشئ اليسير الذي يقف عليه الباحث بعد الإستقصاء ، حتى خيف عليه الدروس وأسرع في العلماء الموت ، فأمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أبا بكر الحزمي فيما كتب إليه: أن انظر ما كان من سنة ، أو حديث عمر ، فاكتبه).

شروط عمر بن عبد العزيز لتدوين السنة !

الشرط الأول: أن يقوم بالمشروع أمويون دون سواهم ! فالخليفة الأموي هو صاحب المشروع ، وقد طلب أن يُرسل اليه كل ما يدون ! لكنه مات قبل أن يرسل اليه ابن حزم وغيره ما جمعوه .

والمكلف بالمشروع ابن حزم الأنصاري النسب ، الأموي الهوى ، وهو والي بني أمية على المدينة ، ثم قاضيهم فيها ! الذي كان يلبس خاتماً ذهبياً بارزاً ، وكان راتبه ثلاث مئة دينار، وهو مبلغ كبير في ذلك العصر. قال الذهبي في سيره:٣١٣/٥: (أبو بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ... أمير المدينة ، ثم قاضي المدينة ... قال أبوالغصن المدني: رأيت في يد أبي بكر بن حزم خاتم ذهب فصُّهُ ياقوتة حمراء! قلت: لعله ما بلغه التحريم ! ويجوز أن يكون فعله وتاب! وقيل: كان رزقه في الشهر ثلاث مئة دينار... وقيل: مات في سنة سبع عشرة). انتهى .

ومع الوالي والقاضي ابن حزم: ابن شهاب الزهري ، من علماء البلاط الأموي ، أخذ علم الحديث من سالم ونافع عبدي عمر ، وكان يرى أن أحاديث أبي بكر وعمر وعثمان سنة كسنة رسول الله ﷺ! ففي طبقات ابن سعد:٣٨٨/٢: (وأخبرت عن عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر أخبرني صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن، قال وكتبنا ما جاء عن النبي(ص).

قال ثم قال: نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة ! قال قلت: إنه ليس بسنة فلا نكتبه ، قال فكتب ولم أكتب ، فأنجح وضيعت...!!

وأخبرت عن عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري قال: كنا نكره كتاب العلم ، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء ...!

وأخبرت عن عبد الرزاق قال: سمعت معمراً قال: كنا نرى أنا قد أكثرنا عن

الزهري حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ، يقول من علم الزهري !) . انتهى.

فسبب تَحَسُّر ابن كيسان أن زميله الزهري (أنجَحَ) بكتابة سنة الخلفاء ، وفاز بجائزة الدولة ، ومنها ألوف الوليد بن عبد الملك بن مروان التي قبضها الزهري ثمناً لدفاتره ! أما هو فلم (يُنجح) لأنه اقتصر على سنة النبيﷺ!

والشرط الثاني: أن تدون أحاديث أبي بكر وعمر وعثمان وسنتهم ، وأحاديث عائشة الى جانب أحاديث النبيﷺأما أحاديث أبي هريرة فقد كتب لهم الخليفة: (إلا حديث أبي هريرة ، فإنه عندنا) ! (الطبقات: ٤٤٧/٧)

وقد تقدم ذلك في كلام صالح بن كيسان ، وفي مرسوم الخليفة لابن حزم: (أنظر ما كان من حديث رسول الله ، أو سنة ماضية ، أو حديث عمرة ، فاكتبه) ، فسنة أبي بكر وعمر وعثمان سنة ماضية شرعية ، يجب أن تدون مع سنة النبي ﷺومعها حديث عائشة ، لأن أحاديث عمرة هي أحاديث عائشة !

قال الذهبي في من له رواية في كتب الستة:٥١٤/٢: (عمرة بنت عبد الرحمن ... من فقهاء التابعين ، أخذت عن عائشة وكانت في حجرها . ماتت ١٠٦).

وقال ابن سعد في الطبقات:٣٨٧/٢: أن عمر بن عبد العزيز قال: (ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة منها ، يعني عمرة ، قال: وكان عمر يسألها).

وفي طبقات المحدثين بأصبهان:١٩٠/٢: عن (عبد الله بن دينار قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: أنظر ما كان من حديث عمرة عن رسول الله (ص) فاكتبه ، فإني أخشى ذهاب العلماء ودروس العلم). انتهى.

وقد مات الخليفة الأموي ، ومات ابن حزم والزهري ، قبل نشر ما جمعوه،

(فتوفي عمر وقد كتب ابن حزم كتباً قبل أن يبعث بها إليه).(تنوير الحوالك٤) ، وتأخر ظهور المسانيد نصف قرن آخر !

وقد ورث العباسيون خلافة بني أمية ، وورثوا منها هذا المشروع وعدَّلوا في شروطه ، وكلف المنصور العباسي مالك بن أنس أن يكت كتاباً سهلاً موطأً ليفرضه على الناس ويحملهم عليه ، فألف له (الموطأ) ونشره الخليفة ، وألزم به المسلمين! ولكن الخط الأموي عاد وغلب في زمن المتوكل العباسي فألفوا الصحاح الستة وغلبت الموطأ ، لأنها أقرب منه الى خط عمر ومعاوية !

○ ○

الأسئلة

١ ـ إذا كان عمل عمر في منع كتابة السنة غير شرعي، فلماذا تدافعون عنه؟ وإذا كان شرعياً فلماذا خالفتموه وكتبتم ؟!

٢ ـ ألا ترون أن تأخير كتابة السنة النبوية قرناً أو قرنين من الزمان ، قد كلف السنة الشريفة خسارات أساسية كبيرة ؟!

ـ فلو أن عمر سمح للصحابة أن يدونوا السنة ، لوصلت إلينا بأسانيد عالية بواسطة واحدة ، بينما صارت الآن بوسائط عديدة ! والفرق كبير بين الحديث المنقول بواسطة راو واحد ، أو عن بضعة رواة ، على مدى قرن أو قرنين ؟!

ـ ولكان كذب الرواة على رسول الله ﷺ قليلاً ، بينما هو اليوم كثير كثير !

ـ ولكانت رقابة الصحابة وتذكيرهم لبعضهم عاملاً مهماً في ضبط السنة ، بينما كتبت السنة برضا الحكام بلا رقابة على المؤلفين !

ـ ولوصلت الينا أحاديث المعارضة لحكم أبي بكر وعمر وعثمان ، بينما لا نجد منها اليوم إلا لقليل !

ـ ولظهرت مكانة العترة النبوية الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله الأمة أن تتمسك بالقرآن وبهم ، ولنقدوا أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وبينوا الصحيح منها والمكذوب !

فهل تعترفون بأن عمر يتحمل مسؤولية ذلك جميعاً ؟!

٣ ـ ما هو أقدم كتاب في الحديث عندكم ؟ وهل كَتَبَ البخاري صحيحه نقلاً من كتب لمؤلفين قبله ، أو من أفواه الرواة ؟!

٤ ـ يمتاز شيعة أهل البيت عليهم السلام بأنهم لم يطبقوا تحريم عمر ، وواصلوا التحديث وكتابة الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من العترة الطاهرة عليهم السلام.

ومن جهة أخرى ، فإن حضور الأئمة من العترة النبوية عليهم السلام الذي هو امتدادٌ لوجود النبي صلى الله عليه وآله بحكم عصمتهم وعلمهم عليهم السلام قد استمر ثلاثة قرون وكان الرواة يتلقون منهم الحديث النبوي ويكتبونه مباشرة ، وكان الراوي الذي عنده كتاب يسمى(صاحب أصل)، ثم جاء مؤلفوا الموسوعات كالكليني والصدوق ومن بعدهم فألفوا موسوعاتهم من تلك الأصول المكتوبة ، ووثقوها بالسماع المباشر .

ألاترون أن ذلك يمثل ميزةً كبرى للأحاديث المروية في مصادرنا ، وأنها أدقُّ في نقل معاني الأحاديث النبوية وألفاظها ، وأصحُّ من مصادركم التي اعتمدت محفوظات راوٍ عن راوٍ عن راوٍ ، لمدة قرنين من الزمان ؟!

وقد أخبرني السيد مرتضى الرضوي أن الكاتب المصري الدكتور حفني داود كان يقول له: ألاحظ أن أحاديثكم مروية بألفاظ النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، بينما أحاديثنا مروية بالمعنى ! فما رأيكم بذلك ؟!

٥ ـ لماذا لم يكلف الخليفة الأموي غير ابن حزم والزهري بكتابة السنة ، وأين هو عن بقية علماء الإسلام، وأين هو عن الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام، وهو يعرفهما جيداً ، وقد طبقت شهرتهما في عصره الآفاق ؟!

٦ ـ كيف تثقون بالزهري وابن حزم ، وهما موظفان عند بني أمية ، وهذه أخبار ترفهما وتقربهما الى السطة في مصادر الجرح والتعديل ؟!

٧ ـ هل أن سنة أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة برأيكم ، سنةٌ شرعية تعبَّدنا الله تعالى بها كسنة النبي صلى الله عليه وآله ؟!

٨ ـ قال مالك في الموطأ: (عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن: **أنظر ما كان من حديث رسول الله(ص)أو سنة ، أو حديث عمر ، أو نحو هذا ، فاكتبه لي). انتهى.** (تنوير الحوالك ص٦) . **فهل** الحديث النبوي غير السنة وما معنى قوله (أو نحو هذا) ؟!

٩ ـ ما قولكم في زعم البخاري أن عمر بن العزيز أمر ابن حزم أن لايقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وآله؟ **قال في صحيحه:٣٣/١:** (وكتب عمر بن عبد العزيز الى أبي بكر بن حزم: أنظر ما كان من حديث رسول الله(ص)فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل إلا حديث النبي(ص) . انتهى.

فمن أين أتى به البخاري ، وهل قاله إلا ليرفع خلطهم لسنة النبي صلى الله عليه وآله بغيرها ؟!

۞ ۞

المسألة: ١٢٥

كيف صار الرافضون لسنة النبي صلى الله عليه وآله أهل السنة والجماعة !!

من مفارقات التاريخ وما أكثرها ، أن الذي واجه النبي صلى الله عليه وآله في مرض وفاته ومنعه من كتابة وصيته وعهده لأمته ، ورفع في وجهه شعار رفض سنته فقال له:(كتاب الله حسبنا) ! صار هو رئيس الدولة بعد النبي صلى الله عليه وآله !!

وأن الذي أصدر مرسوماً من دار الخلافة بتحريم كتابة السنة النبوية ونهى عن التحديث بها.. صارت دولته دولة السنة ، وصار أتباعها: (أهل السنة والجماعة) !

أما الذين جاهدوا من أجل تبليغ سنة النبي صلى الله عليه وآله وتدوينها، وتحملوا اضطهاد الحكومات وعقوبات المنع ، فصاروا أعداء السنة والخارجين عن الجماعة !

إنها السياسة التي تجعل الأبيض أسود كالليل ، والفحم أبيض كالثلج !!

والذي حدث أن السلطة الأموية اختارت اسم(عام الجماعة) لعام تسلط معاوية على المسلمين ، وسمت أتباعها (أهل الجماعة) ، وسمت من خالفهم (أهل الفرقة والفتنة). ثم طورت إسم أتباعها فصار (أهل السنة والجماعة) ! وصار اسم من خالفهم (أهل البدعة والفرقة) !

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ ما معنى قول عمر للنبي صلى الله عليه وآله الذي رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه: (قال عمر إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا و كثر اللغط !! قال: قوموا عني ولاينبغي عندي التنازع! فخرج ابن عباس يقول إن الرزيئة كل الرزيئة ما حال بين رسول الله وبين كتابه)!! (صحيح البخاري:٣٧/١)

وما حكم من قال في عصرنا: حسبنا كتاب الله ، لا نريد سنة النبي صلى الله عليه وآله ؟!

٢ ـ مهما كان دفاعكم عن عمر ومؤيديه الذين صاحوا في وجه النبي صلى الله عليه وآله: (القول ماقاله عمر) ! فهل يصدق عليهم: (أهل السنة النبوية) أم السنة العمرية ؟!

٣ ـ في تهذيب الكمال:٢٦٩/٢: (عن أبي نضرة العبدي: قال رجل منا يقال له جابر أو جويبر: طلبت حاجة إلى عمر في خلافته فانتهيت إلى المدينة ليلاً ، فغدوت عليه...وإلى جنبه رجل أبيض الشعر أبيض الثياب . . . فقلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي إلى جنبك؟ قال: سيد المسلمين أبيٌّ بن كعب) .

وفي تحفة الأحوذي:٢٧١/١٠:(فضل أبَي بن كعب رضي الله عنه)هو أبيٌّ بن كعب الأنصاري الخزرجي كان يكتب للنبي(ص)الوحي وهوأحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله(ص)، وأحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله(ص) ، وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله تعالى، كنَّاهُ النبي (ص)أبا المنذر، وعمر أبا الطفيل! وسماه النبي(ص): سيد الأنصار، وعمر: سيد المسلمين . مات بالمدينة سنة تسع عشرة).

وفي تاريخ المدينة لابن شبة:٦٩١/٢: (حدثني أبو عمرو الجملي ، عن زاذان أن

عمر خرج من المسجد فإذا جَمْعٌ على رجل فسأل: ما هذا؟ قالوا: هذا أبي بن كعب كان يحدث الناس في المسجد ، فخرج الناس يسألونه ، فأقبل عمر حرداً فجعل يعلوه بالدرة خفقاً ، فقال: يا أمير المؤمنين أنظر ما تصنع ! قال: فإني على عمد أصنع ، أما تعلم أن هذا الذي تصنع فتنة للمتبوع مذلة للتابع)! انتهى.

فمن هو الأحق باسم أهل السنة: أبيٌّ بن كعب الذي ضربه عمر من أجل تحديثه المسلمين بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله أم عمر الذي ضربه بجرم نشر السنة؟!

○ ○

المسألة: ١٢٦

المعنى الأصلي لأهل السنة والجماعة: أهل سنة عمر وجماعة معاوية !

المعنى المشهور في عصرنا لإسم (أهل السنة والجماعة) أنهم أتباع المذاهب الأربعة المعروفة بالمذاهب السنية: المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي .

وفي المقابل يزعم السلفيون أو الوهابيون أنهم هم (**أهل السنة والجماعة**) مع أن أسلافهم متعصبةُ الحنابلة كانوا يعرفون باسم: **المجسمة** ، أو **حشوية أهل الحديث** .

لكنهم يحاولون إثبات أن أئمة المذاهب وكبار علمائها كانوا يقولون مثلهم بالتجسيم ، ويفسرون الصفات الإلهية على ظاهرها الحسي بلا تأويل !

لكن عند البحث عن أصل هذه التسمية نكتشف أن معنى(أهل السنة)**عند الأمويين ليس الحديث النبوي ، بل أهل سنة أبي بكر وعمر وعثمان** ! وأن السنة التي أمر عمر بن عبد العزيز بتدوينها هي سنة الخلفاء الى جانب أحاديث النبي صلى الله عليه وآله!

فقد كتب في مرسومه الى ابن حزم: (**أنظر ما كان من حديث رسول الله(ص) ، أو سنة ماضية ، أو حديث عمرة ، فاكتبه فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله**). (طبقات ابن سعد:٤٨٠/٨) (**أنظر ما كان من حديث رسول الله، أو سنة، أو حديث عمر ، أو نحو هذا ، فاكتبه لي**). (تنوير الحوالك ص٦) .

وفي **طبقات ابن سعد:٣٨٨/٢**: (وأخبرت عن عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر أخبرني صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن ، قال وكتبنا ما جاء عن النبي(ص)قال: ثم قال: نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة ! قال قلت إنه ليس بسنة فلا نكتبه ، قال فكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت...!!). انتهى . فهذه النصوص تدل على أن مقصود الخليفة الأموي بالسنة الماضية ليس الحديث والسنة النبوية، فقدجعلها قسيماً لحديث النبي صلى الله عليه وآله!

قد يقال: إن السنة عند الزهري وبني أمية تعني سنة النبي صلى الله عليه وآله، لكنها تشمل أيضاً سنة الخلفاء وسيرتهم ؟

والجواب: أن هذا صحيح في فهمنا اليوم ، لكن في مرسوم عمر بن عبد العزيز: (أنظر ما كان من حديث رسول الله ، أو سنة ، أو حديث عمر ، أو نحو هذا، فاكتبه لي) فقد جعل (السنَّة الماضية) مقابل الحديث النبوي ، مضافاً الى القرائن الأخرى على أنهم كانوا يستعملون السنة في عصر عمر وعثمان ومعاوية بمعنى سنة الخلفاء دون سنة النبي ! وأحياناً بمعنى يشمل سنة النبي صلى الله عليه وآله وسنة أبي بكر وعمر، وأحياناً يعبرون بسيرة أبي بكر وعمر ! فقد جعلوا أقوال أبي بكر وعمر وعملهما سنة كسنة النبي صلى الله عليه وآله! كما رأيت في مناقشة صالح بن كيسان للزهري !

ولذلك رفض علي عليه السلام في الشورى عرض عبد الرحمن بن عوف عليه أن يبايعه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسنة الشيخين ، لأنه يعني أن يعترف بأن سيرتهما جزءٌ من الإسلام !

ففي مسند أحمد:٧٥/١: (عن أبي وائل قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً ؟ قال: ما ذنبي، قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر؟ قال فقال: فيما استطعت . قال: ثم عرضتها على عثمان فقبلها) .

وفي فتح الباري:١٧١/١٣: (فقال أي عبد الرحمن مخاطباً لعثمان: أبايعك على سنة الله وسنة رسوله وخليفتيه من بعده... فقال نعم فبايعه).

وفي الفصول للجصاص:٥٥/٤: (فقال علي: أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، واجتهاد رأيي ، وعرضه على عثمان فقبله على ما شرطه عليه).

وفي محصول الرازي:٨٧/٦: (قال لعثمان أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين ، فقال نعم ، وكان ذلك بمشهد من عظماء الصحابة ولم ينكر عليه أحد فكان ذلك إجماعاً ! فإن قلت: إن علياً خالف فيه؟ قلت: إنه لم ينكر جوازه لكنه لم يقبله ونحن لانقول بوجوبه). ونحوه في أحكام الآمدي:٢٠٧/٤ وغيره.

وفي كفاية الخطيب ص١٥٠: (عن ابن سيرين قال: كان في زمن الأول الناس لا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة ، فلما وقعت الفتنة سألوا عن الإسناد ليحدث حديث أهل السنة ، ويترك حديث أهل البدعة) . انتهى.

يقصد بذلك أنه بعد فتنة عثمان صار المطلوب عند المحدثين أن يكون الراوي من أهل السنة أي سنة عمر ، وإن كان شيعياً فيجب أن يكون حديثه حديث أهل السنة ، أي يرتضيه أهل سنة عمر !

وفي أمالي الطوسي ص٧٠٩: (فقال علي عليه السلام: عليَّ عهد الله وميثاقه ، لئن وليت أمركم لأعملن بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله).

سنة عمر مطلب لدهماء الناس !

فقد عمل عمر على تركيز سنته في دهماء الناس تشبُّهاً برسول الله صلى الله عليه وآله!

روى مالك في الموطأ:٨٢٤/٢ ،عن عمر:(ثم قدم المدينة فحطب الناس ، فقال: أيها الناس: قد سنت لكم السنن ، وفرضت لكن الفرائض ، وتركتم على الواضحة . إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً). انتهى.

وكان بعضهم مشغوفاً بسنة عمر حتى لو كانت مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله!

وعندما يقول السنيون سنة الخلفاء أو سنة الصحابة ، فالعمدة فيها سنة عمر بن الخطاب ، لأن خلافة أبي بكر كانت قصيرة ، وعثمان مختلف فيه عندهم.

وقد أفرط أتباع عمر في إطاعته في حياته وبعد وفاته ، حتى اشتكت عائشة من

اِتّباع الناس لعمر في تحريمه الطيب في مني ، فقالت: (كنت أطيِّب رسول الله (ص) إذا رمى جمرة العقبة قبل أن يفيض ، فسنة رسول الله أحق أن يؤخذ بها من سنة عمر) . (إرواء الغليل للألباني:٢٣٩/٤، قال:أخرجه الطحاوي:٤٢١/١ بسند صحيح).

واشتكى من ذلك عبد الله بن عمر ! قال ابن كثير في سيرته:٢٧٨/٤: (وقد كان الصحابة يهابونه كثيراً ، فلا يتجاسرون على مخالفته غالباً ، وكان ابنه عبدالله يخالفه فيقال له: إن أباك كان ينهى عنها ، (أي متعة الحج وهي الإحلال من الإحرام بعد العمرة) فيقول: لقد خشيت أن تقع عليكم حجارة من السماء، قد فعلها رسول الله! أفسنة رسول الله نتبع ، أو سنة عمر بن الخطاب؟!) !

وقد اشتكى من ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة بليغة رواها في الكافي بسند صحيح:٥٨/٨ ، قال: (خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: ألا إن أخوف ما أخاف عليكم خَلتان: اتباع الهوى ، وطول الأمل ، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة .

إلا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكل واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عملٌ ولا حساب ، وإن غداً حسابٌ ولا عمل .

وإنما بدءُ وقوع الفتن من أهواءٌ تتبع وأحكام تبتدع ، يخالف فيها حكم الله يتولى فيها رجالٌ رجالاً !

إلا إن الحق لو خَلَصَ لم يكن اختلاف ، ولو أن الباطل خلص لم يَخْفَ على ذي حجى ، لكنه يؤخذ من هذا ضِغْثٌ ومن هذا ضغثٌ فيمزجان فيجللان معاً ، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه ، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى !

إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ، يجري الناس عليها ويتخذونها سنة ، فإذا غير منها شئ قيل: قد غيرت السنة وقد أتى الناس منكراً !

ثم تشتد البلية وتسبى الذرية وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب وكما تدق الرحا بثفالها ، ويتفقهون لغير الله ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة .

ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته فقال:

قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه ، ناقضين لعهده ، مغيرين لسنته ، ولو حَمَلتُ الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرق عني جندي ، حتى أبقى وحدي ، أو في قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله!! أرأيتم لو أمرتُ بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ورددتُ فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام، ورددتُ صاع رسول صلى الله عليه وآله كما كان وأمضيتُ قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد ، ورددت قضايا من الجور قضي بها ، ونزعت نساءً تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأرحام ، وسبيت ذراري بني تغلب ، ورددت ما قسم من أرض خيبر ، ومحوت دواوين العطايا ، وأعطيت كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي بالسوية ، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء ، وألقيت المساحة ، وسويت بين المناكح وأنفذت خُمس الرسول كما أنزل الله عز وجل وفرضه، ورددت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما كان عليه ، وسددت ما فتح فيه من الأبواب ، وفتحت ما سدَّ منه ، وحرمت المسح على الخفين ، وحددت على النبيذ ، وأمرت بإحلال المتعتين ، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات ، وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وأخرجت من أدخل مع رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده ممن كان رسول الله أخرجه، وأدخلت من أخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ممن كان رسول الله أدخله ، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة ، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها ، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها ، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم ،

ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، إذن لتفرقوا عني !! والله لقد أمرت الناس أن لايجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة ، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة ، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غُيِّرتْ سنة عمر ، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً ! ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري !!

ما لقيتُ من هذه الأمة من الفرقة ، وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار)!!

وقد كان ملوك بني أمية يستكتبون الناس سنة عمر ليختاروا منها ما يلائمهم ، وفي نفس الوقت نقم بعض الناس على عثمان وغيره من الحكام الأمويين لأنهم تركوا سنة عمر !

إن هذه النصوص وغيرها تثبت أن سنة عمر جُعلت الى جانب سنة النبي صلى الله عليه وآله بل كانت مقدمة عليها ، وأن إسم أهل السنة كان يطلق على أتباع سنة عمر ، كما كان يطلق على أتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله!

وأن معنى السنة الممضاة ، أي المتبعة عند الناس ، التي أصدر عمر بن عبد العزيز مرسومه بتدوينها هي سنة عمر ! فقد جعلها في صف حديث النبي صلى الله عليه وآله وحديث عمر ، وحديث عمرة بنت عبد الرحمن ، الراوية عن عائشة !

وأن حكم علي عليه السلام قد استطاع أن يحدث موجة نبوية ، ويهزَّ وجدان المسلمين في أمور كثيرة ، منها التمييز بين سنة النبي صلى الله عليه وآله وسنة عمر !

○ ○

الأسئلة

١ ـ ماذا تفهمون من تبني الدولة الأموية لتدوين سنة عمر الى جانب سنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

٢ ـ بماذا تفسرون قول عمر (الموطأ:٢/٨٢٤): **(أيها الناس: قد سنت لكم السنن ، وفرضت لكن الفرائض، وتركتم على الواضحة، إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً) .**

٣ ـ ماهو موقفكم من قول عمر وفعله وتقريره ، هل تعتبرونه جزء من الدين كسنة النبي صلى الله عليه وآله، حتى لو خالف النبي صلى الله عليه وآله ؟!

٤ ـ لماذا شرط عبد الرحمن بن عوف على عليٍّ عليه السلام العمل بسنة الشيخين وهو يعرف أن علياً عليه السلام لايقبل بذلك ، بينما صهره عثمان يقبل بأي شرط ؟!

٥ ـ ما قولكم في نقمة عبد الرحمن بن عوف على عثمان بعد مدة قصيرة من خلافته ، واتهامه له بالإنحراف عن الإسلام ، وموته مهاجراً له ؟!

٦ ـ ما رأيكم فيما جاء في خطبة عليٍّ عليه السلام من مخالفات عمر وأبي بكر وعثمان وتحريفات الإسلام في عصرهم ، وبماذا تفسرون قوله عليه السلام:**(ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة ، وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار) ؟!**

۞ ۞

المسألة: ١٢٧

من هم أهل سنة النبي صلى الله عليه وآله وأهل جماعة الإسلام

سمى معاوية السنة التي قتل فيها أمير المؤمنين عليه السلام واضطر الإمام الحسن عليه السلام للتنازل له عن الحكم (عام الجماعة) ، وبذلك أضافوا الى إسم أهل السنة: أهل الجماعة. فأهل الجماعة الذي أطلقه معاوية لم يكن بمعنى جماعة الإسلام، بل بمعنى اجتماعهم على خلافته !

قال ابن كثير في تفسيره:٥٦٧/٤: (فإن معاوية بن أبي سفيان استقل بالملك حين سلم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين ، واجتمعت البيعة لمعاوية وسمي ذلك عام الجماعة ، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها ، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين) .

وفي مسند ابن راهويه:٢١/٤: (توفيت حفصة أم المؤمنين سنة إحدى وأربعين، عام الجماعة) .

وفي مقدمة ابن الصلاح ص١٧٨: (أفضلهم على الإطلاق أبو بكر ثم عمر. ثم إن جمهور السلف على تقديم عثمان على علي . وقدَّم أهل الكوفة من أهل السنة علياً على عثمان ، وبه قال منهم سفيان الثوري أولاً ، ثم رجع الى تقديم عثمان ، روى ذلك عنه وعنهم الخطابي . وممن نقل عنه من أهل الحديث تقديم عليٍّ على عثمان محمد بن إسحاق بن خزيمة . وتقديم عثمان هو الذي استقرت عليه مذاهب أصحاب الحديث ، وأهل السنة). انتهى.

فأهل السنة كما في هذا النص غير أصحاب الحديث النبوي ، وهم أهل سنة عمر الذين يفضلون عثمان على علي عليه السلام!

قال الشيخ أبورية في كتابه شيخ المضيرة أبوهريرة الدوسي ص٣٠٩:(إننا لا نعرف شيئاً إسمه (أهل السنة) ولاشيئاً آخر يقابلها من سائر الفرق ، أو المذاهب التي استحدثت بين المسلمين لتعريفهم ، وبخاصة فإن وصف أهل السنة هذا لم يكن معروفاً قبل معاوية بن أبي سفيان ، وقد استحدثوه في عهده في العام الذي وصفوه بأنه (عام الجماعة) نفاقاً للسياسة لعنها الله ، وما كان إلا عام الفرقة) .

وفي الطرائف للسيد ابن طاووس ص٢٠٥: (وجه تسميتهم بأهل السنة والجماعة: ومن ذلك ما ذكره الشيخ العسكري في كتاب الزواجر وهو من علماء السنة قال: إن معاوية سمى العام عام السنة . ومن ذلك ماذكر ابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد قال: لما صالح الحسن معاوية سمى ذلك العام عام الجماعة).

وروى في كنز العمال:٤٣٩/٨، عن ابن عساكر ، وصححه: (عن ربيعة بن قسيط أنه كان مع عمرو بن العاص عام الجماعة وهم راجعون ، فمُطروا دماً عبيطاً قال ربيعة: فلقد رأيتني أنصب الإناء فيمتلي دماً عبيطاً ! فظن الناس أنها هي دماء الناس بعضهم في بعضهم ، فقام عمرو بن العاص فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال: يا أيها الناس أصلحوا ما بينكم وبين الله تعالى ، ولايضركم لو اصطدم هذا الجبلان).

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج:٤٤/١١: روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتابه (الأحداث): كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته ، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون ويقعون فيه وفي أهل بيته ، وكان أشد كل الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة !

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي

وأهل بيته شهادة! وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان محبيه وأهل ولايته ، والذين يروون فضائله ومناقبه ، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع !

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا أحبُّ إليَّ وأقرُّ لعيني وأدحضُ لحجة أبي تراب وشيعته ، وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس ، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ، وجدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى ، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر ، وألقيَ إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع ، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن ، وحتى علموه بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك ما شاء الله .

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان ، وأسقطوا عطاءه ورزقه !

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره !! فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة ، حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سره ، ويخاف من خادمه ومملوكه ولايحدثه ، حتى يأخذ عليه الإيمان الغليظة ليكتمن عليه !

فظهر حديثٌ كثيرٌ موضوعٌ وبهتانٌ منتشر ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة ، وكان أعظم الناس في ذلك القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك ، فيفتعلون الأحاديث ليخظوا بذلك عند ولاتهم ، ويقربوا مجالسهم ويصيبوا بها الأموال والضياع والمنازل !

حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لايتسحلون الكذب والبهتان ، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها .

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي ، فازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه ، أو طريد في الأرض !

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين ووليَ عبد الملك بن مروان ، فاشتد على الشيعة وولّى عليهم الحجاج بن يوسف .

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تأريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية ، تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم) . انتهى.

(راجع النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: ٩٧ ـ ٩٩ والبحار ٤٤: ١٢٣والنص والإجتهاد: ٣٦٨).

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه:٣٤٩/٤: (لما قدم أبو الأسود الدؤلي على معاوية عام الجماعة قال له معاوية: بلغني يا أبا الأسود أن علي بن أبي طالب أراد أن يجعلك أحد الحكمين ، فما كنت تحكم به ؟

قال: لوجعلني أحدهما لجمعت ألفاً من المهاجرين وأبناء المهاجرين ، وألفاً من الأنصار وأبناء الأنصار ، ثم ناشدتهم الله: المهاجرون وأبناء المهاجرين أولى بهذا الأمر أم الطلقاء؟!قال له معاوية: لله أبوك أيَّ حَكَمٍ كنتَ تكون لو حكمت) !!

جماعة الإسلام أهل الحق وإن قلوا

ومن الواضح أن معاوية لم يكن من أهل سنة النبي صلى الله عليه وآله فإنما أهلها من اتبعها وإن قلوا ، ولم يكن من جماعة الإسلام ، لأنهم أهل الحق وإن قلوا ، وقد روى تحديد جماعة المسلمين أهل البيت عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وأعرض عنها مخالفوهم !

ففي أمالي الصدوق ص٤١٣: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من فارق جماعة المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ، قيل: يا رسول الله وما جماعة المسلمين؟ قال: جماعة أهل الحق وإن قلوا) .

وفي المحاسن للبرقي:٢٢٠/١: عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام:قال: (سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن جماعة أمته، فقال: جماعة أمتي أهل الحق وإن قلوا). وفي رواية أخرى: من كان على الحق وإن كانوا عشرة) .

وفي الخصال للصدوق ص ٥٨٤: (الجماعة أهل الحق وإن قلوا ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: المؤمن وحده حجة ، والمؤمن وحده جماعة).

وفي كتاب سليم بن قيس ص٤٨٤: (سأل ابن الكوّا علياً عليه السلام عن السنة والبدعة وعن الجماعة والفرقة، فقال عليه السلام: يا ابن الكوا حفظت المسألة فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد صلى الله عليه وآله والبدعة ما فارقها . والجماعة والله مجامعة أهل الحق وإن قلوا ، والفرقة مجامعة أهل الباطل وإن كثروا).

وفي كنز العمال:١٨٣/١٦: عن كتاب وكيع ، من حديث طويل:(عن يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه قال: كان علي يخطب فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين ! أخبرني من أهل الجماعة ، ومن أهل الفرقة ، ومن أهل السنة ، ومن أهل البدعة ؟

فقال: ويحك ، أما إذ سألتني فافهم عني ، ولا عليك أن لا تسأل عنها أحداً بعدي:

فأما أهل الجماعة فأنا ومن اتبعني وإن قلوا ، وذلك الحق عن أمر الله وأمر رسوله فأما أهل الفرقة فالمخالفون لي ومن اتبعني وإن كثروا .

وأما أهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله لهم ورسوله صلى الله عليه وآله وإن قلوا وإن قلوا وأما أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ورسوله ، العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا . وقد مضى منهم الفوج الأول وبقيت أفواج ، وعلى الله قصمها واستئصالها عن جديد الأرض .

فقام إليه عمار فقال: ياأمير المؤمنين ، إن الناس يذكرون الفئ ويزعمون أن من قاتلنا فهو وماله وأهله فئٌ لنا وولده . فقام رجل من بكر بن وائل يدعى عباد بن قيس وكان ذا عارضة ولسان شديد فقال: يا أمير المؤمنين والله ما قسمتَ بالسوية ، ولا عدلتَ في الرعية !

فقال علي عليه السلام:ولمَ ويحك؟ قال: لأنك قسمت ما في العسكر ، وتركت الأموال والنساء والذرية . فقال عباد: جئنا نطلب غنائمنا ، فجاءنا بالتُّرَّهات !

فقال له علي عليه السلام: إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتى تدرك غلام ثقيف !

فقال رجل من القوم: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: رجل لا يدع لله حرمة إلا انتهكها .

قال: فيموت أو يقتل؟ قال عليه السلام: بلي يقصمه قاصم الجبارين قتلةً بموت فاحش يحترق منه دبره ، لكثرة ما يجري من بطنه . (يقصد الحجاج الثقفي ، وهكذا مات !)

يا أخا بكر ! أنت امرؤ ضعيف الرأي ، أما علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير ! وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوجوا على رَشدة ، وولدوا على الفطرة، وإنما لكم ما حوى عسكرهم، وما كان في دورهم فهو ميراث لذريتهم، فإن عدا علينا أحد منهم أخذناه بذنبه ، وإن كفَ عنا لم تحمل عليه ذنب غيره .

يا أخا بكر ! لقد حكمتُ فيهم بحكم رسول الله ﷺ في أهل مكة ، قسم ما حوى العسكر ولم يعرض لما سوى ذلك ، وإنما اتبعت أثره حذوَ النعل بالنعل .

يا أخا بكر ! أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها ، وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق ، فمهلاً مهلاً رحمكم الله ! فإن أنتم لم تصدقوني ، وأكثرتم عليَّ - ـ وذلك أنه تكلم في هذا غير واحد ـ فأيكم يأخذ أمه عائشة بسهمه ؟!

قالوا أيُّنا يا أمير المؤمنين؟! بل أصبت وأخطأنا ، وعلمت وجهلنا ، ونحن نستغفر الله! وتنادى الناس من كل جانب: أصبت يا أمير المؤمنين ! أصاب الله بك الرشاد والسداد !

فقام عمار فقال: يا أيها الناس ! إنكم والله إن اتبعتموه وأطعتموه لم يضل بكم عن منهاج نبيكم قيد شعرة ، وكيف يكون ذلك وقد استودعه رسول الله المنايا والوصايا وفصل الخطاب ، على منهاج هارون بن عمران ، إذ قال له رسول الله ﷺ: **أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي، فضلاً خصه الله به إكراماً منه لنبيه ، حيث أعطاه الله ما لم يعطه أحداً من خلقه .**

ثم قال علي عليه السلام: **أنظروا رحمكم الله ما تؤمرون به فامضوا له ، فإن العالم أعلم بما يأتي من الجاهل الخسيس الأخس ، فإني حاملكم إن شاء الله تعالى إن أطعتموني على سبيل الجنة ، وإن كان ذا مشقة شديدة ومرارة عتيدة ، وإن الدنيا حلوة الحلاوة لمن اغتر بها ، ومن بعدها الشقوة والندامة عما قليل ، ثم إني مخبركم أن خيلاً من بني إسرائيل أمرهم نبيهم أن لايشربوا من النهر ، فلجُّوا في ترك أمره فشربوا منه إلا قليلاً منهم ، فكونوا رحمكم الله من أولئك الذين أطاعوا نبيهم ، ولم يعصوا ربهم .**

وأما عائشة فأدركها رأي النساء ، وشيءٌ كان في نفسها عليَّ يغلي في جوفها كالمرجل ، ولو دُعيت لتنال من غيري ما أتت إليَّ لم تفعل ! ولها بعد ذلك حرمتها الأولى، والحساب على الله ، يعفو عمن يشاء ويعذب عمن يشاء .

فرضي بذلك أصحابه وسلموا لأمره بعد اختلاط شديد فقالوا: يا أمير المؤمنين حكمت والله فينا بحكم الله إنا جهلنا ومع جلهلنا لم نأت ما يكره أمير المؤمنين) .

○ ○

الأسئلة

١ ـ روى ابن سعد في الطبقات:٣٤٢/٣ ، عن عبد الرحمن بن أبزى عن عمر قال: هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد ، وفي كذا وكذا ، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ، ولالمسلمة الفتح شئ) . انتهى.

ورواه في تاريخ دمشق:١٤٥/٥٩ ، وفي أسد الغابة:٣٨٧/٤ ، والإصابة :٧٠/٤. فقد حكم عمر أنه لانصيب للطلقاء في الخلافة ، فكيف صار حكم معاوية شرعياً عندكم ؟!

٢ ـ صحح الشيخ الألباني الحديث النبوي الذي رواه ابن عساكر:١٦٠/١٨: (أول من يغير سنتي رجل من بني أمية). وقال: ولعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفة ، وجعله وراثة ، والله أعلم) (الصحيحة:٣٢٩/٤ ـ ٣٣٠). فكيف تصححون هذا الحديث وتقولون إن معاوية كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

٣ ـ صحح الألباني حديث أن الخلافة ثلاثون سنة ، في صحيحته: ٧٤٢/١ ، وقال:(رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي والحاكم . وهذا من دلائل صدق نبوة النبي(ص)فإن أبا بكر تولى عام ١١ هـ وتنازل عنها الحسن بن علي عام ٤١ هـ . وهي ثلاثون عاماً كاملة).انتهى . وقد رويتم أن ما بعد الخلافة ملكٌ عضوضٌ يعضُّ المسلمين ، فكيف تسمون معاوية خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

٤ ـ هل يشترط في أهل السنة أن يكونوا كثرة؟ وفي جماعة الإسلام أن يكونوا جمهوراً واسعاً أو أكثرية ، وما هو الدليل الشرعي على ذلك ؟!

٥ ـ من هم جماعة الإسلام الذين أمرنا النبي صلى الله عليه وآله أن نكون معهم ، ونهانا عن مفارقتهم ؟! وهل يعقل أن يكون جماعة أمة النبي صلى الله عليه وآله بدون أهل بيته ، وقد قال صلى الله عليه وآله فيهم: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ؟!

٦ ـ ما هي الأحكام الشرعية المتعلقة بالكثرة وسواد الأمة الإسلامية عندكم؟!

○ ○

المسألة: ١٢٨

أقدم نص ورد فيه إسم (أهل السنة والجماعة)

لم أجد أثراً في مصادر المسلمين لإسم (أهل السنة والجماعة) ، لا في زمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام ، إلا حديثاً نبوياً وردت فيه هذه التسمية وصفاً لشيعة علي والعترة الطاهرة عليهم السلام ، رواه الثعلبي المتوفى ٤٢٧ هـ في تفسيره قال: (عن الإمام محمد بن أسلم الطوسي ، عن يعلى بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله (ص): من مات على حب آل محمد مات شهيداً .

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له .

ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً .

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان .

ألا ومن مات على حب آل محمد بشَّره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير.

ألا ومن مات على حب آل محمد يزفُّ إلى الجنة كما تزف العروس إلى زوجها .

ألا ومن مات على حب آل محمد فتح الله له بابين من الجنة .

ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره ملائكة الرحمة .

ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة .

ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله تعالى . ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً .

ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة). انتهى.

ونقله عن الثعلبي كثيرون من علماء السنة ، كالزمخشري في الكشاف:٨٢/٣ ، ٣٣٩ الطبعة الثانية، والقرطبي في تفسيره:٢٣/١٦ والفخر الرزي في تفسيره:

١٦٥/٢٧، والمقريزي في فضل آل البيت /١٢٨ ،وابن الفوطي في الحوادث الجامعة ص١٥٣، والحموي في فرائد السمطين ص٤٩ ، وابن حجر في الصواعق ص١٠٩ أوله ، والحضرمي في رشفة الصادي ص٤٥ ، والقندوزي في ينابيع المودة ٣٣٢/٢ و:١٣٩/٣، والشبلنجي في نورالأبصار ص١٠٤، والحنفي في أرجح المطالب ص ٣٢٠ ، واللكنهوي في مرآة المؤمنين ص٥ .

ورواه من علمائنا محمد بن أحمد القمي المتوفى٤١٢ ، في كتابه مائة منقبة ص٦٧ ، وهو المنقبة السابعة والثلاثون ، بسنده عن عبدالله بن عمر ، برواية أطول من رواية الثعلبي ، ومحمد بن علي الطبري المتوفى٥٢٥ هـ ، في كتابه بشارة المصطفى ص٣٠٥ .

ونقله العديد من علمائنا عن الثعلبي والزمخشري ، كالسيد ابن طاووس في الطرائف ص١٥٩ ، عن الثعلبي ، وفي سعد السعود ص١٤١عن الزمخشري ، والعلامة الحلي في الرسالة السعدية ص٢٢ ، والمجلسي في البحار:٢٣٣/٢٣، عن الثعلبي ، وفي:١١١/٢٧ عن الكشاف والثعلبي ، وفي:١٣٧/٦٥ عن جامع البيان . وفي إحقاق الحق:٤٨٦/٩، عن مخطوطة تفسير الثعلبي .

فيكون هذا الحديث أقدم نص ورد فيه تعبير أهل (السنة والجماعة) ، وتكون تسميتهم مأخوذة منه . ولم نجد حديثاً غيره فيه هذا الإسم إلا حديثاً مكذوباً ذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء(٣٢٩/٥) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:(طوبى لأهل السنة والجماعة من أهل القرآن والذكر). وقال ابن عدي: هذا حديث منكر بهذا الإسناد). انتهى.

وقال الذهبي في ميزان الإعتدال:٦٤١/٢: عبد الغفور ، أبو الصباح الواسطي ، عن أبي هاشم الرماني وغيره . قال يحيى بن معين: ليس حديثه بشئ . وقال ابن حبان:

كان ممن يضع الحديث . وقال البخاري: تركوه . وقال ابن عدي: عبد الغفور بن عبد العزيز أبو الصباح الواسطي . ضعيف منكر الحديث....

محمد بن عمرو بن حنان ، حدثنا بقية ، حدثنا عبدا لغفور الأنصاري ، عن عبد العزيز الشامي ، عن أبيه ، عن النبي(ص) قال: طوبى لأهل السنة والجماعة ، من أهل القرآن والذكر). انتهى.

وقد انتقد قدماء علمائنا تسمية من خالف أهل البيت عليهم السلام أنفسهم بأهل السنة والجماعة ، فقال الفضل بن شاذان الأزدي المتوفى ٢٦٠هـ في(الإيضاح)ص٥٠٣: (ومن جهة أخرى تروون عن المرجئة ويروون عنكم ، وتروون عن القدرية ويروون عنكم ، وتروون عن الجهمية ويروون عنكم ، فتقبلون منهم بعض أقاويلهم وتردون عليهم بعضها ، فلا الحق أنتم منه على ثقة ، ولا الباطل أنتم منه على يقين ، وأنتم عند أنفسكم أهل السنة والجماعة ، فهذه صفتكم التى تعرفونها من أنفسكم وتنطق بها عليكم ألسنتكم ! فالحمد لله الذى بصرنا ما جهلتم ، وعرفنا ما جحدتم). انتهى .

وقال القاضي النعمان المغربي المتوفى٣٦٣ ، في شرح الأخبار:٣٦٧/١: (والذي تعلق العامة به من قولهم إنهم أهل السنة والجماعة ، وإن النبي صلى الله عليه وآله ذكر السنة والجماعة وفضلهما ، فالسنة سنة رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتهيأ لأحد أن يقول إنها سنة غيره . والجماعة الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالفضل هم المجتمعون على القوام بكتاب الله جل ذكره وسنة رسوله صلى الله عليه وآله فأما من قال في دين الله والحلال والحرام والقضايا والأحكام برأيه وبقياسه واستحسانه ، وبغير ذلك مما هو من ذات نفسه ، فليس من أهل السنة ولا من الجماعة التي أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وآله).

وقال أبو الفتح الكراجكي المتوفى٤٤٩ هـ ، في(التعجب من أغلاط العامة)ص٦٥:

(ومن العجب أن يكون كل مجتهد مصيباً إلا الشيعة ، فإنهم في اجتهادهم على خطأ وبدعة ! وكل من أفتى في الإسلام بفتوى ، سواء قام إليها أم رجع الى غيرها ، فهو من فقهاء الأمة ، وفتواه معدودة في خلاف أهل الملة ، وأقواله مسموعة ، وهو من أهل السنة والجماعة . إلا الأئمة من أهل بيت النبوةعليهم السلام فإن الباقر والصادق وآبائهما والأئمة من ذريتهما صلوات الله عليهم أجمعين ، ليسوا عندهم من الفقهاء ، ولايعدون أقوالهم خلافاً ، ولا يصدقون لهم قولاً ، ولا يصوبون لهم فعلاً ، وليسوا من أهل السنة والجماعة ، ومن اتبعهم واقتدى بهم فهو من أهل البدعة ! وهذا من التجريد في العدواة الى الغاية !!) .

○ ○

الأسئلة

١ ـ هل عندكم نص ورد فيه استعمال تعبير (أهل السنة والجماعة) إسماً كالعلم أقدم من هذا النص؟ وما دام هذا أقدم نص لهذا الإسم فكل الإستعمالات المتأخرة عنه تكون مأخوذة منه ، أو تحريفاً له ! ما رأيكم ؟!

٢ ـ لما ذا لاتقبلون تعريف النبيصلى الله عليه وآله لأهل السنة والجماعة بأنهم أتباع أهل بيته الطاهرينعليهم السلام بقوله: (ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة). وقد بيَّنَ بذلك من هم أهل السنة وأهل البدعة والفرقة ؟!

○ ○

المسألة: ١٢٩

موقف أهل البيت عليهم السلام من تغييب السنة

وقف علي وأئمة العترة النبوية عليهم السلام وشيعتهم ضد سياسة منع الحديث ، وكان علي عليه السلام وأهل بيته يحدِّثون المسلمين ، ويأمرون من يطيعهم بذلك .

روى في كنز العمال:٢٦٢/١٠: (عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص):أكتبوا هذا العلم فإنكم تنتفعون به أما في دنياكم وأما في آخرتكم ، وإن العلم لايضيِّع صاحبه).

وروى ابن شهرآشوب في الإحتجاج:٤٢/١ ، من حديث: (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر المسلمين واليهود: أكتبوا بما سمعتم ، فقالوا: يا رسول الله قد سمعنا ووعينا ولا ننسى . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الكتابة أذكر لكم).

وفي الكافي:٤١/١: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا ، فإن الحديث جلاء للقلوب ، إن القلوب لتَرِينُ كما يرينُ السيف ، وجلاؤها الحديث) .

وفي الكافي:٥٢/١:(عن أبي بصير قال: سمعت أباعبدالله(الإمام الصادق عليه السلام) يقول: أكتبوا ، فإنكم لاتحفظون حتى تكتبوا...وعن عبيد بن زرارة قال قال أبو عبدالله عليه السلام: إحتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها) .

وفي الكافي:٥٧/١:(عن سماعة بن مهران ، عن أبي الحسن موسى(الإمام الكاظم عليه السلام) قال قلت:أصلحك الله أنا نجتمع فنتذاكر ما عندنا ، فلا يرِدُ علينا شئ إلا وعندنا فيه شئ مُسَطَّر ، وذلك مما أنعم الله به علينا بكم ، ثم يرد علينا الشئ الصغير ليس عندنا فيه شئ فينظر بعضنا الى بعض ، وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه؟ فقال: وما لكم وللقياس ! إنما هلك من قبلكم بالقياس ، ثم قال: إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به، وإن جاءكم ما لاتعلمون فها، وأهوى بيده الى فيه(أي اسكتوا)...

فقلت: أصلحك الله أتى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بما يكتفون به في عهده؟ قال: نعم وما يحتاجون إليه الى يوم القيامة ، فقلت: فضاع من ذلك شئ؟ فقال: لا ، هو عند أهله)!

...عن أبي شيبة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ضلَّ علم ابن شبرمة عند الجامعة ، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام بيده ! إن الجامعة لم تدع لأحد كلاماً ، فيها علم الحلال والحرام . إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعداً . إن دين الله لا يصاب بالقياس) . انتهى .

○ ○

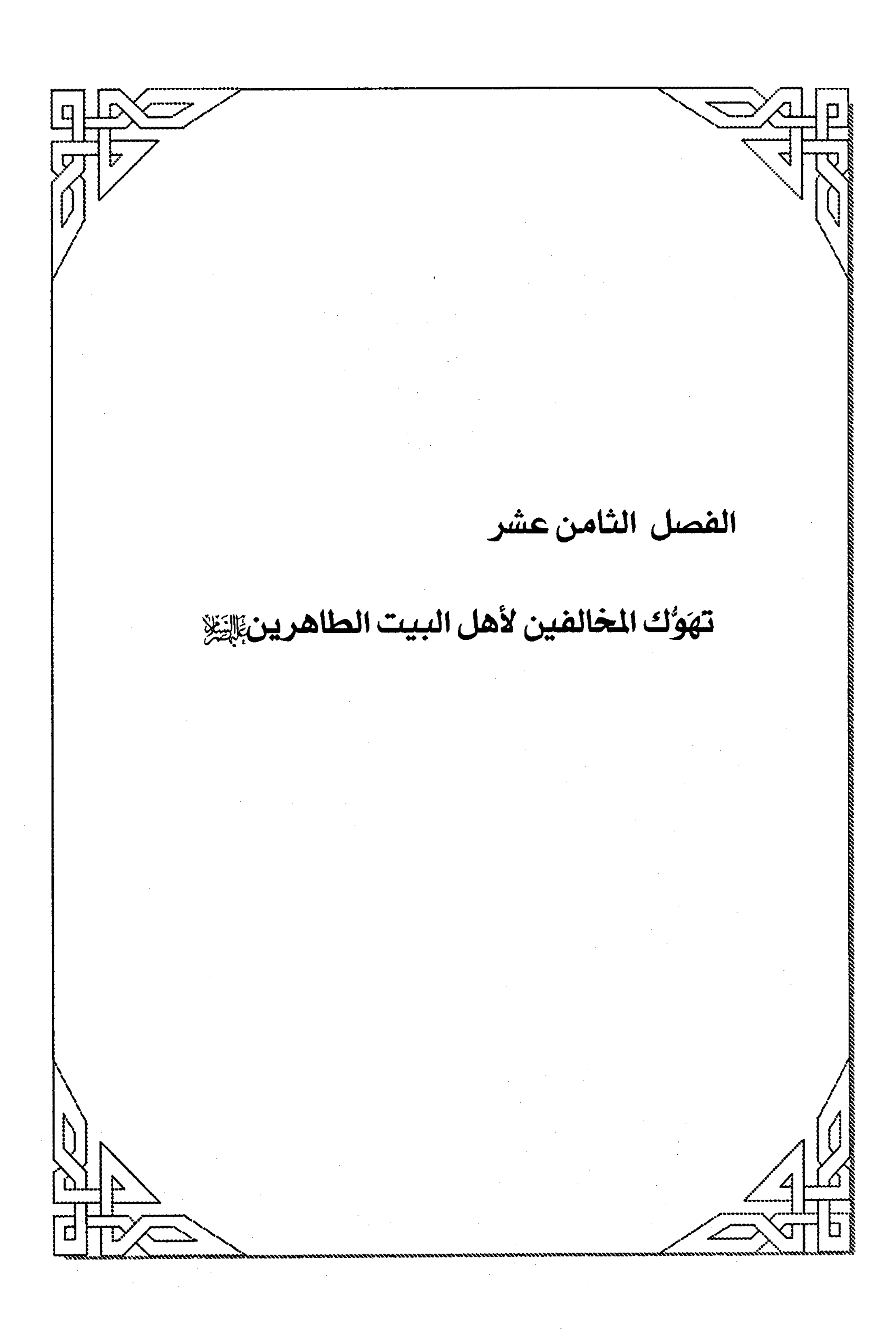
الأسئلة

١ ـ قال عبدالله العاص في الصحيح عندكم: (فنهتني قريش وقالوا أتكتب كل شئ تسمعه ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الغضب والرضا؟! فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله(ص) ، فأومأ بإصبعه الى فيه فقال: أكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق !) .

فما رأيكم لو أن النبي صلى الله عليه وآله كان في زمن أبي بكر وعمر وقيل له: لقد نهتنا قريش عن كتابة سنتك ، فماذا تأمر ماذا يمكن أن يقول ؟!

٢ ـ ثبت عندكم أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) ومعناه: خذوا سنتي من عترتي ، فلماذا لم يأخذ عمر والأمة السنة منهم عليهم السلام ؟!

○ ○



الفصل الثامن عشر

تهوُّك المخالفين لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام

المسألة: ١٣٠

بماذا تفسرون إعجاب عمر بأحبار اليهود وثقافتهم؟

كان عمر معجباً بثقافة اليهود ، حتى في حياة النبي صلى الله عليه وآله!

وكان يدرسُ عندهم في المدينة !

وقد عرَّبوا له التوراة وجاء بها الى النبي صلى الله عليه وآله ليعترف بها ، فغضب صلى الله عليه وآله وزجره!

وله في ذلك قصص مع النبي صلى الله عليه وآله. قال السيوطي في أسباب النزول: ٢١/١، إن عمر كان يأتي اليهود فيسمع منهم التوراة.

وقال في الدر المنثور:١٤٨/٥: (وأخرج ابن الضريس عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: يارسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا ، وقد هممنا أن نكتبها ؟! فقال (ص): يا ابن الخطاب أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولكني أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً !) . انتهى.

وهذا يدل على أن عمر لم يكن وحده مغرماً بثقافة اليهود ، بل كان معه آخرون من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله! وأنهم بلغ إعجابهم بأحاديث اليهود أنهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله أن يجيز لهم كتابتها رسمياً ! ولعلهم كانوا كتبوها بالفعل لكنهم أرادوا من النبي صلى الله عليه وآله أن يمضي عملهم ويعطيه الشرعية !

ويدل طلبهم هذا فيما يدل على أن التدوين في مفهوم العرب كان يعني القبول والإعجاب ، وأن كل ما يأخذ بقلب الإنسان لبلاغته أو صدقه ، فهو يستحق الكتابة والتدوين ، لكي يحفظ ويستفاد منه .

ويدل على أن عمر وأبا بكر لم يكونا يعطيا هذا الإحترام لسنة النبي صلى الله عليه وآله!!

فأي ظلم هذا ؟!

وروى أحمد في مسنده:٤٦٩/٣ (عن عبدالله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب الى النبي(ص) فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة إلا أعرضها عليك؟! قال فتغير وجه رسول الله (ص)قال عبدالله: فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله (ص)؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. قال فسري عن النبي(ص) ثم قال: والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم) . (أحمد: ٤ /٢٦٥ ، ونحوه الدارمي:١١٥/١، وغيرهما).

وفي الدر المنثور:٣/٤: (وأخرج أبو يعلي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ونصر المقدسي في الحجة ، والضياء في المختارة ، عن خالد بن عرفطة قال:كنت جالساً عند عمر إذ أتاه رجل من عبد القيس فقال له عمر أنت فلان العبدي ... فقال (عمر): انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله(ص): ما هذا في يدك ياعمر؟ فقلت يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً الى علمنا ! فغضب رسول الله(ص)حتى احمرت وجنتاه !! ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الأنصار: أغضب نبيكم ، السلاح ! فجاؤا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله(ص)فقال: يا أيها الذين آمنوا إني قد أوتيتُ جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصر لي اختصاراً ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية ، فلا تتهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون) ! انتهى.

وهذا يدل على أن عمر وجماعته كانوا متهوكين بالفعل ، لأن النبي صلى الله عليه وآله نهى المسلمين عن التهوك ، وعن الإغترار بالمتهوكين !

وفي سنن أبي داود:٤٠٣/٢ (عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب ، قال بعثني عمر

الى الأسقف فدعوته فقال له عمر: وهل تجدني في الكتاب؟ قال: نعم ، قال: كيف تجدني؟ قال: أجدك قرناً ، فرفع عليه الدرة فقال: قرْنٌ مَهْ؟ فقال: قرن حديد أمينٌ شديد ، قال: كيف تجد الذي يجئ من بعدي؟ فقال: أجده خليفة صالحاً غير أنه يؤثر قرابته ، قال عمر: يرحم الله عثمان ، ثلاثاً . فقال: كيف تجد الذي بعده؟ قال: أجده صدأ حديد ، فوضع عمر يده على رأسه فقال: يا دفراه يا دفراه، فقال:يا أميرالمؤمنين، إنه خليفة صالح ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول والدم مهراق ! قال أبو داود: الدفر النتن) . انتهى .

وهذا يدل على أن عمر أراد نقل الخلافة الى عثمان ، وان الشورى كانت شكلية ، خاصةوأنه جعل حق النقض فيها لعبد الرحمن بن عوف صهر عثمان !

ويدل على أن عمر كان يؤمن بثقافة الأسقف النصراني ، لأنه أخذ علمه من أحبار اليهود ! ويؤمن بأن الأسقف يعلم أحداث المستقبل ، ولذا سأله عن مستقبل الدولة والأمة الإسلامية ، وقَبِلَ منه ، رغم أنه هدده بالضرب بالدرة !

الى غير ذلك من النصوص العجيبة في احترام عمر لحاخامات اليهود وأساقفة النصارى ، الذين أخذت أحاديثهم بقلبه كأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأكثر !

○ ○

الأسئلة

١ ـ ألم يكن يعرف عمر أن الإسلام قد نسخ دين اليهود ، وأنهم أعدى أعداء الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله ؟! فبماذا تفسرون إصراره على الدراسة عندهم ؟!

٢ ـ ما هو هدف عمر وجماعته من طلبهم من النبي صلى الله عليه وآله أن يجيز لهم كتابة ثقافة اليهود ؟!

٣ ـ ما هو هدف اليهود من تعريب توراتهم المحرفة وإرسال عمر بها ، وطلبه من النبي صلى الله عليه وآله ليعترف بها ، فهل أرادوها أن تكون الى جنب القرآن أوبديلاً له ؟!

٤ ـ يدل تحذير النبي صلى الله عليه وآله من المتهوكين على أنهم موجودون في عصره بالفعل ، وليس تحذيراً من جماعة فرضيين ، فمن هم غير عمر وجماعته؟!

وما رأيكم في أمة حذرها نبيها صلى الله عليه وآله من التأثر بجماعة تأثروا بثقافة اليهود فكانوا هم خلفاءها وحكامها ؟!

٥ ـ لماذا لانجد فرقاً بين احترام عمر لثقافة اليهود ، واحترام عرب الجاهلية لها وإن وجدتم فرقاً فأخرجوه لنا ؟!

○ ○

المسألة: ١٣١

بماذا تفسرون المكانة التي أعطاها عمر لكعب الأحبار ؟

استمرت علاقة عمر باليهود بشكل مميز في حياة النبي وبعده صلى الله عليه وآله، وعندما قدم الحاخام كعب الأحبار من اليمن الى المدينة في خلافة عمر ولم يكن أعلن إسلامه ، خرج عمر لاستقباله الى خارج المدينة ! وهو احترام وتعظيم خاص لم يسجله التاريخ من خليفةٍ لأحد من غير المسلمين !

ثم جعله عمر المستشار الثقافي الأول للخلافة الاسلامية ، فاستطاع كعب وتلاميذه أن يزرعوا التجسيم ويبثوا أنواع الإسرائيليات في عقائد المسلمين !

قال السيوطي في الدر المنثور:١٦٨/٢: (وأخرج ابن جرير ، عن عيسى بن المغيرة قال:تذاكرنا عند إبراهيم إسلام كعب فقال: أسلم كعب في زمان عمر، أقبل وهو يريد بيت المقدس فمرَّ على المدينة فخرج إليه عمر! فقال: يا كعب أسلم . قال ألستم تقرؤون في كتابكم: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، وأنا قد حُمِّلْتُ التوراة ! فتركه) . انتهى .

ومعنى قوله فتركه ، أي لم يدعه بعدها الىالإسلام ، لكنه قربه وكان يسمع منه!

ففي كنز العمال:٥٦٧/١٢: عن طبقات ابن سعد: (قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك؟ ... وعن نعيم بن حماد: أن عمر بن الخطاب قال: أنشدك بالله ياكعب أتجدني خليفة أم ملكاً ؟ قال: بل خليفة ، فاستحلفه فقال كعب: خليفة والله من خير الخلفاء ، وزمانك خير زمان) . انتهى.

وفي الدر المنثور:٥٧/٤: (عن الحسن البصري أن عمر قال لكعب: ما عدن ؟ قال هو قصر في الجنة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل) .

وفي:٣٤٧/٥: (قصور من ذهب في الجنة ، يسكنها النبيون ، والصديقون ، وأئمة العدل) .

وفي كنز العمال:٥٦١/١٢ ، عن ابن المبارك وأبي ذر الهروي في الجامع: (عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: حدثني ياكعب عن جنات عدن . قال: نعم يا أمير المؤمنين ، قصور في الجنة ، لايسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل ، فقال عمر: أما النبوة فقد مضت لأهلها ، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله ، وأما الحكم العدل ، فإني أرجو الله أن لا أحكم بشئ إلا لم آل فيه عدلاً ، وأما الشهادة فأنَّى لعمر بالشهادة ؟!). انتهى .

وفي تاريخ المدينة لعمر ابن شبة:٨٩١/٣: (لما قدم عمر من مكة في آخر حجة حجها أتاه كعب فقال: يا أمير المؤمنين إعهد فإنك ميت في عامك ! قال عمر وما يدريك يا كعب؟ قال:وجدته في كتاب الله . قال: أنشدك الله يا كعب هل وجدتني باسمي ونسبي عمر بن الخطاب؟ قال: اللهم لا، ولكني وجدت صفتك وسيرتك وعملك وزمانك) !!

وقال ابن كثير في النهاية:١٩/١: (كان يتحدث بين يدي عمر بن الخطاب بأشياء من علوم أهل الكتاب ، فيستمع له عمر تأليفاً له ، وتعجباً مما عنده مما يوافق كثير منه الحق الذي ورد به الشرع المطهر ، فاستجاز كثير من الناس نقل ما يورده كعب الأحبار لهذا ، ولما جاء من الإذن في التحديث عن بني إسرائيل ، لكن كثيراً ما يقع فيما يرويه غلط كبير وخطأ كثير) . انتهى .

○ ○

الأسئلة

١ ـ ألم يكن في الصحابة عالمٌ حتى يحتاج عمر الى حاخام يهودي يمني ، ويجعله مستشاره ومرجعه في أمور العقيدة ، وتفسير القرآن ، والتنبؤ بالمستقبل ؟!

٢ ـ المفروض أن يكون عمر أعلم من كعب الأحبار ، فقد كان مسلماً يسمع من النبي صلى الله عليه وآله، وحتى في أحاديث اليهود فقد كان يدرس عندهم في بيت المدراس في المدينة ، وكان جار بني زريق اليهود ، لأن بيته في العوالي بينهم .

بينما كان كعب الأحبار حاخاماً عادياً عاش ودرس في اليمن ، ويهود اليمن أقل علماً من يهود المدينة وخيبر !

فكيف جعله مستشاره ومرجعه ومرجع المسلمين ؟!

٣ ـ هل توافقون ابن كثير في اعتذاره عن احترام عمر لكعب الأحبار وسماعه منه ، قال: (فيستمع له عمر تأليفاً له ، وتعجباً مما عنده مما يوافق كثير منه الحق الذي ورد به الشرع) . مع أن هذا خلاف الظاهر ، وخلاف تعظيم السنة المتبعين لعمر وتجليلهم لكعب الأحبار وإعجابهم بعلمه وتقواه !

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ:٥٢/١: (هو كعب بن ماتع الحميري ، من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب ، أسلم في زمن أبي بكر ، وقدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم !! وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة !! وتوفي في خلافة عثمان ، وروى عنه جماعة من التابعين مرسلاً ، وله شئ في صحيح البخاري وغيره) !! انتهى.

○ ○

المسألة: ١٣٢

بماذا تفسرون المكانة التي أعطاها عمر لتميم الداري ؟

تميم الداري من نصارى بلاد الشام ، كان يعمل في تجارة الخمر من الشام الى الجزيرة ، وكان قصَّاصاً لقصص أهل الكتاب ، اليهود والنصارى .

وقد أعلن إسلامه قبيل وفاة النبيﷺوسكن المدينة ، وكان مقرباً من اليهود ومن عمر وكعب الأحبار ، ونشط هو وتلامذته في إشاعة التجسيم والاسرائيليات في عقائد المسلمين !

وقد كتب عمر لتميم الداري مرسوماً خلافياً أن يقص قصص أهل الكتاب يوم السبت في مسجد النبيﷺ! وحضر أول جلسة احتراماً له وتأييداً !

ثم زاد في إكرامه فجعل له يومين في الأسبوع !!

فقام تميم بنشر الاسرائيليات والأكاذيب ، كما ترى في أحاديثه ومنها حديث الجساسة والدجال في مسلم وغيره !

ومن أكاذيب تميم زعمه أنه كان يهدي الى النبيﷺزقَّ خمر فيقبله منه ، حتى نزل تحريم الخمر ! مع أن تحريم الخمر نزل في السنة الثانية أو الثالثة ، وتميم جاء الى المدينة بعد شمول الإسلام للجزيرة في السنة التاسعة أو العاشرة !

قال في فتح الباري:٢٠٩/٨: (وروى أحمد وأبو يعلى من حديث تميم الداري أنه كان يهدي لرسول الله(ص)كل عام راوية خمر ، فلما كان عام حُرِّمت جاء براوية فقال: أشَعَرْتَ أنها قد حُرِّمت بعدك؟ قال: أفلا أبيعها وأنتفع بثمنها فنهاه).!

ورواه الطبراني في الكبير:٥٧/٢ وفيه: أهدى له راوية فضحك النبي(ص)فقال: إنها قد حُرِّمت ، قال: فأبيعها ؟ قال: إنه حرام شراؤها وثمنها).

وفي الدر المنثور:٣١٧/٢: (عن وهب بن كيسان قال: قلت لجابر بن عبد الله متى حُرِّمت الخمر ؟ قال: بعد أحد) . انتهى . أي في السنة الثالثة للهجرة .

وفي مسند أحمد:٤٤٩/٣: (عن الزهري عن السائب بن يزيد أنه لم يكن يُقَصُّ على عهد رسول الله(ص)ولا أبي بكر ، وكان أول من قَصَّ تميماً الداري استأذن عمر بن الخطاب أن يقصَّ على الناس قائماً ، فأذن له عمر) . انتهى .

وهذا يشير الى أنه كان قبل ذلك يقص وهو قاعد ، على شكل حلقة في المسجد ، ثم صارت حلقته قصصاً لمدة أطول بشكل رسمي وهو قائم !!

وفي تاريخ المدينة لعمر بن شبة:١١/١:(عن ابن عمر قال:خرج عمر الى المسجد فرأى حلقاً في المسجد فقال ما هؤلاء ؟ فقالوا قُصَّاص ، فقال: وما القُصَّاص؟ سنجمعهم على قاصٍ يقصُّ لهم في يوم سبت مرة ، الى مثلها من الآخر ، فأمر تميم الداري.... ثم روى رواية أحمد المتقدمة ...

عن نافع: فأذن له قال: وجلس إليه هو وابن عباس ! وقال أبو عاصم مرة: وجلس إليه في أصحابه وهو يقص ، فسمعه يقول (إياك وزلة العالم) فأراد أن يسأله عنها ، فكره أن يقطع به !

قال: وتحدث هو وابن عباس وتميم يقص ، وقاما قبل أن يفرغ ...

عن ابن شهاب أنه سئل عن القصص فقال: لم يكن إلا في خلافة عمر ، سأله تميم أن يرخص له في مقام واحد في الجمعة ، فرخص له فسأله أن يزيده فزاده مقاماً آخر ! ثم استخلف عثمان فاستزاده فزاده مقاماً آخر ، فكان يقوم ثلاث مرات في الجمعة). انتهى .

وثقافة القصاصين موضوع خطير ، ابتدعه عمر ، وفرضه على المسلمين بدون

مشورة أحد من الصحابة ، لأجل ملأ فراغ الذي أحدثه تغييبه للسنة النبوية ! ومنعه البحث العلمي والسؤال عن تفسير القرآن !

وقدكتب عديدون في ثقافة القصاصين وتأثيرها في ثقافة المسلمين ، لكنها الى الآن تحتاج الى بحوث جادة تكشف دوافعها وموادها وتأثيراتها على الأمة !

وتدل هذه النصوص وغيرها وهي كثيرة ، على أن عمر اختار لتميم الداري يوم السبت ! ثم اختار تميم أن يضيف له يوم الجمعة ! ثم أضيف لهما يوم ثالث !!

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ لماذا أطلق عمر يد الحاخامات والقساوسة أمثال كعب ، وتميم ، وعبدالله ابن سلام ، وأولاد منبِّه ، لتدريس المسلمين قصص اليهود والنصارى في مسجد النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله ، في الوقت الذي منع فيه من تدوين القرآن ، وكتابة الحديث ، بل منع الصحابة من مجرد التحديث عن النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله !

٢ ـ ألم يكن في صحابة النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله وأهل بيتهعليهم‌السلام علماء ووعاظ يستطيعون أن يعلموا الناس في المسجد النبوي معالم دينهم ، حتى احتاج الأمر الى تميم وكعب وأمثالهم من قصاصين أهل الكتاب ؟!

٣ ـ هل تحكمون بعدالة كعب الأحبار وتميم الداري وأمثالهما من اليهود والنصارى ، الذين أسلموا بعد نتصار الإسلام وشموله الجزيرة ، وتقبلون الأساطير والإسرائيليات التي ترويها عنهم الصحاح والمسانيد ؟!

٤ ـ هل تقبلون أسطورة البيهقي التي رواها في دلائل النبوة:٨٠/٦ (باب ما جاء

في الكرامة التي ظهرت على تميم الداري شرفاً للمصطفى(ص)وتنويهاً باسم من آمن به: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ . . . فبينا نحن ذات يوم إذ خرجت نار بالحَرَّة ، فجاء عمر الى تميم فقال: قم الى هذه النار، فقال يا أمير المؤمنين ومن أنا وما أنا؟ قال: فلم يزل به حتى قام معه، قال وتبعتهما فانطلقا الى النار، فجعل تميم يحوشها بيده حتى دخلت الشعب ، ودخل تميم خلفها ! قال: فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم يرَ. قالها ثلاثاً . لفظ حديث الصنعاني) انتهى.

وهل تلاحظون محاولة الرواة تمرير المعجزات المزعومة للصحابة الذين يحبونهم ، بأنها شرف للمصطفى صلى الله عليه وآله ، بينما لايروون لعترته وآله عليهم السلام مثلها ؟!

٥ ـ ما رأيكم في إهانة عمر للصحابي أبي بن كعب وضربه إياه ، لأنه خالف أمر عمر بعدم التحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وأنتم تسمونه سيد المسلمين؟! فقد روى الدارمي:١٣٢/١: (عن سليمان بن حنظلة قال: أتينا أبي بن كعب لنحدِّث إليه ، فلما قام قمنا ونحن نمشي خلفه ، فرهقنا عمر فتبعه فضربه عمر بالدرة ! قال فاتقاه بذراعيه فقال يا أمير المؤمنين ماتصنع! قال:أوَما ترى؟ فتنة للمتبوع مذلة للتابع !) .

وقد تقدم ذلك في المسألة (١٢٤)

○ ○

المسألة: ١٣٣

هل تثقون بالحاخامات والقساوسة وتطلبون منهم الدعاء؟

صحَّ عندكم أن عائشة كانت إذا مرضت تستدعي يهودية لترقيها ! وأن أبا بكر أقرَّها على ذلك وشجعها ! فقد روى مالك في الموطأ:٩٤٣/٢ (عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن ، أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها ! فقال أبو بكر: إرقيها بكتاب الله) . انتهى .

وقد يكون قصد أبي بكر بقوله: (إرقيها بكتاب الله) التوراة وليس القرآن ، لأن اليهودية لاتحفظ القرآن ، ولا تعتقد به !

وقال الشافعي في كتاب الأم:٢٤١/٧: (باب ما جاء في الرقية . سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس أن يرقي الرجل بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله . قلت: أيرقي أهل الكتاب المسلمين؟! فقال: نعم) !!

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ بماذا تفسرون أن زوجة النبيصلى الله عليه وآله تستدعي يهودية لتدعو لها وترقيها؟ فهل تقولون إن عقيدة عائشة بالإسلام كانت ضعيفة ، وإنها تأثرت بنساء المدينة اللواتي كنَّ يعتقدن بثقافة اليهود ويسترقين نساءهن ، وأنها في ذلك لم تطع النبيصلى الله عليه وآله في نهيه عن التهوك ؟!

٢ ـ هل تعتقدون بأن اليهود أقرب الى الله تعالى منكم ! وإذا مرض طالب علم منكم فهل تقتدون بعائشة وتأتون له بحاخام أو يهودي ليرقيه ، ويدعو له !

المسألة: ١٣٤

احترام عمر وأتباعه للتوراة المحرفة !

نعتقد نحن الشيعة بأن التوراة والإنجيل الموجودَيْن محرَّفان ، لايمكن الوثوق بنسختهما ولا الإعتماد عليها .

قال العلامة الحلي في تذكرة الفقهاء:٤٢٩/٢: (لا يجوز الوقف على كتابة التوراة والإنجيل لأنهما منسوخان محرفان ، ولا نعلم فيه خلافاً ، لما روى العامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى المسجد فرأى في يد عمر صحيفة فيها شئ من التوراة فغضب النبي صلى الله عليه وآله لما رأى الصحيفة مع عمر وقال له: أفي شك أنت يابن الخطاب ألم آت بها بيضاء نقية؟! لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتِّباعي .

ولولا أن ذلك معصية لما غضب منه صلى الله عليه وآله.

وكذا لايجوز الوقف على كتابة كتب الضلال وجميع ما لايحل كتابته ، لأنها جهة محرمة، قال الشيخ رحمه الله: المنع من الوقف على كتابة التوراة والإنجيل لاعتبار أنهما مبدَّلان محرَّفان، لاباعتبار أنهما منسوخان ، لأن النسخ لا يذهب بحرمتهما).

وقال في الخلاف:٣٤٤/١: (إذا قرأ بالفارسية هل يكون قرآناً أم لا ، فعندنا لايكون قرآناً ، وعنده (أبو يوسف) يكون قرآناً ...

دليلنا: قوله تعالى:وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ.عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ . . . (الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥) وإذا ثبت أنه بغير العربية لا يكون قرآناً سقط قولهم ، وثبت أنها لا تجزي). انتهى.

وقال الشيخ الطوسي في المبسوط:١٠٧/١: (ولايجوز أن يقرأ القرآن بغير لغة العرب ، بأي لغة كان ، ومتى قرأ بغير العربية على ما أنزله الله ، لم يكن ذلك قرآناً ولا تجزيه صلاته) .

وقال المحقق الحلي في المعتبر:١٦٦/٢: (ولا تصح الصلاة مع الإخلال بالفاتحة عمداً ولو بحرف ، وكذا إعرابها وترتيب آيها ، وعليه علماؤنا أجمع ، أما بطلان الصلاة مع العمد فلقوله ﷺ: لاصلاة إلا بفاتحة الكتاب) . انتهى.

وفي المقابل نرى أن عمر وأتباعه من الصحابة والفقهاء ، يحترمون التوراة الموجودة الى حد التقديس ، وقد تقدم أن عمر كان يدرسها عند اليهود ، وأنهم ترجموها له وجاء بها الى النبي ﷺ لكي يعترف بها !

وقد وصل بهم الأمر أن زعموا أن النبي ﷺ أمر عبد الله بن سلام أن يقرأ التوراة ليلة والقرآن ليلة ! (قال: قلت يارسول الله قد قرأت القرآن والتوراة والإنجيل؟ قال: إقرأ بهذا ليلة وبهذا ليلة .) ! (تاريخ دمشق:١٣١/٢٩، والزوائد:٢٧٠/٢ ، وكنز العمال:٤٨١/١٣ ، وتذكرة الحفاظ: ٢٧/ وقال:(فهذا إن صح ففيه الرخصة في تكرير التوراة وتدبرها). راجع أيضاً الصحيح من السيرة:١٠٢/١ .

وبعضهم يقول بصحة التوراة الموجودة وعدم تحريفها إلا في قولهم عزير بن الله ! وقد تقدم ذلك عن ابن تيمية في المجلد الأول ص١٢ .

وزعم إمامهم عبدالله العاص أن التوراة والقرآن سَمْنٌ وعَسَل ! فقال: (رأيت فيما يرى النائم كأن في إحدى أصبعيَّ سمناً وفي الأخرى عسلاً ، فأنا ألعقهما ، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله(ص) فقال: تقرأ الكتابين التوراة والفرقان ! فكان يقرؤهما) !! (مسند أحمد:٢٢٢/٢) .

فكان ابن العاص يخلط السمن بالعسل ويطعمه للمسلمين ! وقد فرح عندما عثر في حمص على حمل جملين من كتب اليهود والنصارى ، فنقلهما الى المدينة، وكان يحدث المسلمين منهما عن الله تعالى ورسله عليهم السلام !

قال ابن حجر في فتح الباري:١٦٧/١: إنه قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب ، فكان ينظر فيها ويحدث منها) . انتهى.

وقال عنه الشيخ محمود أبو رية في كتابه القيم شيخ المضيرة أبو هريرة ص١٢٤:

(هو أحد العبادلة الثلاثة الذين رووا عن كعب الأحبار ، وكان قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، وكان يرويها للناس، فتجنب كثير من أئمة التابعين الأخذ عنه . وكان يقال له: لاتحدثنا من الزاملتين) . انتهى.

ومعنى قولهم إنه كان يحدث منها: أنه كان يقرؤها ويختار ما أعجبه منها وينسبه الى رسول الله صلى الله عليه وآله كما تشهد به مروياته ! فأين الكذب المتعمد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: (من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) !!

وقد حاولوا تبرير فعل ابن عمرو وغيره بأن النبي صلى الله عليه وآله أجاز لهم التحديث عن اليهود ولا حرج !!

قال ابن كثير في تفسيره:٥/١: (ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين ، ابن مسعود وابن عباس . ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله(ص)حيث قال بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو . ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك) !! انتهى. وعذر ابن كثير أقبح من ذنب ! لأن معناه أن النبي صلى الله عليه وآله أقر كل ثقافة اليهود والنصارى وأجاز نسبتها اليه !! وأننا عندما نجد حديثاً في البخاري وغيره يقول قال رسول الله.. فقد يكون من ثقافة اليهود ، لكن الصحابة نسبوه اليه بسبب قوله حدثوا عن أهل الكتاب ولا حرج !!

وقد اعترفوا بأن الصحابي قد يكذب جهاراً على النبي ﷺ فيقول فعل رسول الله كذا . . فيجعله مقدمة لما حطَّبه من كتب اليهود مع أنه لم يفعل ذلك !!

قال ابن كثير في النهاية:١٢/٢: (وقد روى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب ، حدثني مولى لعبد الله بن عمرو ، عن عبد الله قال: نظر رسول الله (ص) إلى الشمس حين غابت فقال: في نار الله الحامية ، لولا ما يَزَعُها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض) . فيه غرابة وفيه رجل منهم لم يسمَّ ، ورفعه فيه نظر وقد يكون موقوفاً من كلام عبد الله بن عمرو ، فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين فكان يحدث منها)!! انتهى .

وقال في فتح الباري:١/ ١٦٧: إنه قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب فكان ينظر فيها ويحدث منها) . انتهى .

ومعناه أن قول الراوي أو قول عبدالله العاص: (نظر رسول الله(ص)إلى الشمس حين غابت فقال..) هو افتراءٌ متعمدٌ من أحدهما ، وأن النص ليس حديثاً نبوياً بل من الخيشتين اللتين جاء بهما ابن العاص من كتب اليهود !!

وقد شهد ابن كثير في بعض روايات عبدالله بن عمرو بأنها أشبه بروايات عبدالله بن سلام ، فقد يكون اقتسم الزاملتين مع ابن عمرو العاص ، أو أصاب زاملتين غيرهما ، وما أكثر أحاديث الزوامل في الصحاح والمسانيد !

قال في النهاية:٣٩٨/٢: (قلت: وهذا عن عبدالله بن سلام أشبه ، ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر ، مع أنه كان قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يحدث عنهما كثيراً !

ثم قال ابن كثير: وليعلم أن كثيراً من السلف كانوا يطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب ، فهي عندهم أعم من التي أنزلها الله على موسى ! وقد ثبت شاهد

ذلك من الحديث) ! انتهى .

وهذه شهادة منه بأن رواياتهم عن النبي صلى الله عليه وآله التي رووها عن ابن سلام ، أو وهب ابن منبه، وعبدالله العاص، وعبدالله بن عمر، وأبي هريرة ، وكعب الأحبار ، وأمثالهم ، وتلاميذهم.. فيها من مصادر أقل من توراتهم ، كالتلمود وكتب حاخامات اليهود ، وقساوسة النصارى العادية ، وأنهم كانوا يسمونها توراة ويروون عنها !! وهذا من أسوأ أنواع الخلط والخيانة العلمية !

أما فقهاؤهم فقد جوَّز بعضهم قراءة التوراة في الصلاة ! مع القرآن أو بدله!!

قال النووي في روضة الطالبين:٥٨/٨: (قلت: قال القفال في شرح التلخيص: لو قرأ التوراة الموجودة اليوم، لم يحنث ، لأنا نشك أن الذي قرأه مبدل أم لا. والله أعلم) . وقصده بقوله: لم يحنث ، لم تبطل صلاته !! .

وقال السرخسي في المبسوط:٢٣٤/١: (وأما إذا كان ما قرأ موافقاً لما في القرآن تجوز به الصلاة عند أبي حنيفة ، لأنه تجوز قراءة القرآن بالفارسية وغيرها من الألسنة ، فيجعل كأنه قرأ القرآن بالسريانية والعبرانية ، فتجوز الصلاة عنده) !

وفي حاشية ابن عابدين:٥٢٣/١: (وإن قرأ المكتوب في الصحف الأولى إذا كان كالتسبيح ليس يغير (يضر) ، والصحف الأولى جمع صحيفة ، المراد بها التوراة والإنجيل والزبور ، وتمام الكلام في شروح الوهبانية) .

وفي البحر الرائق:٣٤٧/١: (وفي الخلاصة: ولا ينبغي للحائض والجنب أن يقرأ التوراة والإنجيل . كذا روي عن محمد) . انتهى.

وكل هذه المصائب جاءت من عمر، الذي كان مشغوفاً بثقافة اليهود وتوراتهم وإسرائيلياتهم ، فقرَّب كعب الأحبار وابن سلام وتميماً الداري وأمثالهم !

الأسئلة

١ ـ ما رأيكم في نُسَخ التوراة والإنجيل الموجودة ، هل هي محرفة ، أم يصح الإعتماد على شئ من نصوصها ؟!

٢ ـ كيف تفسرون التضارب بين كلام ابن تمية وغيره الذين قالوا باعتبار نسخة التوراة الموجودة ما لم يثبت تحريفها ، وقول الذهبي في سير أعلام النبلاء:٤١٨/٢: (ونحن نعظم التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ونؤمن بها، فأما هذه الصحف التي بأيدي هؤلاء الضلال، فما ندري ما هي أصلاً، ونقف ، فلا نعاملها بتعظيم ولا بإهانة ، بل نقول: آمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله . ويكفينا في ذلك الإيمان المجمل ، ولله الحمد) ؟!

٣ ـ كيف تفسرون ما رواه البخاري:١٤٥/٤: (عن عبدالله بن عمرو أن النبي(ص) قال: بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) ؟

أما نحن فنقول إن أصل الحديث قد يكون صحيحاً، لكن جماعتكم حرفوا معناه، قال الصدوق قدس سره في كتاب معاني الأخبارص ١٥٨: (معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: حدث عن بني إسرائيل ولا حرج: عن عبد الأعلى بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك حديث يرويه الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: حدث عن بني إسرائيل ولا حرج ؟ قال: نعم . قلت: فنحدث عن بني إسرائيل بما سمعناه ولا حرج علينا ؟! قال عليه السلام: أما سمعت ما قال صلى الله عليه وآله: كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ! فقلت: فكيف هذا ؟ قال: ما كان في الكتاب أنه كان في بني اسرائيل فحدث أنه كائن في هذه الأمة ، ولا حرج) .

وفي الثاقب في المناقب لابن حمزة ص ٣٠٦: (عن جابر بن عبد الله ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج ، فإنه قد كانت فيهم الأعاجيب ، ثم أنشأ يحدث صلى الله عليه وآله فقال: خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة لهم ، وقالوا: لو صلينا فدعونا الله تعالى فأخرج لنا رجلاً ممن مات نسأله عن الموت ، ففعلوا ، فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر بين عينيه أثر السجود ، فقال: يا هؤلاء ما أردتم مني، لقد مِتُّ منذ عام وما سكنت عني حرارة الموت ، حتى كان الآن ، فادعوا الله أن يعيدني كما كنت !

قال جابر بن عبد الله: وقد رأيت وحقِّ الله وحقِّ رسول الله من الحسن بن علي أفضل وأعجب منها ، ومن الحسين بن علي أفضل وأعجب منها...الخ.).

٤ ـ لماذا لاتقبلون تفسير أهل البيت عليهم السلام لحديث النبي صلى الله عليه وآله وأنتم تزعمون أنكم تحبونهم وتروون أن النبي صلى الله عليه وآله أمركم بالتمسك بالقرآن وبهم ؟!

خاصة أنكم رويتم ما يؤيد تفسيرهم المتقدم ، ففي مسند أحمد:١٢/٣، عن أبي هريرة: (فقلنا يا رسول الله أنتحدث عن بني اسرائيل؟ قال: نعم ، تحدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج ، فإنكم لاتحدثون عنهم بشئ إلا وقد كان فيهم أعجب منه).

وقال ابن عابدين في حاشية رد المحتار:٧٢٤/٦: (وفي لفظ لأحمد بن منيع ، عن جابر: حدثوا عن بني إسرائيل فإنه كان فيهم أعاجيب.

وأخرج النسائي بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري عن النبي(ص) أنه قال: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، وحدثوا عني ولا تكذبوا عليَّ ، فقد فرق عليه الصلاة والسلام بين الحديث عنه والحديث عنهم، كما نقله البيهقي عن الشافعي).

وفي فتح الباري:٣٦١/٦: (وحدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج: أي لاضيق عليكم في الحديث عنهم... وقيل: معنى قوله (لا حرج): لاتضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب ، فإن ذلك وقع لهم كثيراً.

وقيل: لاحرج في أن لاتحدثوا عنهم ، لأن قوله أولاً حدثوا صيغة أمر تقتضي الوجوب ، فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله ولا حرج ، أي في ترك التحديث عنهم) . انتهى.

فلماذا لاتأخذون بأحد هذه الوجوه في تفسير الحديث ، وهي موافقة لتفسير أهل البيت عليهم السلام ؟!

٥ ـ ألا ترون أن أكثر من روى حديث (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) هو عبدالله العاص وأبو هريرة اللذان أكثرا من رواية أساطير اليهود والنصارى، فلعلهما يريدان بوضع الحديث تبرير عملهما ؟

فحديث البخاري عن ابن العاص (بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) . ورواه عنه أحمد:١٥٩/٢ ، و٢٠٢ ، و٢١٤، وعبد الرزاق:١٠٩/٦، والترمذي:١٤٧/٤ ، وابن بهرام الدارمي:١٣٦/١ .

وحديث أبي هريرة رواه أحمد:٤٧٤/٢ و٥٠٢ ، و أبو داود:١٨٠/٢، والشافعي في رسالته ص٣٩٧.

قال السيد علي الشهرستاني في وضوء النبي:٥٠٠/٢:(فيمكننا أن نطرح احتمالاً فيما رواه البخاري وغيره عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله قوله (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) وأنها جاءت لإعذار أمثاله ممن رووه عن بني إسرائيل ، إذ لايعقل أن يجيز النبي صلى الله عليه وآله كما في رواية عبد الله نقل الإسرائيليات ولاحرج ، ويحظر على الآخرين نقل روايته صلى الله عليه وآله كما جاء في نقل الآخرين عنه . وكذا يمكننا طرح احتمال آخر في سبب تسمية عبدالله صحيفته بالصادقة ، وأنها جاءت لرفع تشكيكات المشككين من الصحابة والتابعين ،

وعدم اطمئنانهم بنقولاته عن رسول الله صلى الله عليه وآله لمخالفتها لما سمعوه وتلقوه عنه صلى الله عليه وآله! فتأكيد عبد الله باختصاصه بتلك الأحاديث دون المسلمين ، وقوله: (هذه الصادقة ، فيها ما سمعت من رسول الله ليس بيني وبينه فيها أحد) ، قد تكون جاءت لرفع هذا التشكيك). انتهى. فما قولكم ؟!

٦ ـ كيف تجمعون بين نهي النبي صلى الله عليه وآله عن سؤال اليهود عن شئ من الدين ، وبين تجويزه الرواية عنهم وعن كتبهم بشكل مفتوح ؟!

فقد روى عبد الرزاق في المصنف:١٠/٣١٢: (عن زيد بن أسلم أن النبي(ص) قال: لاتسألوا أهل الكتاب عن شئ ، فإنهم إن يهدوكم قد أضلوا أنفسهم ! قيل: يا رسول الله ألا نحدث عن بني إسرائيل ؟ قال: تحدثوا ولا حرج) ؟!

○ ○

المسألة: ١٣٥

اليهود نَسَبوا الصفات البشرية المادية الى الله تعالى !

افترى اليهود على الله تعالى ، ونفوا عنه العلم والعدل ! فقد جاء في توراتهم ص٦: (٨. وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة . ٩. فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت . ١٠. فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت . ١١. فقال: من أعلمك إنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. ١٢. فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي ، هي أعطتني من الشجرة فأكلت). !!

وجعلوه موجوداً مادياً يسكن في السماء ! ففي ص٥٧٩ من توراتهم:

(١٨.فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط أما قلت لك أنه لا يتنبأ عليَّ خيراً بل شراً . ١٩. وقال: فاسمع إذا كلام الرب . قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره . ٢٠. فقال الرب: من يغوي أخآب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد . فقال: هذا هكذا وقال: ذاك هكذا) . انتهى.

وزعموا أن جدهم يعقوب صارعه فعجز الله أن يغلبه !

قال ابن حزم في الفصل:١جزء١/١٤١: (ذكر في هذا المكان (من التوراة) أن يعقوب صارع الله عز وجل.... حتى قالوا إن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب !! وفيه أن يعقوب قال: رأيت الله مواجهة وسلمت عليه) !!

ووصفوه بالطيش والغضب والظلم !

قال الدكتور شلبي في مقارنة الأديان:١/٢٦٧: (يروى التلمود أن الله ندم لِمَا أنزله باليهود وبالهيكل ، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله: تب لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي !!

وليست العصمة من صفات الله في رأي التلمود ، لأنه غضب مرة على بني إسرائيل فاستولى عليه الطيش ، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه ، ولم ينفذ قسمه ، لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة). انتهى.

وقال الدكتورشلبي:١/١٩٢: (على أن مسألة الألوهية كلها سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد ، لم تكن عميقة الجذور في نفوس بني إسرائيل ، فقد كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعي في الحياة من أكثر ما يشغلهم ، وإذا تخطينا عدة قرون فإننا نجد الفكر اليهودي الحديث يجعل لليهود رباً جديداً نفعياً كذلك ، ذلك هو تربة فلسطين وزهر برتقالها !

والذي يقرأ رواية(طوبى للخائفين)للكاتبة اليهودية يائيل ديان ، ابنة القائد الصهيوني العسكري موشى ديان ، يجد أحد أبطالها إيفري ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيس(معبد اليهود)وأن يحول اهتمامه لإلاهه الجديد: تراب فلسطين ! ونقتبس فيما يلي سطوراً من هذه الرواية:

...الصبي يحب أن يذهب إلى الكنيس مع أمه ، ولكنه عندما عاد مرة من المعبد الذي لا يذهب إليه إلا القليلون ، ثار أبوه في وجهه بحديث له مغزى عميق قال له: أيام زمان حين كنا يهوداً في روسيا وغيرها ، كان من الضروري بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا ، فقد كان الدين اليهودي لنا وسيلتنا لنتعاون ونتعاطف ونذود عنا الردى ، أما الآن فقد أصبح لدينا شئ أهم هو الأرض ، أنت الآن إسرائيلي ولست مجرد يهودي ، إني قد تركت في روسيا كل شي ، ملابسي

ومتاعي وأقاربي وإلهي ، وعثرت هنا على رب جديد ، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال ! ألا تحس بذلك؟ . . . وأخذ إيفري حفنة من تراب الأرض وسكبها في كف ابنه ، وقال له: إمسك هذا التراب، إقبض عليه ، تحسسه ، تذوقه ، هذا هو ربك الوحيد ، إذا أردت أن تصلي للسماء فلا تصل لها لكي تسكب الفضيلة في أرواحنا ، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا ، هذا هو المهم: إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد) !!

وقال د.شلبي أيضاً:١/٢٦٧: (ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير ، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسنَّ له شريعة لم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها ، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر في نفسه ، وبين الشريعة المرسومة إليه ، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بامرأته ، لأن الله هو السبب في كل ذلك !!). (التلمود شريعة إسرائيل ص١٧).

وتبعهم المتهوكون فقالوا بمادية الله تعالى وصفاته البشرية !

قال ابن تيمية في كتابه (العقل في فهم القرآن) ص٨٨ ، ما لفظه: (ومن المعلوم لمن له عناية بالقرآن أن جمهور اليهود لاتقول إن عزيراً ابن الله، وإنما قاله طائفة منهم ، كما قد نقل أنه قال فنحاص بن عازورا ، أو هو وغيره . وبالجملة ، إن قائلي ذلك من اليهود قليل ، ولكن الخبر عن الجنس كما قال: الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم . فالله سبحانه بيَّنَ هذا الكفر الذي قاله بعضهم وعابه به. فلو كان ما في التوراة من الصفات التي تقول النفاة إنها تشبيه وتجسيم فإن فيها من ذلك ما تنكره النفاة وتسميه تشبيهاً وتجسيماً بل فيها إثبات الجهة ، وتكلم الله بالصوت ، وخلق آدم على صورته وأمثال هذه الأمور ، فإن كان هذا مما كذبته اليهود وبدلته ، كان إنكار النبي(ص) لذلك وبيان ذلك أولى من ذكر

ما هو دون ذلك ! فكيف والمنصوص عنه موافقٌ للمنصوص في التوراة ! فإنك تجد عامة ماجاء به الكتاب والأحاديث في الصفات موافقاً مطابقاً لما ذكر في التوراة !! وقد قلنا قبل ذلك إن هذا كله مما يمتنع في العادة توافق المخبرين به من غير مواطأة وموسى لم يواطئ محمداً ، ومحمد لم يتعلم من أهل الكتاب ، فدل ذلك على صدق الرسولين العظيمين ، وصدق الكتابين الكريمين).انتهى !

يقصد ابن تيمية أن الشئ الوحيد الذي عابه الله على اليهود في توحيدهم ، هو قولهم (عزير ابن الله) ، وهذا يعني أنه أقرَّ ما بقي من صفات تجسيم الله تعالى الموجودة في توراتهم !!

وقال ابن تيمية في الآيمان ص٤٢٤: (وفي الصحيحين في حديث الشفاعة: يقول كل من الرسل إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله... وكذلك ضحكه إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة ، وضحكه إلى الذي يدخل الجنة آخر الناس ويقول: أتسخر بي وأنت رب العالمين ! وكل هذا في الصحيح) .

وقال المزي في تهذيب الكمال:٢٠/٣٣: (وقال حنظلة بن أبي سفيان ، عن عروة بن محمد: لما استعملت على اليمن قال لي أبي: أوَلِيتَ اليمن ؟ قلت: نعم . قال: إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض أسفل منك ثم أعظم خالقهما .

وقال سماك بن الفضل: كنت عند عروة بن محمد جالساً وعنده وهب بن منبه فأتي بعامل لعروة فشكيَ ، فأكثروا عليه فقالوا: فعل وفعل وثبتت عليه البينة .

قال: فلم يملك وهب نفسه فضربه على قرنه بعصاً فإذا دماؤه تشخب وقال: أفي زمن عمر بن عبد العزيز تصنع مثل هذا !

قال: فاشتهاها عروة وكان حليماً واستلقى على قفاه وضحك ، وقال: يعيب علينا أبو عبد الله الغضب في حكمته ، وهو يغضب !

فقال وهب: وما لي لا أغضب وقد غضب خالق الأحلام ! إن الله تعالى يقول: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ، يقول: أغضبونا). انتهى .

فقد فسر وهب بن منبه قوله تعالى: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. (الزخرف:٥٥) بأن الله تعالى يغضب كغضب البشر ، قياساً على ثقافته اليهودية التي تزعم أن الله تعالى استولى عليه الطيش فغضب مرةً على بني إسرائيل ، وحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية !!

لكن أهل البيت عليهم السلام قالوا إن الله تعالى عن أن يغضب كغضبنا ، وإن معنى (آسَفُونَا) أغضبوا أولياءنا ، ففي الكافي:١/١٤٤: عن الآمام الصادق عليه السلام قال:

(إن الله عز وجل لا يأسف كأسفنا ، ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون ، وهم مخلوقون مربوبون ، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه ، لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه ، فلذلك صاروا كذلك ، وليس أن ذلك يصل إلى خلقه ، لكن هذا معنى ما قال من ذلك . وقد قال: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها ، وقال: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ . وقال: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنما يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك . لو كان يصل إلى الله الأسف والضجر وهو الذي خلقهما وأنشأهما ، لجاز لقائل هذا أن يقول: إن الخالق يبيد يوماً ما ، لأنه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغيير ، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة ، ثم لم يعرف المكون من المكون ولا القادر من المقدور عليه ، ولا الخالق من المخلوق !! تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً ، بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة ، فإذا كان لا لحاجة استحال الحد والكيف فيه ، فافهم إن شاء الله تعالى) . انتهى .

أقول: ومما يؤيد تفسيرهم عليهم السلام قوله تعالى: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ، بأنهم آسفوا أولياءه ، أن فعل (آسفونا) جاء بجمع المتكلم ولم يقل: آسفوني . فمعناه آسفوا أولياءنا، ونسب الفعل إلى نفسه لأن إغضابهم إغضاب له تعالى.

وروى الكليني في الكافي:١/١٣٠، من حديث طويل: (عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأستأذنته فأذن لي ، فدخل فسأله عن الحلال والحرام ، ثم قال له: أفتقرُّ أن الله محمول؟

فقال أبو الحسن: كل محمول للمفعول مضاف إلى غيره محتاج، والمحمول اسم نقص في اللفظ ، والحامل فاعل وهو في اللفظ مدحة ، وكذلك قول القائل: فوق وتحت وأعلى وأسفل ، وقد قال الله: وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ، ولم يقل في كتبه إنه المحمول ، بل قال إنه الحامل في البر وبالبحر والممسك السماوات والأرض أن تزولا ، والمحمول ما سوى الله ، ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قط قال في دعائه: يا محمول !

قال أبوقرة: فتكذب بالرواية التي جاءت أن الله إذا غضب إنما يعرف غضبه أن الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم فيخرون سجداً ، فإذا ذهب الغضب خفَّ ورجعوا إلى مواقفهم ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا هو غضبانٌ عليه فمتى رضيَ ، وهو في صفتك لم يزل غضباناً عليه ، وعلى أوليائه وعلى أتباعه ! كيف تجتري أن تصف ربك بالتغير من حال إلى حال ، وأنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين ؟! سبحانه وتعالى لم يزُل مع الزائلين ، ولم يتغيَّر مع المتغيرين ، ولم يتبدَّل مع المتبدلين ، وَمَنْ دونَه عبيدُه وتدبيره ، وكلهم إليه محتاج وهو غنيٌّ عمن سواه) ! انتهى.

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ هل تعتقدون بتأثير كعب وعبدالله بن سلام ووهب بن منبه ، وغيرهم من الحاخامات المقربين الى عمر، على ثقافة المسلمين في تجسيم الله تعالى؟

٢ ـ هل تقبلون أحاديث البخاري ومسلم في صفات الله تعالى ومجيئه وضحكه وغضبه وفرحه ، على ظاهرها الحسي ، أم تردونها ، أم تؤولونها ؟

٣ ـ ما قولكم في تفسير الإمام الصادقعليه‌السلام لآية: فَلَمَّا آسَفُونَا.. ونفيه الغضب البشري عن الله تعالى ، ونفي الإمام الرضاعليه‌السلام اتصاف الله تعالى بصفات متغيرة ؟!

○ ○

المسألة: ١٣٦

مذهب أهل البيت عليهم السلام أبعد المذاهب عن الثقافة اليهودية

أهل البيت عليهم السلام لم يكونوا محتاجين الى علم اليهود !

عقيدتنا أن الله تعالى أورث علياً وأئمة العترة الطاهرة عليهم السلام الكتاب ومواريث الأنبياء عليهم السلام، وآتاهم الحكمة وفصل الخطاب، وفضّلهم على آل إبراهيم وأوصياء الأنبياء ، وجعلهم أئمة يهدون بالحق ، وفرض على الأمة طاعتهم ، وأمرها أن تهتدي بهم وتقتدي بهم .

وقد روى الجميع أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من الباب) ، وقال صلى الله عليه وآله:(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلول بعدي) ، ومع هذا حاولوا أن ينفوا أن يكون علي والعترة عليهم السلام هم المصطفوْن الذين أورثهم الله الكتاب بقوله: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا).(فاطر:٣٢)وينفوا أنهم ورثوا العلم من النبي صلى الله عليه وآله !

ولإثبات رأيهم هذا رووا أن علياً عليه السلام نفى أن يكون النبي ورَّثهم شيئاً !

بل ترى عند مصادرهم حساسية من أن يكون النبي صلى الله عليه وآله أوصى الى علي بشي ! أو ورَّث علياً أو أحداً من أهل بيته عليهم السلام شيئاً ! سواء من ماله الشخصي ، أو العام أو من العلم ! فهم يبادرون الى نفي ذلك ويقولون كلا . . كلا . . إن النبي صلى الله عليه وآله لم يوص بشئ ، ولا ورَّث شيئاً ، لا لأهل بيته ، ولا لأحد !!

وأكثر المتحمسين للنفي عائشة التي يغلي قلبها على علي عليه السلام كالمرجل! والتي

لم ينفعها نهي النبي صلى الله عليه وآله إياها عن بغض علي عليه السلام، بل أوصلتها حساسيتها منه الى حرب الجمل وعشرين ألف قتيل ، ومصائب ما زالت تعاني منها الأمة !

قال البخاري في صحيحه:١٨٦/٣: (عن الأسود قال ذكروا عند عائشة أن علياً رضي الله عنهما كان وصياً ، فقالت: متى أوصى إليه ! وقد كنت مُسندته الى صدري أو قالت حجري ، فدعا بالطست فلقد انخنث في حجري !! فما شعرت أنه قد مات ! فمتى أوصى إليه ؟!) . (ورواه أيضاً :١٤٣/٥ ، ورواه مسلم:٧٤/٥ ، والنسائي:٣٢/١ و٧٥ و:٢٤١/٦ ، وابن ماجة:٥١٩/١ ، وأحمد:٣٢/٦).

وقال مسلم:٧٥/٥: (عن مسروق عن عائشة قالت: ماترك رسول الله صلى الله عليه وآله ديناراً، ولا درهماً ، ولا شاة ، ولا بعيراً ، ولا أوصى بشئ !) . ورواه النسائي:٢٤٠/٦ ، وابن ماجة:٩٠٠/٢ ، وأبو داود:٦٥٤/١ .

ولكن الحاكم روى حديثاً وصححه بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يُتَوَفَّ في حجر عائشة ، بل توفي وهو يناجي علياً عليه السلام ، قال في المستدرك:١٣٨/٣: (عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: والذي أحلف به أن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله. عدنا رسول الله صلى الله عليه وآله غداةً وهو يقول جاء عليٌّ جاء عليٌّ ؟ مراراً ! فقالت فاطمة رضي الله عنها كأنك بعثته في حاجة ، قالت: فجاء بعد . قالت أم سلمة: فظننت أن له إليه حاجة ، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنت من أدناهم الى الباب، فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل يسارُّهُ ويناجيه ثم قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله من يومه ذلك ، فكان عليٌّ أقرب الناس عهداً. (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه !) .

وروى أحمد في مسنده:٦٢/٦: أن عائشة أقسمت أنها كانت غائبة يومين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ولم تشهد جنازته ! قال: (عن عمرة عن عائشة قالت: والله ما علمنا

بدفن رسول الله حتى سمعت صوت المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء) !!
ورواه البيهقي في سننه:٤٠٩/٣ !

فكيف تقول عائشة إن النبي صلى الله عليه وآله توفي في غرفتها وفي حِجرها ! وكيف تركت جنازته وذهبت خارج بيتها الى هنا وهناك لتدبير أمر الخلافة لأبيها ؟!

وهل يجب على النبي صلى الله عليه وآله أن يخبر عائشة بما يوصي به لعلي عليه السلام أو بما يورثه إياه من العلم ، وأن يكون ذلك في حضورها ؟!!

وقد كان البخاري ألين من عائشة بعض الشئ في توريث النبي صلى الله عليه وآله فاعترف بأنه ورَّثَ أرضاً وسلاحاً وبغلة ، قال في:١٤٤/٥: (عمرو بن الحرث قال: ما ترك رسول الله(ص)ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها ، وسلاحه ، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة) ! انتهى .

وقد ورد أن أرض الصدقة هذه سبعة بساتين أوقفها رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل علياً ولياً عليها ، ولم يشر البخاري الى ذلك وكأن النبي صلى الله عليه وآله جعلها سائبة بلا متولٍّ !

لكن بقيت أمام مصادرهم مشكلة أكبر من البغلة والأرض ، وهي صحيفة من العلم كانت مربوطة في ذؤابة سيف النبي صلى الله عليه وآله، وقد توصلوا الى حلها فجعلوها العلم الوحيد الذي ورثه النبي صلى الله عليه وآله لأهل بيته عليهم السلام ، وهوَّنوا من أمرها بأنها لم يكن فيها كثير علم ، بل أحكامٌ عامة !!

لهذا ترى مصادرهم تؤكد وتكرر بقصد ، عن لسان علي وأهل بيته عليهم السلام يحلفون بالأيمان المغلَّظة أن النبي صلى الله عليه وآله لم يورثهم غير هذه الصحيفة الصغيرة، وأن مضمونها عام وعادي ! وقد روى البخاري روايتها في صحيحه ثمان مرات على الأقل! كلها عن علي وأولاد علي عليهم السلام وكلها يؤكد فيها عليٌّ عليه السلام و(براءته) من تهمة توريث النبي صلى الله عليه وآله إياه شيئاً من العلم غير هذه الصحيفة !

قال البخاري:٢٢١/٢:(عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه قال: ماعندنا شئ إلاكتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي(ص): المدينة حرم ما بين عائر الى كذا ، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل منه صرف ولاعدل . وقال: ذمة المسلمين واحدة فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل منه صرف ولاعدل ، ومن تولى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل منه صرف ولاعدل . قال أبو عبدالله(أي البخاري): عدلٌ: فداء) .

وقال في:٣٠/٤: (عن أبي حجيفة قال: قلت لعلي:هل عندكم شئ من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن . قلت وما في الصحيفة ؟ قال: العقل ، وفكاك الأسير ، وأن لا يُقتل مسلم بكافر) ! . وكرر البخاري ذلك بصيغ متضاربة عن مضمون هذه الصحيفة في:٦٧/٤و ٦٩ و:١٠/٨ و٤٥ و٤٧ و١٤٤ . ثم قلدته أكثر المصادر ، مثل مسلم:١١٥/٤ و٢١٧ و:٨٥/٦ ، وابن ماجة:١٦٨/٢ وأبو داود:١٦٨/١ و:١٧٧/٢ والنسائي:٢٣/٨ !

وكان ابن حنبل صاحب الرقم القياسي حيث رواها في المجلد الأول من مسنده فقط عشر مرات في الصفحات ٩٧ و٨١ و ١٠٠ و ١٠٢ و ١١٠ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٦ و ١٥١ و١٥٢ !!

لكن هل نفعت هذه الروايات في إقناع المسلمين بأن نبيهم صلى الله عليه وآله كان بدعاً من الرسل والأنبياء عليهم السلام الذين أمروا أممهم بالوصية ، وأوصى كل واحد الى وصيه وأهل بيته !

فهل يعقل أن يكون خاتم النبيين وأفضلهم صلى الله عليه وآله قد بلَّغ المسلمين وجوب الوصية على كل مسلم ، وأخبرهم بوفاته عن قريب ، وحجَّ بالمسلمين حجة الوداع ، ثم مات ولم يكتب شيئاً ، ولم يوص بشئ ؟!

قال البخاري:١٨٦/٣: (حدثنا طلحة بن مصرف قال: سألت عبدالله بن أبي أوفى ، هل كان النبي أوصى؟ فقال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟! قال أوصى بكتاب الله)!!

ورواه في:١٤٤/٥ و:١٠٧/٦ وتبعه الباقون ، فرووه عشرات المرات !

وأمام سيل هذه التأكيدات يبدو أن السنِّيين المتأخرين مقتنعون بأن نبينا صلى الله عليه وآله الذي هو أعظم الأنبياء وخاتمهم عليهم السلام، كان أكثر الأنبياء سذاجةً ، فترك أمته سائبةً بدون راع ، وتركها فكرياً من أفقر الأمم فلم يكتب لها شيئاً من توجيهاته ، ولا شبيهاً بالوصايا العشر التي كتبها موسى لليهود ، أو وصايا عيسى للحواريين ؟!

وحتى القرآن الذي هو خاتم الكتب الإلهية ، زعموا أنه أوصاهم به وتركه موزعاً مهدداً بالضياع ، حتى قام الصحابة بجهود مضنية وجمعوه !!

لقد أقنعهم الذين أبعدوا آل النبي صلى الله عليه وآله عن السلطة بأن الله تعالى الذي اختار آل نوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين وورثهم علوم الأنبياء عليهم السلام وجعل أممهم بعد أنبيائها غنيةً بهم ، لم يخترْ آل محمد ، بل حَرَمَهُم من إرث محمد صلى الله عليه وآله العلمي ، والسياسي ، وحتى المادي ، ومرَّغ أنوفهم بالتراب ، وجعلهم من يوم وفاته سوقةً عاديين ! يجب أن يحرق عليهم دارهم بمن فيه إن لم يبايعوا الخليفة الذي اختاره تحالف قبائل قريش !!

كان إنكار الوصية النبوية ضرورياً لهم ، لأن القول بوجودها يعني أنها لعلي عليه السلام، ويعني بطلان الأساس الذي بنوا عليه خلافتهم ووراثتهم للنبي صلى الله عليه وآله !

لكن إذا ابتعدنا عن الخلافة ، فهم حاضرون للإعتراف بالتفوق العلمي لعلي عليه السلام، وأن النبي صلى الله عليه وآله ميَّزه عن غيره بأمر الله تعالى ، لكن في العلم فقط !! فقد

رووا أن النبي خص علياً بالتعليم ، وشهد علماؤهم كأحمد بن حنبل أنه صدر من النبي صلى الله عليه وآله من الأحاديث في عليٍّ عليه السلام ما لم يصدر في شأن أحد من الصحابة أبداً !

وأحاديثهم في علم علي عليه السلام كثيرة ، رووها في جو بعيد عن الخلافة، أو أفلتت من رقابة الدولة ، وبعضها ينص على أن الله تعالى الذي أقرأ رسوله صلى الله عليه وآله فلا ينسى ، أمره أن يعلم علياً عليه السلام وأعطاه وعياً وحفظاً فلا ينسى !

قال السيوطي في الدر المنثور:٦/٢٦٠: (وأخرج سعيد بن منصور ، وابن جرير، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، عن مكحول قال: لما نزلت: وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ، قال رسول الله (ص):سألت ربي أن يجعلها أذن علي . قال مكحول: فكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً فنسيته !

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والواحدي ، وابن مردويه ، وابن عساكر ، وابن النجاري ، عن بريدة قال قال رسول الله(ص)لعلي: إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك ، وأن أعلمك وأن تعي ، وحقٌّ لك أن تعي . فنزلت هذه الآية: وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) !

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إن الله أمرني أن أدنيك وأعلمك لتعي ، فأنزلت هذه الآية: وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ، فأنت أذن واعية لعلمي). انتهى .

وهذا يدل بوضوح على أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يُعِدَّ علياً عليه السلام إعداداً علمياً خاصاً لما بعده .

أما كيف أعده وماذا وَرَّثَهُ ، فينبغي أن تعرفه من مصادر شيعته.. فقد روى الصفار في بصائر الدرجات ص١٥٩: (عن أبي عبدالله عليه السلام قال ذكروا وُلد الحسن

فذكروا الجفر فقال:والله إن عندي لجلديْ ماعز وضأن ، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام بيده .وإن عندي لجلداً سبعين ذراعاً أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله وخطه علي عليه السلام بيده! وإن فيه لجميع ما يحتاج إليه الناس حتى أرش الخدش) .

وروى الكليني في الكافي:١/٢٣٥:(عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عما يتحدث الناس أنه دُفعت الى أم سلمة صحيفة مختومة فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قُبض ورَّث علياً عليه السلام علمه وسلاحه وما هناك. ثم صار الى الحسن عليه السلام،ثم صار الى الحسين عليهما السلام، فلما خشينا أن نُغشى استودعها أم سلمة ، ثم قبضها بعد ذلك علي بن الحسين عليه السلام. قال فقلت: نعم ، ثم صار الى أبيك ، ثم انتهى إليك ، قال: نعم) .

وفي:١/٢٢٨: (عن جابر قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب ، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب ، والأئمة من بعده .

...عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء) .

وفي:١/٢٣٨: (عن أبي بصير قال دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة ، هاهنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدأ لك ، قال قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم علياً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال فقال: يا أبا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب ! قال قلت: هذا والله العلم . قال: فنكت ساعة في الأرض ثم قال: إنه لعلمٌ وما هو بذاك . قال ثم قال: يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال قلت: جعلت فداك ومالجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع

رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه ، فيها كل حلال وحرام ، وكل شئ يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش... إلخ) .

وفي:٢٤١/١: (عن بكر بن كرب الصيرفي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن عندنا ما لانحتاج معه الى الناس ، وإن الناس ليحتاجون إلينا ، وإن عندنا كتاباً إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام صحيفةٌ فيها كل حلال وحرام...وإنكم لتأتونا بالأمر فنعرف إذا أخذتم به ، ونعرف إذا تركتموه !) .

وفي:٢٩٦/١:(عن أبي عبدالله عليه السلام قال:كان في ذؤابة سيف رسول الله صلى الله عليه وآله صحيفة صغيرة ، فقلت لأبي عبدالله عليه السلام: أي شئ كان في تلك الصحيفة ؟ قال: هي الأحرف التي يفتح كل حرف ألف حرف . قال أبو بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام: فما خرج منها حرفان حتى الساعة !) . انتهى.

وقال السيد الأرموي محقق كتاب الإيضاح لابن شاذان ص٤٦٦: (فممن صرح بهذا المطلب المحقق الشريف الجرجاني ، فإنه قال في مبحث العلم من شرح المواقف ، عند ذكر الماتن أعني القاضي عضد الدين الإيجي (أنظر ص٢٧٦ من طبعة بولاق سنة ١٣٦٦) ما نصه: الجفر والجامعة، وهما كتابان لعلي رضي الله عنه قد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف، الحوادث التي تحدث الى انقراض العالم، وكانت الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونهما ويحكمون بهما . وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه علي بن موسى رضي الله عنهما الى المأمون: إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرف آباؤك وقبلت منك عهدك، إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم !

ولمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه الى أهل البيت ، ورأيت أنا بالشام نظماً أشير فيه بالرموز الى أحوال ملوك مصر ، وسمعت أنه

مستخرج من ذينك الكتابين...

وقال الشيخ الأجل بهاء الملة والدين محمد بن الحسين العاملي في شرح الأربعين حديثاً ، عند شرحه الحديث الحادي والعشرين ما نصه:

وقد تظافرت الأخبار بأن النبي صلى الله عليه وآله أملى لعلي عليه السلام كتابي الجفر والجامعة ، وأن فيهما علم ماكان وما يكون الى يوم القيامة .

ونقل الشيخ الجليل عماد الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الكافي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أحاديث كثيرة في أن ذينك الكتابين كانا عنده ، وأنهما لا يزالان عند الأئمة عليهم السلام يتوارثونهما واحداً بعد واحد....

وقال الدميري في حياة الحيوان في باب الجيم تحت عنوان (الجفرة) ما نصه:

فائدة: قال ابن قتيبة في كتاب أدب الكاتب: وكتاب الجفر جلد جفر كتب فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام لآل البيت كل مايحتاجون الى علمه ، وكل ما يكون الى يوم القيامة . وإلى هذا الجفر أشار أبوالعلاء المعري بقوله:

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مِسك جَفْرِ

ومرآةُ المنجم وهي صغرى أرتْـهُ كل عامـرة وقَـفْـرِ

ثم قال المحقق الارموي رحمه الله: أقول: البيتان من لزوميات أبي العلاء وما قبلهما ثلاثة أبيات ، فمجموع القطعة خمسة أبيات ، فإن أردت أن تلاحظها فراجع ج ٢ من طبعة مكتبة صادر بيروت ص٢٤٩ ، وأما الكتاب المنقول عنه الكلام فالصحيح أنه تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة كما صرح به ابن خلكان ، واشتبه الأمر على الدميري ، فإنا راجعنا أدب الكاتب لابن قتيبة فلم نجد هذا المطلب فيه ، وأما تأويل مختلف الحديث فالقصة مذكورة فيه (انظر ص٨٥).

وأما ما ذكره السيد الجرجاني فيما تقدم من كلامه عن الرضا عليه السلام (إلا أن

الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم) فهو مأخوذ من كتاب الفخري لابن الطقطقي ، فإن شئت فراجع). انتهى .

أهل البيت عليهم السلام وقفوا ضد اليهود من زمن عمر !

فقد وقفوا في وجه كعب الأحبار وتلاميذه ، وردُّوا أفكارهم التحريفية الكافرة وانتقدوا السلطة لأنها أطلقت أيديهم وألسنتهم لتعبث في عقول المسلمين !

وقد ذكرنا في المجلد الأول ، المسألة الأولى ردَّ علي عليه السلام على كعب الأحبار في مجلس عمر عندما قال كعب ،كما في البحار:١٩٤/٣٦: (نجد في الأصل الحكيم أن الله تبارك وتعالى كان قديماً قبل خلق العرش ، وكان على صخرة بيت المقدس في الهواء ، فلما أراد أن يخلق عرشه تَفَلَ تَفْلَةً كانت منها البحار الغامرة واللجج الدائرة ، فهناك خلق عرشه من بعض الصخرة التي كانت تحته وآخر ما بقي منها لمسجد قدسه)!

قال ابن عباس: وكان علي بن أبي طالب عليه السلام حاضراً ، فَعَظَّمَ عَلِيٌّ رَبَّهُ وقام على قدميه ونفض ثيابه ! فأقسم عليه عمر لمَّا عاد إلى مجلسه ، ففعله . قال عمر: غُصْ عليها يا غواص ، ما تقول يا أبا الحسن ، فما علمتك إلا مفرجاً للغم . فالتفت علي عليه السلام إلى كعب فقال: (غلط أصحابك ، وحرَّفوا كتب الله ، وفتحوا الفرية عليه !

يا كعب ويحك ! إن الصخرة التي زعمت لاتحوي جلاله ولاتسع عظمته ، والهواء الذي ذكرت لايحوز أقطاره! ولو كانت الصخرة والهواء قديمين معه لكان لهما قِدْمته وعزّ الله وجل أن يقال له مكان يومى إليه ! والله ليس كما يقول الملحدون ولا كما يظن الجاهلون ، ولكن كان ولامكان بحيث لاتبلغه الأذهان ، وقولي(كان) عجز عن كونه ، وهو مما عَلَّمَ من البيان يقول الله عز وجل:خَلَقَ الإنسان عَلَّمَهُ الْبَيَانَ فقولي له (كان) مما علمني من البيان لأنطق بحججه وعظمته ، وكان ولم يزل ربنا مقتدراً على

ما يشاء محيطاً بكل الأشياء ، ثم كَوَّنَ ما أراد بلا فكرة حادثة له أصاب ، ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد ، وإنه عز وجل خلق نوراً ابتدعه من غير شئ ، ثم خلق منه ظلمة ، وكان قديراً أن يخلق الظلمة لامن شئ كما خلق النور من غير شئ ، ثم خلق من الظلمة نوراً وخلق من النور ياقوتةً غلظها كغلظ سبع سماوات وسبعِ أرضين ، ثم زجر الياقوتة فماعت لهيبته فصارت ماءً مرتعداً ، ولا يزال مرتعداً إلى يوم القيامة .

ثم خلق عرشه من نوره وجعله على الماء ، وللعرش عشرة آلاف لسان يسبح الله كل لسان منها بعشرة آلاف لغة ليس فيها لغة تشبه الأخرى ، وكان العرش على الماء من دونه حجب الضباب وذلك قوله: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ .

يا كعب ويحك ! إن من كانت البحار تفلته على قولك ، كان أعظم من أن تحويه صخرة بيت المقدس أو يحويه الهواء الذي أشرت إليه أنه حلٌ فيه) ! انتهى.

وخطابه عليه السلام لكعب شديد يدل على أنه عليه السلام لم يقبل إسلامه بل يعامله على أنه حاخام يهودي فيقول له:(غلط أصحابك وحرفواكتب الله وفتحوا الفرية عليه) !!

من جهة أخرى ، كان أهل البيت عليهم السلام معارضة ، واليهود لايغضبون السلطة ويتقربون الى معارضة مضطهدة ، بل يتقربون الى خليفة ينعمون بامتيازاته ، وقد كانوا يحقدون على أهل البيت عليهم السلام ويؤججون عداء السلطة لهم .

ولهذه الأسباب مجتمعة ، وهي: استغناء الأئمة عليهم السلام عن علم اليهود ، وموقفهم ضدهم ، وتقرب اليهود من السلطة وابتعادهم عن المعارضة ، خلت مصادر الشيعة من الاسرائيليات ، إلا ما تسرب اليها من الرواة السنيين، خاصة الذين استبصروا وبقيت فيهم رواسب ، أو روايات رووها عن السنيين!

○ ○

الأسئلة

١ ـ هل توافقوننا على أن مذهب أهل البيت عليهم السلام أبعد المذاهب الإسلامية عن الثقافة اليهودية ، لأن أهل البيت عليهم السلام كانوا معادين لليهود ولم يكونوا بحاجة الى علمهم ، ولأن اليهود كانوا مع السلطة ضد المعارضة ؟!

٢ ـ ألا ترون في تضخيم بعضهم لابن سبأ اليهودي الذي يلعنه الشيعة وزعمهم أنه هو الذي أسس التشيع ، محاولةً للتغطية على دور كعب الأحبار والحاخامات الذين تبنتهم الخلافة القرشية ، ونشروا ثقافة اليهود بين المسلمين؟!

٣ ـ بماذا تفسرون قوله تعالى: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا.. ومن هم هؤلاء ؟ وبماذا تفسرون ما رواه البخاري في :١٣٨/٤ قال (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين..إلى قوله يرزق من يشاء بغير حساب ، قال ابن عباس: وآل عمران المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران ، وآل ياسين وآل محمد صلى الله عليه وسلم).؟!

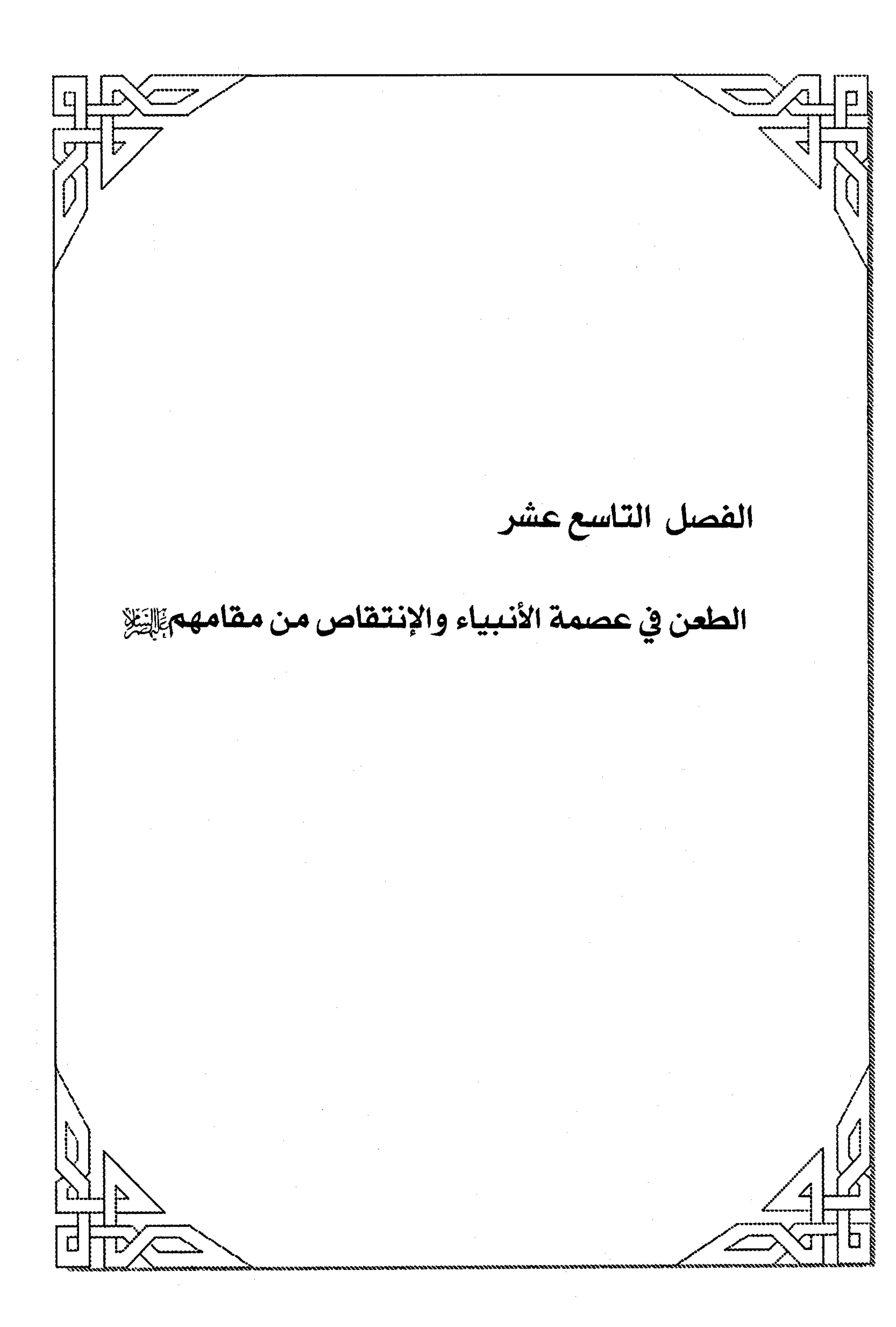
٤ ـ هل أوصى النبي صلى الله عليه وآله برأيكم ، أم لا ؟

٥ ـ هل ورَّث النبي صلى الله عليه وآله من علومه لأهل البيت عليهم السلام أم لا ؟

٦ ـ بماذا تفسرون أن علياً والأئمة من عترته عليهم السلام لم يحتاجوا الى علم أحد ولم يدرسوا عند أحد ، واحتاج الناس الى علمهم ؟!

٧ ـ هل رأيتم مستوى علم علي عليه السلام مقارناً بعلم عمر وأبي بكر وبقية الخلفاء ؟!

◊ ◊



الفصل التاسع عشر

الطعن في عصمة الأنبياء والإنتقاص من مقامهم عليهم السلام

المسألة: ١٣٧

نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمةعليهم السلام

امتاز الشيعة عن غيرهم من جميع مذاهب المسلمين والأديان الأخرى ، بعقيدتهم بالعدالة الكاملة لله تعالى ، والعصمة الكاملة لأنبيائه وأوصيائهعليهم السلام، فهم ينزهونهم عن جميع المعاصي والمعائب ، قبل البعثة والإمامة وبعدها ، في تبليغ الرسالة ، أو في سلوكهم الشخصي والعام .

وقد عرَّف الإمام الصادقعليه السلامالعصمة كما في معاني الأخبار للصدوق: ص١٣٢: (قال: سألت أبا عبد اللهعليه السلامعن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله ، وقال الله تبارك وتعالى: ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم).

وفي معاني الأخبار ص١٣٢: (عن الإمام موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسينعليهم السلامقال: الإمام منا لايكون إلا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ، ولذلك لايكون إلا منصوصاً. فقيل له: يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن لايفترقان إلى يوم القيامة ، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام ، وذلك قول الله عز وجل: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) .

وفي معاني الأخبار ص١٣٢: (عن محمد بن أبي عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي له شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام ، فإني سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟ فقال: نعم . فقلت: فما صفة العصمة فيه ؟ وبأي شئ تعرف؟ فقال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه ولا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة ، فهذه منفيه عنه .

لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه لأنه خازن المسلمين ، فعلى ماذا يحرص !

ولا يجوز أن يكون حسوداً لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد ، فكيف يحسد من هو دونه !

ولا يجوز أن يغضب لشئ من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل ، فإن الله عز وجل قد فرض عليه إقامة الحدود ، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا رأفة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل .

ولا يجوز له أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة ، لأن الله عز وجل حبب إليه الآخرة كما حبب إلينا الدنيا ، فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح ، وطعاماً طيباً لطعام مر ، وثوباً لينا لثوب خشن ، ونعمةً دائمةً باقية لدنيا زائلة فانية). انتهى. (ورواه في علل الشرائع:٢٠٤/١. وأمالي الصدوق ص ٧٣١: والخصال ص ٢١٥)

تهوكهم في الطعن بعصمة الأنبياءعليهم السلام

افترى اليهود على ابراهيمعليه السلام بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان ! وأخذ السنيون **ذلك منهم مع الأسف ! ففي قاموس الكتاب المقدس** ص٥٩٦:(وقد أدرك إبراهيم بالوحي والإلهام وجود إله واحد أبدي خالق السموات والأرض ، وسيد الكون . (سفر الكوين: ١٨: ١٩) وكان إيمان إبراهيم جديداً بالنسبة لأور التي كان يقيم فيها ، حيث كانت مركز عبادة القمر ، بل أن أبا إبراهيم نفسه كان يخدم آلهة أور الوثنية(سفر يشوع:٢:٢٤) .

واتهموا ابراهيمعليه السلام بأنه تزوج سارة وهي أخته ! فأخذوا ذلك منهم !

في قاموس الكتاب المقدس ص٩: (وقد عاش إبراهيم الجزء الأول من حياته مع

أبيه وإخوته في أور الكلدانيين ، وقد تزوج من ساري وكانت أخته بنت أبيه وليست بنت أمه ، كما نعرف ذلك من تك ٢٠: ١٢) !!

وافتروا عليه بأنه كذب ولم يقل إن سارة زوجته ! فأخذوها منهم !

في التوراة والإنجيل ص٢١ (موقع ArabicBible.com) :

(١٤. ولما اقترب أبرام من مصر استرعى جمال ساراي أنظار المصريين ، وشاهدها أيضاً رؤساء فرعون فأشادوا بها أمامه . ١٥. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون . ١٦. فأحسن إلى أبرام بسببها وأجزل له العطاء ، من الغنم والبقر والحمير والعبيد والإماء والأتن والجمال .

١٧. ولكن الرب ابتلى فرعون وأهله ببلايا عظيمة بسبب ساراي زوجة أبرام .

١٨. فاستدعى فرعون أبرام وسأله ماذا فعلت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها زوجتك؟

١٩. ولماذا ادعيت أنها أختك حتى أخذتها لتكون زوجة لي؟ والآن ها هي زوجتك ، خذها وامض في طريقك .

٢٠. وأوصى فرعون رجاله بأبرام فشيعوه وامرأته وكل ما كان يملك). !!

واتهموا نبي الله إسحاقعليه السلام بنفس التهمة ! فأخذها السنيون منهم !

في التوراة صفحة ٤٦: (٦. فأقام إسحاق في مدينة جرار ٧. وعندما سأله أهل المدينة عن زوجته قال: هي أختي ، لأنه خاف أن يقول: هي زوجتي لئلا يقتله أهل المدينة من أجل رفقة ، لأنها كانت رائعة الجمال . ٨. وحدث بعد أن طال مكوثه هناك ، أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أطل من النافذة ، فشاهد إسحاق يداعب امرأته رفقة . ٩. فاستدعاه إليه وقال: أنها بالحقيقة زوجتك ، فكيف قلت هي أختي ؟ فأجاب إسحق: لأني قلت: لعلي أقتل بسببها . ١٠. فقال أبي مالك: ما هذا الذي فعلت بنا ؟ لقد كان يسيراً على أي واحد من الشعب أن يضطجع مع

زوجتك فتجلب بذلك علينا إثماً . ١١. وأنذر أبيمالك كل الشعب قائلاً: كل من يمس هذا الرجل أو زوجته فحتماً يموت).

واتهموا إبراهيمعليه السلامبأنه طرد هاجر وابنها إسماعيلعليه السلام فأخذوها منهم !

في قاموس الكتاب المقدس ص٤٤٣: (وعندما بلغت سارة سن٨٩ ، جاءها الموعد بميلاد إسحاق الذي ولدته بعد سنة . وغيَّر الله اسم ساراي إلى سارة في ذلك الوقت ـ وقت الموعد). (تك ١٧: ١٥ ـ ٢٢ و ١٨: ٩ ـ ١٥ و ٢١: ١ ـ ٥).

وعندما فطم إسحاق أقام والداه وليمة عظيمة... ولاحظت سارة أن إسماعيل يمزح ، وقد قيل أنه كان يصوب سهامه على إسحاق مهدداً بقتله من باب التخويف ، فطلبت سارة من إبراهيم أن يطرد الجارية مع ابنها !

وقد ظن البعض أن ذلك كان قساوة وشراً من سارة ، غير أن البعض الآخر يعتقد أن سارة لم تطلب طرد هاجر إلا إلى الخيام الأخرى لإبراهيم والتي كان يقيم فيها عبيده الآخرون ، أي أن سارة منعت الجارية وابنها من السكن في خيمة السيد ، وجعلتها تأخذ مكانها كجارية فقط ، واختلفت الآراء في سارة ، ولكنها كانت في الحق مؤمنةً فاضلة ، وزوجةً أمينة وأما مثالية . وقد ماتت سارة وهي في سن ١٢٧ سنة ، بعد ولادة إسحاق بما يزيد على ٣٦ سنة ، ودفنها إبراهيم في حقل المكفيلة ، الذي اشتراه لهذا الغرض) .

وفي قاموس الكتاب المقدس ص٧٣: (وقد حثت سارة إبراهيم أن يأخذ أمتها زوجة لكي يعقب منها نسلاً ، لأن سارة كانت عاقراً (تك ١٦: ١ ـ ٤) وكان هذا النظام في الزواج معمولاً به في تلك الأزمنة . وقد دلت الإكتشافات على أنه كان موجوداً في (نوزي) بالقرب من كركوك في العراق أما هذا العمل من ناحية سارة فمصدره ضعف الإيمان بمواعيد الرب لإبراهيم وسارة بأن يكون لهما ابن !

وبعد أن حملت سارة نظرت إلى سيدتها باحتقار لأنها كانت عاقراً فطردتها سيدتها، ولاقاها ملاك الرب في الطريق وأمرها أن ترجع إلى سيدتها وإلى بيت إبراهيم ، ووعدها بأنها ستلد ابناً تسميه إسماعيل وأنه يكون أبا لجمهور من الناس ، وأنه سيسكن البرية كحمار وحشي . (تك ١٦: ٥ ـ ١٤)

وبعد أن رجعت هاجر ولدت إسماعيل لما كان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة ، وبعد أن كان له في أرض كنعان عشر سنين (تك ١٦: ٣ ـ ١٦) . وقد ختن إسماعيل في الثالثة عشرة من عمره. (تك ١٧: ٢٥) وهي السن التي يختن فيها الأولاد العرب في الوقت الحاضر .

وفي الوليمة التي أقيمت بمناسبة فطام إسحاق ، سَخِر إسماعيل من أخيه الصغير وكان إسماعيل حينئذ قد بلغ السادسة عشرة من عمره . فألحَّت سارة على إبراهيم أن يطرد هاجر وابنها فطردهما. (تك ٢١: ٨ ـ ١٤). فتاهت الأم وابنها في برية بئر سبع في جنوب فلسطين ، وكانا على وشك الهلاك من الظمأ . فأرى الله هاجر بئر ماء ووعدها ثانية بأن ابنها إسماعيل سيصير مصدر أمة عظيمة . ومنذ ذلك الحين سكن إسماعيل في برية فاران في جنوب فلسطين على حدود شبه جزيرة سيناء ، وأصبح ماهرا في استعمال القوس . وأخذت له أمه زوجة من بلادها ، من مصر . (تك ٢١: ١٥ ـ ٢١) وولد له اثنا عشر ابناً الذين أصبحوا آباء القبائل العربية (أنظر إسماعيليين) وولد له أيضاً ابنة اسمها محلة. (تك ٢٨: ٩) أو بسمة (تك ٣٦: ٣) وقد تزوجها عيسو . وقد اشترك إسماعيل مع إسحاق في دفن أبيهما إبراهيم في مَمْرا بالقرب من حَبْرون . (تك ٢٥: ٩). وقد مات إسماعيل بعد أن بلغ من العمر ١٣٧ سنة . (تك ٢٥: ١٧) .

واتهموا إبراهيم وبقية الأنبياء عليهم السلام بأنهم كانوا يشربون الخمر !

في قاموس الكتاب المقدس ص٧٧٦:(وقد أتقن القدماء الإعتناء بالكروم ووضع ملكي صادق خبزاً وخمراً إمام أبرام . (تك ١٤: ١٨)

وشرب لوط خمراً .(تك ١٩: ٣٣). وأحضر يعقوب خمراً لإسحاق . (تك ٢٧: ٢٥) وتنبأ يعقوب قبل موته بأن يهوذا يشتهر بتربية الكرم . (تك ٤٩: ١٢) .

وكان أولاد أيوب يشربون الخمر . (أي ١: ١٨) وندد صاحب الأمثال بمن يدمن الخمر.(أم ٢٣: ٣٠ و ٣١) وكذلك إشعياء النبي . (اش ٥: ١١) !!

وزعموا أن لوطاً سكن في سدوم اختلافه مع ابراهيم عليه السلام !

وفي التوراة والإنجيل ص٢٢(موقع ArabicBible.com): (٥. وكان للوط المرافق لأبرام غنم وبقر وخيام أيضاً . ٦. فضاقت بهما الأرض لكثرة أملاكهما فلم يقدرا أن يسكنا معاً . ٧. ونشب نزاع بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط ، في الوقت الذي كان فيه الكنعانيون والفرزيون يقيمون في الأرض . ٨ . فقال أبرام للوط: لايكن نزاع بيني وبينك ، ولابين رعاتي ورعاتك لأننا نحن أخوان ٩. أليست الأرض كلها أمامك ؟ فاعتزل عني . أن اتجهت شمالاً ، أتجه أنا يميناً ، وإن تحولت يميناً أتحول أنا شمالاً) .

ونسبوا الى سارة رضي الله عنها الظلم والقسوة !

في التوراة والإنجيل ص٢٦: (٤. فعاشر هاجر فحبلت منه . ولما أدركت أنها حامل هانت مولاتها في عينيها ، ٥. فقالت ساراي لأبرام: ليقع ظلمي عليك ، فأنا قد زوجتك من جاريتي، وحين أدركت أنها حامل هنتُ في عينيها . ليقض الرب بيني وبينك . ٦. فأجابها أبرام: ها هي جاريتك تحت تصرفك ، فافعلي بها ما يحلو لك . فأذلتها ساراي حتى هربت منها).

وفي التوراة ص٣٦: (٩. ورأت سارة أن ابن هاجر المصرية الذي أنجبته لإبراهيم

يسخر من ابنها إسحاق . ١٠. فقالت لإبراهيم: أطرد هذه الجارية وابنها ، فإن ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحاق . ١١. فقبح هذا القول في نفس إبراهيم من أجل ابنه . ١٢. فقال الله له: لايسوء في نفسك أمر الصبي أو أمر جاريتك ، واسمع لكلام سارة في كل ما تشير به عليك لأنه بإسحاق يدعى لك نسل . ١٣. وسأقيم من ابن الجارية أمَّةً أيضاً لأنه من ذريتك . ١٤. فنهض إبراهيم في الصباح الباكر وأخذ خبزاً وقربة ماء ودفعهما إلى هاجر ، ووضعهما على كتفيها ، ثم صرفها مع الصبي فهامت على وجهها في برية بئر سبع . ١٥. وعندما فرغ الماء من القربة طرحت الصبي تحت إحدى الأشجار ١٦. ومضت وجلست مقابله ، على بعد نحو مئة متر ، لأنها قالت: لا أشهد موت الصبي . فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت . ١٧. وسمع الله بكاء الصبي ، فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما الذي يزعجك يا هاجر ؟ لا تخافي لأن الله قد سمع بكاء الصبي من حيث هو ملقى . ١٨. قومي واحملي الصبي ، وتشبثي به لأنني سأجعله أمة عظيمة . ١٩. ثم فتح عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبي . ٢٠. وكان الله مع الصبي فكبر، وسكن في صحراء فاران ، وبرع في رمي القوس. ٢١. واتخذت له أمه زوجة من مصر).

واتهموا نبي الله هارون وموسى عليهما السلام بالشرك والمعاصي !

في قاموس الكتاب المقدس ص٩٩٥: (غير أن هارون أظهر ضعف إيمان في حالات كثيرة ، وكان أولها لما تأخر موسى وهو على الجبل مع الرب . فقد ضج الشعب وارتد عن طاعة الله ، وطلب إلى هارون أن يصنع له تماثيل آلهة ليعبدها . فصنع هارون عجل الذهب وبنى له مذبحاً (خر ص ٣٢) . ومع هذا غفر الله له خطأه وأمر برسمه هو وذريته كهنة على بني إسرائيل.(خر ٤٠: ١٢ ـ ١٥). وبذلك تأسست الكهانة اللاوية ، وأصبح هارون أول رئيس كهنة ...

وكان الله كثير الإحسان لهارون بالرغم من أخطائه . وكانت آخر أخطائه أنه لم يقدس الرب إمام بني إسرائيل ، لا هو ولا موسى ، في أواخر رحلة بني إسرائيل إلى فلسطين وحينما شعر الشعب بالظمأ أمام قادش ، فأمر الله بعقابهما ، بمنعهما من دخول فلسطين ، أي بموتهما قبل الوصول إليها . (عد ٢٠: ١ ـ ١٣) وغادر بنو إسرائيل قادش وأتوا إلى جبل هور، فأمر الرب موسى أن يأخذ هارون وابنه ألعازار ، ويصعد بهما إلى الجبل وهناك يخلع ثياب هارون الكهنوتية ويلبسها لابنه ولما نفذ هارون ذلك مات هارون ، وانضم إلى آبائه وبكاه قومه ثلاثين يوماً . (عد ٢٠: ٢٢ ـ ٢٩ و٣٣: ٣٧ ـ ٣٩ وتث ١٠: ٦). وكان عمره عند وفاته مئة وثلاث وعشرين سنة . ولا يزال أثر المكان الذي مات فيه محفوظاً إلى اليوم على إحدى قمتي جبل هور بالقرب من بترا . وسمي هارون (قدس الرب) . (مز ١٠٦: ١٦) وكان اليهود المتأخرون يحفظون ذكراه بإكرام وهم يصومون تذكاراً له في اليوم الأول من شهر آب . وظلت رئاسة الكهنوت عند العبرانيين في بيت هارون إلى دمار أورشليم والهيكل في سنة ٧٠ م) .

واتهموا أنبيائهم عليهم السلام بالحِيَل والدَّجل والبلاهة !

في التوراة والإنجيل ص٤٧:(٢٧ـ ١. ولما شاخ إسحاق وضعف بصره استدعى ابنه الأكبر عيسو وقال له: يا بني ٢. ها أنا قد شخت ولست أعرف متى يحين يوم وفاتي. ٣. فالآن خذ عدتك:جعبتك وقوسك ، وامض إلى البرية واقتنص لي صيداً . ٤. وجهز لي طعاماً شهياً كما أحب وائتني به لآكل ، لتباركك نفسي قبل أن أموت . ٥. وسمعت رفقة حديث إسحاق لابنه عيسو . فعندما انطلق عيسو إلى البرية ليصطاد صيداً ويأتي به . ٦. قالت رفقة لابنها يعقوب: سمعت أباك يقول

لعيسو أخيك ٧. إقتنص لي صيداً ، وجهز لي أطعمة شهية لآكل وأباركك إمام الرب قبل موتي . ٨ . والآن يا بني أطع قولي في ما آمرك به ، ٩. واذهب إلى قطيع الماشية ، واختر جديين لأجهز لأبيك أطعمة شهية كما يحب ١٠. تقدمها لأبيك ليأكل ، فيباركك قبل وفاته . ١١. فقال يعقوب لرفقة أمه: أخي عيسو رجل أشعر ، وأنا رجل أملس . ١٢. وقد يجُسُّني أبي فيتبين خداعي ، وأستجلب على نفسي لعنة لا بركة . ١٣. فقالت له أمه: لعنتك عليَّ يا بنيَّ ، فأطع قولي فقط ، واذهب وأحضر الجديين لي . ١٤. فذهب واختارهما وأحضرهما لأمه ، فأعدت رفقة الأطعمة المطيبة كما يحب أبوه ١٥. وتناولت ثياب بكرها عيسو الفاخرة الموجودة عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر ١٦. وكذلك غطت يديه وملاسة عنقه بجلد الجديين . ١٧. وأعطته ما أعدته من الأطعمة الشهية والخبز . ١٨. فأقبل على أبيه وقال: يا أبي . فأجابه: نعم يا ابني من أنت ؟ ١٩. فقال يعقوب: أنا عيسو بكرك وقد فعلت كما طلبت ، والآن قم واجلس وكل من صيدي حتى تباركني.٢٠. فقال إسحق: كيف استطعت أن تجد صيداً بمثل هذه السرعة يا ولدي؟ فأجابه: لأن الرب إلهك قد يسر لي ذلك . ٢١. وقال إسحق: إقترب مني لأجسك يا ابني لأرى أن كنت حقاً ابني عيسو أم لا . ٢٢. فدنا يعقوب من أبيه إسحاق فجسه وقال: الصوت صوت يعقوب ، أما اليدان فهما يدا عيسو . ٢٣. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي أخيه عيسو ، فباركه !!

٢٤. وسأل: هل أنت ابني عيسو ؟ فأجاب: أنا هو . ٢٥. ثم قال: قدم لي من صيدك حتى أكل وأباركك . فأحضر يعقوب إليه الطعام فأكل ثم قدم له خمراً فشرب ! ٢٦. فقال له إسحاق أبوه: تعال وقبلني يا ولَدي . ٢٧ فاقترب منه وقبله ، فتنسم رائحة ثيابه وباركه قائلاً: ها أن رائحة ابني كرائحة حقل باركه الرب ، ٢٨.

فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض ، فيكثر لك الحنطة والخمر . ٢٩. لتخدمك الشعوب ، وتسجد لك القبائل ، لتكن سيداً على إخوتك . وبنو أمك لك ينحنون . وليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين .

٣٠. ولما فرغ إسحاق من مباركة يعقوب ، وخرج يعقوب من عند أبيه ، رجع عيسو من صيده ، ٣١. فجهز هو أيضاً أطعمة طيبة وأحضرها إلى أبيه وقال: ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه فتباركني نفسك . ٣٢. فقال إسحق: من أنت ؟ فأجابه: أنا ابنك بكرك عيسو ٣٣. فارتعد إسحاق بعنف وقال: من هو إذا الذي اصطاد صيداً وأحضره إليَّ فأكلت من الكل قبل أن تجئ ، وباركته ؟ وحقاً يكون مباركاً. ٣٤. فما أن سمع عيسو كلام أبيه حتى أطلق صرخة هائلة ومُرَّةً جداً ، وقال: باركني أنا أيضاً يا أبي . ٣٥. فأجاب: لقد مكر بي أخوك وسلب بركتك ! ٣٦. فقال: ألم يدع اسمه يعقوب ؟ لقد تعقبني مرتين: أخذ بكوريتي ، وها هو يسلبني الآن بركتي . ثم قال: أما احتفظت لي ببركة ؟ ٣٧. فأجاب إسحق: لقد جعلته سيداً لك وصيرت جميع إخوته له خداماً ، وبالحنطة والخمر أمددته . فماذا أفعل لك الآن يا ولدي ؟ . ٣٨. فقال عيسو: ألك بركة واحدة فقط يا أبي؟ باركني أنا أيضاً يا أبي . وأجهش عيسو بالبكاء بصوت عال . ٣٩. فأجابه أبوه: ها مسكنك يكون في أرض جدباء لايهطل عليها ندى السماء . ٤٠. بسيفك تعيش ولأخيك تكون عبداً ولكن حين تجمح تحطم نيره عن عنقك .

٤١. وحقد عيسو على يعقوب من أجل ما ناله من بركة أبيه . فناجى نفسه: قريباً يموت أبي ، وبعدئذ أقتل أخي يعقوب . ٤٢. فبلغ رفقة وعيد عيسو ابنها الأكبر ، فأرسلت واستدعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له: عيسو يخطط لقتلك . ٤٣. والآن يا ابني إصغ لقولي، وقم اهرب إلى أخي لابان إلى حاران. ٤٤ وامكث

عنده أياماً قلائل ريثما يهدأ سخط أخيك . ٤٥. ومتى سكن غضبه ونسي ما صنعت به ، عندئذ أبعث إليك لتعود من هناك) !!

وافتروا على سليمانعليه السلامأنه أشرك بالله تعالى:

في التوراة ص ٥٥٤: (٩. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين. ١٠. وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب . ١١. فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها ، فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك). انتهى.

أقول: لهذا العمل اليهودي دلالاتٌ خطيرةٌ ، ونتائجُ واسعةٌ في عقائدهم وحياتهم، سواءً في تعاملهم مع ربهم وأنبيائهمعليهم السلام ، أو مع الشعوب الأخرى !

فهو يكشف سبب التعقيد في اليهود ، الذي تحول من حالة في الشخص اليهودي المنحرف ، الى صفة في الجماعة اليهودية كلها ، إلا من عصم الله .

فليس المهم عند اليهودي عبادة ربه وطاعته ، بل المهم أن يستعمل الحيَل مع ربه لحماية نفسه منه ، وكسب ما يمكنه منه !

وإذا كان رب العالمين معاذ الله كذلك ، وكان الأنبياءعليهم السلامجماعة أنانيين شهوانيين ، يسيؤون استعمال السلطة والبركة التي أعطاهم إياها ! فماذا عسى أن يكون اليهودي العادي ؟!!

وهو يكشف منشأ نظرتهم الدونية الى أنفسهم فضلاً عن غيرهم ، فعقيدة أنهم شعب الله المختار لاتقلل من عقيدة الدونية ، بل هي ترفقها ! فما دام أنبياء هذا الشعب سيؤون ذميمون ، فصفات عامة الشعب أحطُّ منها وأسوأ !

ومن كانت هذه عقيدته في أنبيائه عليهم السلام ونفسه، فلا عجب أن تكون نظرته الى بقية شعوب العالم بأنهم حمير خلقهم الله ليركبهم أبناء الشعب اليهودي ؟!

كما أنه يكشف سبب حرصهم على نشر النظرة الدونية الى الإنسان في العالم ، التي تزعم أن الإنسان حيوان يحركه الجنس لا أكثر !

ولذا كان دارون وفرويد اليهوديان أبطالاً قوميين عند اليهود ! لابتكارهما نظريات تساعد في تركيز النظرة اليهودية في ثقافة شعوب العالم !

وأخيراً ، فإنا بذلك نضع يدنا على فعالية أحبار يهود المدينة وخيبر والشام واليمن ، ونابغتهم كعب الأحبار ، في تخريب عقيدة المسلمين في صفات الله تعالى والطعن في عدالته ، ونفيهم لعصمة الأنبياء عليهم السلام ، وخاصة نبينا صلى الله عليه وآله فإن أول هدف وأهمه عند اليهودي أن يجعلك مثله تنتقد الله تعالى ورسله ، وتطول لسانك عليهم ، فبذلك تقف معه على الطريق الذي يريده لك !

راجع ماكتبناه في(المجلد الأول ص٤٨٥) عن دور كعب في تخريب عقائد المسلمين وزرع اليأس في نفوسهم من المستقبل ، وزعمه حتمية انتهاء الإسلام وفناء أمته ، وهدم الكعبة وخراب مكة ، خراباً لاتسكن بعده أبداً !

البخاري يتبنى التهوك والطعن في عصمة الأنبياء عليهم السلام !

قال العلامة الحلي رحمه الله في نهج الحق وكشف الصدق ص ١٥٩:

(ذهبت الإمامية إلى أن النبي صلى الله عليه وآله يجب أن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات ، بريئاً من الرذائل والأفعال الدالة على الخسة ، كالإستهزاء به والسخرية والضحك عليه ، لأن ذلك يسقط محله من القلوب ، وينفِّر الناس عن الإنقياد إليه فإنه من المعلوم بالضرورة الذي لايقبل الشك والإرتياب .

وخالفت السنة فيه: أما الأشاعرة فباعتبار نفي الحسن والقبح ، فلزمهم أن يذهبوا إلى جواز بعثة ولد الزنا المعلوم لكل أحد ، وأن يكون أبوه فاعلاً لجميع أنواع الفواحش وأبلغ أصناف الشرك ! وهو ممن يُسخر به ويُضحك عليه ويُصفع في الأسواق ويُستهزأ به ، ويكون قد ليط به دائماً لأبنة فيه ، قواداً ، وتكون أمه في غاية الزنا والقيادة والإفتضاح بذلك ، لا تردُّ يدَ لامس ! ويكون هو في غاية الدناءة والسفالة ، ممن قد ليط به طول عمره ، حال النبوة وقبلها، ويصفع في الأسواق ، ويعتمد المناكير ، ويكون قواداً بصاصاً . فهؤلاء يلزمهم القول بذلك حيث نفوا التحسين والتقبيح العقليين ، وأن ذلك ممكنٌ فيجوز من الله وقوعه، وليس هذا بأبلغ من تعذيب الله من لايستحق العذاب ، بل يستحق الثواب طول الأبد !

وأما المعتزلة ، فلأنهم جوَّزوا صدور الذنب عنهم عليهم السلام، لزمهم القول بجواز ذلك أيضاً ، واتفقوا على وقوع الكبائر منهم ، كما في قصة إخوة يوسف !

فلينظر العاقل بعين الإنصاف: هل يجوز المصير إلى هذه الأقاويل الفاسدة ، والآراء الردية؟ وهل يبقى مكلفٌ ينقاد إلى قبول قول من كان يفعل به الفاحشة طول عمره إلى وقت نبوته؟ وأنه يصفع ويستهزأ به حال النبوة؟! وهل يثبت بقول هذا حجة على الخلق ؟!

واعلم أن البحث مع الأشاعرة في هذا الباب ساقط ، وأنهم إن بحثوا في ذلك استعملوا الفضول ، لأنهم يجوزون تعذيب المكلف على أنه لم يفعل ما أمره الله تعالى به ، من غير أن يعلم ما أمره به ، ولا أرسل إليه رسولاً البتة ! بل وعلى امتثال أمره به ، وإن جميع القبائح من عنده تعالى ! وإن كل ما وقع في الوجود فإنه فعله تعالى وهو حسن ! لأن الحسن هو الواقع والقبيح هو الذي لم يقع .

فهذه الصفات الخسيسة في النبي وأبويه تكون حسنة ، لوقوعها من الله تعالى ، فأي مانع حينئذ من البعثة باعتبارها ؟!

فكيف يمكن للأشاعرة منع كفر النبي عليه السلام وهو من الله ، وكل ما يفعله تعالى فهو حسن ! وكذا أنواع المعاصي ! وكيف يمكنهم مع هذا المذهب التنزيه للأنبياء عليهم السلام ؟! نعوذ بالله من مذهب يؤدي إلى تحسين الكفر وتقبيح الإيمان ، وجواز بعثة من اجتمعت فيه كل الرذائل والسقطات . وقد عرفت من هذا أن الأشاعرة في هذا الباب ، قد أنكروا الضروريات !). انتهى.

أقول: لو أخذنا البخاري مثالاً لوجدناه يطعن في عصمة الأنبياء عليهم السلام ! وقد استوفينا ذلك في المجلد الخامس من كتاب العقائد الإسلامية :

فقد نسب البخاري الى نبي الله إبراهيم عليه السلام في:١١٢/٤و١١٣، وكرر ذلك في:١٢١/٦، أنه كذب ثلاث كذبات، اثنتان لله ، وواحدة لغير الله! قال: (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل ، قوله: إِنِّي سَقِيمٌ ، وقوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ! وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه ؟ قال: أختي) !

وزعم في:٢٢٦/٥: أن ابراهيم عليه السلام يستحي من ربه يوم القيامه أن يشفع للناس بسبب كذباته الثلاث! وكرر ذلك في:٢٢٥/٥و:٢٠٣/٧و:١٧٢/٨و١٨٣،و١٩٢،و٢٠١ !!

ونسب البخاري الى نبي الله موسى عليه السلام غضوبٌ بطَّاش!

روى في:٩٢/٢ ، ما يقوله اليهود حرفياً في نبي الله موسى عليه السلام ووضعه على لسان نبينا صلى الله عليه وآله ، مثل أن موسى عليه السلام كان قوي الشخصية والبدن وقد غضب على ملك الموت ولطمه ففقأ عينه وأرسله الى السماء أعور باكياً شاكياً ! فعالجه الله تعالى

وأعاده ليقبض روح موسىعليه السلام! واحتاج عزرئيل الى استعمال الحيلة مع موسى عليه السلامفأعطاه تفاحة مسمومة ، فشمها موسى فمات !!

قال البخاري: (باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة... أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه ! فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لايريد الموت ! فرد الله عز وجل عليه عينه وقال: إرجع فقل له يضع يده على متن ثور ، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة ، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت . قال: فالآن . فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، قال قال رسول الله (ص) فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر) ! وكرر البخاري هذا الحديث المزعوم في:١٣٠/٤، فقال: (باب وفاة موسى وذكره بعد ... (كذا) ! وحذف منه جملة (ففقأ عينه) ، التي أثبتها مسلم :٩٩/٧ !!

قال ابن حجر في فتح الباري:٣١٥/٦: (صكه: أي ضربه على عينه ، وفي رواية همام عن أبي هريرة عند أحمد ومسلم: جاء ملك الموت إلى موسى فقال أجب ربك ، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها !

وفي رواية عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عند أحمد والطبري:كان ملك الموت يأتي الناس عياناً فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه..... وفي رواية عمار: فقال يا رب عبدك موسى فقأ عيني ، ولولا كرامته عليك لشققت عليه) !!

ونسب البخاري الى نبي الله موسىعليه السلامأنه ركض عارياً وراء ثيابه !

روى البخاري قصة (ثوبي حجر) التي يزعم فيها اليهود أن نبي الله موسىعليه السلام كان يغتسل. ووضع ثيابه على حجر ، فركض الحجر هارباً بثيابه ، وركض موسى وراءه عارياً ، ورآه بنو إسرائيل ! فغضب موسى على الحجر وأخذ ثيابه منه وضربه بعصاه !

وزعموا أن ذلك كان بتدبير الله تعالى لكي يبرئ موسى عليه السلام من اتهام بني إسرائيل لموسى عليه السلام بأن له أُدْرَة ! وكأن تبرئة الله تعالى لنبيه عليه السلام لاتتم إلا بإهانته!

قال البخاري:١٢٩/٤: (فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعضاه ! فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً). انتهى .

وكرره البخاري هذا الحديث على عادته بمثله أو بنحوه في:٢٨/٦ و:٧٣/١ !

ونسب البخاري الى نبي الله سليمان عليه السلام مفرط في الجنس، معرض عن الذكر!

روى في:٢٠٩/٣ عن سليمان عليه السلام: (قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين ، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ! فقال له صاحبه: قل إن شاء الله ، فلم يقل إن شاء الله ! فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل! والذي نفس محمد بيده لوقال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون) ! وكرره البخاري بنحوه: ١٣٦/٤ و: ١٦٠/٦ !

كما تبنى البخاري رواية اليهود واتهامهم لداود عليه السلام! قال في:١٣٤/٤: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ... إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ... يقال للمرأة نعجة، ويقال لها أيضاً شاة ... الخ .) ! وبذلك تبنى كل إسرائيليات السلطة لأنهامبينة على أن المقصود بتسع وتسعين نعجة: تسعٌ وتسعون امرأة!!

ونسب البخاري الى الأنبياءعليهم السلام أنهم عصبيون كما فعلت التوراة !

فالأنبياءعليهم السلام عنده غير معصومين عن الغضب المفرط انتقاماً لأنفسهم! حيث روي حديثين في أن نبياً قرصته نملة ، فغضب وأحرق قرية النمل بالنار ، قال في:٢٢/٤: (قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه إن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله) وكرره البخاري في: ١٠٠/٤ !!

وفضل البخاري عيسىعليه السلام على نبيناصلى الله عليه وآله !

وقد روى ذلك مرة واحدة ، ربما لأنها رواية مسيحية وليست إسرائيلية !

قال في:٩٤/٤: (قال النبي(ص): كل بني آدم يَطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد ، غير عيسى بن مريم ، ذهب يطعن فطعن في الحجاب) !! انتهى.

أما تفسير هذا الحديث المزعوم ، فيعرفه البخاري والقساوسة ، فما معنى أن الشيطان يطعن في جنبه ، وهل بهذه الطعنة بالإصبع يتسلط عليه ؟

وما معنى أنه أراد أن يطعن في جنبيَّ عيسىعليه السلام فذهبت طعنة إصبعه في الحجاب، ولم تصل الى جنبيٍّ عيسى ، ووقعت في الحجاب والستر الذي اتخذته مريم؟! ولماذا خص الله به عيسى من دون الرسل والبشر حتى نبيناصلى الله عليه وآله ؟!

أما مصادرنا فتبرئ جميع الأنبياءعليهم السلام من الظلم والمعصية

ونكتفي هنا بالرواية الصحيحة لقصة ابراهيمعليه السلام وموضع الباقي في الدفاع عن الأنبياءعليهم السلام، ورد طعونهم في عصمتهم: فقد روى الكليني في الكافي:٣٧٠/٨: (عن الإمام الصادقعليه السلام قال: إن إبراهيمعليه السلام كان مولده بكوثى ربا وكان أبوه من أهلها وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة وورقة ـ وفي نسخة رقية ـ أختين وهما ابنتان للاحج ، وكان لاحج نبياً منذراً ولم يكن رسولاً ، وكان إبراهيم عليه السلام في

شبيبته على الفطرة التي فطر الله عز وجل الخلق عليها حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباه ، وإنه تزوج سارة ابنة لاحج وهي ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة وكانت قد ملَّكت إبراهيمعليه السلام جميع ما كانت تملكه ، فقام فيه وأصلحه ، وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثى ربارجل أحسن حالاً منه.

وإن إبراهيمعليه السلام لما كسر أصنام نمرود أمر به نمرود فأوثقه وعَمل له حيراً وجمع له فيه الحطب وألهب فيه النار ، ثم قذف إبراهيمعليه السلام في النار لتحرقه ، ثم اعتزلوها حتى خمدت النار ، ثم أشرفوا على الحير فإذا هم بإبراهيمعليه السلام سليماً مطلقاً من وثاقه ، فأخبر نمرود خبره فأمرهم أن ينفوا إبراهيمعليه السلام من بلاده ، وأن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله ، فحاجَّهم إبراهيمعليه السلام عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي فإن حقي عليكم أن تردوا عليَّ ما ذهب من عمري في بلادكم ! واختصموا إلى قاضي نمرود فقضى على إبراهيمعليه السلام أن يسلم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم ، وقضى على أصحاب نمرود أن يردوا على إبراهيم عليه السلام ما ذهب من عمره في بلادهم ! فأخبر بذلك نمرود ، فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ماشيته وما له وأن يخرجوه ، وقال: إنه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضر بآلهتكم ، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه صلى الله عليهما من بلادهم إلى الشام ، فخرج إبراهيم ومعه لوط لايفارقه وسارة ، وقال لهم: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ، يعني بيت المقدس ، فتحمل إبراهيمعليه السلام بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشد عليها الأغلاق غيرةً منه عليها ، ومضى حتى خرج من سلطان نمرود وصار إلى سلطان رجل من القبط يقال له: عرارة ، فمر بعاشر له فاعترضه العاشر ليُعَشِّر ما معه ، فلما انتهى إلى العاشر ومعه التابوت ، قال العاشر

لإبراهيم عليه السلام: إفتح هذا التابوت حتى نُعَشِّر ما فيه ، فقال له إبراهيم عليه السلام: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة ، حتى نعطي عُشره ولا نَفتحه ، قال: فأبى العاشر إلا فتحه ، قال: وغضب إبراهيم عليه السلام على فتحه ، فلما بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال قال له العاشر: ما هذه المرأة منك ؟ قال إبراهيم عليه السلام: هي حرمتي وابنة خالتي ، فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبيتها في هذا التابوت ؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرةُ عليها أن يراها أحد ، فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك ، قال: فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه ، فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت ، فأتوا ليذهبوا به فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إني لست أفارق التابوت حتى تفارق روحي جسدي ، فأخبروا الملك بذلك فأرسل الملك أن احملوه والتابوت معه ، فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى أدخل على الملك فقاله له الملك: إفتح التابوت ، فقال إبراهيم عليه السلام: أيها الملك إن فيه حرمتي وابنة خالتي وأنا مفتدٍ فتْحَهُ بجميع ما معي!

قال: فغضب الملك إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مد يده إليها فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه عنها وعنه غيرةً منه ، وقال: اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه!

فقال له الملك: أن إلهك الذي فعل بي هذا ؟ فقال له: نعم ، أن إلهي غيور يكره الحرام وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام !

فقال له الملك: فادع إلهك يرد عليَّ يدي ، فإن أجابك لم أعرض لها ، فقال: إبراهيم عليه السلام: إلهي رُدَّ عليه يده ليكف عن حرمتي.

قال: فردَّ الله عز وجل عليه يده ، فأقبل الملك نحوها ببصره ثم أعاد بيده نحوها فأعرض إبراهيم عليه السلام عنه بوجهه غيرةً منه وقال: اللهم احبس يده عنها ، قال:

فيبست يده ولم تصل إليها !! فقال الملك لابراهيمعليه السلام: أن إلهك لغيور وإنك لغيور ، فادع إلهك يرد عليَّ يدي فإنه أن فعل لم أعد .

فقال له إبراهيمعليه السلام: أسأله ذلك على إنك أن عدت لم تسألني أن أسأله ، فقال الملك: نعم ، فقال إبراهيمعليه السلام: اللهم إن كان صادقاً فردَّ عليه يده ، فرجعت إليه يده ! فلما رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى ، ورأى الآية في يده عظَّمَ إبراهيم عليه السلاموهابه وأكرمه واتقاه وقال له: قد أمِنْتَ من أن أعرض لها ، أو لشئ مما معك فانطلق حيث شئت ، ولكن لي إليك حاجة ، فقال إبراهيمعليه السلام: ماهي؟ فقال له: أحب أن تأذن لي أن أخدمها قبطية عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً ، قال: فأذن له إبراهيمعليه السلامفدعا بها فوهبها لسارة ، وهي هاجر أم إسماعيلعليه السلامفسار إبراهيم عليه السلامبجميع مامعه ، وخرج الملك معه يمشي خلف إبراهيمعليه السلامإعظاماً لابراهيم عليه السلاموهيبةً له ، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أن قف ولا تمش قدام الجبار المتسلط ويمشي هو خلفك، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه وعظمه وهبه، فإنه مسلط ولا بد من إمرة في الأرض برة أو فاجرة، فوقف إبراهيمعليه السلام وقال للملك: إمض، فإن إلهي أوحى إليَّ الساعة أن أعظمك وأهابك، وأن أقدمك أمامي وأمشي خلفك إجلالاً لك ، فقال له الملك: أوحى إليك بهذا ؟ فقال له إبراهيمعليه السلام: نعم ، فقال له الملك: أشهد أن إلهك لرفيق حليم كريم ، وأنك ترغبني في دينك ، قال: وودعه الملك فسار إبراهيمعليه السلامحتى نزل بأعلى الشامات ، وخلَّف لوطاً في أدنى الشامات .

ثم إن إبراهيمعليه السلاملما أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعتني هاجر لعل الله أن يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً ، فابتاع إبراهيمعليه السلامهاجر من سارة ، فوقع عليها فولدت إسماعيلعليه السلام) .

وفي الكافي:٢٠١/٤:(عن الإمام الصادقعليه السلام قال: لما ولد إسماعيل حمله إبراهيم وأمه على حمار وأقبل معه جبرئيل حتى وضعه في موضع الحِجْر ، ومعه شئ من زاد وسقاء فيه شئ من ماء ، والبيت يومئذ ربوةٌ حمراء من مَدَر فقال إبراهيم لجبرئيلعليهما السلام: هاهنا أمرت ؟ قال: نعم .

قال: ومكة يومئذ سَلَمٌ وسَمَر ، وحول مكة يومئذ ناسٌ من العماليق) .

اتهامهم الأنبياءعليهم السلام بارتكاب المعاصي حتى في تبليغ رسالة ربهم !

فقد صرح بعضهم بأن الأنبياءعليهم السلام يعصون ربهم حتى في تبليغ الرسالة ، لكن الله تعالى يصحح لهم ما عصوا فيه ، ويتوبون من معصيتهم !

قال ابن تيمية في منهاج سنته:٤٠٠/٢: (والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها ، وحينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كمالهم ، فإن الأعمال بالخواتيم . مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم في تقرير هذا الأصل !

فالمنكرون لذلك يقولون في تحريف القرآن ما هو من جنس قول أهل البهتان ، ويحرفون الكلم عن مواضعه) . انتهى.

ومقصود ابن تيمية بالجمهور ، أتباع المذاهب السنية ، وتعبيره بالصغائر لكي يجعل آيات الغرانيق الشيطانية التي افتروها على النبيصلى الله عليه وآله وصحح هو روايتها ودافع عنها ، من المعاصي الصغيرة ! مع أنها خيانةٌ للوحي ، وكفرٌ بالله العظيم ، وعبادةٌ للأصنام وسجودٌ لها !

وهذا الكلام من أصله باطل ، لأنه يستوجب سلب الثقة بكل كلام النبيعليه السلام! فما دام قد يخطئ أو يخون الرسالة ويبلِّغ الكفرَ بدلَ التوحيد ! فلا ينفع بعد ذلك

أن الله تعالى لايقره على الخطأ ، وأنه ينبهه بعد مدة فيقول النبي للناس إن الشئ الفلاني الذي بلغتكم إياه كان خطأ مني أو من شيطاني ، وقد نبهني اليه جبرئيل وتاب الله عليَّ ! فخذوا الصحيح ودعوا الخطأ !

فمن أين يثق الناس بأن هذا البديل الذي بلغه الآن ليس منه أو من الشيطان كسابقه ؟! فإن من وقع في خطيئة مرة يمكن أن يقع فيها مئة مرة ، ومن خان الوحي مرة ، قد يخونه مئة مرة !!

○ ○

الأسئلة

١ ـ بماذا تفسرون تميز مذهب أهل البيت عليهم السلام بالقول بالعصمة التامة للأنبياء عليهم السلام مخالفاً بذلك اليهود وكافة المذاهب الرسمية عند الخلافة ؟!

٢ ـ هل توافقوننا على عصمة الأنبياء عليهم السلام عصمة تامة شاملة ، أم لا ؟ وإن كنتم ترون أنهم معصومون في التبليغ فقط ، فهل تردُّون روايات البخاري وغيره ، التي تقول إن النبي صلى الله عليه وآله أخطأ وعصى ربه في التبليغ ، في قصة الغرانيق وغيرها ؟!

٣ ـ تقولون إن النبي صلى الله عليه وآله قد يعصي ويخطئ ، لكن الله تعالى ينبهه ولا يقره على الخطأ ، وقد رويتم أنه صلى الله عليه وآله أخطأ في النهي عن تأبير النخل ، وأن الله لم ينبهه الله تعالى حتى خرب الموسم وخرج التمر شيصاً ، فما قولكم في هذه الروايات الصحيحة عندكم ؟!

٤ ـ استدل الشيعة على عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بأدلة العقل ، وأن الله تعالى يستحيل أن يوجب على العباد طاعة غير المعصوم . واستدلوا بآيات القرآن مثل قوله تعالى: وَإِذِ ابْتَلَى إبراهيم رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً

قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لايَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ . (البقرة ـ ١٢٤)، التي دلت على أن الإمامة والنبوة عهدٌ إلهي لاينال ظالماً، سواء في الماضي أو الحاضر.. الخ. فما رأيكم ؟!

٥ ـ ما هو الفرق بين عقيدتكم في الأنبياء عليهم السلام وبين عقيدة اليهود فيهم، وهل ترون أنه من باب الصدفة أن المصادر السنية تنسب الى الأنبياء عليهم السلام كل ما نسبته اليهم روايات بني إسرائيل ! أم تقرون بتأثير المتهوكين والأحبار، الذين أطلقت الخلافة أيديهم في ثقافة المسلمين ؟!

٦ ـ هل تنسبون الى إبراهيم صلى الله عليه وآله أنه كان يعبد الأصنام والنجوم، ثم صار موحداً؟ وهل تقبلون أنه تزوج أخته ! وانه خاف أن يقتله الملك ليأخذ زوجته سارة إن قال هذه زوجتي، فقال هذه أختي !! وهل تقبلون بما نسبته التوراة والإسرائيليات الى سارة عليها السلام ؟!

٧ ـ هل تقبلون مانسبته التوراة الى إبراهيم وبنيه وموسى وهارون عليهم السلام ؟!

٨ ـ ما رأيكم في إشكال العلامة الحلي على الأشعريين بقوله: (أما الأشاعرة فباعتبار نفي الحسن والقبح، فلزمهم أن يذهبوا إلى جواز بعثة ولد الزنا لمعلوم لكل أحد، وأن يكون أبوه فاعلاً لجميع أنواع الفواحش وأبلغ أصناف الشرك ! وهو ممن يُسخر به ويُضحك عليه ويُصفع في الأسواق ويُستهزأ به، ويكون قد ليط به دائماً لأبنة فيه، قواداً، وتكون أمه في غاية الزنا والقيادة والإفتضاح بذلك لا تردُّ يدَ لامس)!! ؟!

وفي إشكاله على المعتزلة بقوله: (وأما المعتزلة، فلأنهم جوَّزوا صدور الذنب عنهم عليهم السلام، لزمهم القول بجواز ذلك أيضاً، واتفقوا على وقوع الكبائر منهم، كما في قصة إخوة يوسف) ؟!

٩ ـ هل توافقون على رواية البخاري بأن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات ؟! قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله: إِنِّي سَقِيمٌ) (:١١٢/٤و١١٣)؟!

١٠ ـ هل تقبلون رواية البخاري بأن نبي الله موسى عليه السلام قد فقأ عين ملك الموت ، وأنه ركض عارياً أمام الناس وراء ثوبه ؟!

١١ ـ هل تقبلون رواية البخاري عن نبي الله سليمان عليه السلام وأنه رفض أن يول(إن شاء الله)؟!

١٢ ـ هل تقبلون روايته في:٢٢/٤: (قرصت نملة نبياً من الأنبياء عليهم السلام فأمر بقرية النمل فأحرقت) ؟!

١٣ ـ وتفضيله نبي الله عيسى عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء عليهم السلام فيما نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:(كل بني آدم يَطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد ، غير عيسى بن مريم)؟!

١٤ ـ ما رأيكم في روايتنا المتقدمة في الكافي:٣٧٠/٨عن الإمام الصادق عليه السلام في تنزيه إبراهيم عليه السلام ؟!

١٥ ـ ما رأيكم في قول ابن تيمية في منهاج سنته:٤٠٠/٢: (والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها ، والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها)؟!

○ ○



الفصل العشرون

قرشيات البخاري في الطعن نبينا صلى الله عليه وآله أسوأ من الإسرائيليات

المسألة: ١٣٨

مقارنة بين مقام نبيناﷺ في مذهب أهل البيت الطاهرينؑ وغيره

نعتقد نحن الشيعة بأن نبيناﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم ، وأنه أفضل مخلوقات الله تعالى، وقد صح عندنا أن الله تعالى خلق نور النبي وأهل بيتهﷺ قبل خلق الخلق ، وأنه معصوم قبل البعثة وبعدها ، عن الكبائر والصغائر ، وعن كل ما يشين شخصيته ، أو ينافي مقامه العظيم .

ونعتقد أن حرمتهﷺ ميتاً كحرمته حياً،وأنه يسمع السلام ويرد الجواب، ونعتقد باستحباب زيارة قبره الشريف والتوسل به ، والتبرك بقبره وبآثاره ، والصلاة عند قبره، وفي البقاع التي صلى فيها ، أو جلس فيها ، وباستحباب تشييد قبره وإعماره وتجليلهﷺ . . . الخ .

أما السنيون فقد رووا في مصادرهم أن الله خلق نور النبيﷺ قبل الخلق وأنه كان نبياً وآدمؑ بين الماء والطين ، ولكن بعضهم لم يقبل ذلك !

كما أن مصادرهم روت تفضيل بعض أنبياء بني إسرائيل على نبيناﷺ كالبخاري كما تقدم من البخاري !

ويقول السنيون إنهم يعتقدون بعصمة النبيﷺ عن المعاصي في التبليغ دون غيره ، لكنهم نسبوا اليه نقائص كثيرة ، ورووا أيضاً أحاديث وصححوها أنه عصى وأخطأ في التبليغ !

ورووا أن عمر بن الخطاب كان يصحح له أخطاءه ، فينزل الوحي مؤيداً لقول عمر كما سيأتي ! وقد رد عليهم علماء الشيعة ، ودافعوا عن ساحة النبي المقدسةﷺ.

أما ابن تيمية وأتباعه الوهابيون فينقصون من مقامه ﷺ كثيراً ! ويحرِّمون قصد زيارة قبره الشريف ، والصلاة عنده ، ويحرمون التوسل به ، بل يعدُّون نداءه شركاً لأن النبي ﷺ بزعمهم ميتٌ لا ينفع ولا يضر !

وقد بلغ سوء الأدب بهم أن قالوا (محمد طارش ومات) فمَثَله عندهم كمثل شخص كلف بنقل رسالة وأوصلها ، وانتهى الأمره !

○ ○

الأسئلة

١ ـ ما هو السبب برأيكم في أن عقيدة الشيعة في عصمة النبي ﷺ وقوله وفعله وسيرته ومقامه عند ربه ، أعمق من عقيدتكم فيه ؟ هل السبب اهتمام الشيعة بالنص القرآني والنص النبوي في فهم شخصيته ومقامه ﷺ حيث قام مذهبهم على النص ؟ أم ترون أنهم تأثروا بثقافة من خارج الإسلام تغالي بالأشخاص فغلوا في شخصية النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام ؟

٢ ـ من الواضح أن اليهود لا قداسة عندهم ولا احترام لأنبيائهم عليهم السلام بمن فيهم جدهم إبراهيم عليه السلام الذي يقوم كل افتخارهم على الإنتساب اليه ! وأن السنيين تأثروا بثقافتهم في نظرتهم الى الأنبياء وتفسيرهم لآيات القرآن فيهم عليهم السلام. فهل بحث أحد منكم العامل السياسي في نسبة مصادركم الأخطاء والمعاصي الى نبينا ﷺ، والعامل الثقافي اليهودي في ذلك ؟!

٣ ـ لماذا لاتدخلون في حسابكم أن تكون سلطة الخلافة أنقصت من مقام النبي ﷺ ونسبت اليه الأخطاء والمعاصي لتبرير عمل الحكام، وأنقصت من مقام

عترته عليهم السلام لإبعادهم عن الخلافة ، وفتحت باب الثقافة اليهودية لفقرها العلمي، بينما تمسك الشيعة بأهل البيت الطاهرين المطهرين عليهم السلام وأخذوا منهم عقيدتهم في مقامات النبي صلى الله عليه وآله ومقامات عترته عليهم السلام ؟

٤ ـ أين هي ثقافة الغلو من الشعوب الأخرى التي نتهم بأنا تأثرنا بها في عقيدتنا بعصمة نبينا الشاملة وعترته الطاهرين صلى الله عليه وآله ؟!

وهل تستطيعون إثبات المفردات التي ترون أنا تأثرنا بها ، نحن والمسلمون من أتباع المذاهب الأخرى ، الذين يؤمنون مثلنا بمقام النبي صلى الله عليه وآله ؟!

٥ ـ هل توافقوننا على أن الموقف العلمي من دعوى غلو الشيعة في مقام النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، ودعوى تنقيص السنة من مقامهم ، أنه يجب الرجوع الى نصوص القرآن وما صح من السنة والتعمق فيها ، وفحص المؤثرات الخارجية كالتهوك والتمجس ونحوهما ؟!

☼ ☼

المسألة: ١٣٩

البخاري نموذجاً للطعن في عصمة نبيناﷺ والإنتقاص من مقامه !

نأخذ البخاري نموذجاً في أحاديثه التي تطعن في عصمة النبيﷺ ، علماً بأنه يوجد أضعافها في مصادرهم الأخرى !

لقد عرفنا طرفاً من تهوك البخاري وطعنه بعصمة الأنبياءعليهم السلام!

أما عندما يصل الى نبيناﷺ تنضم القرشيات الى الإسرائيليات وتتعاونان في طعن خبيث مبطن في عصمته وشخصيتهﷺ !!

فقد بدأ البخاري كتابه عن بدء الوحي بالفرية القرشية التي تقول إن النبيﷺ من الأساس لم يكن على يقين من بعثته ، بل كان في شك وحيرة ! وأنه اطمأن بنبوته بتطمين قسيس نصراني ، ثم تأخر عليه الوحي فعاد اليه الشك وقرر أن ينتحر !!

ثم يزعم البخاري أن النبيﷺ غير معصوم حتى في تبليغ رسالة ربه ، فقد غلبه الشيطان فخان الرسالة وغيَّر القرآن ! واستبدل ذم أصنام قريش بمدحها ، وسجد لها هو والمشركون ، فعبد الأصنام وكفر برب العالمين !

ثم يزعم ثالثاً ، أن نبيناﷺ ليس أفضل من أنبياء بني إسرائيلعليهم السلام! فموسى عليه السلام على عيوبه ومعاصيه ! أفضل منه ، ويونسعليه السلام على تركه لقومه ومغاضبته خير منه ، وعيسىعليه السلام خير منه ومن جميع الأنبياء !!

ويزعم رابعاً ، أن نبيناﷺ عصبي المزاج سئ الأخلاق مع المسلمين ، غير مسدد في منطقه ، ولذا ينطق عن الهوى ويسب ويشتم ويلعن بغير حق !

كما أنه غير مسدد في عمله فقد يؤذي ويجلد الناس ظلماً وعدواناً !

ويزعم خامساً ، أن النبيﷺساذج ضعيف الشخصية والتدبير ، يقع في أخطاء فظيعة ، فيصححها له عمر ، وينزل الوحي موبخاً له مؤيداً لعمر !

ويزعم سادساً ، أن النبيﷺظالم لقومه قريش ، فقد ظلمهم في بدر وأخذ منهم أسارى بغير حق ، وأخذ من الأسرى فدية مقابل إطلاقهم ، فعاقبه الله بهزيمته ، وجرحه وكسر أسنانه في أحد !

ويزعم سابعاً ، أن النبيﷺغير مسدد في حكمه وقضائه بين المسلمين ، فقد يقضي لشخص بالباطل لأنه حاذق في كلامه !

ويزعم ثامناً ، أن النبيﷺينهى عن الأمر ويرتكبه ، فقد نهى المسلمين عن التمني وقول (لو) لكنه تمنى وقالها مرات !

ويزعم تاسعاً ، أن النبيﷺصاحب ذهن مشوش ينسى كثيراً ، فقد نسي أنه جُنُب فلم يغتسل وبدأ في صلاته! كما نسي عدد ركعات الصلاة ونقَّص منها! وأخطأ في قراءة القرآن في صلاته ، فصحح له بدوي !

ويزعم عاشراً ، أن النبيﷺغلب عليه المرض في آخر حياته فأخذ يهذي ، وطلب من المسلمين أن يأتوه بدواة وقرطاس ليكتب لهم كتاباً يؤمِّنهم من الإختلاف والضلال إلى يوم القيامة ، فرفض ذلك عمر وقال نبيكم غلب عليه الوجع ، وأيده أكثر الحاضرين ، ومنعوه من كتابة ذلك العهد !

وحادي عشر ، تقول عائشة إنالنبيﷺسُحِرَ ففقد ذاكرته ، وبقي لستة أشهر مسحوراً يخيَّلُ إليه أنه فعل الشئ وهو لم يفعله ، وأنه أتى زوجته ولم يأتها !!

۞ ۞

ما أدري ألم يتفكر العلماء في أعاجيب البخاري التي ينسبها الى نبيناﷺ ؟!!

ألم يقرؤوا فيه أن النبيﷺبزعمه مفرط في الجنس ، يأتي نساءه التسعة في ليلة واحدة ، ويباشر زوجته وهي حائض ، ويتبذَّل تبذلاً لايناسب وجيهاً اجتماعياً عادياً ، فيبول وهو واقف ، ويستقبل ضيوفه وهو مضطجع ، ويستمع الغناء ويشاهد الرقص ، ويشرب النبيذ !

أما عمر بن الخطاب فكان محافظاً أكثر منه ، حيث قال له أحجب نساءك فلم يفعل ، فأنزل الله آية الحجاب ، وأمره بما أمره به عمر !

○ ○

كما يزعم البخاري أن النبيﷺ كان مغرماً بزوجته عائشة ، فكان يفضلها على زوجاته ويستمع معها الغناء من جاريتين تغنيان لهما ، ويحملها على كتفه ويضع خده على خدها لتشاهد من شباك الغرفة رقص الأحباش ، ويأخذها معه في غزواته ، وربما ترك جيشه وسابقها ، وقد سبقها مرة ، وسبقته مرة !

وقد روت عنه عائشة أكثر من ألفي حديث ، نشرت فيها قصص حياتهما الشخصية ، مما لايناسب زوجين مسلمين محافظين !!

○ ○

الى غير ذلك من مطاعن البخاري في نبيناﷺالتي لو أردنا استقصاءها لخرجنا عن قصد هذا الكتاب ، فنكتفي بذكر بعضها في المسائل التالية !

○ ○

الأسئلة

١ ـ هل تقبلون هذه الأمور التي ينسبها البخاري الى نبيناﷺ؟

٢ ـ كيف تقولون إن البخاري صحيحٌ من الجلد الى الجلد ، وإنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ، مع أن فيه ما يخالف قطعيَّ العقل ، وفيه الأحاديث المتعارضة التي لو كلفت عالماً منصفاً بالجمع بينها ، لقال لك كلفني بحمل صخور الجبال فهو أسهل !!

وفيه الأحاديث المتناقضة التي لا يستطيع البخاري ولا كل الإنس والجن أن يجمعوا بينها ! بل لا بد لهم أن يسقطوا واحداً منها أو أكثر ؟!!

٣ ـ منهجنا في الحديث النبوي أنا نعتبر كل ما روي عن النبي وآلهﷺ ثروة علمية يجب أن تخضع للبحث العلمي من قبل العلماء المختصين ، وأن باب الإجتهاد مفتوح على مدى العصور في تصحيح أي حديث منها أو تضعيفه ، والمسلمون يعتمدون على تصحيح مراجعهم وتضعيفهم .

أما أنتم فقد تبنيتم كتاب البخاري وجعلتموه معصوماً من الجلد الى الجلد، وأوجبتم على علماء المسلمين وعوامهم أن يعملوا به ، مع أن الكتب التي ألفها شيوخ البخاري وعلماء الحديث بعده كثيرة ، ولا تقل عنه .

فأي المنهجين هو الصحيح ؟!

○ ○

المسألة :١٤٠

افتتح البخاري صحيحه بالطعن في النبي صلى الله عليه وآله واتهمه بأنه كان يشك في نبوته !

افتتح البخاري صحيحه بخرافتهم عن بدء الوحي وكررها في كتابه مرات ! فروى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله لم يبعث نبياً في جوّ واضح ، ولا رأى جبرئل بالأفق المبين كما قال تعالى: وَاللَّيْلِ إذا عَسْعَسَ. وَالصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رَآهُ بِالأفُقِ الْمُبِينِ . وَمَا هُوَعَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إِنْ هُوَإِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ . لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ .وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) . (سورة التكوير:١٧ ـ ٢٩)

يقول البخاري كلا ! فقد كان الأفق غائماً وكانت النبوة مشكوكة ! ويزعم الذي جاء للنبي صلى الله عليه وآله أشبه بكابوس منه بمَلَك ، وكان تعامله معه وحشياً! فقد أمره أن يقرأ ، ولم يقبل عذره بأنه لايعرف القراءة ، فغطه غطاً عنيفاً ثلاث مرات !

هل تعرفون أن قولنا: (أمسكه وخبزه بالأرض ثم عجنه) أخف من قوله (غطه) لأن معناها أنه خنقه وحبس نفسه الى قرب الموت ، ولم يكتف بذلك مرة واحدة ، بل كرره ثلاث مرات !!

قال ابن الأثير في النهاية: ٣٧٣/٣: (الغط: العصر الشديد والكبس) .

وقال النووي في شرح مسلم:١٩٩/٣: (يقال غطه وغته وضغطه وعصره وخنقه غمزه ، كله بمعنى واحد) !! انتهى.

والأهم من مصيبة الإرعاب والتعذيب ، أن النبي صلى الله عليه وآله لم يعرف جبرئيل ، ولا فهم كلامه ، ولا عرف ما يريده منه !

فقد عاد الى منزله في مكة مرعوباً شاكياً الى زوجته خديجةعليها السلام فطمأنته ، لكنها بقيت هي أيضاً في شك ! فأخذت زوجها الى ورقة بن نوفل ، وهو قسيس عجوز من قبيلتها بني زهرة ، وعرضت عليه مشكلته ، فسأله ورقة وأجابه ، فطمأنه بأن الذي جاءه هو جبرئيل ، وأنه فعلاً قد بعث نبياً !!

لكن النبيصلى الله عليه وآله لم يطمئن ، خاصة بعد أن انقطع عنه الوحي ! فقرر أن يلقي بنفسه من رأس جبل شاهق وينتحر ! وذهب مراراً الى رؤوس الجبال ، لكنه كلما ذهب الى رأس جبل لينتحر ، كان جبرئيل يأتيه ويمنعه من ذلك !!

قال بخاري في صحيحه:٦٧/٨: (باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله(ص)من الوحي.. عن عائشة أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، فكان يأتي حِرَاء فيتحنَّث فيه ، وهو التعبد الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها ، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال: إقرأ ، فقال له النبي(ص): ما أنا بقارئ ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهد ! ثم أرسلني فقال:إقرأ ! فقلت: ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ! ثم أرسلني فقال: إقرأ ! فقلت:ما أنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ! ثم أرسلني فقال: إقرأ باسم ربك ! ثم أرسلني فقال: إقرأ باسم ربك الذي خلق ، حتى بلغ ما لم يعلم . فرجع بها ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة فقال: زمِّلوني زمِّلوني ، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع ! فقال يا خديجة مالي؟! وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي ! فقالت له: كلا ، أبشر فوالله لايخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكَل ، وتقرَي الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عم خديجة أخو أبيها ، وكان أمرءاً تنصَّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبري فيكتب بالعربية من الإنجيل ماشاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة: أي ابن عم إسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة: ابنَ أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي(ص)ما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك؟ فقال رسول الله: أو مُخرجيَّ هم ؟ فقال ورقة: نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقه أن توفي !

وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي(ص) فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال: يامحمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه وتقرُّ نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ! فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريل فقال له مثل ذلك)!!

نعم، افتتح البخاري كتابه بهذه الخرافة:٢/١ وكررها في:١٢٤/٤، و٨٨/٦ !!

○ ○

الأسئلة

١ ـ كيف تفسرون قوله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ، وهل الأفق الذي زعم البخاري أن النبيﷺرأى فيه جبرئيلعليه السلام أفقٌ مبين ، وقد احتاج الى نصراني ضعيف الشخصية مثل ورقة ابن نوفل ، ليبينه له ويهدئ خوفه ورعبه ؟!

٢ ـ كيف تقبلون هذه الخرافة وهي تناقض نص القرآن على أن نبيناﷺ كان على بصيرة ويقين من أمره ، كقوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أدعو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ). (يوسف:١٠٨) وقوله تعالى: (إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) . (النمل:١٠)

٣ ـ كيف تقبلون خرافة البخاري وهي تناقض الآيات التي تنص على بشارة الأنبياءعليهم السلام بنبيناﷺ،وأن الناس كانوا يتنتظرون النبي الموعود من ذرية إسماعيلعليه السلام، وكان عدد منهم يعرفونه ! فكيف لم يكن هو يعرف نفسه حتى بعد نزول جبرئيل عليهعليهما السلام؟!

قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يدي مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) . (الصف: ٦)

وقال تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفسهم فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) . (الأنعام:٢٠)

وقال تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ). (الأعراف:١٥٦)

وقال تعالى: (الَّذينَ يَتَّبعُونَ الرَّسُولَ النَّبيَّ الاُمّيَّ الَّذي يَجدُونَهُ مَكْتُوبًا عنْدَهُمْ في التَّوْرَاة وَالاْنْجيلِ يَأْمُرُهُمْ بالْمَعْرُوف وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَر وَيُحلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَات وَيُحَرِّمُ عَلَيْهمُ الْخَبَائثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتي كَانَتْ عَلَيْهمْ فَالَّذينَ آمَنُوا به وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذي أنزل مَعَهُ أُولَئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ). (الأعراف:١٥٧)

وقال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذينَ مَعَهُ أَشدَّاءُ عَلَى الْكُفَّار رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فضلاً منَ الله وَرضْوَانًا سيمَاهُمْ في وُجُوههمْ منْ أثر السُّجُود ذَلكَ مَثَلُهُمْ في التَّوْرَاة وَمَثَلُهُمْ في الاْنْجيلِ كَزَرْعٍ أخرج شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقه يُعْجبُ الزُّرَّاعَ ليَغيظَ بهمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات منْهُمْ مَغْفرَةً وَأَجْرًا عظيماً). (آخر سورة الفتح).

٤ ـ روى في الكافي:٣٧٤/٥: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (لماأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتزوج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ، ومعه نفر من قريش حتى دخل على ورقة بن نوفل عم خديجة ، فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال:

الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل ، وأنزلنا حرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس ، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه ، ثم إن ابن أخي هذا ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ممن لايوزن برجل من قريش إلا رجَحَ به ، ولا يُقاس به رجل إلا عظم عنه ، ولا عِدْل له في الخلق .

وإن كان مقلاً في المال فإن المال رِفْدٌ جار وظلٌّ زائل . وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة ، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها ، والمهر عليَّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله ، وله ورب هذا البيت حظٌّ عظيم ودينٌ شائعٌ ورأيٌ كامل .

ثم سكت أبو طالب وتكلم عمها وتلجلج وقَصُر عن جواب أبي طالب ، وأدركه القطع والبهر ، وكان رجلاً من القسيسين ، فقالت خديجة مبتدئة:

يا عماه إنك وإن كنت أولى بنفسي مني في الشهود ، فلستَ أولى بي من نفسي

قد زوجتك يا محمد نفسي ، والمهر عليَّ في مالي ، فأمر عمك فلينحر ناقة فليولم بها ، وادخل على أهلك .

قال أبو طالب: أشهدوا عليها بقبولها محمداً وضمانها المهر في مالها ، فقال بعض قريش: يا عجباه ! المهر على النساء للرجال ؟! فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام على قدميه ، وكان ممن يهابه الرجال ، ويُكره غضبه ، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا ، طُلِبَتِ الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر ، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجو إلا بالمهر الغالي !

ونحر أبو طالب ناقة ، ودخل رسول اللهﷺبأهله) . انتهى.

فهل ترون أن شخصية ورقة مهيأة لمثل هذا الدور الذي زعمته له رواية البخاري؟!

٥ ـ نعتقد أن نبيناﷺكان نبياً منذ ولادته ، وأنه كان على هدى ربه ، يتعبد لله في حراء ، وأنه في الأربعين بُعثَ رسولاً ، وأن الله تعالى قرن به ملكاً منذ طفولته، فقد قال عليعليه السلام:(ولقد قرن الله بهﷺمن لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره .

ولقد كنت أتبعه اتِّبَاعَ الفصيل أثر أمه ، يرفعُ لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالإقتداء به .

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري . ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذ في الإسلام غير رسول اللهﷺوخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة) . (نهج البلاغة:٢/١٥٧).

وتعتقدون أنتم بأنهﷺكان نبياً وآدم بين الماء والطين ، أو بين الروح والجسد ، فهو إذن يعرف الملائكة من صغره ، ويعرف أنه نبي من الله تعالى.

ففي مجمع الزوائد:٢٢٣/٨: (عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله(ص): إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين يرين ، وفي رواية: وإن أم رسول الله(ص)رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام ، وفي رواية وبشارة عيسى قومه . رواه أحمد بأسانيد والبزار والطبراني بنحوه...وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان . وعن ميسرة العجر قال: قلت يارسول الله متى كتبت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد . رواه أحمد والطبراني ، ورجاله رجال الصحيح).

وقال الألباني في كتاب السنة لابن أبي عاصم ص١٧٩: (عن ميسرة الغجر قال: قلت يا رسول الله متى كتبت نبياً ؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح . والحديث مخرج في الصحيحة (١٨٥٦) ، وذكرت له هناك شاهداً من حديث أبي هريرة) . انتهى.

وقد روته مصادر عديدة بلفظه أو نحوه مثل: أحمد:٦٦/٤ و:٥٩/٥ ، و٣٧٩ ، والحاكم:٦٠٩/٢ ، وابن أبي شيبة :٤٣٨/٨ ، والطبراني في الأوسط :٢٧٢٧/٤، والكبير:٧٣/١٢، والضحاك في الآحاد والمثاني:٣٤٧/٥، والسيوطي في الدر المنثور:١٨٤/٥، وغيرهم .

كما نص عديدون على صحته ، مثل كشف الخفاء:١٢٩/٢و١٣٢وتحفة الأحوذي:٥٦/١٠ ، ومغني المحتاج:١٢٤/٣ ، وفتح القدير:٢٦٧/٤ ، والباقلاني في إعجاز القرآن ص٥٨ ، وغيرهم .

وفي كشف الخفاء للعجلوني:١٢٩/٢: (وقال التقي السبكي: (فإن قلت: النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجوداً ، وإنما تكون بعد أربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله؟

قلت: جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد ، فقد تكون الإشارة بقوله كنت نبياً إلى روحه الشريفة أو حقيقته ، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعرفها خالقها ومن أمدَّه بنور إلهي .

ونقل العلقمي عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده مرفوعاً أنه قال: كنت نوراً بين يدي ربي عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام). انتهى .

فمع هذه الرواية الصحيحة كيف تقبلون رواية عائشة في البخاري التي تزعم أن النبيﷺ تفاجأ برؤية الملك ، وكان جاهلاً بنبوته حتى بعد البعثة؟!

٦ ـ الوضع الطبيعي المنطقي عندما نزل جبرئيلعليه السلام من السماء على رسول اللهﷺ لأول مرة ، أن يسلم على النبيﷺ ويخبره أنه رسول ربه اليه ، وأن الله بعثه رسولاً ، وأنه سينزِّل عليه قرآناً ، ثم يتلو عليه أول آياته ، ويشرح له مهمته ، ثم يودعه . كل ذلك في جو مليء باليقين والإطمئنان والخشوع .

فكيف تقبلون هذا التعامل الإرهابي الذي نسبه البخاري الى جبرئيلعليه السلام، وهذا الجو من الرعب وعدم الثقة وعدم الوضوح ، الذي سيطر على البعثة ؟

(فجاءه الملك فيه فقال: إقرأ ، فقال له النبي(ص): ما أنا بقارئ ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهد ! ثم أرسلني فقال: إقرأ ! فقلت: ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ! ثم أرسلني فقال: إقرأ ! فقلت:ما أنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ! ثم أرسلني فقال: إقرأ باسم ربك ! ثم أرسلني فقال: إقرأ باسم ربك الذي خلق ، حتى بلغ ما لم يعلم . فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زمِّلوني زمِّلوني ، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع)!

فهل هذه رواية لبعثة سيد المرسلين من رب العالمين ، أم رواية حادثة غريبة كروايات كهَّان العرب المصابين بالعُصاب عند تعامل جِنِّيِّهم معهم؟!

٧ ـ ما رأيكم بما نسبه البخاري الى النبيﷺ من قوله: **(فقال يا خديجة مالي؟! وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي)** ! فهل تقبلون أنه لم يكن يعرف ما جرى له ، وكان يخاف على نفسه الجنون ؟! وأن خديجة أعقل منه وأعرف بالله

تعالى وعدله: (فقالت له: كلا ، أبشر فوالله لايخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق).

ثم أخذته لتعرضه على قسيس عجوز أعمى ، كما تجرُّ المرأة القوية زوجها البسيط الى عرّاف ، أو قارئ حظ ؟!

٨ ـ هل سمعتم بنسخة الإنجيل العبرية التي كان يتعلم فيها العرب ويكتب منها ورقة بن نوفل ؟! أم هي تصورات عائشة الأمية ؟!

٩ ـ ما رأيكم في ورقة بن نوفل ، وما دام عرف صدق نبوة النبي صلى الله عليه وآله ، فلماذا لم يُسلم ؟ مع أنه عاش حتى كثر المسلمون ؟!

قال في فتح الباري:٥٥٤/٨: (وتمسك ابن القيم الحنبلي بقوله في الرواية التي في بدء الوحي: ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، يرد ما وقع في السيرة النبوية لابن إسحاق أن ورقة كان يمر ببلال والمشركون يعذبونه وهو يقول أحد أحَد ، فيقول: أحد والله يا بلال ، لئن قتلوك لاتخذت قبرك حناناً ، هذا والله أعلم وهمٌ لأن ورقة قال: وإن أدركني يومك حياً لأنصرنك نصراً مؤزراً ، فلو كان حياً عند ابتداء الدعوة لكان أول من استجاب وقام بنصر النبي(ص)كقيام عمر وحمزة !

قلت: وهذا اعتراض ساقط ، فإن ورقة إنما أراد بقوله: فإن يدركني يومك حياً أنصرك ، اليوم الذي يخرجونك فيه، لأنه قال ذلك عنه عند قوله: أوَ مُخرجيَّ هم؟ وتعذيب بلال كان بعد انتشار الدعوة). انتهى. (راجعوا في ترجمة ورقة: مسند أحمد:٣١٢/١ ، و:٦٥/٦ و٢٢٣و٢٣٣، وصحيح البخاري:١٢٤/٤و٨٨/٦ ، ومستدرك الحاكم:٢١٣/٣ ، ومجمع الزوائد:٤١٦/٩ ، و فتح الباري:٥٥٤/٨ ، والإصابة:٤٧٤/٦ ، وفيض القدير:٥٢٠/٦ ، وتفسير القرطبي:١١٥/١و٨٨/١١، والتبيان:٤٥١/١ ، وابن كثير:٣٢/١ ، والأم:١٥٣/٢ ، وأمالي الطوسي:٣٠٢ ومناقب آل أبي طالب:١٦/١و٤٢، والفضائل لابن شاذان ص ٣٨ ، وسعد السعود لابن طاووس ص ٢١٤ ، وبحار الأنوار:٣٩٥/١٥ ،والصحيح من السيرة ٢٨٧/٢ ، و أحاديث عائشة للعسكري:٢٥٠/٢)

١٠ ـ هل تعرفون كيف استغل أعداء الإسلام خرافة البخاري عن البعثة ، حتى قالوا إن نبيكمﷺ كان يشك في نبوته حتى أخبره القسيس ، وزعموا أن ورقة بن نوفل أستاذه ومعلمه ، وأنه هو الذي بعثه وليس الله تعالى !!

وسبب كل ذلك أكاذيب البخاري ؟!

۞ ۞

المسألة: ١٤١

افترى البخاري على نبيناﷺ بأنه يئس وقرر الإنتحار !

قال البخاري في:٨/٦٧: (وفَتَرَ الوحي فترةً حتى حزن النبي(ص) فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهق الجبال! فكلما أوفى بذِرْوَة جبل لكي يلقي منه نفسه ، تبدَّى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه وتقرُّ نفسه فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ! فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريل فقال له مثل ذلك) !! انتهى.

أقول: رغم إجماع السنيين على صحة كل أحاديث البخاري ، فقد حاول بعض شراحه أن يتخلصوا من هذه الفضيحة ، وفتشوا عن منفذ ينفذون منه فوجدوا عبارة:(حتى حزن النبيﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى)فقالوا إن قول: فيما بلغنا ، هو قول الزهري ، وليس قول عائشة صاحبة الحديث !

قال ابن حجر في فتح الباري:١٢/٣١٦: (حتى حزن النبي(ص)فيما بلغنا.. هذا وما بعده من زيادة معمر على رواية عقيل ويونس ، وصنيعُ المؤلف يوهم أنه داخل في رواية عقيل . وقد جرى على ذلك الحميدي في جمعه ، فساق الحديث إلى قوله وفتر الوحي ، ثم قال: انتهى حديث عقيل المفرد عن ابن شهاب إلى حديث ذكرنا . وزاد عنه البخاري في حديثه المقترن بمعمر عن الزهري ، فقال: وفتر الوحي فترة حتى حزن ، فساقه إلى آخره .

والذي عندي: أن هذه الزيادة خاصة برواية معمر ، فقد أخرج طريق عقيل أبو نعيم في مستخرجه من طريق أبي زرعة الرازي، عن يحيى بن بكير شيخ البخاري

فيه في أول الكتاب بدونها ، وأخرجه مقروناً هنا برواية معمر ، وبيَّن أن اللفظ لمعمر ، وكذلك صرح الإسماعيلي أن الزيادة في رواية معمر . وأخرجه أحمد ومسلم والاسماعيلي وغيرهم وأبو نعيم أيضاً ، من طريق جمع من أصحاب الليث عن الليث ، بدونها .

ثم إن القائل فيما بلغنا هو: الزهري ، ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله(ص)في هذه القصة. وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً.

وقال الكرماني: هذا هو الظاهر ويحتمل أن يكون بلغه بالإسناد المذكور . ووقع عند ابن مردويه في التفسير من طريق محمد بن كثير عن معمر بإسقاط قوله فيما بلغنا ، ولفظه: فترةً حزن النبي(ص)منها حزناً غدا منه.. إلى آخره ، فصار كله مدرجاً على رواية الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ! والأول هو المعتمد).انتهى.

أقول: يقصد ابن حجر أن محاولات النبيﷺالإنتحار ، ليست تتمة لحديث عائشة ، بل من بلاغات الزهري ، وهي مرسلة ، وقد زادها الراوي معمر في الحديث ، وقد أخطأ البخاري بجعلها جزءً منه !

لكن يَرِدُ عليه أولاً ، أنه اعترف بأن ابن مردويه روى التتمة عن معمر بدون (فيما بلغنا) ، بل ساق الحديث قطعة واحدة من رواية الزهري عن عائشة !

فيكون ما بعدها جزء من الحديث ، وليس من بلاغات الزهري .

وثانياً ، أن قوله: (والأول هو المعتمد) وترجيحه أن تكون بقية الحديث من بلاغ الزهري ، قولٌ بلا دليل ، وترجيحٌ بلا مرجح ، خاصة بعد المؤيدات الكثيرة لكونها جزء أصلياً من الحديث بدليل سرد البخاري ، ورواية ابن مردويه له !

وثالثاً ، أن ابن حجر نفسه عاد ونقض حكمه عندما ذكر أن التتمة رواها ابن

سعد حديثاً مسنداً عن ابن عباس ! قال: (قوله فيها: فإذا طالت عليه فترة الوحي.. قد يتمسك به من يصحح مرسل الشعبي في أن مدة الفترة كانت سنتين ونصفاً كما نقلته في أول بدء الوحي ، ولكن يعارضه ما أخرجه ابن سعد من حديث ابن عباس بنحو هذا البلاغ الذي ذكره الزهري ، وقوله: مكث أياماً بعد مجيء الوحي لا يرى جبريل ، فحزن حزناً شديداً حتى كاد يغدو إلى ثبير مرة وإلى حراء أخرى ، يريد أن يلقي نفسه ، فبينا هو كذلك عامداً لبعض تلك الجبال إذ سمع أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل ، فانصرف وقد أقر الله عينه وانبسط جأشه ، ثم تتابع الوحي ، فيستفاد من هذه الرواية تسمية بعض الجبال التي أبهمت في رواية الزهري ، وتقليل مدة الفترة . والله أعلم).

ثم عاد ابن حجر ونقض رأيه أيضاً في ص١١٨، فقال: (وأما المعنى الذي ذكره الإسماعيلي فوقع قبل ذلك في ابتداء مجيء جبريل، ويمكن أن يؤخذ مما أخرجه الطبري من طريق النعمان بن راشد ، عن ابن شهاب ، فذكر نحو حديث الباب وفيه: فقال لي يا محمد أنت رسول الله حقاً ، قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق جبل ، أي من علوه)

وحديث ابن سعد الذي ذكره ابن حجر، رواه في الطبقات:١٩٦/١. وحديث الطبري رواه في تاريخه:٤٧/٢، وفي تفسيره:٣١٧/٣٠: (عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت كان أول ما ابتدئ به رسول الله (ص) من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، فكان بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، قبل أن يرجع إلى أهله ، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها ، حتى فجأه الحق ، فأتاه فقال: يا محمد أنت رسول الله ، قال رسول الله (ص)فجثوت لركبتي وأنا قائم ، ثم رجعت ترجف بوادري ، ثم دخلت على خديجة فقلت:

زملوني زملوني ، حتى ذهب عني الروع ، ثم أتاني فقال: يا محمد ، أنا جبريل وأنت رسول الله ، قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل فتمثل إليَّ حين هممت بذلك فقال: يا محمد ، أنا جبريل وأنت رسول الله ، ثم قال: إقرأ ، قلت: ما أقرأ ؟ قال: فأخذني فغطني ثلاث مرات ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم قال: إقرأ باسم ربك الذي خلق فقرأت ، فأتيت خديجة ، فقلت: لقد أشفقت على نفسي ، فأخبرتها خبري ، فقالت: أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً...الخ.)! انتهى.

وهذا الحديث يزيد في طينهم بلَّة ، لأن محاولة الإنتحار المزعومة فيه تأتي بعد تطمين جبرئيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله فتأمل !

ويَرِدُ عليه رابعاً ، أنا لو سلمنا أن تتمة الحديث من بلاغات الزهري ، فهي عند البخاري صحيحة حيث أوردها جزءً من حديث عائشة ، ولعلها عنده مسندة . مضافاً الى أن ابن سعد رواها مستقلة ، وكثرة شواهدها الصحيحة في هذا الباب ، وفي باب ما رووه في تفسير قوله تعالى: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى). كما ترى في تفسير الصنعاني:٣٢٧/٣ ، وتفسير ابن كثير:٢٦٥/٤ ، ونهايته:٢٣/٣ .

○ ○

الأسئلة

١ ـ هذه فضيحة من فضائح البخاري وطامة من طاماته ، وهي افتراؤه على النبي صلى الله عليه وآله بأنه كان مرتاباً في نبوته حتى بعد أن طمأنه ورقة بن نوفل !

وأنه كان غير معصوم ، وكان عصبياً متوتراً ، لايعرف الحكم الشرعي في حرمة قتل نفسه ، أو لا يتقيد به !

وتجعله بدوياً عامياً ، يختار الإنتحار خوفاً من الفضيحة وانكشاف كذبه !

أو لأن ربه ، وحاشا لله ، ظالمٌ غير عادل ، حيث بعثه نبياً ، ثم قطع وحيه عنه وتركه لتكذيب الناس!! فهل يقبل أحدكم أن ينسب الى نبيه صلى الله عليه وآله هذا التصرف ، أو الى أيِّ إنسان عاقل متزن ؟

٢ ـ قال ابن حجر في فتح الباري:٣١٨/١٢: (قال الإسماعيلي: موَّهَ بعض الطاعنين على المحدثين فقال: كيف يجوز للنبي(ص)أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة ويشكو لخديجة ما يخشاه ، وحتى يوافي بذروة جبل ليلقي منها نفسه ، على ما جاء في رواية معمر ؟!

قال: وإن جاز أن يرتاب مع معاينة النازل عليه من ربه ، فكيف ينكر على من ارتاب فيما جاءه به ، مع عدم المعاينة ؟!). انتهى.

وقد جعل (الإسماعيلي) الإشكال تمويهاً وطعناً على المحدثين! وكأن محور المشكلة هي المحدث الإسماعيلي وجماعته ، ولم يفقه أنه إشكال على الحديث وأنه طعن بعصمة رسول الله صلى الله عليه وآله وطعن بإيمانه ، بل بعقله !!

ثم حاول الإسماعيلي بكلام طويل أن يدافع عن البخاري وأتباعه من محدثي الخلافة ، ويهوِّن الأمر ، ويقنعنا بصحة صدور الشك والإرتياب والإقدام المتكرر على الإنتحار ، من أعقل الخلق وأكملهم، وخاتم النبيين ، وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله!! فما رأيكم ، هل توافقونه وتنسبون الى النبي صلى الله عليه وآله أنه شك وارتاب في نبوته وحاول الإنتحار ، أم تنزهونه صلى الله عليه وآله عن ذلك ؟!

○ ○

المسألة: ١٤٢

البخاري يروي قصة الغرانيق
ويفتري على نبيناﷺ بأنه مدح الأصنام وسجد لها !!

الغرانيق جمع غَرْنوق ، وهو طائر أبيض من طيور الماء يشبه الكركي ، يعلو في طيرانه . وقد شبهت به قريش أصنامها المفضلة عندها على كل أصنام العرب: اللات ، والعزى ، ومُناة ، لأن مقامها عند الله بزعمها مقامٌ عال كطائر الغرنوق ! (النهاية:٣/٣٦٤ ، والعين:٤/٤٥٨ ، ولسان العرب:١٠/٢٨٧)

قال الرازي في تفسيره:٢٤/١٢:(والغرانيق تصعد في الجو جداً عند الطيران ، فإن حجب بعضها عن بعض ضباب أو سحاب ، أحدثت عن أجنحتها حفيفاً مسموعاً يلزم به بعضها بعضاً ، فإذا نامت على جبل فإنها تضع رؤوسها تحت أجنحتها ، إلا القائد فإنه ينام مكشوف الرأس فيسرع انتباهه وإذا سمع جرساً صاح). انتهى.

وقد كان موقف النبيﷺ من الأصنام من أول بعثته موقفاً صريحاً حاسماً لامساومة فيه ، رافضاً لها كلها ، داعياً الى عبادة رب العالمين وحده لاشريك له ، وكانت سور القرآن تتوالى مهاجمةً الأصنام وعُبَّادها ، مسفهةً أحلامهم ، حتى قال القرشيون: إن محمداً قد سب آلهتنا وسفه أحلامنا !

في ذلك الجو نزلت سورة النجم ، بعد أكثر من عشرين سورة من القرآن ، كلها صريحة في رفض الأصنام ، ومنها سورة الكافرون ، وقل هو الله أحد !

لكن سورة النجم تميزت بأنها ذمَّت أصنام قريش الثلاثة بأسمائها ، فقال الله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى .أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنثى . تِلْكَ إذا

قِسْمَةٌ ضِيزَى . إِنْ هِيَ إِلاأَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أنزل اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى .(١٩-٢٣) فكان ذلك إعلاناً بتسفيه أصنام قريش (اللات والعزى ومناة) وإسقاطها إلى الأبد !

ومن الطبيعي أن يكون تأثير ذلك على قريش كبيراً ، وأن يثير كبرياءها وردة فعلها العنيفة ، وهذا ما حدث بالفعل فقد تصاعدت مؤامراتهم عليه صلى الله عليه وآله حتى وصلت الى قرار قتله صلى الله عليه وآله ، فأنجاه الله بالهجرة .

في هذا السياق القطعي من السيرة لايمكننا أن نفسر قصة الغرانيق إلا بأنها ردة فعل قرشية ، وأن أصلها أن أحد المشركين القرشيين أجاب على ذم أصنام قريش في سورة النجم: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنثى ، تِلْكَ إذا قِسْمَةٌ ضِيزَى ، إِنْ هِيَ إِلاأَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أنزل اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاالظَّنَّ وَمَاتَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى.

وقام بتحريفها الى مدح للأصنام وقال:أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى . تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى !

فأَعْجَبَ ذلك القرشيين وتمنوا لو أن قرآن محمد قال هذا المديح في آلهتهم ، بدل ذمها وذمهم !

ومن المؤكد أن رواة قريش وضعوا قصة الغرانيق بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ولم يكن لها عين ولا أثر في سيرته صلى الله عليه وآله في مكة ولا بعدها ، وإلا لرفعها المشركون علماً ، وطبَّل بها اليهود وزمَّروا ! وكذبها النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون !

لكن السؤال: ما هو غرض طلقاء قريش من ترويج هذه القصة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ونسبتها اليه ، مع أن أصنامهم انتهت وهدمت ، وتبرؤوا منها ودخلوا في الإسلام تحت السيف ، ثم رضوا به لمطامع الدنيا ؟!

الجواب: أن الغرض منها إثبات أن النبيﷺلم يكن معصوماً عصمة مطلقة حتى تكون كل تصرفاته وأقواله حجة ، بل كان يخطئ حتى في تبليغ الوحي! وبذلك يمكن تبرير مخالفة الخلفاء والسلطة لأوامرهﷺ !

فالمهم عندهم تبرير مخالفة النبيﷺ ، وليكن ثمن ذلك قصة الغرانيق التي تزعم أنهﷺارتكب خيانة في نص القرآن والعياذ بالله ، وكفَرَ ومَدَح أصنام قريش لكي ترضى عنه ، وسَجَدَ لها وسجد معه مشايخ قريش ، وكل من كان في المسجد ، وزاد البخاري أن كل الإنس والجن سجدوا يومها !!

وزادت الرواية المزعومة أن زعماء قريش طاروا فرحاً بخيانة النبيﷺ في نص القرآن ! وطبيعي أن يطير المستشرقون فرحاً بهذه الخرافة القرشية !!

وأخيراً المرتد سلمان رشدي والحكومات الغربية !!

البخاري يروي فرية الغرانيق في ست مواضع !

روى البخاري:٣٢/٢: (عن عبدالله قال قرأ النبي(ص)النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه ، غير شيخ أخذ كفاً من حصى أو تراب ورفعه إلى جبهته وقال يكفيني هذا ، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً ...

وعن عبد الله أن النبي(ص)قرأ سورة النجم فسجد بها ، فما بقي أحد من القوم إلا سجد ، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال يكفيني هذا ، فلقد رأيته بعد قتل كافراً ...

وعن ابن عباس أن النبي(ص)سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون ، والجن والإنس ! ورواه ابن طهمان عن أيوب).

وفي:٢٣٩/٤: (عن عبد الله قال: قرأ النبي(ص)النجم فسجد ، فما بقي أحد إلا سجد إلارجل رأيته أخذ كفاً من حصى فرفعه فسجد عليه وقال: هذا يكفيني،

فلقد رأيته بعد قتل كافراً بالله) . وفي:٧/٥: بنحوه .

وفي:٥٢/٦: (قال فسجد رسول الله(ص)وسجد مَن خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف).انتهى.

فهذه ستة مواضع رواه البخاري فيها على الأقل .

ورواه مسلم بنحوه في:٨٨/٢ ، ورواه في:٥٢/٦ ، وسمى الذي سجد: أمية بن خلف .

وقال الحاكم في المستدرك:٢٢١/١: (عن عبد الله قال: أول سورة قرأها رسول اللهﷺعلى الناس الحج ، حتى إذا قرأها سجد فسجد الناس ، إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه فرأيته قتل كافراً . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالإسنادين جميعاً ، ولم يخرجاه ، إنما اتفقا على حديث شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله أن النبيﷺقرأ والنجم ، فذكره بنحوه ، وليس يعلل أحد الحديثين الأخيرين ، فإني لا أعلم أحداً تابع شعبة على ذكره النجم ، غير قيس بن الربيع . والذي يؤدي إليه الإجتهاد صحة الحديثين، والله أعلم) . انتهى.

وقال البيهقي في سننه:٣١٤/٢:(عن عكرمة ، عن ابن عباس أن النبي(ص)سجد فيها يعني والنجم ، وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس . رواه البخاري في الصحيح عن أبي معمر وغيره ، عن عبد الوارث) . انتهى.

وصححه في مجمع الزوائد:١١٥/٧ ، قال: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى...عن ابن عباس فيما يحسب سعيد بن جبير ، أن النبي(ص)كان بمكة ، فقرأ سورة والنجم حتى انتهى إلى: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى ، فجرى على لسانه: تلك الغرانيق العلى ، الشفاعة منهم ترتجى. قال: فسمع بذلك مشركو أهل مكة فسرُّوا بذلك فاشتدَّ على رسول الله(ص)فأنزل الله تبارك وتعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِيٍّ إلاإذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَايُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ

يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِه. رواه البزار والطبراني...ورجالهما رجال الصحيح ، إلا أن الطبراني قال: لا أعلمه إلا عن ابن عباس ، عن النبي(ص) ! وقد تقدم حديثٌ مرسل في سورة الحج أطول من هذا ، ولكنه ضعيف الإسناد) . انتهى.

ويقصد بالحديث المرسل الحديث الذي ضعفوه بابن لهيعة ، وقد وثقه عدد من علمائهم ، وله شواهد صحيحة تجعله حسناً ، وهو في مجمع الزوائد:٧٠/٧، وفيه:

(حين أنزل الله السورة التي يذكر فيها والنجم إذا هوى ، فقال المشركون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ، فإنه لا يذكر أحداً ممن خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر به آلهتنا من الشتم والشر . فلما أنزل الله السورة التي يذكر فيها والنجم وقرأ: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى ، ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت ، فقال: وإنهم من الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى ، وذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك ، وذلقت بها ألسنتهم واستبشروا بها ، وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه ، فلما بلغ رسول الله (ص)آخر السورة التي فيها النجم سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم ومشرك ، غير أن الوليد بن المغيرة كان كبيراً فرفع ملء كفه تراب فسجد عليه ، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله(ص) !

فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين ، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان على ألسنة المشركين .

وأما المشركون فاطمأنت أنفسهم إلى النبي(ص)وحدثهم الشيطان أن النبي (ص) قد قرأها في السجدة فسجدوا لتعظيم آلهتهم ، ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة ! فلما سمع عثمان بن مظعون وعبدالله

بن مسعود ومن كان معهم من أهل مكة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله (ص) ، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه ، أقبلوا سراعاً ! فكبُر ذلك على رسول الله(ص)فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فشكا إليه ، فأمره فقرأ له ، فلما بلغها تبرأ منها جبريل وقال: معاذ الله من هاتين ما أنزلهما ربي ولا أمرني بهما ربك !! فلما رأى ذلك رسول الله(ص)شق عليه وقال: أطعتُ الشيطان وتكلمتُ بكلامه وشرَّكني في أمر الله ! فنسخ الله ما يلقى الشيطان وأنزل عليه: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِيٍّ إلا إذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ في أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ). (الحج:٥٢ـ٥٣). فلما برأه الله عز وجل من سجع الشيطان وفتنته ، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم . فذكر الحديث وقد تقدم في الهجرة إلى الحبشة. رواه الطبراني مرسلاً وفيه ابن لهيعة ، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة) . انتهى.

أقول: ماذنب ابن لهيعة إذا روى ما وضعه رواة قريش قبل أن يولد ؟! فمضافاً الى روايته فقد أورد السيوطي قصة الغرانيق في الدر المنثور:١٩٤/٤، بعدة طرق بعضها صحيح ، وقال في ص٣٦٦: (وأخرج البزار ، والطبراني ، وابن مردويه ، والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات ، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن رسول الله(ص)قرأ: أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثةالأخرى ، تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ! ففرح المشركون بذلك وقالوا: قد ذكر آلهتنا . فجاء جبريل فقال: إقرأ على ما جئتك به ، فقرأ: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثةالأخرى تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! فقال: ما أتيتك بهذا ! هذا من الشيطان فأنزل الله:وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِيٍّ إلا إذا تَمَنَّى.. إلىآخر الآية . وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ،

بسند صحيح ، عن سعيد بن جبير ... !!). انتهى.

أقول:

مع كل ذلك نفوا أن يكون البخاري ومسلمٌ روياها ، أويكون لها سند صحيح !

فلو قطعنا النظر عن رواية ابن لهيعة ، فقد رايت أنه رواها البزار والطبراني بسند صحيح ، والمختارة بسند موثق ، وقد رواها البخاري في ست مواضع ، ومسلماً في موضعين! وقد رأيت قول البيهقي عن سجود النبيﷺوالمشركين في سورة النجم: (رواه البخاري في الصحيح عن أبي معمر) ، أي سجود المشركين في سورة النجم !

فهل يبقى معنى لإنكارهم إلا المكابرة، والتعسف لجعل رواية البخاري ومسلم موضوعاً آخر ، لأنهما حذفا منها فقرة الغرانيق ! ولم يوردا عودة المهاجرين المزعومة! مع أن حادثة سجود المشركين مع النبيﷺلم يروها أحد أبداً إلا في أسطورة الغرانيق ، فهي قصة واحدة لا أكثر ؟!

وابن كثير الذي يعيش بين أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما ، هل غاب عنه ذلك حتى يقول في تفسيره: (قد ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من مهاجرة الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها من وجه صحيح) .

ثم يقول: (وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا ، وكلها مرسلات ومنقطعات ، والله أعلم) .انتهى .

أطمئن بأن ابن كثير والرازي والبيهقي وغيرهم ، يعرفون رواية البخاري ومسلم لها ، فقد قرؤوا رواياتهما في سجود المشركين مع النبيﷺ، وهو أمرٌ لم يُروَ أبداً إلا في قصة الغرانيق ! لكنهم يقولون الحمد لله حيث أن البخاري ومسلماً لم

يذكرا الغرانيق ، ولا رجوع المسلمين من الحبشة ، فنقول إنهما لم يروياها !

ولا يتسع المجال لإيراد كل كلام ابن كثير الكثير ، فقد أطال بلا طائل ، فقال في تفسيره:٢٣٩/٣ ، مضافاً الى ما تقدم: (قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله(ص)بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع:أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، قال: فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجى قالوا ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا.....

ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة به بنحوه وهو مرسل .

وقد رواه البزار في مسنده ، عن يوسف بن حماد ، عن أمية بن خالد ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث: أن النبي(ص)قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى إلى: أفرأيتم اللات والعزى وذكر بقيته.... ثم قال البزار: لا نعلمه يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد تفرد بوصله أمية بن خالد ، وهو ثقة مشهور .....

ثم رواه ابن أبي حاتم ، عن أبي العالية ، وعن السدي ، مرسلاً .

وكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن كعب القرظي ، ومحمد بن قيس مرسلاً أيضاً ، وقال قتادة: كان النبي(ص)يصلي عند المقام إذ نعس فألقى الشيطان على لسانه وإن شفاعتها لترتجي وإنها لمع الغرانيق العلى ، فحفظها المشركون وأجرى الشيطان أن النبي(ص) قد قرأها فذلقت بها ألسنتهم.....

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي ، حدثنا محمد بن إسحاق الشيبي ، حدثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب قال: أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير

أقرناه وأصحابه ، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر . وكان رسول الله(ص)قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم وأحزنه ضلالهم ، فكان يتمنى هداهم ، فلما أنزل الله سورة النجم قال: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى ، ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال: وإنهن لهن الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى ، وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة ، وذلقت بها ألسنتهم وتباشروا بها وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ، ودين قومه ! فلما بلغ رسول الله(ص)آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك ، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً كبيراً فرفع ملء كفه تراباً فسجد عليه ، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود ، لسجود رسول الله(ص).....

وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما بنحو من ذلك ، ثم سأل ههنا سؤالاً: كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله صلاة الله وسلامه عليه ، ثم حكى أجوبة عن الناس من ألطفها أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك ، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله(ص)وليس كذلك في نفس الأمر ، بل إنما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الرحمن(ص). والله أعلم .وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته ، وقد تعرض القاضي عياض في كتاب الشفاء لهذا وأجاب بما حاصله أنها كذلك لثبوتها) !! انتهى .

وأنت تلاحظ أن نفيه لها نفي مضطرب خجول ، وكأنه يستبطن القبول !

وقال القسطلاني في شرح البخاري: وقد طعن في هذه القصة وسندها غير واحد

من الأئمة ، حتى قال ابن إسحاق وقد سئل عنها: هي من وضع الزنادقة .

وقال القاضي عياض: إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه أحد بسند متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون عن الصحف كل صحيح وسقيم !

ثم نقل قول أبي بكر بن العربي: إن جميع ما ورد في هذه القصة لا أصل له) !

(هامش عصمة الأنبياء للرازي ص٩٤) .

وذكر عبد الله النعيم في كتابه الإستشراق في السيرة النبوية ـ نشرالمعهد العالمي للفكر الإسلامي١٤١٧، أن المصادرَ التي روت حديث الغرانيق هي: طبقات ابن سعد:٢٠٥/١ ، وتاريخ الطبري:٢٢٦/٢ ، وتاريخ ابن الأثير:٧٧/٢ ، وسيرة ابن سيد الناس:١٥٧/١ ! وقال في ص٩٧: (يعتبر الواقدي أول من روَّج لهذه الفرية ، ثم أخذها عنه ابن سعد ، والطبري ، وغيرهم).

ونقل في ص٩٣: (نقْدَ القرضاوي في كتابه (كيف نتعامل مع السنة النبوية) وجاء فيه: (ومعنى هذا أن تفهم السنة في ضوء القرآن ، ولهذا كان حديث الغرانيق مردوداً بلا ريب ، لأنه منافٍ للقرآن) . انتهى .

وقال في ص٩٨: (ولم يروِ ابن إسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقاً . ومهما يكن من أمر فالواقدي هو أصلها . إن ما يدعو للتساؤل هو: كيف أمكن تمرير هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل) . انتهى .

ثم نقل نقد القاضي عياض في كتابه الشفا لحديث الغرانيق سنداً ومتناً .

أقول:

لاقيمة لهذا لهذا النفي بعدما عرفت ، ولا معنىللإنكار إلا المكابرة ، فجميع من رواها يتحمل وزرها ! وهم البخاري ومسلم وغيرهما وإن حذفوا بعضها

وأبقوا سجود النبيﷺالمزعوم لأصنام قريش وسجود المشركين معه ! وقد سمَّوا من زعماء المشركين الذين سجدوا أمية بن خلف ، وأبا أحيحة ، وهو سعيد بن العاص !

وقد تبين لك أن بعض الحفاظ يستعملون التدليس وربما الكذب ! ليغطوا على البخاري ! ومن التدليس ما فعله الفخر الرازي عندما قال في تفسيره:٢٣/٤٩:

(وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي(ص)قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن ، وليس فيه حديث الغرانيق ! وروي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق) !!

تناقض الفخر الرازي في رواية الغرانيق !

بحث الفخر الرازي فرية الغرانيق في كتابه عصمة الأنبياءعليهم السلام وتفسيره:٢٣/٤٩ فدافع عن النبيﷺونفاها عنه، ودافع عن البخاري وغيره من صحاحهم ! لكنه عاد في أواخر تفسيره:٣٢/١٤١ ، واتهم بها النبيﷺ !!

قال في عصمة الأنبياءعليهم السلام ص٩٣: (الجواب الذي يدل على أنهعليه السلام ما غيَّر وما بدَّل وجوه خمسة... وأورد ستة وجوه ، ومال الى الوجه الخامس فقال:

الخامس ، أن المتكلم بذلك بعض الكفرة ، فإنه عليه الصلاة والسلام لما انتهى من قراءة هذه السورة إلى هذا الموضع وذكر أسماء آلهتهم وقد علموا من عادته أنه يعيبها ، فقال بعض من حضر من الكفار:تلك الغرانيق العلا ، فاشتبه على القوم ، لأنهم كانوا يلغطون عند قراءته ويكثرون من الكلام طلباً لتغليطه وإخفاء قراءته) . انتهى.

ولم يذكر الرازي أنه أخذ هذا الوجه من كتاب تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى!

بل لم يشر الى الكتاب أصلاً مع أنه تأثر بمنهجه كثيراً ، وهو مؤلفٌ قبله بأكثر من قرن ونصف وكان مشهوراً ، بل يمكن القول إن كتاب الرازي عصمة الأنبياء عليهم السلام هو نفس كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام للسيد المرتضى ، مصوغاً بقلم سني !

كما نفى هذه الفرية عن النبي صلى الله عليه وآله ، في تفسيره ، قال الجزء٤٩/٢٣:

(المسألة الثانية: ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن الرسول(ص) لما رأى إعراض قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى.... الى آخر ما ذكره في كتاب العصمة ، ثم قال: (هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين ، أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول... أما القرآن فوجوه.....

وأما السنة فهي ما روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضع من الزنادقة ، وصنف فيه كتاباً .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم .

وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي(ص)قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن ، وليس فيه حديث الغرانيق . وروي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق .

وأما المعقول فمن وجوه: أحدها: أن من جوَّز على الرسول(ص)تعظيم الأوثان فقد كفر ، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان ...

وخامسها: وهو أقوى الوجوه: أنا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه ، وجوَّزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ، ويبطل قوله تعالى: **يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أنزل إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ**

يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فإنه لافرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه . فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة. أكثر ما في الباب أن جمعاً من المفسرين ذكروها ، لكنهم ما بلغوا حد التواتر ، وخبر الواحد لايعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة). انتهى.

الى هنا يبدو الرازي منسجماً ، فقد وافق من قال إن القصة فريةٌ من الزنادقة القرشيين على النبيﷺ، واتهام باطل بأنه مدحَ أصنامهم وسجد لها ، وسجد معه القرشيون ، وكل من في المسجد ! وقد عرفت ما في دفاعه عن البخاري وبقية مصادرهم التي روتها بطرق متعددة وصححتها !

لكنه عاد وخضع للثقافة القرشية الرسمية ، وصرح في تفسيره:١٤١/٣٢ ، بنسبة الكفر الى النبيﷺ! فقال وهو يعدد فوائد كلمة"قل" في(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) !!:

(الحادي والثلاثون: كأنه تعالى يقول: يا محمد ألست أنت الذي قلت: من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ، وحتى أن بعض المشايخ قال لمريده الذي يريد أن يفارقه: لاتخف السلطان ، قال: ولمَ ؟ قال: لأنه يوقع الناس في أحد الخطأين ، أما أن يعتقدوا أن السلطان متدين لأنه يخالطه العالم الزاهد ، أو يعتقدوا أنك فاسق مثله ، وكلاهما خطأ .

فإذا ثبت أنه يجب البراءة عن موقف التهم فسكوتك يا محمد عن هذا الكلام يجرُّ إليك تهمة الرضا بذلك لاسيما وقد سبق أنَّ الشيطان ألقى فيما بين قراءتك: تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ، فأزل عن نفسك هذه التهمة و: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) ! انتهى.

فأين حملة الفخر الرازي على الزنادقة واضعي فرية الغرانيق ، وقوله إن النبي

ﷺلم يغيِّر في سورة النجم ولم يبدِّل؟!!

بل أين فتواه وقوله: (من جوَّز على الرسول(ص)تعظيم الأوثان فقد كفر ! لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان)؟! انتهى. فقد نسب هو هذه الفرية الى النبيﷺ،وضلَّ عنه أن سورة الكافرون نزلت بالإتفاق قبل سورة النجم ، فجعلها بعدها !!

قال الزركشي في البرهان:١٩٣/١:(أول مانزل من القرآن بمكة: إقرأ باسم ربك ، ثم نون ، ثم والقلم ، ثم يأيها المزمل ، ثم المدثر ، ثم تبت يدا أبي لهب ، ثم إذا الشمس كورت ، ثم سبح اسم ربك الأعلى ، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى ، ثم ألم نشرح ، ثم والعشر ، ثم والعاديات ، ثم أنا أعطيناك الكوثر ، ثم ألهاكم التكاثر ، ثم أرأيت الذي ، ثم قل يأيها الكافرون ، ثم سورة الفيل ، ثم الفلق ، ثم الناس ، ثم قل هو الله أحد ، ثم والنجم إذا هوى ، ثم عبس وتولى).

(راجع فهرست ابن النديم ص ٢٨، وتفسير الميزان للطباطبائي:٢٣٣/١٣)

غرانيق قريش يتصيدها بروكلمان ومونتغمري

في كتابه: (الإستشراق في السيرة النبوية) (منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٧) انتقد الباحث السوداني عبد الله النعيم استغلالَ المستشرقين لرواية الغرانيق، ونقل في ص٥١ افتراءَ المستشرق بروكلمان وقوله عن النبيﷺ:

(ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونهن بنات الله ، وقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترجى... ثم ما لبث أن أنكر ذلك وتبرأ منه في اليوم التالي) !!

ونقل في ص٩٦ عن المستشرق مونتغمري وات قوله:(تلا محمد الآيات الشيطانية

باعتبارها جزءً من القرآن ، إذ ليس من المتصور أن تكون القصة من تأليف المسلمين أو غير المسلمين ، وإن انزعاج محمد حينما علم بأن الآيات الشيطانية ليست جزءً من القرآن ، يدل على أنه تلاها ، وأن عبادة محمد بمكة لاتختلف عن عبادة العرب في نخلة والطائف(محلتان لأصنام قريش) ولقد كان توحيد محمد غامضاً ، ولاشك أنه يعدُّ اللات والعزى ومناة كائنات سماوية أقل من الله). انتهى.

ومع أن المستشرقين لايحتاجون إلى الروايات الموضوعة ليتشبثوا بها ، لأنهم يكذبون على نبيناﷺوعلى مصادرنا جهاراً نهاراً ، لكن المؤسف أن تحفل مصادر السنيين وفي طليعتها البخاري بالإفتراءات على النبيﷺفي مثل قصة الغرانيق ، وقصة ورقة بن نوفل ، وغيرهما من القرشيات المخالفة للعقل ، فتقدِّم للمستشرقين مادةً ومستمسكاً للطعن في النبيﷺوالقرآن والإسلام !

وقد بحثنا فرية الغرانيق في المجلد الخامس من العقائد الإسلامية .

٭ ٭

الأسئلة

١ ـ هل تقبلون هذه الفرية على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

٢ ـ ما رأيكم في رواية البخاري ومسلم لها وحذفهما اسم الغرانيق منها ؟!

٣ ـ مادام البخاري يروي أمثال هذه الطامات الكفرية ، فلماذا تصرون على أنه صحيح من الجلد الى الجلد ، ولاتخضعون رواياته للبحث العلمي ، ولا تعطون للمجتهدين حق الجرح والتعديل والبحث فيها ؟!

٤ ـ ما رأيكم في تناقض الفخر الرازي في قصة الغرانيق ، وهل صحيح أن المجلد الأخير من تفسيره ليس بقلمه ، بل بقلم القمولي المصري ؟!

٥ ـ ما قولكم في استغلال أعداء الإسلام أمثال بروكلمان ومونتغمري وسلمان رشدي ، لقصة الغرانيق ، وما سموه الآيات الشيطانية ، وهل تتحمل مصادركم إثم ذلك ؟!

٦ ـ ألا ترون أن للخلافة القرشية ضلعاً في نشر فرية الغرانيق ؟!

○ ○

المسألة: ١٤٣

زعمت عائشة أن النبيﷺ قد سُحِر !

قال الله تعالى: وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إلا رجلاً مَسْحُوراً .

لكن عائشة قالت لقد سُحِر النبيﷺوأثَّر عليه السحر ، فكانﷺ يتخيل أنه فعل الشئ مع أنه لم يفعله ! وزعمت أن يهودياً سَحَره فأخذ مشطهﷺوبعض شَعره ، وجعل فيه سحراً ودفنه في بئر ! وأنهﷺفقد حواسه وذاكرته ، وبقي على تلك الحالة ستة أشهر رجلاً مسحوراً ! حتى دلَّهُ رجلٌ أو ملَك على الشخص الذي سحره والبئر التي أودع فيها المشط والمشاطة من شعره ! فذهب إلى البئر ، ولكنه لم يستخرج المشط منها أو استخرجه وفكَّ عقد خيط الجلد الذي لفَّ به ! وأمر بدفن البئر ، ولم يقتل الذي سحره ، لأنه لم يُرِدْ أن يثير فتنة !

روى البخاري هذه الخرافة عن عائشة في خمس مواضع ! منها في:٩١/٤: (عن عائشة قالت: سُحِرَ النبي(ص) ! وقال الليث كتب إلى هشام أنه سمعه ووعاه عن أبيه ، عن عائشة قالت: سُحر النبي(ص)حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشئ وما يفعله حتى كان ذات يوم دعا ودعا ، ثم قال: أُشْعرتُ أن الله أفتاني فيما فيه شفائي؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر: ما وجعُ الرجل؟ قال: مَطْبُوب ! قال: ومن طَبَّهُ ؟ قال: لبيد بن الأعصم . قال: في ماذا ؟ قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر ! قال: فأين هو ؟قال: في بئر ذِروان ! فخرج إليها النبي(ص)ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنها رؤوس الشياطين ! فقلت: استخرجتهُ ؟ فقال: لا ، أما أنا فقد شفاني الله ، وخشيتُ أن يثير ذلك على الناس شراً ، ثم دُفِنَتْ البئر). انتهى .

وفي:٦٨/٤: (سُحر حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه) !!

وفي:٨٨/٧: (مكث النبي كذا وكذا ، يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي) !!

وفي:٢٩/٧: (كان رسول الله سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ! قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا).!!

وكرره البخاري بروايات متعددة: ٢٨/٧ و١٦٤، وروته عامة مصادرهم!

واقرأ ما يقوله ابن حجر شيخ شراح البخاري في المدة التي بقي فيها رسول الله ﷺ مسحوراً مجنوناً ، معاذ الله !

قال في فتح الباري:١٩٢/١٠: (ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي: فأقام أربعين ليلة ، وفي رواية وهيب عن هشام عند أحمد: ستة أشهر ، ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه ، والأربعين يوماً من استحكامه !

وقال السهيلي: لم أقف في شئ من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث النبي(ص)فيها في السحر ، حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري أنه لبث ستة أشهر كذاقال وقد وجدناه موصولاً بإسناد الصحيح فهو المعتمد).انتهى.

أقول: يقصد السهيلي ما في مسند أحمد:٦٣/٦: (عن عائشة قالت: لبث رسول الله(ص) ستة أشهر يرى أنه يأتي نساءه ، ولا يأتي) !! . انتهى.

وإن أردت فاقرأ في مصادرهم تلك التفاصيل العامية عن أسطورتهم وفريتهم في طريقة السحر ، وأن ولداً يهودياً سرق مشط النبي ﷺ وشيئاً من شعره(مشاطة شعره) وأعطاها الى اليهودي لبيد الأعصم ، فجعل معها خيطاً من جلد وعقده اثنتي عشرة عقدة ، وفي رواية أحد عشرة عقدة ! ثم قرأ عليها السحر ولفَّ الجميع في قماشة ، ثم دفنها تحت صخرة بئر ذروان ، الذي يقع خارج المدينة ، وكان ماؤها بسبب السحر أحمر كالحنَّاء ، وكان النخل الذي يسقى منها طلعه

كأنه رؤوس الشياطين !

وأنه بعد ستة أشهر أمضاها النبيﷺمريضاً مسحوراً نصف مجنون وحاشاه ! دلَّه الملك على البئر فذهب اليها ، أو أرسل علياً والزبير ، فاستخرجوا المشط وفكوا عقد الخيط ، حتى شفي النبيﷺمن السحر ! (راجع المجموع:٢٤٣/١٢).

ثم اقرأ تأكيد ابن حجر على تأثير السحر على حواس النبيﷺوبعض عقله !!

قال: (قوله: حتى كان رسول الله(ص)يخيَّل إليه أنه كان يفعل الشئ وما فعله.

قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع ، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثمَّ ، وأنه يوحى إليه بشئ ولم يوح إليه بشئ!

قال المازري: وهذا كله مردود ، لأن الدليل قد قام على صدق النبي(ص) فيما يبلغه عن الله تعالى ، وعلى عصمته في التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه ، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل .

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ، ولا كانت الرسالة من أجلها (...) فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض ، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لاحقيقة له ، مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين ! قال: وقد قال بعض الناس إن المراد بالحديث أنه كان(ص) إليه أنه وطأ زوجاته ولم يكن وطأهن ، وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان في المنام ، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة !

قلت: وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه: حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولايأتيهن ، وفي رواية الحميدي أنه يأتي أهله ولا

يأتيهم.وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق: سُحر النبي(ص) ، عن عائشة: حتى أنكر بصره ! وعنده في مرسل سعيد بن المسيب: حتى كاد ينكر بصره ! قال عياض: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده ....

وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الإقتدار على الوطأ ، فإذا دنا من المرأة فَتَرَ عن ذلك ، كما هو شأن المعقود ، ويكون قوله في الرواية الأخرى حتى كاد ينكر بصره ، أي صار كالذي أنكر بصره بحيث أنه إذا رأى الشئ يخيل أنه على غير صفته فإذا تأمله عرف حقيقته . ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به). انتهى.

أقول: هذا بعض كلامهم الطويل العليل ! الذي يريد ابن حجر ومن استشهد بهم أن يقنعوك بأن نبيك صلى الله عليه وآله كان لمدة ستة أشهر مسحوراً ، وقد مرض من ذلك وانتثر شعر رأسه ، وصار أقرع أو كالأقرع ، وصار يذوب ولا يدري ما عراه !

وكان يتصور أنه يرى شيئاً وهو لايراه ، ويتصور أنه أكل ولم يأكل ، وأنه شرب ولم يشرب ، وأنه نام مع زوجته ولم يفعل !

ويريدون أن يطمئنوك بأن النبي صلى الله عليه وآله بخير وعافية ، فالسحر(إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه)أي على قسم من عقله وليس على القسم المتعلق بدينه !

فاحمد ربك أن نبيك صلى الله عليه وآله لم يكفر ، ولم يهرب من المدينة الى مشركي مكة !

ويريد المازري أن يقنعك بأن عصمة النبي صلى الله عليه وآله إنما هي في تبليغه الرسالة فقط ـ ماعدا حديث الغرانيق طبعاً ـ وأنه في غير التبليغ قد يصاب بالسحر وبالجنون ، فيفقد التمييز في الأمور الدنيوية التي لم يبعث من أجلها !

أرأيت كيف أن القرشيات فاقت بافترائها على النبي الهاشميﷺ كل ما افترته الإسرائيليات على أنبيائهمعليهم السلام؟!

وهل فهمت معنى قولهﷺ: (ما أوذي نبي مثل ما أوذيت)؟!!

علماء الشيعة يردون هذه الفرية ، وقليل من علماء السنة !

وقد رد هذه الفرية علماء الشيعة ، وتجرأ على ردها قليل من علماء السنة !

قال الطوسي في تفسير التبيان:٣٨٤/١: (ما روي من أن النبيﷺ سُحِر وكان يرى أنه يفعل ما لم يفعله ، فأخبار آحادٍ لايلتفت إليها، وحاشا النبيﷺ من كل صفة نقصٍ ، إذ تنفر من قبول قوله ، لأنه حجة الله على خلقه ، وصفيه من عباده ، اختاره الله على علم منه ، فكيف يجوز ذلك مع ما جنبَّه الله من الفظاظة والغلظة وغير ذلك من الأخلاق الدنيئة والخلق المشينة ؟!

ولا يجوِّز ذلك على الأنبياءعليهم السلام إلا من لم يعرف مقدارهم ، ولا يعرفهم حقيقة معرفتهم ، وقد قال الله تعالى: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، وقد أكذب الله من قال: إِنْ تَتَّبِعُونَ إلا رجلاً مَسْحُوراً. فقال: وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إلا رجلاً مَسْحُوراً . فنعوذ بالله من الخذلان).

وقال ابن إدريس العجلي في السرائر:٥٣٤/٣: (والرسولﷺ ما سُحِر عندنا بلا خلاف لقوله تعالى: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، وعند بعض المخالفين أنه سُحر ، وذلك بخلاف التنزيل المجيد) !

وممن تجرأ ومال الى موافقتنا في ردها : النووي في المجموع: ٢٤٢/١٩ قال: (وأكتفي بهذا القدر من أحاديث سحر الرسول(ص)....تنبيه: قال الشهاب بعد نقل التأويلات عن أبي بكر الأصم أنه قال:إن حديث سحره(ص)المروي هنا

متروكٌ ، لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنه مسحور ، وهو مخالف لنص القرآن حيث أكذبهم الله فيه .

ونقل الرازي عن القاضي أنه قال: هذه الرواية باطلةٌ ، وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول:وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، وقال: وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى . ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة ، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى ضرر جميع الأنبياء عليهم السلام والصالحين، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم ، وكل ذلك باطل ، ولكان الكفار يعيرونه بأنه مسحور ، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ، ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب ، ومعلوم أن ذلك غير جائز). انتهى .

أقول: إن أصل المشكلة عندهم أنهم يقبلون كلام عمر وعائشة والبخاري مهما كان ، ولايسمحون لأنفسهم ولا لأحد أن يبحثه وينقده ! وقد أوقعهم ذلك في مشكلات عديدة في العقائد والفقه ! تحيروا وما زالوا متحيرين فيها دون أن يجرأ أحد منهم على القول معاذ الله إنها تهمة الكفار التي برَّأ الله نبيه صلى الله عليه وآله منها ، فهي مكذوبة على عائشة ، أو من خيالات النساء !

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ كيف تعتقدون بصحة أحاديث عائشة عن سحر النبيﷺوالله تعالى يقول: وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إلارجلاً مَسْحُوراً؟! فقد نفى عنه السحر ووصف من اتهمه بذلك بأنهم ظالمون ، فهل يشمل ذلك عائشة والبخاري ؟

٢ ـ إذا تعارض الحديث في البخاري أو غيره مع القرآن ، فهل تردُّونه ، أم تردون القرآن ؟!

٣ ـ قالت عائشة: حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشئ وما يفعله ! أليس هذا الجنون بعينه؟ وإن قبلناه فمن يضمن لنا احتمال أن يكون الله تعالى أنزل على النبيﷺ وحياً وأوامر ، فتصور النبيﷺأنه بلغها ولم يبلغها ؟!

٤ ـ هل تقبلون تبريرات ابن حجر وغيره لأسطورة سحر النبيﷺ؟

٥ ـ هل تعتقدون بالقدرات الخارقة للسحر وتأثيره على الناس والمؤمنين والأنبياءعليهم السلام؟! وإذا صح ذلك فلماذا لم يَصِرِ السَّحَرَة حكام الأرض ؟!

○ ○

الفصل الحادي والعشرون



طعنهم في عصمة نبينا صلى الله عليه وآله

وتفضيل بعض أصحابه عليه !

المسألة: ١٤٤

الأخطاء النبوية.. والتصحيحات العمرية !

الوضع الطبيعي للعلاقة بين النبيﷺوعمر أن تكون علاقة مسلم تابع بنبيٍّ متبوع مُطاع ، لكن الثابت أن عمر كان كثير الإعتراض على النبيﷺ !

والتفسير الصحيح لذلك أنه خطأ من عمر ، وأن الإعتراض على رسول اللهﷺ أمرٌ كبير لأنه كما قال الله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى... وَمَاآتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللهَ ، إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ .

لكن عمر ومحبيه خرجوا عن المألوف ، وفسروا اعتراضات عمر بأنه كان دائماً مصيباً ، بينما كان النبيﷺيقع في الخطأ ! وأن الوحي كان ينزل مؤيداً لرأي عمر منتقداً لرأي النبيﷺ، بل كان أحياناً يوبِّخ النبيﷺ، معاذ الله !!

فكأن النبيﷺعندهم رجلٌ ساذج ، يقع في أخطاء فيصححها له عمر !

وكأن المطلوب أن يثبتوا لعمر فضائل ، ولو بالطعن في شخصية النبيﷺ!

وقد ألفوا في هذا الطعن المغطى بهﷺكتباً ونظموا أراجيز وسموه (موافقات عمر) ومعناها: موافقات الله تعالى لرأي عمر ، ولو بتخطئة رأي النبيﷺ!!

ففي الأعلام:٦٣/٢: (أبو بكر بن زيد بن أبي بكر الحسني الجراعي الدمشقي ... (٨٢٥ ـ ٨٨٣) له.... نفائس الدرر في موافقات عمر) .

وفي:٣٠١/٣: (الجلال السيوطي(٨٤٩–٩١١) ، وعدَّ من مؤلفاته: قطف الثمر في موافقات عمر). وكذا في كشف الظنون:١٣٥٣/٢

وفي:٣٠٢/٥: (....ـ٩٣٧هـ) محمد بن إبراهيم بن محمد بن مقبل البلبيسي... صنَّف: شرح نظم الدرر في موافقات عمر للبدر الغزي) .

وفي:٤٤/٧: (محمد بن جمال الدين عبد الله بن أبي حفص سراج الدين عمر ، من علماء حلب ، ولي قضاءها مرات ، واستقضيَ بدمشق والقاهرة . له كتب منها . . . الموافقات العمرية للقرآن الشريف).

وفي معجم المؤلفين:٢٢/٢: (أحمد بن النقيب(٧٧١ ـ ٨١٦ هـ (أحمد بن علي بن محمد المقدسي... له الموافقات التي وقعت في القرآن لعمر بن الخطاب) .

وفي إيضاح المكنون:٤٤٧/١:(الدر المستطاب في موافقات عمر بن الخطاب ، لحامد بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحيم العمادي ، المفتي الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ١١٧١).

وفي:٦٥٨/٢: (نظم الدرر في موافقات عمر ، أعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبدر الدين محمد بن محمد الغزي) .

وفي هدية العارفين:٤٩٧/١: (ابن البدر الخطيب عبد الباقي بن عبدا لباقي بن عبد القادر بن عبدا لباقي بن إبراهيم بن عمر البعلي الدمشقي....ولد سنة ١٠٠٥ وتوفي في ذي الحجة من سنة١٠٧١ . من تصانيفه شرح الجامع الصحيح للبخاري لم يكمل . اقتطاف الثمر في موافقات عمر) .

وفي:٢٣٣/٢: (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان الغزي...توفي سنة٩٣٥.... من تصانيفه ... شرح نظم الدرر في موافقات عمر ... نظم الدرر في موافقات عمر). انتهى.

قال ابن حجر في فتح الباري:٢٠٠/١: (وروى البزار بإسناد حسن ، من حديث أبي سعيد الخدري في هذه القصة أن النبي(ص)أذن لمعاذ في التبشير ، فلقيه

عمر فقال: لاتعجل ، ثم دخل فقال: يا نبي الله أنت أفضل رأياً ، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها ! قال: فَرُدَّهُ ! وهذا معدودٌ من موافقات عمر ، وفيه جواز الإجتهاد بحضرته (ص) !!

وقال في فتح الباري:٧/٤٢: (عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عباس يقرأ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَنَبِيٍّ،ولا محدث . والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي(ص)من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها) !!

وفي تحفة الأحوذي:١٠/١٢٥:(فإن يك في أمتي أحد)أي من المحدثين (فعمر بن الخطاب) وفي بعض النسخ: يكون عمر بن الخطاب ، والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي(ص)من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها ، ووقع له بعد النبي(ص)عدة إصابات). انتهى.

وقال الصالحي في سبل الهدى والرشاد:٣/١٩٧:(عن عبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله(ص)بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض علينا الحرب ، على ألانشرك بالله شيئاً ، ولانسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ...

وقوله: على بيعة النساء ، يعني على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية ، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة ، وليس هذا بعجيب ، فإن القرآن نزل بموافقات عمر بن الخطاب). انتهى .

وفي تاريخ المدينة لابن شبة:٣/٨٥٩: (موافقاته رضي الله عنه... قال ابن عمر: ما أنزل الله أمراً قط فقالوا فيه وقال فيه عمر ، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر) ! (ورواه أحمد:٢/٩٥، والترمذي:٥/٢٨٠ ، وروى عن ابن عمر أن النبيﷺقال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) !

ثم ذكر ابن شبَّه عدداً من موافقات الله تعالى لعمر ، بعضها واضح الكذب ، وبعضها محرَّف ، وفي بعضها تخطئة صريحة للنبي صلى الله عليه وآله !

○ ○

الأسئلة

١ ـ هل تقبل عقولكم أن يكون خير البشر وأفضل الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله بهذه الصفات التي تنسبها اليه هذه الروايات ؟!

٢ ـ هل تعتقدون أن النبي صلى الله عليه وآله يمكن أن يخطئ في الأمر بل في الأمور ويصيب عمر؟ ألا يلزم من ذلك أن عمر أفضل من النبي صلى الله عليه وآله وأولى بالنبوة ؟!

٣ ـ لو أن رواياتكم قالت إن الذي كان يصحح أخطاء النبي صلى الله عليه وآله شخصٌ غير عمر ، هل كنتم تسكتون عن هذ المنقصة لنبيكم صلى الله عليه وآله ؟!

○ ○

المسألة: ١٤٥

افتروا على النبي ﷺ بأنه كان يشتم الناس ويلعن ويؤذي ويضرب بغير حق ! أما عمر فكان غضبه حقاً وعزاً !!

قال الله تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) . (المائدة:٧٨)

واللعن ، هو الحكم الإلهي بطرد شخص شرِّير من رحمة الله ، وهو أمر معروفٌ في كل الأديان ، ولذا تتشاءم الأمم من الملعونين على لسان الأنبياء عليهم السلام وتنبذهم.

وقد لعن النبي ﷺ عدداً من زعماء قريش ، فصارت لعنته دمغة عليهم !

لكن القرشيين ابتكروا بعد وفاة النبي ﷺ أسلوباً لإبطال اللعن النبوي ! فزعموا أن النبي ﷺ اعترف بأنه غير معصوم ، وأنه يغضب كما يغضب الإنسان العامي فيسب ويلعن ويؤذي ويضرب المؤمنين ظلماً وعدواناً ! وأنه ﷺ دعا لمن لعنهم وظلمهم وآذاهم بغير حق ، بأن يعوضهم الله ويجعل لعنته عليهم: (صلاةً وقربةً ، وزكاةً وأجراً ، وزكاةً ورحمةً ، وكفارةً له يوم القيامة ، وقربةً تقربه بها يوم القيامة ، ومغفرةً وعافيةً ، وكذا وكذا .. وبركةً ورحمةً ومغفرةً وصلاةً .. على حدِّ تعابيرهم) !!

وقد رووا ذلك في عشرات الروايات ودونوها في أصح كتبهم! فصار الملعونون على لسان النبي ﷺ بهذه الأدعية أربح وأفضل من غيرهم !

قال البخاري (وهو مولى بني جُعف محمد بن إسماعيل بن برد زبه البخاري الخرتنكي) في صحيحه:١٥٧/٧:(باب قول النبي(ص)من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة ... عن أبي هريرة أنه سمع النبي(ص)يقول: اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة اليك يوم القيامة) !!

وروى مسلم(وهو مولى بني قشير مسلم بن حجاج النيشابوري) في صحيحه:٢٥/٨: (عن أبي هريرة أن النبي(ص)قال: أللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه ، فإنما أنا بشر ، فأيُّ المؤمنين آذيته أو شتمته أو لعنته أو جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة). انتهى. ورواه بسبع روايات أخرى بنحوه !

وقالت عائشة بنت أبي بكر بن قحافة ، كما في مسند أحمد:١٦٠/٦: (كان رسول الله (ص)يرفع يديه يدعو حتى أسأم ! ويقول: أللهم إنما أنا بشر ، فلا تعاقبني بشتم رجل من المسلمين إن آذيته) .

ونحوه:٢٢٥/٦ و٢٥٨،وفي رواية أخرى:٣٩٠/٢: (فأيما مسلم لعنته أو آذيته) .

ورواه:٢٤٣/٢، و٤٩٣ ، وفيه: (إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر) .

وفي:٣٣/٣: (فأي المؤمنين آذيته أو شتمته أو جلدته أو لعنته ، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها يوم القيامة) .

وفي مصنف عبد الرزاق:٢٥١/٢: (عن عائشة قالت: كان رسول يرفع يديه يدعو ، حتى إني لأسأم له مما يرفعهما) !

وفيه:١٩٠/١١:(إنما أنا بشر ، فأي المؤمنين آذيته ، أو شتمته ، أو جلدته ، أو لعنته، فاجعلها له صلاة وكفارة ، وقربة تقربه بها يوم القيامة) .

○ ○

بل رووا أحاديث أكثر جرأة على مقام النبيﷺفزعموا أنه كان يدعو على قريش ويلعنهم في قنوته ، فبعث الله تعالى اليه جبرئيل فوبخه وقال له: إن الله يقول لك إني لم أبعثك سبَّاباً ! بل بعثتك رحمة للعالمين ، والقرشيون قومك وأهلك أولى بالرحمة الإلهية ، فلماذا تسبهم وتلعنهم؟! وعلَّمه دعاء عاماً يقوله في قنوته ، ليس فيه ما يمس قريش ! وهو (سورتا الخلع والحفد) اللتين كان يحبهما عمر ، ويقرؤهما في صلاته !

قال البيهقي في سننه:٢/٢١٠: (بينا رسول الله(ص)يدعو على مضر (يعني قريشاً) إذ جاءه جبرئيل فأومأ اليه أن اسكت فسكت ، فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك سَبَّاباً ولا لعاناً ! وإنما بعثك رحمة ولم يبعثك عذاباً ، ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون . ثم علمه هذا القنوت:

اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ، ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك . اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، ونرجو رحمتك ونخشى عذابك ونخاف عذابك الجد ، إن عذابك بالكافرين ملحق).

ثم قال البيهقي:(هذا مرسل وقد روى عن عمر بن الخطاب صحيحاً موصولاً عن عبيد بن عمير أن عمر قنت بعد الركوع فقال: اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم. اللهم ألعن كفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك ويقاتلون أوليائك . اللهم خالف بين كلمتهم وزلزل أقدامهم وأنزل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين .

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك .

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد ولك نسعي ونحفد ونخشى عذابك الجد ونرجو رحمتك ، إن عذابك بالكافرين ملحق) !!

وفي مجمع الزوائد:٨/٢٦٧: (وعن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال: دخلت على أبي الطفيل عامر بن واثلة فوجدته طيب النفس ، فقلت يا أبا الطفيل أخبرني عن النفر الذين لعنهم رسول الله(ص)قال قال: اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد من المؤمنين دعوت عليه بدعوة فاجعلها له زكاة ورحمة . رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له ، وأحمد بنحوه ، وإسناده حسن).

هذا عن غضب النبي صلى الله عليه وآله وإيذائه للمؤمنين ولعنهم وضربهم !

أما عن غضب عمر ، فقالوا إن الله أجرى الحق على لسانه وقلبه في الرضا والغضب ! وإن الملائكة تحدثه ، والملك ينطق على لسانه .

وإن جبرئيل جاء الى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: أقرئ عمر السلام ، وأعلمه إن رضاه حكم ، وغضبه عز !! فشهد له الله تعالى بأنه معصومٌ في الرضا والغضب .

قال المناوي في فيض القدير:٢٧٨/٢: (إن الله جعل الحق ، يعني أجراه على لسان عمر ، فكان كالسيف الصارم والحسام القاطع .

قال الطيبي: جعل بمعنى أجرى فعدَّاه بعلى ، وفيه معنى ظهور الحق واستعلائه على لسانه ، ووضع جعل موضع أجراه ، إيذاناً بأن ذلك كان خلقياً ثابتاً لازماً مستقراً .

وقلبه ، فكان الغالب على قلبه جلال الله ، فكان الحق معتمله ، حتى يقوم بأمر الله وينفذ بمقاله وحاله ، وفاء بما قلَّدَه الله الخلق من رعاية هذا الدين الذي ارتضاه لهم . ومن ثم جاء في خبر: إن غضبه عزٌّ ورضاه حكم ، وذلك لأن من غلب على قلبه سلطان الحق فغضبه للحق عز للدين ، ورضاه عدل لأن الحق هو عدل الله ، فرضاه بالحق عدل منه على أهل ملته . ومعنى رضاه حكم: أنه إذا رضي رضي الحق). انتهى.

مضافاً الى ما قرأت ، تجد في تاريخ دمشق لابن عساكر:٧١/٤٤: (أن جبريل أتى النبي (ص)فقال: أقرئ عمر السلام وأعلمه أن غضبه عز ورضاه عدل) .

وفيه:٧٢/٤٤: (عن عقيل بن أبي طالب أن النبي(ص)قال لعمر بن الخطاب: إن غضبك عز ورضاك حكم). (ورواه أبو الشيخ ابن حبان في طبقات المحدثين بأصبهان :٣٤/٢ ،وابن أبي شيبة في المصنف:٤٨٦/٧ و٤٨٧ ، والطبراني في الأوسط: ٢٤٢/٦ ، والكبير:٤٨/١٢ ،

ومجمع الزوائد:٦٩/٩ ، وفي كنز العمال:٣٦٥/١٠ ، عن مصادر متعددة بروايات كثيرة ، وفي:٥٩٦/١٢ و٦٠٣ وج:٥٧٨/١١ و٥٧٩ ، بأحاديث كثيرة ، وفيها: **إن الله عز وجل عند لسان عمر وقلبه... إن الله جعل الحق على قلب عمر ولسانه... لو لم أبعث فيكم لبعث عمر ، أيد الله عز وجل عمر بملكين يوفقانه ويسددانه ، فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صواباً) . انتهى.**

○ ○

ولو قلت لهم: إن قولكم هذا في عمر غلوٌّ وتفضيلٌ له على النبي صلى الله عليه وآله!

لأجابوك: إنك لاتحب الصحابة ، والذي يطعن فيهم وينكر مناقبهم ، يطعن في الإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله!! أو قالوا لك:إنها فضيلة للنبي صلى الله عليه وآله أن الله جعل في أمته من يحفظ الدين بعده مثل عمر !!

البيهقي أراد أن يطببها فأعماها !

حاول علماء السلطة توجيه أحاديث رفع اللعن وإعادة الإعتبار للملعونين على لسان النبي صلى الله عليه وآله، فوقعوا في إشكالات أشد !

فقد حاول البيهقي أن يحفظ كرامة النبي صلى الله عليه وآله بالقول إن الله تعالى أباح له أن يسبَّ ويلعن ويجلد المؤمنين!! قال في سننه:٦٠/٧ **(باب ما يستدل به على أنه جعل سبه للمسلمين رحمة ، وفي ذلك كالدليل على أنه له مباح) !! انتهى .**

ومعنى كلام البيهقي: أن النبي صلى الله عليه وآله لعن أناساً وآذاهم بغير حق ، وهذا ذنبٌ يخرج صاحبه عن العدالة ، وسلوكٌ سئ لايليق بمسلم عادي !

لكن المخرج من ذلك عند البيهقي أن نقول إن الله أحل لنبيه هذه المحرمات وأطلق لسانه ويده في أعراض المسلمين!!

وبذلك يتهم البيهقي الله تعالى بأنه أحل لنبيه صلى الله عليه وآله هذا السلوك !!

فانظر كيف كلفه رفع اللعن عن الملعونين أن ينسب الظلم الى الله تعالى !

النووي وابن حجر يغرقان في الإحتمالات !

قال النووي في شرح مسلم:١٥٢/١٦: (فإن قيل: كيف يدعو على من ليس هو بأهل للدعاء عليه، أو يسبه أو يلعنه ونحو ذلك ؟

فالجواب: ما أجاب به العلماء، ومختصره وجهان:

أحدهما، أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له، فيظهر له(ص)استحقاقه لذلك بأمارة شرعية، ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك، وهو(ص)مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

والثاني، أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية، كقوله: تربت يمينك، وعُقْرَى حَلْقَى، وفي هذا الحديث: لاكبرت سنك، وفي حديث معاوية: لا أشبع الله بطنه، ونحو ذلك، لا يقصدون بشئ من ذلك حقيقة الدعاء فخاف(ص)أن يصادف شئ من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجراً، وإنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذ من الأزمان، ولم يكن(ص) فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً ولا منتقماً لنفسه). انتهى.

أقول: كلمة (عَقْرَى حَلْقَى) رُويت في دعاء للنبيﷺعلى امرأة، أي عقرها الله وأقعدها، وأصابها بمرض في حلقها.

وأنت ترى أن كلام النووي بلا محصل، فهو على الوجه الأول يثبت أن النبي ﷺاعترف بأنه لعن وشتم وضرب وآذى بغير حق، لكنه اعتذر مما قد يكون بغير حق في الواقع في علم الله تعالى! وهذا خلاف الظاهر! ولو صح فهو لايغير من أمر الملعونين والمشتومين والمجلودين شيئاً، لأن استحقاقهم الظاهري مازال موجوداً ! فتكون أحاديثهم في تبرئتهم ورفع اللعن عنهم بلا معنى عملي ؟!

بل اللازم عليهم أن يقولوا كما أن النبيﷺيلعنهم لاستحقاقهم الظاهري ، فنحن مأمورون بالظاهرأيضاً ، ونكون معذورين إذا خالف الواقع .

أو يقولون: مهما كان الوجه لفعل النبيﷺفهو أمر يخصه ، ونحن مأمورون بالتأسي به بقوله: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً).(الأحزاب:٢١) فالواجب علينا التأسي ، ونحن مثابون على التاسي به في لعن من نلعنهم ، ولا تثريب علينا ولا اعتراض !

وعلى الوجه الثاني ، يكون كلام النبيﷺلغواً بدون قصد ، وإن جوَّزناه على النبيﷺكما فعلوا ، فهو لايحتاج الى الإعتذار !

على أنه لايصلح لرفع الإشكال لأنه لايشمل الجَلْد الوارد في الأحاديث والذي لا يمكن أن كون لغواً بغير قصد ، كما تنبه اليه ابن حجر !

قال في فتح الباري:١٤٧/١١:(قوله: باب قول النبي(ص)من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة . كذا ترجم بهذا اللفظ وأورده بلفظ: اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة . أورده من طريق يونس وهو ابن يزيد عن بن شهاب .

وقد أخرجه مسلم من هذا الوجه مثله ، وظاهر سياقه أنه حذف منه شئ من أوله ، وقد بينه مسلم من طريق ابن أخي بن شهاب عن عمه ، بهذا الإسناد بلفظ: اللهم إني اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فأيما مؤمن سببته أو جلدته فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة . ومن طريق أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ: اللهم إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعله له زكاة ورحمة .

ومن طريق الأعرج عن أبي هريرة مثل رواية بن أخي بن شهاب ، لكن قال: فأي المؤمنين آذيته شتمته، أو لعنته، أو جلدته، فاجعلها له صلاة، وزكاة، وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة .

ومن طريق سالم عن أبي هريرة بلفظ: اللهم إنما محمد بشر، يغضب كما يغضب البشر ، وإني قد اتخذت عندك عهداً.. الحديث ، وفيه: فأيما مؤمن آذيته ، والباقي بمعناه بلفظ أو .

وأخرج من حديث عائشة بيان سبب هذا الحديث ، قالت: دخل على رسول الله(ص)رجلان فكلماه بشئ لا أدري ما هو ، فأغضباه فسبهما ولعنهما ! فلما خرجا قلت له ، فقال: أوَما علمت ما شارطت عليه ربي ، قلتُ: اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاةً وأجراً .

وأخرجه من حديث جابر نحوه ، وأخرجه من حديث أنس ، وفيه تقييد المدعو عليه بأن يكون ليس لذلك بأهل ، ولفظه: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهوراً، وزكاة، وقربة يقربه بها منه يوم القيامة....

وقوله: اللهم فأيما مؤمن ، الفاء جواب الشرط المحذوف لدلالة السياق عليه.

قال المازري: إن قيل: كيف يدعو(ص)بدعوة على من ليس لها بأهل؟!

قيل: المراد بقوله ليس لها بأهل عندك: في باطن أمره ، لا على ما يظهر مما يقتضيه حاله وجنايته حين دعائي عليه ، فكأنه يقول: من كان باطن أمره عندك أنه ممن ترضى عنه ، فاجعل دعوتي عليه التي اقتضاها ما ظهر لي من مقتضى حاله حينئذ ، طهوراً وزكاة .

قال: وهذا معنى صحيح لاإحالة فيه ، لأنه(ص)كان متعبداً بالظواهر وحساب الناس في البواطن على الله. انتهى .

وهذا مبني على قول من قال إنه كان يجتهد في الأحكام ويحكم بما أدى إليه اجتهاده . أما من قال كان لا يحكم إلا بالوحي ، فلا يتأتى منه هذا الجواب .

ثم قال المازري: فإن قيل: فما معنى قوله وأغضب كما يغضب البشر ، فإن هذا يشير إلى أن تلك الدعوة وقعت بحكم سوْرة الغضب ، لا أنها على مقتضى الشرع فيعود السؤال ؟!

فالجواب: أنه يحتمل أنه أراد أن دعوته عليه أو سبه أو جلده كان مما خيِّر بين فعله له عقوبة للجاني ، أو تركه والزجر له بما سوى ذلك ، فيكون الغضب لله تعالى بعثه على لعنه أو جلده ، ولا يكون ذلك خارجاً عن شرعه .

قال: ويحتمل أن يكون ذلك خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف من تعدي حدود الله ، فكأنه أظهر الإشفاق من أن يكون الغضب يحمله على زيادة في عقوبة الجاني لولا الغضب ما وقعت ، أو إشفاقاً من أن يكون الغضب يحمله على زيادة يسيرة في عقوبة الجاني لولا الغضب ما زادت ، ويكون من الصغائر على قول من يجوزها ، أو يكون الزجر يحصل بدونها .

ويحتمل أن يكون اللعن والسب يقع منه من غير قصد إليه ، فلا يكون في ذلك كاللعنة الواقعة رغبة إلى الله وطلباً للإستجابة .

وأشار عياض إلى ترجيح هذا الإحتمال الأخير فقال: يحتمل أن يكون ما ذكره من سب ودعاء غير مقصود ولا منوي ، لكن جرى على عادة العرب في دعم كلامها وصلة خطابها عند الحرج والتأكيد ، للعتب لا على نية وقوع ذلك كقولهم: عَقْرى حَلْقى ، وتربت يمينك ، فأشفق من موافقة أمثالها القدر فعاهد ربه ورغب إليه أن يجعل ذلك القول رحمة وقربة . انتهى.

وهذا الإحتمال حسن إلا أنه يرد عليه قوله: جلدته ، فإن هذا الجواب لايتمشى فيه إذ لايقع الجلد عن غير قصد ! وقد ساق الجميع مساقاً واحداً ، إلا إن حمل على الجلدة الواحدة فيتجه ! ثم أبدى القاضي احتمالاً آخر فقال: كان لايقول

ولايفعل(ص)في حال غضبه إلا الحق ، لكن غضبه لله قد يحمله على تعجيل معاقبة مخالفه ، وترك الإغضاء والصفح . ويؤيده حديث عائشة: ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله . وهو في الصحيح .

قلت: فعلى هذا فمعنى قوله: ليس لها بأهل ، أي من جهة تعيُّن التعجيل! وفي الحديث كمال شفقته(ص)على أمته وجميل خلقه وكرم ذاته ، حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم . وهذا كله في حق معين في زمنه واضح ، وأما ما وقع منه بطريق التعميم لغير معين حتى يتناول من لم يدرك زمنه(ص) ، فما أظنه يشمله والله أعلم). انتهى كلام ابن حجر .

وتلاحظ أنه حكم بصحة أحاديث رفع اللعن ، ثم نقل احتمالات المازري وعياض في رد الإشكالات عليها ، وكأنه ارتضاها ، حيث لم يردَّ منها إلا قول المازري بعدم قصد النبي صلى الله عليه وآله لها ، فقال إن عدم القصد لايصح في الجلد !

ثم مال الى احتمال عياض بأن الذين لعنهم النبي صلى الله عليه وآله أو جلدهم مستحقون لذلك لكن النبي صلى الله عليه وآله اعتذر عن تعجيله بمجازاتهم ، لا عن أصلها !

وهو احتمال بعيد لأن أحاديثهم صريحة في أن النبي صلى الله عليه وآله اعترف بأنه يغضب كعامة البشر ، فيشتم ويؤذي ويلعن ويجلد من لايستحق ذلك !

فيبقى الإشكال: كيف يرتكب النبي صلى الله عليه وآله ذلك وهو صاحب الخلق العظيم؟!

۞ ۞

على أن الإشكالات الأربعة التالية تبقى واردة على كل احتمالاتهم وتطويلاتهم :

الأول: أن اللعن من النبي صلى الله عليه وآله إنشاء يتضمن الإخبار بأن ذلك الشخص مطرودٌ من رحمة الله تعالى ، وهذا الإخبار لايكون إلا بوحي الله تعالى ، فيكون معنى قوله صلى الله عليه وآله: لعن الله فلان ، أو اللهم ألعن فلاناً: أن الله أخبرني أنه صدر فيه حكم

الطرد من رحمته ، وها أنا أخبركم ، وألعن من لعنه الله تعالى ! ومثل هذا الإخبار عن الله تعالى لايرتفع بدعاء النبيﷺبأن يحول لعنته عليه الى رحمة !

بعبارة أخرى: إن تصورهم أن حقيقة اللعن أنه إنشاء من النبيﷺيترتب عليه أثر من الله تعالى ، غير صحيح ، فهو حكمٌ يصدر من الله تعالى بطرد الشخص من الرحمة، فيخبر به النبيﷺ وينشئ هو لعنَ من لعنه الله ، قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَابَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ. (البقرة:١٥٩) ولذا قال تعالى:أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً. (النساء:٥٢) .

فهل وجدوا نصيراً للملعونين يرفع لعنهم ، وهو النبيﷺ ؟!!

○ ○

الثاني: إن أحاديث رفع اللعن معارضة باللعن الوارد في القرآن لأشخاص كثيرين معينين وغير معينين؟! لأن النبيﷺلعن من لعنهم الله تعالى ، فلو صح أنه رفع لعنته عنهم وجعلها رحمة ، لصار الملعونون في القرآن مرحومين على لسان النبيﷺ ؟! وكيف يكون شخص ملعونَ الله ، ومرحومَ نبيهﷺ !

○ ○

الثالث: قال في فتح الباري:٣٨٩/١٠: (وقد أخرج أبو داود عن أبي الدرداء بسند جيد رفعه: إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ، ثم تهبط إلى الأرض فتأخذ يمنة ويسرة ، فإن لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن ، فإن كان أهلاً ، وإلا رجعت إلى قائلها .

وله شاهد عند أحمد من حديث ابن مسعود بسند حسن). انتهى .(راجع أيضاً سنن أبي داود:٤٥٧/٢ و٤٥٨، والترمذي:٢٣٦/٣، والزوائد:٧٤/٨، باب فيمن لعن ما ليس بأهل للعنة).

فقد صح عندهم أن لعن المؤمن كقتله ! وأن من لعن شخصاً أو شيئاً وليس

بأهل للعن ، رجعت اللعنة عليه ! فكيف يقبلون بعد ذلك أن النبيﷺاعترف بأنه لعن من ليس أهلاً للعن ؟! وهل هذا إلا سوء أدب مع النبيﷺ ؟!!

○ ○

الرابع: أن أحاديثهم في رفع اللعن بعضها يدل على رفع كل أنواعه ، وبعضهما على رفعه عمن لايستحقه فقط ، والحديث الذي رواه أحمد وحسَّنه الهيثمي يدل على أن النبيﷺأبطل لعن كل من لعنهم ، وأن قيد (من ليس له بأهل) الوارد في بعضها قيدٌ توضيحي وليس احترازياً ، قال في مجمع الزوائد:٢٦٧/٨: (وعن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال دخلت على أبي الطفيل عامر بن واثلة فوجدته طيب النفس فقلت يا أبا الطفيل أخبرني عن النفر الذين لعنهم رسول الله(ص)قال قال: اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد من المؤمنين دعوت عليه بدعوة فاجعلها له زكاة ورحمة).انتهى.

فقد فهم هذا الصحابي أن النبيﷺرفع لعن جميع من لعنهم ، وهم نحو خمسين نوعاً من أصحاب الإنحراف والمعاصي ، كقول ابن عباس: (لعن النبي ﷺالمخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، وقال: أخرجوهم من بيوتكم وأخرج فلاناً ، وأخرج عمر فلاناً) . (البخاري:٢٨/٨)

فإن قلت: يرى ابن حجر أن اللعن المرفوع هو المقيد بمن ليس له بأهل فقط ، وأن المطلق يجب حمله على المقيد ، قال في فتح الباري:٧٢/١٢: (وقد قيل إن لعن النبي(ص)لأهل المعاصي كان تحذيراً لهم عنها قبل وقوعها فإذا فعلوها استغفر لهم ودعا لهم بالتوبة . وأما من أغلظ له ولعنه تأديباً على فعل فعله فقد دخل في عموم شرطه حيث قال سألت ربي أن يجعل لعني له كفارة ورحمة . قلت: وقد تقدم الكلام عليه فيما مضى وبينت هناك أنه مقيد بما إذا صدر في حق من ليس له بأهل، كما قيد له بذلك في صحيح مسلم).انتهى كلام ابن حجر.

وجوابه: أن لسان روايات رفع اللعن متعدد ، والمقيد فيها نادر ، وفيها منصوص العموم يأبى التقييد كالحديث الذي فهم منه أبو الطفيل رفع لعن جميع الملعونين: (فقلت يا أبا الطفيل أخبرني عن النفر الذين لعنهم رسول الله(ص)قال قال: اللهم إنماأنا بشر فأيما عبد من المؤمنين دعوت عليه بدعوة فاجعلهاله زكاة). فقد فهم أبو الطفيل رفع اللعن عن الجميع ، ولو كان هناك قيد لبينه وقال مثلاً: من لم يكن منهم أهلاً للعن فقد رفع النبيﷺعنه اللعن..الخ.

على أنك عرفت أن النبيﷺلايلعن من عنده ، وأن اللعن غير قابل للرفع .

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ هل تصححون أحاديث رفع اللعن عمن لعنهم النبيﷺمع أنها تتهم النبي ﷺبأن غضبه يخرجه عن الحق ويوقعه في معصية كبيرة تنافي العصمة والعدالة وهي سب المؤمنين وشتمهم وضربهم بغير حق ؟!

٢ ـ وفي المقابل هل تقبلون الأحاديث المتقدمة في تسديد عمر وأن الحق في قلبه وعلى لسانه ، وتفضله على النبيﷺوتقول إن غضب عمر لايخرجه عن الحق ، بل غضبه عز وحكم !

٣ ـ هل تصححون الحديث الذي صححه البيهقي وفيه أن جبرئيلعليه السلامقطع صلاة النبيﷺووبخه لأنه لعن مشركي قريش ، وأنزل عليه سورتي الحفد والخلع ؟!

٤ ـ هل تقبلون أن يكون الملعون أكثر نصيباً من الخير من غير الملعون ؟ فقد قالت عائشة كما في صحيح مسلم:٨،٢٤: (دخل على رسول الله رجلان فكلماه

بشئ لا أدري ما هو ، فأغضباه فلعنهما وسبهما ، فلما خرجا قلت يا رسول الله من أصاب من الخير شيئاً ، فما أصابه هذان ! قال: وما ذاك ؟! قالت قلت: لعنتهما وسببتهما ! قال: أوما علمت ما شارطت عليه ربي ، قلت: اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً)!! وفي مسند ابن راهويه:٨١٩/٣: (قلت يا رسول الله من أصاب منك خيراً ما أصاب منك هذان)؟!

٥ ـ ماهي الصيغة الفقهية لهذا الشرط الغريب المذكور في أحاديث رفع اللعن؟ فهل هو دعاء مستجاب ؟ أم تنصل مسبق من المعصية ، كاف لإسقاط عقوبتها ؟ أم شرط حقيقي يقبله الله تعالى فيجعل السيئة حسنة والشتم والجلد رحمة؟!

وهل هو مختص بالنبي ؟ أم يصح لأي شخص أن يشرط على ربه ، ثم يطلق لسانه في أعراض المسلمين ويده في أبشارهم ، فيحولها الله رحمة وبركة عليهم؟!

٦ ـ هل تقبلون قول البيهقي إن الله تعالى أحل لنبيه خاصة ﷺ سب المسلمين وإيذائهم وضربهم ؟!

٧ ـ لماذا تخالفون القرآن وتنسبون الغضب والهوى الى رسول الله ﷺ ، وقد قال تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى . والذي عَصَمَ الله منطقه عن الهوى فقد عصمَ فعله عن الهوى ؟!

٨ ـ لماذا تركتم الأحاديث الصحيحة التي تنص على النبي ﷺ معصوم لا يقول إلا الحق في الرضا والغضب ، كالذي رواه الحاكم:١٠٤/١: (عن عبد الله بن عمرو قال: قالت لي قريش تكتب عن رسول الله(ص)وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر ، فأتيت رسول الله فقلت يا رسول الله إن قريشاً تقول تكتب عن رسول الله وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر؟! قال فأومى لي شفتيه فقال:

والذي نفسي بيده ما يخرج مما بينهما إلا حق فأكتب). وقد صححه الحاكم وأتى له بشواهد ونظائر .. فما رأيكم ؟!

٩ ـ هل لاحظتم أن مقولة: (إنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر) هي مقولة قريش أرادت بها أن لا تُكتب سنة النبيﷺ ، ثم أرادت بها أن تُبطل لعنة النبيﷺ لملعونيها !!

١٠ ـ هذه قائمة أولية بالملعونين على لسان النبيﷺ:

القرشيون البضعة عشر ليلة الهجرة .

- أبو جهل .
- أبو لهب .
- أمية بن خلف .
- الأسود بن المطلب وابنه هبار .
- أبو العاص وابنه الحكم وابنه مروان .
- العاص وابنه عمرو .
- المغيرة بن شعبة .
- عقبة بن أبي معيط .
- الوليد بن عقبة .
- سهيل بن عمرو .
- صفوان بن أمية .
- المغيرة بن أبي وقاص .
- سراقة بن مالك .
- عتبة بن أبي وقاص .

- خالد بن الوليد وأبوه .
- أبو القين الأسلمي .
- النضر بن الحارث .
- الحارث بن هشام بن المغيرة .
- عتبة بن أبي لهب .
- ابن قميئة .
- ابن خطل .
- ابن النعيمان .
- ماعز بن مالك .
- مسطح بن أثاثة .
- المغيرة بن أبي العاص .
- اربد بن قيس .
- عامر بن الطفيل .
- قريش ، وعشائر رعل ، وذكوان ، وعصية ، ولحيان .
- أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية .
- بنو أمية الشجرة الملعونة في القرآن .
- أم حكمة .
- سفيان بن خالد بن نبيح .
- عبد الله بن سعد بن أبي سرح .
- الغادرون بأصحابه من عكل وعرينة وقيس وغيرها .
- قتلى بدر من المشركين .

- الأحزاب .
- السبعة عشر أصحاب مؤامرة العقبة لقتل النبيﷺ .
- المتخلفين عن القتال والفارين من الزحف .
- المتخلفين عن جيش أسامة .
- بعض النساء !
- من أفشى سر النبيﷺ.
- الذين يؤذون النبيﷺفي حياته وبعد وفاته .
- عبد الله ابن أبي سلول .
- ذو الثدية .
- أبو رافع اليهودي .
- كعب بن الأشرف .
- امرأة من يهود .
- من آذى علياًعليه السلامأو غصب حقه .
- من أغضب فاطمةعليها السلامأو آذاها .
- قتلة الحسينعليه السلام.
- من ظلم أهل البيتعليهم السلامأو آذاهم ، أو تخلف عن نصرتهم .
- المنافقين .
- الحاكم الجائر .
- من ظلم أهل المدينة أو أخافهم .
- من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً .
- الراشي والمرتشي .

○ شارب الخمر .

○ السارق .

○ آكل الربا .

○ المخنثون والمترجلات .

○ من سب والديه ... الخ.

فمن هم الذين رفع عنهم اللعن من هؤلاء برأيكم ؟!

١١ ـ إذا كان رسول الله ﷺ ندم ورفع لعنته عمن لعنهم وجعلها عليهم رحمة وبركة ، فلماذا عيرت عائشة مروان بن الحكم وقالت فيه:ولكن رسول الله(ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه ، قالت: فمروان فضض من لعنة الله). (الحاكم:٤/٤٨١ وصححه على شرط الشيخين!) . ولماذا لم يجبها مروان بأن اللعنة امتياز له وبركة !

١٢ ـ قال أبو داود في سننه:٢/٤٠٤: (عن عمرو بن أبي قرة قال: كان حذيفة بالمدائن فكان يذكر أشياء قالها رسول الله(ص)لأناس من أصحابه في الغضب ، فينطلق ناس ممن سمع ذلك من حذيفة فيأتون سلمان فيذكرون له قول حذيفة ، فيقول سلمان: حذيفة أعلم بما يقول ، فيرجعون الى حذيفة فيقولون له: قد ذكرنا قولك لسلمان فما صدقك ولا كذبك .

فأتى حذيفة سلمان وهو في مَبْقَلة فقال: يا سلمان ما يمنعك أن تصدقني بما سمعت من رسول الله(ص)؟!

فقال سلمان: إن رسول الله(ص)كان يغضب فيقول في الغضب لناس من أصحابه ، ويرضي فيقول في الرضا لناس من أصحابه ! أما تنتهي حتى تورث رجالاً حبَّ رجال ورجالاً بغضَ رجال ، وحتى توقع اختلافاً وفرقة ؟ ولقد علمت أن رسول الله(ص)خطب فقال: أيما رجل من أمتي سببته سبَّةً أو لعنته لعنةً في

غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون ، وإنما بعثني رحمة للعالمين فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة . والله لتنتهين أو لأكتبن الى عمر). انتهى.؟!

فما رأيكم في كشف هذه الرواية عن السبب السياسي الذي دفعهم لوضع أحاديث رفع اللعن ، وإن تحفظنا على قبول ما نسبته الى سلمان رضي الله عنه .

١٣ ـ ما هي أجوبتكم على إشكالاتنا الأربعة ، على رفع اللعن؟!

٭ ٭

المسألة: ١٤٦

زعموا أن النبي صلى الله عليه وآله كان يعمل بالظن ويخطئ ، وينطق عن الهوى أما عمر فيعمل بعلم ويصيب ، ولا ينطق عن الهوى !

عقيدتنا في النبي صلى الله عليه وآله أنه معصومٌ مسددٌ في قوله وفعله ، لاينطق عن الهوى ولا يفعل عن الهوى . وأن عصمته كاملة شاملة لحياته ، قبل البعثة وبعدها ، في تبليغ الرسالة وغيره ، في الأمور العامة والشخصية .

بينما يرى أتباع قريش أن النبي صلى الله عليه وآله يصيب ويخطئ! إذ لاتفسير لما زعموه من موافقات عمر إلا أن عمر كان يجتهد فيصيب ، والنبي صلى الله عليه وآله كان يجتهد فيخطئ ، فينزل الوحي مؤيداً لاجتهاد عمر ، مخطئاً للنبي صلى الله عليه وآله!

قال الإمام الصادق عليه السلام لأبي حنيفة كما في الإحتجاج:١١٧/٢:(تزعم أنك تفتي بكتاب الله ولست ممن ورثه . وتزعم أنك صاحب قياس ، وأول من قاس إبليس لعنه الله ، ولم يُبْنَ دين الإسلام على القياس . وتزعم أنك صاحب رأي ، وكان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وآله صواباً ، ومن دونه خطأ ، لأن الله تعالى قال له: لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ... ولم يقل ذلك لغيره...).

وفي الناصريات للشريف المرتضى ص٤٦: (هذه المسألة إنما تتفرع على غير أصولنا ، لأن من أصولنا أن الإمام معصوم ، وأنه لا يحكم بالإجتهاد الذي يجوز أن يقع الخلاف فيه ، بل بالنص والعلم) .

وفي عدة الأصول للطوسي:١١٦/٣: (فصل في أن النبي صلى الله عليه وآله هل كان مجتهداً في شئ من الأحكام ، وهل كان يسوغ ذلك له عقلاً أم لا ؟ وأن من غاب عن

الرسول في حال حياته هل كان يسوغ له الإجتهاد أو لا ؟ وكيف حال من بحضرته في جواز ذلك ؟

إعلم أن هذه المسألة تسقط على أصولنا ، لأنا قد بينا أن القياس والإجتهاد لا يجوز استعمالها في الشرع ، وإذا ثبت ذلك فلا يجوز للنبيﷺ ذلك ، ولا لأحد من رعيته حاضراً ، كان أو غايباً ، لاحال حياته ولا بعد وفاته ، استعمال ذلك على حال . وأما على مذهب المخالفين لنا في ذلك ، فقد اختلفوا فذهب أبو علي وأبو هاشم إلى أنه لم يتعبد بذلك في الشرعيات ، ولا وقع منه الإجتهاد فيها ، وأوجبا كونه متعبداً بالإجتهاد في الحروب .

وحكي عن أبي يوسف القول بأن النبيﷺ قد اجتهد في الأحكام .

وذكر الشافعي في كتاب الرسالة ما يدل على أنه يجوز أن يكون في أحكامه ما قاله من جهة الإجتهاد).

وفي الصحيح من السيرة:٢١٩/١: (لقد أظهرت الروايات التي زعموها تاريخاً لرسول اللهﷺ أن النبي يجتهد ويخطئ في اجتهاده ، ويجتهد عمر فيصيب ، فتنزل الآيات لتصوِّب رأي عمر وتخطِّئ النبيﷺ، كما زعموه في وقعة بدر الكبرى في قضية فداء الأسرى ، وآية الحجاب وغيرها .

ولأجل ذلك تجدهم يقرون بأن النبيﷺ يخطئ في اجتهاده ولكن لايقرر على الخطأ ، ولكن قولهم إنه لايقرر على خطئه لا يتلاءم مع ما يروونه عنهﷺ من أخطاء في اجتهاده ، مع عدم صدور رادع عنه ، كما هو الحال في قصة تأبير النخل حيث لم يرد مايرفع خطأه ووقع الناس نتيجة لذلك في الخسارة والفشل) .

وعقيدتنا أنهﷺ إذا أراد أن يعلم شيئاً علمه

في الكافي:٢٥٦/١: عن الإمام الباقرعليه السلام قال:(فقال له حمران: أرأيت قوله جل

ذكره: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِه أحداً ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام:إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ، وكان والله محمد صلى الله عليه وآله ممن ارتضاه . وأما قوله: عالم الغيب ، فإن الله عز وجل عالم بما غاب عن خلقه فيما يقدر من شئ ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يفضيه إلى الملائكة ، فذلك يا حمران علمٌ موقوف عنده ، إليه فيه المشيئة فيقضيه إذا أراد ، ويبدو له فيه فلا يمضيه . فأما العلم الذي يقدِّره الله عز وجل فيقضيه ويمضيه ، فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم إلينا).

وفي الكافي:٢٥٨/١: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك). (ورواه في بصائر الدرجات ص٣٣٥)

وفي الكافي:٢٥٧/١: (عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير ، في مجلس أبي عبد الله عليه السلام ، إذ خرج إلينا وهو مغضب ، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني ، فما علمت في أي بيوت الدار هي !

قال سدير: فلما أن قام من مجلسه وصار في منزله ، دخلت أنا وأبو بصير ومُيَسَّر وقلنا له: جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ، ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً ، ولا ننسبك إلى علم الغيب .

قال فقال: يا سدير: ألم تقرأ القرآن ؟ قلت: بلى ، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل: قَالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَاب أنا آتيكَ به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ . قال قلت: جعلت فداك قد قرأته ، قال: فهل عرفت الرجل ؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب ؟ قال: قلت: أخبرني به ؟

قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر ، فما يكون ذلك من علم الكتاب ؟!

قال: قلت جعلت: فداك ما أقل هذا !

فقال: يا سدير: ما أكثر هذا ، أن ينسبه الله عز وجل إلى العلم الذي أخبرك به يا سدير ، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل أيضاً: قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ؟ قال قلت: قد قرأته جعلت فداك قال: أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم ، أم من عنده علم الكتاب بعضه ؟

قلت: لا ، بل من عنده علم الكتاب كله . قال: فأومأ بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا ، علم الكتاب والله كله عندنا).

وروى الجميع عن علم الخضر عليه السلام وفراسة المؤمن والنبيﷺ أفضل منهما !

في علل الشرائع: ٥٩/١: عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا علماً، قال: قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ؟ قال له الخضر: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صبراً ، لأني وكلت بعلم لا تطيقه ووكلت أنت بعلم لا أطيقه . قال موسى له: بل أستطيع معك صبراً ، فقال له الخضر:إن القياس لامجال له في علم الله وأمره . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خبراً ؟ قال موسى سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صابراً وَلا أَعْصِي لَكَ أمراً ، فلما استثنى المشية قبلَه ، قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ، فقال موسى: لك ذلك عليَّ ، فانطلقا...).

وفي منية المريد الشهيد الثاني ص٢٣٨: (علم الباطن أقوى مرتبة من علم الظاهر وأحوج إلى قوة الجنان وعزيمة الصبر ، فمن ثَمَّ كان موسى عليه السلام محيطاً بعلم الظاهر على حسب استعداده وحاملاً له بقوة ، وخوفه الخضر عليه السلام مع ذلك من عجزه من الصبر على تحمل العلم الباطني ، وحذره من قلة الصبر ، وأراد عليه السلام

بهذه المبالغة في نفيه أنه مما يشق تحمله عليك ويعسر تجشمه ، على جهة التأكيد في أمثال هذه الخطابيات ، لا أنه غير مقدور البتة ، وإلا لما قال له موسى عليه السلام بعد ذلك: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صابراً).

وفي تفسير الميزان:٣٤٢/١٣:(وأما قوله:وعلمناه من لدنا علماً، فهو أيضاً كالرحمة التي من عنده علم لا صنع فيه للأسباب العادية كالحس والفكر حتى تحصل من طريق الإكتساب ، والدليل على ذلك قوله: مِنْ لَدُنَّا ، فهو علم وَهْبي غير اكتسابي يختص به أولياءه . وآخر الآيات يدل على أنه كان علماً بتأويل الحوادث) .

وفي تفسير الميزان:٣٨/١: (قال إنك لن تستطيع معي صبراً . يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت ، وأنت على علم علمك الله لا أعلمه . قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً . فانطلقا...قال النبي(ص): يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقصَّ علينا من أمرهما).

وفي فيض القدير:١١/٢: (آتيناه من لدنا علماً ، مع أن كل علم من لدنه ، لكن بعضها بواسطة تعليم الخلق ، فلا يسمى ذلك علماً لَدُنِياً ، بل العلم اللدني الذي ينفتح في سر العالم من غير سبب مألوف من خارج).

وفي فيض القدير:٥١٠/٤: (وقال الإمام مالك: علم الباطن لا يعرفه إلا من عرف علم الظاهر ، فمتى عَلِمَ الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن ، ولا يكون ذلك إلا مع فتح قلبه وتنويره . وقال صلى الله عليه وآله: ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم نور يقذفه الله في القلب ، يشير إلى علم الباطن) .

وفي فيض القدير:١٨٦/١: (قوله: فإنه ينظر بنور الله عز وجل، أي يبصر بعين قلبه المشرق بنور الله تعالى ، وباستنارة القلب تصح الفراسة ، لأنه يصير بمنزلة المرآة التي تظهر فيها المعلومات كما هي ، والنظر بمنزلة النقش فيها .

قال بعضهم: من غضَّ بصره عن المحارم ، وكفَّ نفسه عن الشهوات ، وعَمَرَ باطنه بالمراقبة ، وتعود أكل الحلال ، لم تخطئ فراسته .

قال ابن عطاء الله: واطلاع بعض الأولياء على بعض الغيوب جائز وواقع ، لشهادته له بأنه إنما ينظر بنور الله لا بوجود نفسه .انتهى....وقد قال علي كرم الله وجهه لأهل الكوفة: سينزل بكم أهل بيت رسول الله(ص)فيستغيثون بكم فلا يغاثوا ، فكان منهم في شأن الحسين...).

وفي تفسير القرطبي:١٦/١١: (وعلمناه من لدنا علماً ، أي علم الغيب .

ابن عطية: كان علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه ، لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها ، وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم).

وقال الزركشي في البرهان:٢٩٠/٤: (وعلمناه من لدنا علماً ، أي من العلم الخاص بنا وهو علم الغيب).

وفي فتح القدير الشوكاني:٢٩٩/٣: (وهو ما علمه الله سبحانه من علم الغيب الذي استأثر به، وفي قوله من لدنا تفخيم).

وفي بصائر الدرجات ص٣٧٥:(عن أبي جعفرعليه السلام قال رسول اللهﷺ: إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله). انتهى.

وقال عنه في مجمع الزوائد:٢٦٨/١٠: (رواه الطبراني وإسناده حسن).

○ ○

ومع ذلك زعموا أن النبيﷺكان يعمل بظنونه ويخطئ !

قال الجصاص في أحكام القرآن:٣٤٩/٢: (قوله تعالى: إنا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ.. الآية . فيه إخبار أنه أنزل الكتاب ليحكم بين الناس بما عرفه الله من الأحكام والتعبد ..... ربما احتج به من يقول إن النبي(ص) لم يكن يقول شيئاًمن طريق الإجتهاد، وأن أقواله وأفعاله كلها كانت تصدر عن النصوص وأنه كقوله تعالى: وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى. وليس في الآيتين دليل على أن النبي لم يكن يقول شيئاً من طريق الإجتهاد ، وذلك لأنا نقول ما صدر عن اجتهاد فهو مما أراه الله وعرفه إياه ومما أوحى به إليه أن يفعله فليس في الآية دلالة على نفي الإجتهاد عن النبي(ص) في الأحكام) . انتهى.

أقول: إذا أردت أن تفهم كلام الجصاص وغيره في الموضوع ، فعليك أن تضع بدل كلمة الإجتهاد: الظن والقياس . فمقصوده من قوله: (لأنا نقول ما صدر عن اجتهاد فهو مما أراه الله وعرفه إياه) ، أن الله تعالى يُري نبيه الحكم علماً أحياناً ويأمره بالعمل به ، فيعمل بعلم ولا يخطئ ، ويريه الحكم ظناً أحياناً أخرى ويأمره بالعمل به ، فيعمل بالظن ويخطئ !!

فأي إراءة هذه ؟! وهل يبقى قيمة لقوله تعالى: لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ..

وهل تبقى ميزة للرسولﷺعن غيره من أهل العلم والإصابة أحياناً ، وأهل الظن والخطأ أخرى ؟!

وبعد أن خرَّب الجصاص آية: لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ، عمد الى آية (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى) فحاول تخريبها بجرأة فاضحة !!

قال في الفصول:٢٤٣/٣: (فأما قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى، فإن فيه جوابين: أحدهما، أنه أراد القرآن نفسه ، لأنه قال تعالى: والنجم

إذا هوى ، قيل في التفسير: معناه القرآن إذا نزل .

والوجه الثاني، أن الإجتهاد لما كان مصدره عن الوحي لأن الله قد أمر به ، فدل على أنه جاز أن يقال: إن ما أداه إليه اجتهاد فهو عن وحي ، لأنه قد أوحى إليه باستعمال الإجتهاد). انتهى .

ومعنى كلامه أن الذي لاينطق عن الهوى هو القرآن ، وليس الرسولﷺ!

وإن أبيتَ إلا أن يكون الرسولﷺويكون نطقه وحياً يوحى ، فإن ظنونه الخاطئة واجتهاداته وحيٌ ، لأن الله أوحى اليه أن إعمل بظنونك !!

فهذا هو المعنى الوحيد لقوله: (إن ما أداه إليه اجتهاد فهو عن وحي لأنه قد أوحى إليه باستعمال الإجتهاد)! فالمهم عنده أن يثبت أن النبيﷺ يعمل بالظن ويقع في الخطأ ، ليبرر عمل خلفاء قريش بظنونهم !! ولا حول ولا قوة إلا بالله !

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:١٩٤/١٤:(أو بوجه آخر ، وهو أن نجيز للنبي(ص)الإجتهاد في الأحكام الشرعية ، كما يذهب إليه كثير من شيوخنا ، وهو مذهب القاضي أبي يوسف ، صاحب أبي حنيفة). انتهى .

وهو يدل على أن كثيراً من شيوخ المعتزلة وافقوا عامة شيوخ الأشاعرة ، في أن النبيﷺكان يضع أحكام الشريعة ويبلغها للمسلين باجتهاده ، أي بظنونه بغير علم جاءه من الله تعالى ، أو بظن جاءه من الله تعالى !

أما إمام الأشاعرة الفخر الرازي فقد اتبع شيوخه وقال إن النبيﷺكان يعمل باجتهاده وظنه في تشريع الأحكام ويبلغها للمسلمين ! وحاول أن يخفف من وقع ذلك على فطرة المسلم وصفاء عقله ، وعيقدته بنبيهﷺ !

قال في المحصول:٦/ ٧، في أدلة القائلين بأن النبيﷺكان يعمل القياس الظني: (أما المثبتون فقد احتجوا بأمور:

أحدها ، عموم قوله تعالى: فاعتبروا يا أولي الأبصار، وكان عليه الصلاة والسلام أعلى الناس بصيرة، وأكثرهم إطلاعاً على شرائط القياس وما يجب ويجوز فيها ، وذلك إن لم يرجح دخوله في هذا الأمر على دخول غيره ، فلا أقل من المساواة فيكون مندرجاً تحت الآية ، فكان مأموراً بالقياس فكان فاعلاً له ، وإلا قدح في عصمته) ! انتهى .

وهذا قمة ما وصل اليه علماء السلطة في تبرير ظنون خلفائهم وتلبيسها ثوباً شرعياً ، أن يجعلوا عمل النبي صلى الله عليه وآله بظنونه فريضة عليه ، (وإلا قدح في عصمته)!!

ثم حاول الرازي أن يرقع ذلك بأن أصول الأحكام نزلت على النبي صلى الله عليه وآله بعلم، لكن تفاصيلها وضعها بالظن ! قال في المحصول:٩/٦ : (قلت: الجواب عن الأول أن ذلك غير ممكن ، لأن العمل بالإجتهاد مشروط بالنص على أحكام الأصول ، وإذا كان كذلك تعذر العمل في كل الشرع بالإجتهاد) . انتهى .

فقد تفضل الرازي بالقول إن أصول أحكام الشريعة وكلياتها نزلت من الله تعالى، فبنى عليها النبي صلى الله عليه وآله بظنونه وبلغها للمسلمين على أنها شريعة الله تعالى !!

ولنا أن نسأله : هل تعرف تلك الأصول ، وكم تبلغ من مجموع الشريعة؟!

ثم قلد الرازي إمامه الجصاص وحاول تخريب آية: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى... فرد من استدل بها على عدم النبي صلى الله عليه وآله بظنونه! قال في محصوله:١٢/٦: (والجواب عن الأول: أن الله تعالى متى قال له: مهما ظننت كذا فاعلم أن حكمي كذا ، فها هنا العمل بالظن عملٌ بالوحي لا بالهوى) . انتهى .

فالمطلوب عند هؤلاء تبرير عمل زعماء قريش بظنونهم ، بالغاً ما بلغ ذلك من اتهام النبي صلى الله عليه وآله والشريعة ، وحتى الوحي والموحي سبحانه وتعالى !!

قال النووي في شرح مسلم:٥٥/١١: (قوله: قلت يارسول الله كيف أقضي في مالي؟ فلم يرد عليَّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث: قل الله يفتيكم في الكلالة...

وقد يستدل بهذا الحديث من لايجوِّز الإجتهاد في الأحكام للنبيﷺ، والجمهور على جوازه، وقد سبق بيانه مرات ، ويتأولون هذا الحديث وشبهه على أنه لم يظهر له بالإجتهاد شئ ، فلهذا لم يردَّ عليه شيئاً رجاء أن ينزل الوحي) !

وقال ابن حجر في فتح الباري:٢٤٧/١٣: (ونقل ابن التين عن الداودي ما حاصله: أن الذي احتج به البخاري لما ادعاه من النفي حجة في الإثبات ، لأن المراد بقوله بما أراك الله ليس محصوراً في المنصوص ، بل فيه إذن في القول بالرأي . ثم ذكر قصة الذي قال إن امرأتي ولدت غلاماً أسود ، قال: هل لك من إبل ، إلى أن قال: فلعله نزعه عرق ، وقال لما رأى شبهه بزمعة: احتجبي منه يا سودة . ثم ذكر آثاراً تدل على الإذن في القياس ، وتعقبها ابن التين بأن البخاري لم يرد النفي المطلق ، وإنما أراد أنه(ص)ترك الكلام في أشياء ، وأجاب بالرأي في أشياء ، وقد بوَّب لكل ذلك بما ورد فيه . وأشار إلى قوله بعد بابين ، باب من شبَّه أصلاً معلوماً بأصل مبين ، وذكر فيه حديث: لعله نزعه عرق ،وحديث: فدين الله أحق أن يقضي ، وبهذا يندفع ما فهمه المهلب والداودي ....

وقد ذكر الشافعي المسألة في الأم وذكر أن حجة من قال أنه لم يسن شيئاً إلا بأمر هو على وجهين: أما بوحي يتلى على الناس ، وأما برسالة عن الله أن افعل كذا . قال الله تعالى: وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة.. الآية ، فالكتاب ما يتلى والحكمة السنة ، وهو ما جاء به عن الله بغير تلاوة....

ثم ذكر الشافعي أن من وجوه الوحي ما يراه في المنام ، وما يلقيه روح القدس في روعه ، ثم قال: ولا تعدوا السنن كلها واحداً من هذه المعاني التي وصفت .

واحتج من ذهب إلى أنه كان يجتهد بقول الله تعالى: فاعتبروا يا أولي الأبصار ، والأنبياء أفضل أولي الأبصار ، ولما ثبت من أجر المجتهد ومضاعفته والأنبياء أحق بما فيه جزيل الثواب .

ثم ذكر ابن بطال أمثلة مما عمل فيه(ص)بالرأي من أمر الحرب ، وتنفيذ الجيوش ، وإعطاء المؤلفة ، وأخذ الفداء من أسارى بدر . واستدل بقوله تعالى: وشاورهم في الأمر ، وقال: ولا تكون المشورة إلا فيما لا نص فيه .

واحتج الداودي بقول عمر: إن الرأي كان من رسول الله....واحتج بن عبد البر لعدم القول بالرأي بما أخرجه من طريق بن شهاب: إن عمر خطب فقال: يا أيها الناس إن الرأي إنما كان من رسول الله(ص)مصيبا لأن الله عز وجل يريه ، وإنما هو منا الظن والتكلف . وبهذا يمكن التمسك به لمن يقول كان يجتهد لكن لا يقع فيما يجتهد فيه خطأ أصلاً ، وهذا في حقه صلى الله عليه وسلم....).

وقال الشافعي في كتاب الأم:١٤٩/٤: (من قتل قتيلاً فله سلبه . وذهب بعض أصحابنا إلى أن هذا من الإمام على وجه الإجتهاد ، وهذا من النبي(ص)عندنا حكم ، وقد أعطى النبي السلب للقاتل في غير موضع) . انتهى.

وقال الشيرازي في اللمع في أصول الفقه ص٣٦٧: (وقد كان يجوز لرسول الله(ص)أن يحكم في الحوادث بالإجتهاد... ومن أصحابنا من قال ما كان يجوز عليه الخطأ ، وهذا خطأ ، لقوله تعالى:عفا الله عنك لم أذنت لهم ، فدل على أنه أخطأ ولأن من جاز عليه السهو والنسيان جاز عليه الخطأ كغيره).

وقال الآمدي في الإحكام:٢١٦/٤: (أما الكتاب فقوله تعالى: عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، وذلك يدل على خطئه في إذنه لهم . وقوله تعالى في المفاداة في يوم بدر: ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض.. إلى قوله تعالى: لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو نزل من السماء عذاب لما نجا منه إلا عمر ، لأنه كان قد أشار بقتلهم ونهى عن المفاداة ، وذلك دليل على خطئه في المفاداة ! وقوله تعالى: إنما أنا بشر مثلكم ، أثبت المماثلة بينه وبين غيره ، وقد جاز الخطأ

على غيره ، فكان جائزاً عليه ، لأن ما جاز على أحد المثلين يكون جائزاً على الآخر . وأما السنة ، فما روي عن النبيﷺ، أنه قال: إنما أحكم بالظاهر ، وإنكم لتختصمون إليَّ ولعل أحدكم ألحنُ بحجته من بعض ، فمن قضيتُ له بشئ من مال أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار . وذلك يدل على أنه قد يقضي بما لا يكون حقاً في نفس الأمر . وأيضاً ما روي عنه ،ﷺ، أنه قال: إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني . وأيضاً ما اشتهر عنهﷺ، من نسيانه في الصلاة وتحلله عن ركعتين في الرباعية ، في قصة ذي اليدين ، وقول ذي اليدين: أقصَّرْتَ الصلاة أم سهوتَ؟فقال النبيﷺ:أحقٌّ ما يقول ذو اليدين؟ فقالوا: نعم).

وفي أصول السرخسي:٩٠/٢: (وأصح الأقاويل عندنا أنهﷺفيما كان يبتلى به من الحوادث التي ليس فيها وحي منزل ، كان ينتظر الوحي إلى أن تمضي مدة الإنتظار ، ثم كان يعمل بالرأي والإجتهاد ويبين الحكم به ، فإذا أقر عليه كان ذلك حجة قاطعة للحكم). انتهى .

ثم ذكر السرخسي أخطاء النبيﷺالمزعومة في أسارى بدر ، ومشورته أصحابه يوم الخندق ، ونهيه عن تلقيح النخل حتى خرج شيصاً... وقال: (فتبين أن الرأي منه كالرأي من غيره في احتمال الغلط).وذكر نحوه في:٦٩/١٦ ، ونحوه الشوكاني في نيل الأوطار :١٢٨/١، وابن حجر في الفتح :٣١٣/٣ ، و:٣٨١/٩ ، و:٢٤٨/١٣ ، وغيرها !!

أقول:

إن المتأمل في آراء أئمة مذاهب الخلافة ، يدرك كم هي المأساة في التنقيص من شخصية رسول اللهﷺومن قدر الإسلام الذي أنزله الله تعالى ! كل ذلك من أجل تبرير عمل أشخاص وصلوا الى السلطة بالقوة ، ولم يكن عندهم علم ، فعملوا بظنونهم وفرضوها على المسلمين ، ووظفوا علماء يبررون لهم ظنونهم ، باتهام النبيﷺبأنه كان مثلهم يعمل بظنونه فيخطئ ويصيب !!

الأسئلة

١ ـ لماذا لاتقولون بالعصمة الشاملة للنبي صلى الله عليه وآله والله تعالى يقول: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى) ، فإن تسديد الله لمنطق نبيه صلى الله عليه وآله فلاينطق عن الهوى ، يستلزم تسديد فعله فلا يفعل عن الهوى ؟!

٢ ـ كيف تفسرون قوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِه أحداً . إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُول فإنه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه وَمِنْ خَلْفِه رَصَدًا . لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) . (سورة الجن:٢٦ ـ ٢٨)

فهل كان نبينا صلى الله عليه وآله من هؤلاء الرسل؟ وما دام سَلَكَ من بين يديه ومن خلفه رصداً يسددون منطقه وعمله فكيف تقبلون ما نسبه اليه البخاري وعائشة وغيرهما ؟!

٣ ـ لماذا تخالفون البخاري في قوله في صحيحه:١٤٨/٨: (باب ما كان النبي (ص)يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول لا أدري ، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ، ولم يقل برأي ولا قياس ، لقوله تعالى: بما أراك الله).

ولماذا ناقض هو نفسه بالطامات التي نسبها الى النبي صلى الله عليه وآله ؟!

٤ ـ لماذا تخالفون قول عمر: (إن الرأي إنما كان من رسول الله(ص) مصيباً ، لأن الله كان يريه ، وإنما هو منا الظن والتكلف) . (سنن أبي داود:١٦١/٢)

ولماذا ناقض هو نفسه فاعترض على رسول الله صلى الله عليه وآله ونسب اليه الخطأ في أسرى بدر وغيرها ، وادعى أنه هو أصاب وأن الوحي نزل بموافقته !

وإذاكان تسديد الله لنبيه صلى الله عليه وآله في القضاء بين الناس فقط ، فقد قضى النبي صلى الله عليه وآله بينهم بالتسوية في العطاء ، فلماذا خالفه عمر وميَّز بينهم في العطاء ؟!

٥ ـ كيف تجمعون بين قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ..) وبين رواية البخاري:٦٢/٨: (عن أم سلمة عن النبي(ص)قال: إنما أنا بشر وإنكم تختصمون ، ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض وأقضي له على نحو ما أسمع. فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ فإنما أقطع له قطعة من النار). ؟!

٦ ـ المعروف أن الإجتهاد هو بذل الجهد لمعرفة الشئ ، وأن نتيجته ظنية ، فقولكم إن النبيﷺ كان يجتهد يعني أنه كان يعمل بظنه !

فهل توافقون على تحريف الجصاص لمعنى اجتهاد النبيﷺبقوله: (وليس في الآيتين(يقصد بما أراك الله.. وما ينطق عن الهوى) دليلٌ على أن النبي(ص) لم يكن يقول شيئاً من طريق الإجتهاد ، وذلك لأنا نقول: ما صدر عن اجتهاد فهو مما أراه الله وعرفه إياه) ؟!

وهل توافقون على مانسبت رواياتكم الى النبيﷺ: (فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن)؟!

○ ○

المسألة: ١٤٧

واتهموا النبي صلى الله عليه وآله بأنه ساذج ، لم يسمع بتلقيح النخل فنهاهم عنه وخرَّب الموسم !

رغم الآيات الصريحة ، والأحاديث الصحيحة ، ورغم تصريح عمر نفسه بأن رأي النبي صلى الله عليه وآله إلهامٌ من الله تعالى، فقد تبنوا مقولة أن النبي صلى الله عليه وآله مجرد مجتهد ، في القضاء وغيره ! وأنه مالم ينصَّ على أن هذا الحكم من عند الله تعالى ، فهو اجتهاد منه وظن ، جائز أن يكون صلى الله عليه وآله فيه مخطئاً ، وغيره مصيباً !

والسبب في ذلك هو الرغبة القرشية القوية في الحد من مكانة النبي صلى الله عليه وآله ، وهيمنة سنته وسيرته على المجتمع ، وسحب الحجة التي يحتج بها المعترضون على الخليفة والناقدون لسياسته !

فكان لابد عند منظِّري الخلافة القرشية من توجيه ضربة لعصمة عمل النبي صلى الله عليه وآله ومنطقه ، ونشر مقولة إنه بشر وإنه كثيراً ما كان يخطئ !

ففي صحيح مسلم:٧/٩٥: (عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: مررت مع رسول الله(ص)بقوم على رؤس النخل ، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح ، فقال رسول الله(ص): ما أظن يغني ذلك شيئاً . قال: فأخبروا بذلك فتركوه ، فأخبر رسول الله(ص)بذلك فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه ، فإني إنما ظننت ظناً ، فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به ، فإني لن أكذب على الله عز وجل).

وفي سنن ابن ماجة:٢/٨٢٥: (موسى بن طلحة بن عبيدالله يحدث عن أبيه ، قال: مررت مع رسول الله(ص)في نخل ، فرأى قوماً يلقحون النخل . فقال: ما يصنع

هؤلاء ؟ قالوا: يأخذون من الذكر فيجعلونه في الأنثى قال: ما أظن ذلك يغني شيئاً فبلغهم فتركوه ، فنزلوا عنها . فبلغ النبي(ص) فقال: إنما هو الظن ، إن كان يغني شيئاً فاصنعوه ، فإنما أنا بشر مثلكم ، وإن الظن يخطئ ويصيب ، ولكن ما قلت لكم قال الله ، فلن أكذب على الله .

وعن عائشة ، أن النبي(ص)سمع أصواتاً فقال: ما هذا الصوت؟ قالوا: النخل يؤبرونها . فقال: لو لم يفعلوا لصَلُح ، فلم يؤبروا عامئذ فصار شيصاً !!

فذكروا للنبي(ص)فقال: إن كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به ، وإن كان من أمور دينكم ، فإليَّ).

قال النووي في المجموع:٣٥٣/١١: (أبصر النبي(ص)الناس يلقحون النخل فقال: ما للناس؟ قالوا: يلقحون، فقال: لا لقاح! أو لا أرى اللقاح يغني شيئاً ، قال: فتركوا اللقاح ، فخرج تمر الناس شيصاً ، فقال النبي(ص): ما شأنه ؟ قالوا: كنت نهيت عن اللقاح !! فقال: ما أنا بزارع ولا صاحب نخل ، لقحوا !! أورد أبو بكر محمد بن موسى الحازمي هذا الحديث في كتابه الناسخ والمنسوخ ، لتضمنه النهي عن اللقاح ثم الإذن فيه ! ونقل عن بعضهم أن قوله: لالقاح ، صيغة تدل على النهي ، وأن للشارع أن يتحكم في أفعال العباد كيف أراد ! ولهذا قالوا للنبي(ص): كنتَ نهيتَ عن اللقاح ، ولم ينكر عليهم !

ومال الحازمي إلى أن ذلك ليس بحكم شرعي ، ولقوله في رواية أخرى: إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله تعالى شيئاً فخذوا به، فإنني لن أكذب على الله . ثم قال الحازمي: وعلى الجملة الحديث يحتمل كلا المذهبين ، ولذلك أبقينا يعني في الناسخ والمنسوخ).!

وقال النووي في شرح مسلم:١١٦/١٥: (وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما

ذكره(ص)من معايش الدنيا على سبيل الرأي ، فيه حديث إبار النخل وأنه (ص) قال: (ما أظن يغني ذلك شيئاً فخرج شيصاً فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به . وفي رواية: إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشئ من رأي فإنما أنا بشر . وفي رواية: أنتم أعلم بأمر دنياكم .

قال العلماء: قوله(ص): من رأيي، أي في أمر الدنيا ومعايشها ، لا على التشريع . فأما ما قاله باجتهاده(ص)ورآه شرعاً يجب العمل به ، وليس إبار النخل من هذا النوع ، بل من النوع المذكور قبله .

مع أن لفظة الرأي إنما أتى بها عكرمة على المعنى ، لقوله في آخر الحديث قال عكرمة: أو نحو هذا ، فلم يخبر بلفظ النبي(ص)محققاً .

قال العلماء: ولم يكن هذا القول خبراً ، وإنما كان ظناً كما بينه في هذه الروايات قالوا: ورأيه(ص)في أمور المعايش وظنه كغيره ، فلا يمتنع وقوع مثل هذا ، ولا نقص في ذلك ، وسببه تعلق هممهم بالآخرة ومعارفها . والله أعلم .

قوله يلقحونه ، بمعنى يؤبِّرون في الرواية الأخرى ، ومعناه إدخال شئ طلع الذكر في طلع الأنثى فتعلق باذن الله....

قوله: فخرج شيصاً ، هو بكسر الشين المعجمة وإسكان الياء المثناة تحت وبصاد مهملة ، وهو البسر الردئ الذي إذا يبس صار حشفاً ، وقيل: أردأ البسر ، وقيل: تمر ردئ ، وهو متقارب). انتهى.

أقول: يظهر أن ما ذكره النووي من (وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره (ص) من معايش الدنيا على سبيل الرأي) هو عنوان باب في صحيح مسلم ، وهو جرأة عجيبة على الطعن في النبي صلى الله عليه وآله بأنه ساذج ، ولواذٌ في مخالفة أوامره !

واعجب ماشئت من تبرير النووي لسذاجة النبيﷺوعدم ثقافته في أمور الدنيا ، بقوله: (وسببه تعلق همهم بالآخرة ومعارفها) !! فكأن اهتمامهﷺ بالآخرة يمنعه من فهم أمور الدنيا ، ويجعله جاهلاً بليداً لايعرف أن النخل يحتاج الى تلقيح ! ثم يجعله فضولياً ، يتدخل فيما لا يعرفه !

ثم اعجب من قوله: (قال العلماء.. قال العلماء) دون أن يذكر من هم هؤلاء (العلماء)الذين قالوا مادام النبيﷺ يقول بظنونه فلا تجب علينا طاعته حتى نعلم علم اليقين أنها عن الله تعالى !

أما المناوي فزعم أن كل نبي ساذج في أمور الدنيا !

قال في فيض القدير:٦٦/٣: (قال بعضهم: فبيَّن بهذا أن الأنبياءعليهم السلاموإن كانوا أحذق الناس في أمر الوحي والدعاء إلى الله تعالى، فهم أسرج الناس قلوباًمن جهة أحوال الدنيا ، فجميع ما يشرعونه إنما يكون بالوحي وليس للأفكار عليهم سلطان) . انتهى.

وليت المناوي ومن يصدقه من أتباع الخلافة القرشية ، يشرحون لنا معادلتهم في حذاقة الأنبياءعليهم السلاموذكائهم في أمور الآخرة ، وسراجتهم وبلاهتهم في أمور الدنيا ! وليتهم يصارحون المسلمين بأن نبيكمﷺما دام بلغ القمة في الحذاقة في أمر الوحي والدعاء الى الله تعالى ، فلا بد أن يبلغ الدرك الأسفل في الجهل بأمور الدنيا ، كجهله بحاجة النخل الى تلقيح ، والزرع الى حراثة !

وتفضل الشعراوي على نبيناﷺبأن ثقافته تحسنت عندما كبر!

قال في العهود المحمدية ص١١٤: (فإذا عزمت ، على أمر ، يعني على فعل ما أشاروا عليك به . فتوكل على الله ، لا على مشورتهم . على أنه لا يقدح في كماله

(ص)عدم التفاته إلى أمور الدنيا ، كما قال في مسألة تأبير النخل:

أنتم أعلم بأمور دنياكم . يعني التي لاوحي عندي من الله فيها ، فافهم . قال بعض العارفين: ولم يمت(ص)حتى صار أعلم الناس بأمور الدنيا) .

ولم يبين الشعراوي كيف أكمل النبيﷺتعلم أمور الدنيا قبل أن يموت ؟ وعندَ من دَرَسَ ، وفي أي سنٍّ أكمل تعليمه مادام كان ساذجاً وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، لايعرف حاجة النخل الى تلقيح رغم هجرته وعيشه في المدينة ، ورغم بعثته رسولاً ومعلماً للعالمين ؟

ولو سلمنا معهم أنهﷺكان ساذجاً جاهلاً بأمور أولية في حياة الإنسان العادي فهلاَّ علَّمه ربه أن يستر على جهله ولا يفضح نفسه بالتدخل فيما يجهله ! وهلاَّ منعه من الإضرار بالناس وتخريب موسمهم ؟!

وافتروا على النبيﷺأنه استقبح التأبير لأنه عملية جنسية !

نعم بلغ بهم الأمر هذا الحد ! فهذا السرخسي يقول في مبسوطه:١٠٩/٢٣:

(ثم ما يذكر من التلقيح في النخل أنواع معلومة عند أرباب النخيل ، منها ما يشترى فيدق ويذرُّ على مواضع معلومة من النخيل ، ومنها ما يوجد من فحولة النخل ، مما يشبه الذكر من بني آدم ثم يشق النخلة التي تحمل ، فيغرز ذلك فيها على صورة الوطأ بين الذكور والإناث . ولمَّا رأى رسول الله (ص) هذا النوع من أهل المدينة فاستقبحه ونهاهم عن ذلك ، فأحشفت النخل في تلك السنة ! فقال: عهدي بثمار نخيلكم على غير هذه الصفة ! قالوا: نعم وإنما كانت تجيد الثمار بالتلقيح ، فانتهينا إذ منعتنا فأحشفت ! فقال عليه الصلاة والسلام: إذا أتيتكم بشئ من أمردينكم فاعملوا به، وإذا أتيتكم بشئ من أمور دنياكم فأنتم أبصر بدنياكم).

وقال السرخسي في كتاب أصوله:٩٢/٢: (ولما قدم المدينة استقبح ما كانوا يصنعونه من تلقيح النخيل فنهاهم عن ذلك فأحشفت وقال: عهدي بثماركم بخلاف هذا ؟ فقالوا: نهيتنا عن التلقيح ، وإنما كانت جودة الثمر من ذلك ! قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم وأنا أعلم بأمر دينكم . فتبين أن الرأي منه كالرأي من غيره في احتمال الغلط) !! انتهى.

○ ○

أقول: ما هو جواب السرخسي الفقيه الأصولي ومن يقلده، إذا سألهم أحد: كيف تقبلون هذا الحديث المخالف للقرآن والعقل ؟ فهل من الخُلق العظيم ما فعله النبيﷺبموسم نخل المدينة ؟! وهل تعرفون أن التمر عصب اقتصاد المدينة يومذاك كموسم القطن في ساحل مصر وموسم الحنطة في سَرَخْس ؟ فهل يعقل أن يكون أهل المدينة ساذجين ، فيقبلوا بعدم تلقيح نخلهم وخسارة موسمهم ؟!

وهل يعقل أن تكون هذه الحادثة حصلت في المدينة وخرَّبت موسمها ، ولم ينتشر خبرها ، ولم يسمِّ الناس عامها (عام الشيص) أو (عام اجتهاد النبي) ! ولم يرفعها اليهود والمشركون علماً للتشنيع على النبيﷺوالإسلام ، ولم تصل الينا إلا برواية تيميين هما موسى بن طلحة وعائشة ؟!!

وأخيراً ، زعمتم أن النبيﷺيخطئ ويعصي ربه ، لكن الله تعالى لايقره على الخطأ ، فأين تنبيه الله ننبيه على هذا الخطأ ، ونهيه له عن الإضرار بالمؤمنين؟!

وزعمَ رواة قريش أن النبيﷺلم يفهم آيات زوجية النبات !

قال الله تعالى:(وَآيَةٌ لَهُمُ الأرض الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَاكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ . لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أيديهم أَفَلا يَشْكُرُونَ . سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأرض وَمِنْ أنفسهم وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ). (سورة يس:٣٣ـ٣٦)

وقال تعالى: (وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ . وَمِنْ كُلِّ شَئٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ). (الذاريات:٤٨ـ٤٩)

وقال تعالى:(وَهُوَالَّذِي مَدَّ الأرض وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. (الرعد:٣)

هذه الآيات من ثلاث سور ، وقد نزلت سورتا ياسين والذاريات في مكة ، ونزلت سورة الرعد في المدينة ، وقد بينها الله لنبيهﷺوفهمها وقرأها على الناس ، وهي صريحة في شمول نظام الزوجية لكل ماتنبت الأرض ؟

فهل نسيها النبيﷺعندما كان ذاهباً مع طلحة ورأى العمال يلقحون النخل ، فدهش لفعلهم ، واستقبح عمليتهم ونهاهم عنها ؟!!

اللهم غفرانك ، فقد كذبت قريش على نبيكﷺفي حياته حتى قام خطيباً محذراً ، وتفاقم كذبها عليه بعد وفاته !

في الكافي:٦٢/١: عن سليم بن قيس الهلالي: (قلت لأمير المؤمنينعليه السلام: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبيذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله ﷺغير ما في أيدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي اللهﷺ أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أن ذلك كله باطل ، أفترى الناس يكذبون على رسول اللهﷺمتعمدين ، ويفسرون القرآن بآرائهم ؟!

قال: فأقبل عليٌّ فقال: قد سألت فافهم الجواب: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وحفظاً ووهماً ، وقد كُذِبَ على رسول اللهﷺعلى عهده حتى قام خطيباً فقال: أيها الناس قد كثرت عليَّ الكذابة ، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ثم

كذب عليه من بعده . وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

رجل منافق يظهر الإيمان ، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول اللهﷺ متعمداً ، فلو علم الناس أنه منافقٌ كذاب ، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول اللهﷺورآه وسمع منه ، وأخذوا عنه ، وهم لا يعرفون حاله ، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم ، فقال عز وجل: وإذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ، ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار ، بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال ، وحملوهم على رقاب الناس ، وأكلوا بهم الدنيا ، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله ، فهذا أحد الأربعة.....الخ.).

○ ○

الأسئلة

١ ـ هل تقبلون حديث التأبير مع أن النبي صلى الله عليه وآله كان أذكى الناس، وكان رسولاً ومعلماً للعالمين، فكيف لم يكن يعرف أن النخل يحتاج الى تلقيح ؟!

٢ ـ لنفرض أن النبي صلى الله عليه وآله كان لايعرف حاجة النخل الى تلقيح وحاشاه، فهل تقبلون أنه نهاهم عن التلقيح، بسبب استقباحه ذلك الفعل ؟!

٣ ـ لنفرض أن النبي صلى الله عليه وآله كان جاهلاً بأمر النخل، وأنه اشتبه وأمرهم بترك التلقيح، فلماذا أقره الله على فعله ولم ينزل الوحي بتصحيح فعله وتنبيهه ؟

٤ ـ لنفرض أن النبي صلى الله عليه وآله كان جاهلاً بأمر النخل، وأنه اشتبه وأمرهم بترك التلقيح، وأن الله تعالى تركه الأمر حتى خرج الموسم شيصاً ! فأين كان عمر وموافقاته، وما له لم يبادر ويصحح عمل النبي صلى الله عليه وآله كما هي عادته؟! بل أين بقية الصحابة وعقلاء المدينة لم ينبسوا ببنت شفة، ولم يرووا لنا هذه الحادثة ؟!

٥ ـ ما هو الفرق بين القول الذي نسبتموه الى النبي صلى الله عليه وآله:(فأنتم أبصر بدنياكم.. إذا أمرتكم بشئ من رأي فإنما أنا بشر. وفي رواية أنتم أعلم بأمر دنياكم). وبين القول بفصل الدين عن السياسة ؟ أو مقولة المسيحيين: (دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر)؟ وهل تلتزمون بأن كل أمور الدنيا لاتشملها الأحكام الشرعية ؟!

٦ ـ مادامت أوامر النبي صلى الله عليه وآله على قسمين: قسم من أمور الدين وهو من الله تعالى فتجب إطاعته، وقسم من أمور الدنيا وهو ظنون النبي صلى الله عليه وآله، ولا تجب إطاعته. فهل تقولون إنا عندما نشك في أمر أو نهي نبوي لم يرد نص يعين أنه من أي القسمين، فالأصل أن يكون من ظنون النبي صلى الله عليه وآله فلا تجب إطاعته ؟!

المسألة: ١٤٨

زعموا أن النبيﷺ أمر بقطع كروم الطائف ونخيل خيبر..فوبخه عمر !

في السير الكبير:١/٥٥: (ثم انتهى رسول اللهﷺإلى الطائف ، فأمر بكرومهم أن تقطع . وفي ذلك قصة قد ذكرت في المغازي أنهم عجبوا من ذلك وقالوا: النخلة لا تثمر إلا بعد عشر سنين ، وكيف العيش بعد قطعها ؟ ثم أظهر بعضهم الجلادة فنادوا من فوق الحصن: لنا في الماء والتراب والشمس خلف مما تقطعون . فقال بعضهم: هذا إن لو تمكنت من الخروج من جُحْرك .

وأمر رسول اللهﷺبقطع نخيل خيبر حتى مرَّ عمر بالذين يقطعون ، فهمَّ أن يمنعهم ، فقالوا: أمر به رسول الله ! فأتاه عمرفقال: أنت أمرت بقطع النخيل؟!

قال: نعم. قال أليس وعدك الله خيبر؟ قال: بلى . فقال عمر: إذاً تقطع نخيلك ونخيل أصحابك ؟!! فأمر منادياً ينادي فيهم بالنهي عن قطع النخيل .

قال الراوي: فأخبرني رجال رأوا السيوف في نخيل النطاة ، وقيل لهم: هذا مما قطع رسول الله ! والنطاة إسم حصن من حصون خيبر . وقد كانت لهم ستة حصون: الشق ، والنطاة ، والقموص ، والكتيبة ، والسلالم ، والوطيحة).

وفي دلائل النبوة للبيهقي:٥ /١٥٧: (وزاد عروة في روايته قال: وأمر رسول الله المسلمين حين حاصروا ثقيفاً أن يقطع كل رجل من المسلمين خمس نخلات أو حبلات من كرومهم.. فأتاه عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله إنها عفاء لم تؤكل ثمارها ! فأمرهم أن يقطعوا ما أكلت ثماره الأول فالأول)!!

ورووا أن أبا بكر كان أعقل وأرحم من النبي صلى الله عليه وآله!

ففي سنن البيهقي:٩/٩٠: لما بعث أبو بكر يزيد بن أبي سفيان إلى الشام على ربع من الأرباع ، خرج أبو بكر معه يوصيه... فقال...

ولا تقتلوا كبيراً هرماً ، ولا امرأةً ، ولا وليداً ، ولا تخربوا عمراناً ، ولا تقطعوا شجرةً إلا لنفعٍ ، ولا تعقرن بهيمةً إلا لنفعٍ ، ولا تحرقن نخلاً ، ولا تغرقنه ، ولا تغدر ، ولا تمثِّل ، ولا تجبن ، ولا تغلل) .

○ ○

الأسئلة

١ ـ هل تقبل عقولكم أن النبي صلى الله عليه وآله وهو أعقل الخلق وأرحمهم ، يأمر بقطع النخيل والكروم في خيبر والطائف ؟!

٢ ـ لنفرض أن النبي صلى الله عليه وآله ساذج كما صوره عمر، وأنه أمر بقطع نخيل خيبر ، ألم يتعلم من توجيه عمر في خيبر ، فعاود ذلك بعد سنتين في الطائف ؟!

٣ ـ ألا يكفيكم لتكذيب هذه الأسطورة قول أحد رواتها: (فأخبرني رجال رأوا السيوف في نخيل النطاة ، وقيل لهم: هذا مما قطع رسول الله !) فهل سمعتم في تاريخ العرب أو الشعوب الأخرى أن أحداً كان يقطع شجر النخيل بالسيوف ؟!!

٤ ـ ألا تظنون أن وصية أبي بكر لجند فتح الشام ، هي لرسول الله صلى الله عليه وآله وقد سلبوها منه ، ووضعوها على لسان غيره ؟!

○ ○

المسألة: ١٤٩

زعموا أن النبيﷺ أمر المسلمين
بذبح جمال جيش تبوك.. فوبخه عمر !

قال البخاري في صحيحه:١٠٩/٣و:١٣/٤: (قال خَفَّتْ أزواد القوم وأملقوا ، فأتوا النبي (ص) في نحر إبلهم ، فأذن لهم ! فلقيهم عمر فأخبروه ، فقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم؟! فدخل على النبي(ص)فقال يا رسول الله ما بقاؤهم بعد إبلهم؟! فقال رسول الله(ص): ناد في الناس يأتون بفضل أزوادهم ، فبسط لذلك نطعٌ وجعلوه على النطع ، فقام رسول الله(ص)فدعا وبارك عليه ، ثم دعاهم بأوعيتهم فاحتثى الناس حتى فرغوا).

وقال مسلم:٤٢/١: (لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، قالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادَّهنا ، فقال رسول الله(ص): إفعلوا .
قال فجاء عمر فقال يا رسول الله إن فعلت قلَّ الظهر ، ولكن أدعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة ، لعل الله أن يجعل البركة في ذلك؟
فقال رسول الله(ص): نعم .
قال فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم قال فجعل الرجل يجئ بكف ذُرَة ، قال ويجئ الآخر بكف تمر ، قال ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيءٌ يسير ، قال فدعا رسول الله(ص)عليه بالبركة ثم قال: خذوا في أوعيتكم ، قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه...). انتهى.

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ هل يقبل عقلكم أن جيش المسلمين في تبوك وهم على بعد نحو ألف كيلو متر من المدينة ، يطلبون من النبي صلى الله عليه وآله أن يأذن لهم في ذبح جمالهم ليأكلوها ويبقوا بدون وسائط نقل ، وأن النبي صلى الله عليه وآله أذن لهم بذلك ؟!

٢ ـ تعارضت روايات هذه الموافقة لعمر ، فبعضها قال إنه هو صاحب اقتراح أن يدعو النبي صلى الله عليه وآله بالبركة على أزوادهم ، وبعضها قال إنه النبي صلى الله عليه وآله ؟

فإذا صاحب الإقتراح كان هو النبي صلى الله عليه وآله كما نص البخاري ، فقد انتفت الحاجة الى ذبح الجمال ، فما قولكم؟!

أم تقولون إن عمر نبه النبي صلى الله عليه وآله الى ذلك كما في مسلم ، فأطاعه وأمر به كما في البخاري ؟!

○ ○

المسألة:١٥٠

وروَوا أن النبيﷺ تأخر عن صلاة العشاء فصاح به عمر !

قال البخاري:١٤٢/١: (عن عروة أن عائشة قالت: أعْتَمَ رسول الله(ص)بالعشاء حتى ناداه عمر: الصلاة نام النساء والصبيان ، فخرج !).

وفي مسلم :١١٥/٢: (قال ابن شهاب وذكر لي أن رسول الله(ص)قال: وما كان لكم أن تنزروا رسول الله(ص)على الصلاة، وذاك حين صاح عمر بن الخطاب)!!

○ ○

الأسئلة

١ ـ هل كان النبيﷺ متكاسلاً عن صلاة العشاء أو ناسياً فذكَّره عمر ؟!

٢ ـ قال الله تعالى:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاتَشْعُرُونَ .

وجاء في حديث مسلم أن النبيﷺ قال: (وما كان لكم أن تَنْزُروا رسول الله (ص) على الصلاة ، وذاك حين صاح عمر بن الخطاب) !

فهل حبط عمل عمر وذهبت حسناته بصياحه على النبيﷺ أم تستثنونه من حكم الأدب مع النبيﷺ ؟!

○ ○

المسألة: ١٥١

زعموا أن النبي ﷺ نام عن الصلاة حتى طلعت الشمس فأيقظه عمر !

قال البخاري في صحيحه:١/٨٨ و:٢/١٦٨: (عن عمران قال: كنا في سفر مع النبي (ص) وإنا أسْرَيْنا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها ، فما أيقظنا إلا حَرُّ الشمس ، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان ، يسميهم أبو رجاء ، فنسي عوف ، ثم عمر بن الخطاب الرابع ، وكان النبي(ص)إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ ، لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه . فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس وكان رجلاً جليداً ، فكبر ورفع صوته بالتكبير ، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي(ص) ، فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم ، قال: لا ضير أو لا يضير ، إرتحلوا ، فارتحل فسار غير بعيد ، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ، ونودي بالصلاة فصلى بالناس).

ورواه مسلم:٢/١٤٠، وفيه: (فجعل يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ رسول الله (ص) فلما رفع رأسه ورأى الشمس قد بزغت قال: إارتحلوا ، فسار بنا حتى إذا ابيضت الشمس نزل فصلى بنا الغداة) !

○ ○

الأسئلة

١ ـ ما الذي يريدون إثباته بهذا الحديث ، فضيلة لعمر أو منقصة للنبيﷺ؟

٢ ـ ورد عندنا أن الله تعالى أنام نبيه عن صلاة الصبح فصلاها قضاء ، حتى لايقال من ضيعها هلك ، لكن هل تتعقلون أن ذلك كان في غزوة خيبر أو الحديبية أو مؤتة أو تبوك ، وأن النبيﷺ وكل جيش المسلمين ناموا عن صلاة الصبح حتى تؤذيهم الشمس بحرها ، ولم يستيقظ احد منهم عند الفجر ، ولا قبل طلوع الشمس؟!

٣ ـ هل تستطيعون أن تسموا الغزوة التي وقعت فيها هذه الحادثة ؟ هل هي خيبر أو الحديبية أو مؤتة ؟ والأشخاص الذين كانوا فيها واستيقظوا قبل عمر فكان رابعهم؟! فقد عجز علماؤكم عن معرفة ذلك ، كما عجزوا عن معرفة القوم الذين قال عنهم عمر إنهم كتبوا كتاباً فيه سنة نبيهم فتركوا كتاب ربهم !

ولماذا لم يسمِّ الراوي أولئك القوم ، ولا سمى تلك الغزوة ! ألا يوجب ذلك الشك في صحة الحديث ؟!

لاحظوا تخبط ابن حجر وغيره وكيف غرقوا في الإحتمالات في تعيين الغزوة التي وقعت فيها الحادثة ، والأشخاص الذين كانوا فيها ، ولم يصلوا الى غير الشك والإحتمال !

قال في فتح الباري:١/٣٧٩:(اختُلف في تعيين هذا السفر ، ففي مسلم من حديث أبي هريرة أنه وقع عند رجوعهم من خيبر قريب من هذه القصة. وفي أبي داود من حديث ابن مسعود أقبل النبي(ص)من الحديبية ليلاً فنزل فقال من يكلؤنا فقال بلال أنا . . الحديث . وفي الموطأ ، عن زيد بن أسلم مرسلاً: عرَّس رسول

الله(ص)ليلة بطريق مكة ووكَّلَ بلالاً . وفي مصنف عبد الرزاق عن عطاء بن يسار مرسلاً أن ذلك كان بطريق تبوك ، وللبيهقي في الدلائل نحوه من حديث عقبة بن عامر . وروى مسلم من حديث أبي قتادة مطولاً ، والبخاري مختصراً في الصلاة قصة نومهم عن صلاة الصبح أيضاً في السفر لكن لم يعينه ، ووقع في رواية لأبي داود أن ذلك كان في غزوة جيش الأمراء ، وتعقبه ابن عبد البر بأن غزوة جيش الأمراء هي غزوة مؤتة ولم يشهدها النبي(ص)وهو كما قال . لكن يحتمل أن يكون المراد بغزوة جيش الأمراء غزوة أخرى غير غزوة مؤتة .

وقد اختلف العلماء هل كان ذلك مرة أو أكثر ، أعني نومهم عن صلاة الصبح فجزم الأصيلي بأن القصة واحدة ، وتعقبه القاضي عياض بأن قصة أبي قتادة مغايرة لقصة عمران بن حصين وهو كما قال ، فإن قصة أبي قتادة فيها أن أبا بكر وعمر لم يكونا مع النبي(ص)لما نام ، وقصة عمران فيها أنهما كانا معه كما سنبينه ! وأيضاً فقصة عمر أن فيها أن أول من استيقظ أبو بكر ، ولم يستيقظ النبي (ص)حتى أيقظه عمر بالتكبير ، وقصة أبي قتادة فيها إن أول من استيقظ النبي (ص) وفي القصتين غير ذلك من وجوه المغايرات !!

ومع ذلك فالجمع بينهما ممكن ! لا سيما ما وقع عند مسلم وغيره أن عبدالله بن رباح راوي الحديث عن أبي قتادة ، ذكر أن عمران بن حصين سمعه وهو يحدث بالحديث بطوله فقال له: أنظر كيف تحدث ، فإني كنت شاهداً القصة ! قال: فما أنكر عليه من الحديث شيئاً ، فهذا يدل على اتحادها . لكن لمدعي التعدد أن يقول: يحتمل أن يكون عمران حضر القصتين فحدث بإحداهما وصدق عبد الله بن رباح لما حدث عن أبي قتادة بالأخرى . والله أعلم). انتهى .

فما رأيكم في هذه الدوامة التضارب والتعارض والتناقض ؟!

فإن غزوات النبيﷺ كانت بحضور العشرات والمئات والألوف من اصحابه ، وأخبارها مدونة ، وحدث من هذا النوع لابد أن ينقله الكثيرون منهم !!

٤ ـ من الذي استيقظ أولاً ، هل هو النبيﷺ أو عمر أو أبو بكر ؟!

فقد رأيتم قول ابن حجر: (وأيضاً فقصة عمر أن فيها أن أول من استيقظ أبو بكر ، ولم يستيقظ النبي(ص) حتى أيقظه عمر بالتكبير ، وقصة أبي قتادة فيها إن أول من استيقظ النبي(ص) وفي القصتين غير ذلك من وجوه المغايرات) ! انتهى.

أليس هذا التهافت من علامات الوضع أو التحريف ؟!

○ ○

المسألة : ١٥٢

زعموا أن عمر انشغل فصلى في آخر الوقت

وأن النبي صلى الله عليه وآله انشغل ففاتته الصلاة

خلاصة غزوة الأحزاب ، أن قريشاً استطاعت أن توثِّق علاقاتها وتحالفاتها ضد الإسلام ، وتجمع قوة كبيرة من قبائل العرب واليهود ، غزت بها المدينة وحاصرتها للقضاء على الإسلام ونبيه نهائياً !

وكان النبي صلى الله عليه وآله أخذ استعداده بحفر خندق حول المدينة من جهة جبل أحد ، وهي الجهة التي يمكن أن يدخل منها الجيش المهاجم الى المدينة .

ودام حصار المشركين للمسلمين نحو أسبوعين وفي رواية شهراً ، حتى هزمهم الله تعالى ، وكفى المؤمنين القتال بثلاثة أمور: جنود الغيب ، والريح ، ومبارزة فارس المسلمين علي عليه السلام لفارس المشركين عمرو بن ود عندما عبر الخندق ، فانتصره عليه وقتله مع فارسين عبرا الخندق معه ، فسبَّبَ ذلك انهيار معنويات المشركين ، فانسحبوا خائبين .

وقد وصف الله معركة الأحزاب أو الخندق بآيات في سورة الأحزاب ، منها قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا .

إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأبصار وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا...الى أن قال:

قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلايَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلاً . أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ

منَ الْمَوْت فإذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بأَلْسنَة حدَاد أَشحَّةً عَلَى الْخَيْرأُولَئكَ لَمْ يُؤْمنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أعمالهم وكَانَ ذَلكَ عَلَى الله يَسيرًا .

يَحْسَبُونَ الأحزاب لَمْ يَذْهَبُوا وَإنْ يَأْت الأحزاب يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ في الأَعْرَاب يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائكُمْ وَلَوْ كَانُوا فيكُمْ مَا قَاتَلُوا إلا قليلاً .

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُول الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمَنْ كَانَ يَرْجُواْ اللهَ وَالْيَوْمَ الآخرَ وَذَكَرَ اللهَ كثيراً . وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمنُونَ الأحزاب قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إلا إيمَانًا وَتَسْليمًا .

منَ الْمُؤْمنينَ رجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْه فَمنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمنْهُمْ مَنْ يَنْتَظرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْديلاً . ليَجْزيَ اللهُ الصَّادقينَ بصدْقهمْ وَيُعَذّبَ الْمُنَافقينَ إنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهمْ إنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحيمًا .

وَرَدَّ اللهُ الَّذينَ كَفَرُوا بغَيْظهم لَمْ يَنَالُوا خيراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمنينَ الْقتَالَ وكَانَ اللهُ قَويًّا عَزيزًا.وَأَنْزَلَ الَّذينَ ظَاهَرُوهُمْ منْ أَهْلِ الْكتَاب منْ صَيَاصيهمْ وَقَذَفَ في قُلُوبهمُ الرُّعْبَ فَريقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسرُونَ فَريقًا . وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَديَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرًا).

وفي الدر المنثور:١٩٢/٥: (أخرج ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وابن عساكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ هذا الحرف: وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنينَ الْقتَالَ بعلي بن أبي طالب) . انتهى. يقصد أن ابن مسعود كان يقرأ الآية مع تفسيرها ، وأن هذا معناها عندما نزلت . ورواه في ميزان الإعتدال:٣٨٠/٢ . وروى في إكمال الكمال:٧،٦٧: أن ابن عباس أيضاً (كان يقرأ: وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنينَ الْقتَالَ ، بعلي). انتهى.

وفي الصحيح من السيرة:١٥/٩: (انتدب فوارس من المشركين فأتوا مكاناً ضيقاً من الخندق ، وأكرهوا خيلهم على عبوره ، فعبره عكرمة بن أبي جهل ، وعمرو ابن عبد ود ، وضرار بن الخطاب الفهري ، وهبيرة بن أبي وهب ، وحسل بن

عمرو بن عبد ود ، ونوفل بن عبد الله المخزومي ، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموها .

وطلب عمرو بن عبد ود البراز فلم يبرز إليه أحد من المسلمين ، وخافوا منه خوفاً شديداً ، لما يعرفون من شجاعته وفروسيته ، وكان يعدُّ بألف فارس . وطلب عليٌّ عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله أن يأذن له بمبارزته فلم يأذن له ، فكرر عمرو النداء وأنشد الشعر، وعيَّر المسلمين المحجمين عنه، فطلب علي الإذن مرة أخرى فلم يأذن له الرسول صلى الله عليه وآله . فلما كان في المرة الثالثة ، ولم يبادر إلى ذلك سوى علي عليه السلام أذن له النبي صلى الله عليه وآله وعممه ودعا له، وقال: برز الإيمان كله الى الشرك كله، فبارزه علي عليه السلام فقتله ، وقتل ولده حَسْلاً ، ونوفل بن عبد الله ، وفرَّ الباقون ! فقال صلى الله عليه وآله: ضربة علي يوم الخندق تعدل(أو أفضل من)عبادة الثقلين إلى يوم القيامة). انتهى.

وقال في:٣٥٨/٩: (راجع النصوص التي تشير الى ذلك في:كنز العمال:٢١٩/١٢ وتاريخ بغداد:١٩/١٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ص٤٥ ومستدرك الحاكم:٣٢/٣ وتلخيصه للذهبي بهامشه ، والمناقب للخوارزمي ص٥٨ ومناقب آل أبي طالب: ٣ /١٣٨ ، وشرح المواقف:٨ /٣٧١ ، وفرائد السمطين:٢٥٦/١ / وشواهد التنزيل:١٤/٢ ط سنة ١٤١١ هـ . ، و الغدير عن بعض من تقدم ، وعن هداية المرتاب ص ١٤٨ والتفسير الكبير للرازي:٣١/٣٢ ، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٣٢٣/٢، وحبيب السير:٣٦٢/١ ، وينابيع المودة ص٩٤ و٩٥ و٩٦ ، وسعد السعود ص ١٣٩ ، والطرائف ص٦٠ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٣٧ والسيرة الحلبية: ٣١٩/٢ و٣٢٠، وشرح المقاصد للتفتازاني:٢٩٨/٥، وفردوس الأخبار:٤٥٥/٣ونفحات اللاهوت ص ٩١، ومجمع البيان:٣٤٣/٨ ، والبحار:٩١/٤١ و٩٦ و:٢٠٥/٢٠ ، وإحقاق الحق (الملحقات): ٨ و:٦ ص٥ و:٤٠٣/١٦ ...الخ.).

٥ ٥

هذا هو جو معركة الخندق ، وهو ينفعنا في نقد ما رواه البخاري وغيره ، فقد زعموا أن عمر انشغل في يوم الخندق حتى كادت تفوته صلاة العصر ، لكنه صلاها والحمد لله ، ولو في آخر الوقت .

أما النبيﷺ فقد انشغل عنها حتى فاتته وغابت الشمس !

بل رووا أن النبيﷺ فاتته أربع صلوات ، بينما عمر لم تفته ولا صلاة !

رواياتهم في أن النبيﷺ فاتته صلاة واحدة

قال البخاري في:١٤٧/١: (إن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ، قال: يا رسول الله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب قال النبي(ص): والله ما صليتها ! فقمنا إلى بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب). (ونحوه:١٥٧/١ ، وص٢٢٧ و:٤٨/٥) .كما روى البخاري أن الذي شتم الكفار ودعا عليهم هو النبيﷺ! قال في:٢٣٣/٣: (لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله(ص) ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس) ! (ومثله:٥/ ٤٨ و:١٦٥/٧) . وروى مسلم:١١١/٢و١١٢: (قال رسول الله(ص)يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى آبت الشمس ، ملأ الله قبورهم ناراً . أو بيوتهم ، أو بطونهم . شك شعبة في البيوت والبطون) . انتهى.

فترك النبيﷺ لصلاته مؤكد عندهم ، لكن الراوي بسبب احتياطه شك في دعاء النبيﷺ أن يملأ الله قبورهم ناراً ، هل أضاف اليه بيوتهم وبطونهم؟!

قال مسلم: (شك شعبة في البيوت والبطون).كما روى مسلم أن النبيﷺ أقسم لعمر أنه لم يصلِّ العصر: (فقال رسول الله (ص): وأنا والله ما صليتها) ! وفسره النووي في شرح مسلم:١٣١/٥ ، بأنه احترام من النبيﷺ لعمر وتطييبٌ لخاطره

بأن لا يحزن لأن النبي صلى الله عليه وآله أسوأ حالاً منه ! قال: (وإنما حلف النبي(ص) تطييباً لقلب عمر ، فإنه شق عليه تأخير العصر إلى قريب من المغرب). انتهى.

وفي رواية: أن النبي(ص)صلى المغرب فلما فرغ قال: هل علم أحد منكم أني صليت العصر؟ قالوا: لا يا رسول الله ما صليتها ! فأمر المؤذن فأقام فصلى العصر ثم أعاد المغرب) .انتهى. (الزيلعي في نصب الراية:٣٣٠/١) .

رواياتهم في أن النبي صلى الله عليه وآله فاتته أربع صلوات

قال ابن حجر في فتح الباري:٥٦/٢: (قوله: فصلى العصر: وقع في الموطأ من طريق أخرى أن الذي فاتهم الظهر والعصر ، وفي حديث أبي سعيد الذي أشرنا إليه: الظهر والعصر والمغرب وأنهم صلوا بعد هويٍّ من الليل ، وفي حديث ابن مسعود عند الترمذي والنسائي أن المشركين شغلوا رسول الله(ص)عن أربع صلوات يوم الخندق ، حتى ذهب من الليل ما شاء الله). انتهى.

وفي سنن الترمذي:١١٥/١: (قال عبد الله بن مسعود: إن المشركين شغلوا رسول الله (ص) عن أربع صلوات يوم الخندق ، حتى ذهب من الليل ما شاء الله ، فأمر بلالاً فأذن ، ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر، ثم أقام فصلى المغرب ، ثم أقام فصلى العشاء) . انتهى.(راجع أيضاً: مسند أحمد:٣٧٥/١ ، والنسائي:٥٠٦/١، و:١٧/٢ ، وسنن البيهقي:٤٠٣/١ و:٢٥١/٣، وابن أبي شيبة:٥١٩/١ ، و:٤٢٨/٨ ، و٥٠٢ ، وأبي يعلى:٢٣٨/٩)

وفي مجموع النووي:٦٨/٣:(والمستحب أن يقضيها على الترتيب لأن النبي(ص) فاتته أربع صلوات يوم الخندق ، فقضاها على الترتيب) !!

وفي تلخيص الحبير:٥٢٥/٣: (حديث أنه(ص)فاتته أربع صلوات يوم الخندق فقضاهن على الترتيب تقدم في الأذان ، وللترمذي والنسائي من طريق أبي عبيدة ابن عبد الله بن مسعود عن أبيه ، أن المشركين شغلوا رسول الله(ص)عن أربع

صلوات يوم الخندق، حتى ذهب من الليل ما شاء الله)

وفي مبسوط السرخسي:١٣٦/١: (وشغل رسول الله(ص)عن أربع صلوات يوم الخندق فقضاهن بعد هوي من الليل). (راجع أيضاً: بدائع الصنائع:١٣٢/١، ومغني ابن قدامه:٤٢٨/١ ،ونيل الأوطار:٣٩٧/١) .

۞ ۞

نقد رواياتهم في أن النبيﷺ ترك صلاته

في جو معركة الخندق الذي وصفناه، قالوا إن النبيﷺ فاتته الصلاة، أما عمر فصلاها في آخر الوقت! فهل يعقل ذلك ؟!

حاول ابن حجر أن يثبت صحة ذلك ! فقال في فتح الباري:٥٦/٢:(فإن قيل: الظاهر أن عمر كان مع النبي(ص) فكيف اختص بأن أدرك صلاة العصر قبل غروب الشمس بخلاف بقية الصحابة والنبي(ص)معهم ؟ فالجواب: أنه يحتمل أن يكون الشغل وقع بالمشركين إلى قرب غروب الشمس، وكان عمر حينئذ متوضئاً فبادر فأوقع الصلاة، ثم جاء إلى النبي(ص) فأعلمه بذلك، في الحال التي كان النبي(ص)فيها قد شرع يتهيأ للأداء، ولهذا قام عند الأخبار هو وأصحابه إلى الوضوء) . انتهى.

أقول: ترك ابن حجر المعقول ولم يتتبع المنقول ! وهذه عادته عندما يصل الى فضائل عمر ! فهل من المعقول أن يتعمد النبيﷺ ترك صلاة أو أربع صلوات، بسبب أنه في مدينة محاصرة من عدوه ؟ وهل من المعقول أن ينسى النبيﷺ والمسلمون صلاتهم أو صلواتهم، ولا يذكرها إلا عمر في آخر وقتها!

وأعجب من ذلك أن ابن حجر بحث في أن ترك النبيﷺ لصلاته هل كان عن نسيان أو عمد ! واحتاط ولم يقل عن نسيان، بل مال الى أنه تركها عن عمد

وعصيان !! قال: (وقد اختلف في سبب تأخير النبي(ص)الصلاة ذلك اليوم ، فقيل كان ذلك نسياناً ، واستُبْعد أن يقع ذلك من الجميع) !! (فتح الباري:٥٦/٢)

وهل نقل أحد أن المعركة كانت حامية أياماً عديدة ، كما تصوروا أو صوروا وأن ترك النبي ﷺ لأربع صلوات حدث في أكثر من يوم ؟!

ألم يرووا أن وقعة الخندق لم يكن فيها معركة شاغلة إلا مبارزة علي عليه السلام لابن عبد ودّ ومجموعة الفرسان الذين عبروا الخندق فقط ! وأنها كانت حصاراً دام اسبوعين أو شهراً ، لم يكن فيه ما يشغل عن الصلاة ؟!

وبذلك فلا معنى لما قاله السيوطي في شرح النسائي:١٨/٢: (قال ابن سيد الناس: اختلف الروايات في الصلاة المنسية يوم الخندق ، ففي حديث جابر أنها العصر ، وفي حديث ابن مسعود أنها أربع . قال القاضي أبو بكر بن العربي: والصحيح إن شاء الله تعالى أن الصلاة التي شغل عنها واحدة هي العصر . ومنهم من جمع بين الأحاديث في ذلك بأن الخندق كانت وقعته أياماً ، فكان ذلك كله في أوقات مختلفة في تلك الأيام) . (وفتح الباري:٥٧/٢) .

وهل صحيح أن عمر كان مع النبي ﷺ مع أنهم رووا ووثقوا روايتهم أنه كان مختبئاً في بستان في المدينة ، بعيداً عن المعركة ! قال في مجمع الزوائد:١٣٦/٦:

(وعن عائشة قالت: خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس ، فسمعت وئيد الأرض من ورائي ، يعني حس الأرض . قالت: فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحرث بن أوس يحمل مجنة . قالت: فجلس الى الأرض ، فمرَّ سعدٌ وعليه درعٌ من حديد قد خرجت منها أطرافه ، فأنا أتخوَّف على أطراف سعد . قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، قالت: فمر وهو يرتجز ويقول:

لبِّثْ قليلاً يدركِ الهيجَا حَمَلْ ... ما أحسنَ الموتُ إذا حانَ الأجَلْ

قالت: فاقتحمت ! حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين ! وإذا فيهم عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه تَسْبِغَةٌ له يعني المغفر ، فقال عمر: ما جاء بك لعمري إنك لجريئة ، وما يؤمنك أن لايكون تجوُّز ! (أي قد نهرب ولاتستطيعين الهروب)!! قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها ! قالت: فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيدالله ، فقال: ويحك يا عمر إنك قد أكثرتَ منذ اليوم ، وأين التجوز والفرار إلا إلى الله تعالى؟!

قالت ويرمي سعداً رجلٌ من المشركين من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له فقال له خذها وأنا ابن العرقة ، فأصاب أكحله فقطعه ، فدعا الله سعد فقال: اللهم لاتمتني حتى تقر عيني من بني قريظة فيخرجوا من صياصيهم ...الخ.).

وقد وثقه الهيثمي فقال:(قلت: في الصحيح بعضه رواه أحمد . وفيه محمد بن عمرو بن علقمة ، وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات) . انتهى.

ومن الثابت تاريخياً أن مركز قيادة النبيﷺ يوم الخندق كان في مكان مسجد الفتح الفعلي ، وهو على رأس جبل صغير مقابل الخندق وأحُد ، على بعد نحو خمسة كيلو مترات عن المدينة ، وكان المسلمون على جانبيه وخلفه . وبما أن جبل الفتح وحوله منطقة صخرية جرداء ، فلا بد أن يكون البستان الذي ذكرته عائشة في جهة المدينة ، بعيداً عن المعركة !

وقد كانت مهمة المسلمين في معركة الخندق حراسة المدينة من جهة الخندق بالدرجة الأولى ، ومن الجهات الأخرى الوعرة بطبيعتها ، ولم يذكر التاريخ أي محاولة من المشركين للدخول الى المدينة ، فلم يكن للمسلمين ولا للنبيﷺ معركة شاغلة تستغرق وقتهم وحواسهم وتنسيهم ذكر ربهم، بل لابدأن المسلمين كانوا أذكر لربهم من الأوقات الأخرى !

وعليه ، يحتمل أن يكون أصل القصة أن عمر انشغل عن صلاته يومئذ ، فعيَّروه بها ، فبرَّروا عمله باتهام النبيصلى الله عليه وآله والمسلمين بتركهم الصلاة !!

ولهذا نظير في شخصية عمر عندما أخطأ في التيمم فتمرغ بكله في التراب ، فحكى ذلك عمَّار للنبيصلى الله عليه وآله فضحك من فعله وقال له كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثم تمسح بهما وجهك وكفيك !

فسبب ذلك ردة فعل من عمر وصارت عنده عقدة من التيمم ، فأنكره من أصله ! وكان كل عمره إذا لم يجد ماء ترك الصلاة كلياً ولم يتيمم !

والأسوأ من ذلك أنه كان في خلافته يفتي المسليمن إذا لم يجدوا ماء أن يتركوا الصلاة نهائياً ! وهذا ثابت عنه !

ففي سنن النسائي:١٦٨/١: (عن عبد الرحمن بن أبزى قال: كنا عند عمر فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ربما نمكث الشهر والشهرين ولا نجد الماء ؟ فقال: عمر أما أنا فإذا لم أجد الماء لم أكن لأصلي حتى أجد الماء ! فقال عمار بن ياسر: أتذكر يا أمير المؤمنين حيث كنت بمكان كذا وكذا ونحن نرعى الإبل ، فَتَعْلَم أنا أجنبنا، قال: نعم ، قال: أما أنا فتمرغت في التراب ، فأتينا النبي(ص) فضحك فقال: إن كان الصعيد لكافيك ، وضرب بكفيه إلى الأرض ، ثم نفخ فيهما ، ثم مسح وجهه ، وبعض ذراعيه ؟! فقال: إتق الله يا عمار !! فقال: يا أمير المؤمنين إن شئت لم أذكره) !!

وروى البخاري مناقشة أبي موسى الأشعري لعبد الله بن عمر في سياسة أبيه مع جنود الفتح وأمرهم بأن يتركوا الصلاة إن لم يجدوا ماء !!

قال البخاري في:٩٠/١: (فقال له أبو موسى: لو أن رجلاً أجنب فلم يجد الماء شهراً ، أما كان يتميم ويصلي؟ فكيف تصنعون بهذه الآية في سورة المائدة: فَلَمْ

تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً؟ فقال عبدالله: لو رخص لهم في هذا لأوشكوا إذا بَرَدَ عليهم الماء أن يتيمموا الصعيد ! قلت: وإنما كرهتم هذا لذا ؟! قال: نعم . فقال أبو موسى: ألم تسمع قول عمار لعمر: بعثني رسول الله(ص)في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرَّغت في الصعيد كما تَمَرَّغُ الدابة ، فذكرت ذلك للنبي(ص)فقال: إنما كان يكفيك أن تصنع هكذا ، فضرب بكفه ضربة على الأرض ثم نفضها ، ثم مسح بها ظهر كفه بشماله أو ظهر شماله بكفه ، ثم مسح بها وجهه ؟ فقال عبد الله: ألم ترَ عمر لم يقنع بقول عمار؟! وزاد يعلى عن الأعمش عن شقيق قال: كنت مع عبد الله وأبي موسى فقال أبو موسى: ألم تسمع قول عمار لعمر: إن رسول الله بعثني أنا وأنت فأجنبتَ فتمعكتُ(تَ) بالصعيد ، فأتينا رسول الله فأخبرناه . . .). انتهى.

ونلاحظ أن البخاري وغيره جعلوا المتمرغ كالدابة عماراً وليس عمر ، لكن قول عمر في البخاري ومسلم:١/١٩٢، (إتق الله يا عمار ! فقال: يا أمير المؤمنين إن شئت لم أذكره) يدل على أن المتمرغ عمر فلو كان عماراً لضحك وما غضب وقال له:إتق الله يا عمار ، ولما كان ما يستوجب قول عمار: (إن شئتَ لم أذكره) !

وقد صرح عبد الرزاق أن المتمرغ عمر ، قال في المصنف:١/٢٤٠ قال: (بعث النبي(ص)عمر بن الخطاب ورجلاً من الأنصار يحرسان المسلمين ، فأجنبا حين أصابهما برْد السحر ، فتمرغ عمر بالتراب ، وتيمم الأنصاري صعيداً طيباً فتمسح به ، ثم صليا ، فقال النبي(ص): أصاب الأنصاري) . انتهى.

فهذه الرواية تنص على أن المتمرغ كان عمر ، وقد جعلت رفيق عمر أنصارياً وليس عمار بن ياسر ، لغرض عند الراوي !

فما دامت حساسية عمر من خطئه تجعله يعطل آية من القرآن ويترك صلاته

ويأمر المسلمين بتركها !!

فلماذا لايحتمل في حقه أن يكون ترك صلاته يوم الخندق ، خاصة وأنه حسب شهادة عائشة كان خائفاً يحسب للهزيمة والفرار من المدينة !

آراء علماء الشيعة

قال السيد ابن طاووس في الطرائف ص٣٦٨:(ولهم في أداء الصلاة وأنها لا تسقط مع بقاء التكليف بها ، تفصيلاتٌ طويلةٌ ، حتى أن فيهم من يقول إنها تصلى عند اضطراب السيوف وذهاب الأرواح بالتسبيح فقط ، فكيف استجازوا مع ذلك أن يصدقوا عن نبيهم ويشهدوا عليه أنه ترك الصلاة بالكلية حتى خرج وقتها مع أن عمر ما تركها)!

وقال الفقيه البحراني في الحدائق الناضرة:٣٧٣/٧: (أقول: ما استدل به شيخنا الشهيدقدس سره هنا من الرواية عن النبيصلى الله عليه وآله وأنه شُغل عن أربع صلوات يوم الخندق إنما هي من طرق المخالفين وليس في أخبارنا لها أثر ، ولا توافق أصولنا ، فإن ظاهر الأصحاب الإتفاق على عدم جواز ذلك عليهصلى الله عليه وآله ، لعصمته المانعة عن جواز ذلك عليه) .

وقال المرتضى في الصحيح من السيرة:٦٥/١١: (ومن الغريب والعجيب ، وما عشت أراك الدهر عجباً ، قول العسقلاني هنا: (أما من احتج لمن أخر بأن الصلاة حنيئذ كانت تؤخر كما في الخندق ، وكان ذلك قبل صلاة الخوف ، فليس بواضح ، لاحتمال أن يكون التأخير في الخندق كان عن نسيان ، وذلك بيِّنٌ في قوله (ص) لعمر ، لما قال له: ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس أن تغرب ، فقال: والله ما صليتها ، لأنه لو كان ذاكراً لها لبادر إليها كما صنع عمر).. وهكذا ، فإن نتيجة كلام العسقلاني هي أن عمر كان أذكر للصلاة من رسول

اللهﷺوأكثر اهتماماً بشأنها ! ولم ينسها عمر (رغم انشغاله الشديد بأمر الحرب في الخندق ، حتى لقد حقق أعظم الإنتصارات فيها ، وقتل أعظم فرسانها ، وهزم الأحزاب وفرق جمعهم ، بسبب ضربته الكبرى ، التي تعدل عبادة الثقلين ! أو انشغاله بالهزيمة والإختباء في الحديقة ، هو وطلحة وآخرون ، حتى فضحت أمرهم عائشة ! أما النبيﷺالذي لم يقم بأي شئ من ذلك ، فقد نسي صلاته ، وذلك يعني كما يُريد هؤلاء أن يقولوا ، أن الصلاة كانت لاتمثل لدى هذا النبي شيئاً ذا أهمية ، رغم كونه نبي هذه الأمة ، وهو الأسوة والقدوةﷺ !

نعم ، هذا ما يوحي به كلام العسقلاني الذي لم يعجبه نسبة تأخير الصلاة عمداً لبعض الصحابة) !! انتهى .

○ ○

الأسئلة

١ ـ هل تقبلون أن النبيﷺانشغل عن الصلاة حتى فاتته صلاة واحدة ، أو أربع صلوات ، في أيام معركة الخندق ؟ بينما عمر لم تَفُتْهُ أيٌّ صلاة !

٢ ـ هل ترك النبيﷺصلاته برأيكم نسياناً ، أم عالماً عامداً عاصياً لربه ؟!

٣ ـ هل ترك أبو بكر الصلاة أيام معركة الخندق ، أم كان مع عمر فصلاها ؟!

٤ ـ هل تعتبرون خروج عائشة يوم الخندق معصية ، لنهي عمر إياها ، ولأن الحاكم:٤/٥٠ ، روى أن النبيﷺجعل نساءه في حصن فارع ، وهو في جهة العوالي المخالفة لجهة الخندق وأُحُد ؟!

٥ ـ هذه الآية نزلت في الخائفين يوم الخندق:(إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ

مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأبصار وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا). (الأحزاب:١٠)
فهل تنطبق على عمر ومن كانوا في البستان ؟!

٦ ـ ما رأيكم في قول النبيﷺ يوم الخندق: برز الإيمان كله الى الشرك كله ، وقولهﷺ: ضربة علي يوم الخندق تعدل عمل الثقلين. وما رواه الحاكم:٣٢/٣ ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال قال رسول اللهﷺ: لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد وُدّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة). ؟

٧ ـ مارأيكم في رواية محمد بن سليمان الكوفي في مناقب أمير المؤمنينعليه السلام: ٢٢٢/١:(عن ربيعة السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبدالله إنا نتحدث في عليٍّ وفي مناقبه ، فيقول لنا أهل البصرة: إنكم لتفرطون في علي وفي مناقبه ، فهل تحدثني في علي بحديث ؟

فقال حذيفة: يا ربيعة إنك لتسألني عن رجل والذي نفسي بيده لو وضع عمل جميع أصحاب محمدﷺ في كفة الميزان من يوم بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا ، ووضع عمل علي يوماً واحداً في الكفة الأخرى ، لرجح عمله على جميع أعمالهم ! فقال ربيعة: هذا الذي لا يُقام له ولا يُقعد !

فقال حذيفة: وكيف لايحتمل هذا ياملكعان ! أين كان أبو بكر وعمر وحذيفة ثكلتك أمك ، وجميعُ أصحاب محمد ، يوم عمرو بن عبد ود ينادي للمبارزة فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً ، فقتله الله على يديه ؟! والذي نفسي بيده لعمله ذلك اليوم أعظم عند الله من جميع أعمال أمة محمد إلى يوم القيامة). ؟

٨ ـ ما رأيكم في قراءةابن مسعودوابن عباس:وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ، بعلي؟!

٩ ـ ما رأيكم في قول جابر بن عبد الله: ما شبَّهتُ قتل علي عمرواً إلا بقوله تعالى: (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ) ؟ (مناقب آل أبي طالب:٣٢٦/٢) .

١٠ ـ ما هو السبب في تعطيل عمر لآية التيمم وإبطاله كل أحكامه في الشريعة الإسلامية ، وأمره بترك الصلاة لمن لم يجد ماء ! وما حكم شخص يعطل آية من كتاب الله تعالى ، ويأمر الناس بتعطيلها ؟!

١١ ـ هل تعملون بآية التيمم إن لم تجدوا ماء ، أم تعملون بدين عمر فتتركون الصلاة كلياً ؟!

○ ○

المسألة:١٥٣

منهجهم في تعظيم عمر وتكبير شخصيته

زعموا أن النبي صلى الله عليه وآله أخطأ مع عمر ، فنزلت آية تؤنب النبي صلى الله عليه وآله !

قال عمر بن شبَّه في تاريخ المدينة:٣/٨٦٤: (موافقته في الإستئذان: قال ابن عباس: وجَّه رسول الله(ص)غلاماً من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو ، إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه ، فدخل فرأى عمر بحالة ، فكره عمر رؤيته ذلك فأنزل الله:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاعَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).(سورة النور:٥٨).

وفي أسباب النزول للواحدي ص٢٢٢: (وجه رسول الله(ص)غلاماً من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه ، فدخل فرأى عمر بحالة كره رؤيته لذلك ، فقال: يا رسول الله وددت لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا في حال الإستئذان ، فأنزل الله تعالى هذه الآية) .

وفي تفسير القرطبي:١٢/٣٠٤: (فوجده نائماً قد أغلق عليه الباب ، فدق عليه الغلام الباب فناداه ودخل ، فاستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شئ ، فقال عمر: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا في هذه الساعات إلا بإذن ، ثم انطلق إلى رسول الله(ص)فوجد هذه الآية قد أنزلت ، فخر ساجداً شكراً لله . وهي مكية) .

وفي الإصابة:٦/٥٠: (فانطلق الغلام فوجده نائماً على ظهره قد أغلق الباب ، فدفع الغلام الباب على عمر فسلم فلم يستيقظ ، فرجع الغلام ، فلما عرف عمر بذلك، وأن الغلام قد رأى منه أي رآه عرياناً ، قال: وددت والله أن الله نهى أبناءنا وخدمنا أن يدخلوا علينا في هذه الساعة إلا بإذن ، فانطلق إلى النبي(ص) فوجده قد نزلت عليه هذه الآية:يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.. الآية ، فذكر بقية الحديث، وفيه أن النبي(ص) قال للغلام: أنت ممن يلج الجنة) .

وفي زاد المسير لابن الجوزي:٥/٣٧٣: (فدخل فرأى عمر على حالة كره عمر رؤيته عليها فقال: يا رسول الله وددت لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الإستئذان ، فنزلت هذه الآية). انتهى.

ومعنى كلامهم أن النبيﷺاشتبه بإرسال رسول الى عمر وقت الظهيرة ليدعوه الى المجئ اليه ، فكره عمر ذلك لأنه كان نائماً وهو عريان ، أو في حالة غيرملائمة فأنزل الله تعالى آية الإستئذان التي تقرر أن وقت الظهيرة عورة، يجب أن يستأذن فيه الأطفال والخدم ، فمن طريق أولى أن لايطلب النبيﷺ حضور عمر في هذا الوقت ! وأن الآية من الآيات العديدة التي أنزلها الله تعالى موافقةً لرغبة عمر ، بل لكراهيته العمل الذي قام به النبيﷺ !!

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ هل تعتقدون أن النبي صلى الله عليه وآله أخطأ في إرسال شخص لإحضار عمر ؟!

٢ ـ ألا تلاحظون أن أمثال هذا الحديث تركز على محورية عمر ومقامه العظيم عند الله تعالى ، وتتضمن التعريض في أخلاقية النبي صلى الله عليه وآله ؟!

٣ ـ قالت بعض الروايات إن آية الإستئذان نزلت بعد أن تمنى عمر ذلك على النبي صلى الله عليه وآله، وقال بعضها إنه تمناها عندما كان عرياناً في بيته ، ولما ذهب الى النبي صلى الله عليه وآله وجدها قد نزلت . فأيهما الصحيح ؟!

٤ ـ قال القرطبي إن الآية مكية ، فهل كان مدلج بن عمرو وهو غلام أنصاري في مكة حتى يبعثه النبي صلى الله عليه وآله الى عمر ؟!

بل متى أسلم عمر ، وقد روى ابن كثير عن ابن إسحاق أن عمر كان حتى الهجرة الثانية الى الحبشة يعذب المسلمين !

قال في سيرته:٣٢/٢: (قال ابن إسحق: وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله(ص)إلى الحبشة.... عن أمه أم عبدالله بنت أبي حثمة قالت: والله أنا لنترحَّل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف وهو على شركه ، فقالت: وكنا نلقى منه أذىً لنا وشدةً علينا ، قالت فقال: إنه لَلإنطلاق يا أم عبدالله ! قلت: نعم والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا مخرجاً . قالت فقال: صحبكم الله ! ورأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا . قالت: فجاء عامر بحاجتنا تلك ، فقلت له: يا أبا عبدالله لو رأيت عمر

آنفاً ورقته وحزنه علينا ! قال: أطمعتِ في إسلامه؟ قالت قلت: نعم . قال: لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ! قالت: يأساً منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام . قلت: هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين . فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين). انتهى.؟! (وهو في سيرة ابن هشام:٢٢٩/١) .

٥ ـ ما معنى قول ابن حجر في الإصابة: (وأن الغلام قد رأى منه أي رآه عرياناً....فانطلق إلى النبي(ص) فوجده قد نزلت عليه هذه الآية:**يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم**.. الآية ، فذكر بقية الحديث ، وفيه أن النبي(ص) قال للغلام: أنت ممن يلج الجنة) . انتهى.

فإن كان العمل الذي استحق به الغلام الجنة ، أنه رأى عمر عرياناً ! لزم أن تقولوا إن بني إسرائيل الذين رأوا موسىعليه السلام وهو يركض عارياً وراء الحجر الذي سرق ثيابه ، كلهم من أهل الجنة ، وأن تفتوا باستحباب تعري الأنبياءعليهم السلام وكبار صحابتهم أمام الناس ، لكي يدخلوا الجنة بمشاهدتهم ؟!

○ ○

المسألة:١٥٤

اتهم البخاري النبيصلى الله عليه وآله بأنه كان يعبد الأصنام ويذبح لها !

وزعم أن ابن عم عمر كان أتقى من النبيصلى الله عليه وآله !

بَلْدَح ، وادٍ قرب مكة ، عند التنعيم وفخ(معجم ماستعجم:٢٧٣/١) . وقد عسكرَ فيه المشركون في أيام صلح الحديبية ، وفيه ماء كثير وأصنام (طبقات ابن سعد:٩٥/٢ ومناقب آل أبي طالب:٩١/١) .

قالت روايات قريش إن النبيصلى الله عليه وآله قصد بلدح مع خادمه زيد بن حارثة وذبحوا شاة قرباناً لصنم هناك ، فورد عليهم زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، فدعوه ليأكل فقال إني لاآكل ماذبحتم للأصنام ! وقد جعلوا من زيد هذا شخصية مهمة قبل الإسلام ! وزعموا أنه كان أتقى من النبيصلى الله عليه وآله!

فلننظر كيف روى البخاري هذه القصة المفتراة :

قال في صحيحه:٢٣٢/٤: (عن عبد الله بن عمر أن النبي(ص)لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح ، قبل أن ينزل على النبي الوحي، فقدمت إلى النبي سفرة فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد إني لست آكل مماتذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلاما ذكر اسم الله عليه . وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟! إنكاراً لذلك وإعظاماً له)!! انتهى.

ثم رواها البخاري برواية أكثر صراحة ، قال في:٢٢٥/٦: (فقدم إليه رسول الله (ص)سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ، ثم قال: إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه) !!

وقد حاول شراح البخاري كالقاضي عياض ، وابن بطال ، وابن منير ، وغيرهم أن يفسروا الرواية بأن السفرة قدمتها قريش الى النبيﷺفرفض أن يأكل منها ، ثم قدمها الى زيد فرفض كذلك.. وكذبوا في ذلك وتمحلوا وأطالوا كعادتهم ! مع أن الرواية لم تذكر وجود أحد في القصة غير النبيﷺوزيد !

قال ابن حجر في فتح الباري:١٠٨/٧: (وقال ابن بطال:كانت السفرة لقريش قدموها للنبي(ص)فأبى أن يأكل منها ، فقدمها النبي(ص)لزيد بن عمرو فأبى أن يأكل منها ، وقال مخاطباً لقريش الذين قدموها أولا: إنا لا نأكل ما ذبح على أنصابكم. انتهى. وما قاله محتمل لكن لا أدري من أين له الجزم بذلك ! فإني لم أقف عليه في رواية أحد ! وقد تبعه بن المنير في ذلك ، وفيه ما فيه) !

ومال ابن حجر الى أن السفرة كانت للنبيﷺوأن الذي ذبح القربان للصنم هو خادمه زيد بن حارثة ! وهذا هو المفهوم من قول البخاري:**(فقدم إليه رسول الله (ص)سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ، ثم قال: إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه)** !!

لكن ابن حجر حاول أن يبرر ذلك ، بأنه لم يكن بأمر النبيﷺ!!

ومن عادة رواتهم وعلمائهم في التبرير أن يغمضوا عيونهم عن الروايات التي تنقض ما يريدون ، حتى لو كانت صحيحة ، وكانت أضعاف ما يتشبثون به !

وإلا فلماذا لم يذكروا هنا ما رواه أحمد في مسنده ، وفي فضائل الصحابة ، والنسائي في سننه ، والبيهقي في سننه ، وابن حبان في صحيحه ، والطبراني في معجمه الكبير ، وابن عساكر في تاريخه ، وابن سعد في طبقاته ، والمزي في تهذيبه ، والتيمي الأصفهاني في دلائله ، وغيرهم.. ؟!

وروایاتها تنص على أن النبيﷺوزيداً قصدا بلدح وذبحا قرباناً لصنم هناك ، ثم لقيا زيد بن نفيل ، وأن النبيﷺقدم له السفرة... الى آخر القصة !

فكيف يتمسكون بما أغفل ذبح الشاة للصنم ، ويغمضون أعينهم عما فسر إجمال روايات البخاري ومسلم ، مع أنه يجب حمل المجمل على المفسر ؟!

بل روى أحمد وغيره هذه الفضيلة لزيد ! وذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وزيداً قصدا الصنم ليذبحا عنده ، فذبحا الشاة وشوياها ، وحملاها عائدين الى مكة ، فلقيهما زيد بن نفيل...الخ.

قال أحمد في فضائل الصحابة ص٢٥: (عن زيد بن حارثة قال خرج رسول الله (ص)وهو مردفي إلى نصب من الأنصاب فذبحنا له شاة ثم صنعناها له حتى إذا نضجت جعلناها في سفرتنا ثم أقبل رسول الله(ص)يسير وهو مردفي في يوم حار من أيام مكة ، حتى إذا كنا بأعلى الوادي لقيه زيد بن عمرو بن نفيل...الخ.) .

بل وصفت بعض رواياتها كيف صنعوا الشاة بعد ذبحها للصنم ، وأنهم شووها في (الإرة) حتى نضجت ، وفسر اللغويون وأصحاب غريب الحديث (الإرة) بكسر الهمزة وفتح الراء ، بأنها التنور وشبهه ، واستشهد بعضهم بالحديث !

قال الطبراني في معجمه الكبير:٨٦/٥: (خرج رسول الله(ص)وهو مردفي إلى نصب من الأنصاب فذبحنا له شاة ، ثم صنعناها في الإرة ، فلما نضجت استخرجناها في سفرتنا ، ثم ركب رسول الله(ص)ناقته وهو مردفي...الخ.) !

وفيه نص على أن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي قصد الصنم ليذبح له ، وأنه أمر زيداً بعد ذبح الشاة بشويها في تنور وجعلها في سفرة ، وعاد بها الى مكة مشوية تحمل بركة الصنم ، فقد كان سفره إذن خاصاً لأجل تقديم قربان للصنم!

فهل يمكنهم التغطية على هذه الفرية؟!

وهل ينفع البخاري بتره للحديث وأخذ منه الجزء الذي يدل على فضيلة لزيد بن نفيل ابن عم الخليفة عمر ، حيث خاطب زيد النبي صلى الله عليه وآله بقوله: (إني لاآكل مما تذبحون على أنصابكم)! على حد تعبير بخاري !

وهذه هل الرواية الكاملة صحيحة عندهم لهذه الفرية المزعومة، وأظن أن أصلها عن سعيد بن زيد بن نفيل ، فلا يستبعد عليه أن يضع في مدح أبيه ، بعد أن شهد عليه أمير المؤمنين عليه السلام بأنه وضع حديث العشرة المبشرة في عهد عثمان:

قال الهيثمي في مجمع الزوائد:٤١٧/٩ :(وعن زيد بن حارثة قال: خرجت مع رسول الله(ص) يوماً حاراً من أيام مكة وهو مرد في إلى نصب من الأنصاب وقد ذبحنا له شاة فأنضجناها ، قال فلقيه زيد بن عمرو بن نفيل فحيا كل واحد منهما صاحبه بتحية الجاهلية فقال النبي(ص): يا زيد مالي أرى قومك قد شنفوا لك ؟ قال والله يا محمد ذلك لغير نائله لي منهم ، ولكني خرجت أبتغي هذا الدين ، حتى أقدم على أحبار فدك وجدتهم يعبدون الله ويشركون به . قال: قلت ما هذا الدين الذي أبتغي . فخرجت حتى أقدم على أحبار الشام فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به! قلت: ما هذا الدين الذي أبتغي . فقال شيخ منهم: إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به إلا شيخ بالحيرة . قال: فخرجت حتى أقدم عليه فلما رأني قال: ممن أنت ؟ قلت: من أهل بيت الله ، من أهل الشوك والقرظ ، فقال: إن الدين الذي تطلب قد ظهر ببلادك ، قد بعث نبي ، قد ظهر نجمه وجميع من رأيتهم في ضلال ، فلم أحس بشئ بعد يا محمد .

قال: وقرب إليه السفرة فقال: ما هذا يا محمد ؟ فقال: شاة ذبحناها لنصب من الأنصاب ! فقال: ما كنت لآكل مما لم يذكر اسم الله عليه !

قال زيد بن حارثة: فأتى النبي(ص)البيت فطاف به وأنا معه ، وبين الصفا والمروة صنمان من نحاس أحدهما يقال له يساف والآخر يقال له نائلة ، وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما فقال النبي(ص): لاتمسحهما فإنهما رجس! فقلت في نفسي لأمسنهما حتى أنظر ما يقول النبي(ص) ! فقال النبي(ص)لزيد:

إنه يبعث أمة وحده . رواه أبو يعلى والبزار والطبراني إلا أنه قال فيه فأخبرته بالذي خرجت له فقال:كل من رأيت في ضلال وإنك لتسأل عن دين الله وملائكته وقد خرج في أرضك نبي أو هو خارج ، فارجع فصدقه وآمن به . وقال أيضاً : فقال زيد: إني لا آكل شيئاً ذبح لغير الله . ورجال أبي يعلى والبزار وأحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث). انتهى. (راجع فضائل الصحابة ص٢٥ ، ومسند أحمد:٦٨/٢ و٨٩ ، و١٢٧، وسنن البيهقي:٢٥٠/٩ ، و الآحاد والمثاني للضحاك:١٩٩/١، وسنن النسائي: ٥٤/٥ وصحيح ابن حبان:٤٧/١٢ ، والمعجم الكبير للطبراني:٨٦/٥ ، ودلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني ص٧٩ ، والطبقات الكبرى:٣٨٠/٣ ، وتاريخ دمشق:٣٤٥/١٩ ، و٥٠٨، وتهذيب الكمال:٣٩/١).

وزعموا أن التقي زيد بن نفيل وعظ النبي صلى الله عليه وآله!

مفهوم رواياتهم أن النبي صلى الله عليه وآله وإن أكل الشاة في ذلك اليوم ولم يرمها ! لكنه اتعظ للمستقبل من التقي زيد بن عمرو بن نفيل ، فلم يأكل بعد ذلك مما ذبح للأصنام ! ففي المعجم الكبير للطبراني:١٥٢/١: (فما رؤي النبي(ص)يأكل مما ذبح على النصب من يومه ذلك حتى بعث . قال: وجاء سعيد بن زيد إلى النبي(ص) فقال يا رسول الله إن زيداً كان كما رأيت أو كما بلغك فاستغفر له ، قال: نعم أستغفر له فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده). ونحوه: فتح الباري:١٠٩/٧ ، والزوائد:٤١٧/٩

قال السيد ابن طاووس في الطرائف ص٣٦٩: (ومن ذلك ما رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين أيضاً ، في الحديث الرابع عشر من إفراد البخاري من مسند عبد الله بن عمر أنه كان يحدث عن رسول الله (ص) أنه لقي زيد بن عمر بن نفيل بأسفل بلدح وذاك قبل أن ينزل الوحي على رسول الله(ص)فقدم إليه رسول الله سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ، ثم قال: إني لا آكل مما تذبحون

على أنصابكم ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه !

(قال عبد المحمود): أنظروا رحمكم الله الى هذه الرواية التي شهدوا بصحتها وأن نبيهم ممن يذبح على الأنصاب ويأكل منه ! وقد ذكروا في كتبهم أن الله كان يتولى تربيته وتأديبه وجبرئيل يلازم تهذيبه ، وأنه ما كانت له متابعة للجاهلية ، ولا رضي شيئاً من أمورهم ! فكيف كذَّبوا أنفسهم في ذلك كله ، وفي مدح الله تعالى له ومدحهم له لأول أمره وآخره وظاهره وباطنه ، ثم مع هذا يشهدون عليه أن زيد بن عمر بن نفيل كان أعرف بالله منه وأتم حفظاً لجانب الله ؟! فكيف أقتدي أنا وغيري من العقلاء بقوم يروون مثل هذا ويصححونه؟! ولقد سألت علماء أهل العترة من شيعتهم فرأيتهم ينكرون تصديق ذلك غاية الإنكار).

○ ○

الأسئلة

١ ـ هل تقبلون الروايات القرشية في أن النبيﷺ كان يعبد الأصنام ويذبح لها ويأكل مما ذبح على النصب ؟

٢ ـ هل تقبلون الروايات القرشية في زيد بن نفيل وورقة بن نوفل ؟ وإذا صح ذلك وكانا في الجاهلية أفضل من النبيﷺ فلماذا بعث الله محمداً دونهما ؟!

٣ ـ ألا تلاحظون روايات مدح زيد بن نفيل وورقة بن نوفل وتعظيمهما ، وفي مقابلها روايات ذم والدي النبيﷺ ، وعمه أبي طالب ، وجده عبد المطلب وأنهم كانوا كفاراً ، وأنهم في قعر جهنم ؟!

○ ○

المسألة: ١٥٥

زعموا أن عمر أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يحجب نساءه فلم يطعه فنزل الوحي!

يتعجب الإنسان من طريقتهم في مدح عمر ، فكأنهم لايستطيعون أن يمدحوه إلا بالطعن بالنبي صلى الله عليه وآله! وكأن المطلوب تفضيله على رسول الله صلى الله عليه وآله !

ومن ذلك ما زعموه في سبب نزول آية الحجاب ، من أن عمر كان يقول للنبي صلى الله عليه وآله: أحجب نساءك ، فلم يكن رسول الله يفعل ! فنزل الوحي موافقاً لرأي عمر ، وأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يحجب نساءه ! (البخاري:٤٦/١)

إن كثرة رواياتهم في ذلك تجعل القارئ يَتخَيَّل أن نساء النبي صلى الله عليه وآله كنَّ غير محجبات ، وأن النبي صلى الله عليه وآله قصَّرَ أو تسامح في حجابهن ! مع أن الواقع أنهن كنَّ محجبات كغيرهن ، وكانت سورة النور قد نزلت وفيها آيات عديدة حول الحجاب وآداب الأسرة والإختلاط . أما آية الحجاب في سورة الأحزاب فزادت في حجابهن بأن فرضت عليهنَّ أن لا يكلمن الرجال الأجانب إلا من وراء ستر .، وهذه آيات الحجاب في سورة النور:

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلامَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلايُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الأرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ

مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى الله جميعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . (سورة النور:٣٠-٣١)

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لِيَسْتَئْذِنْكُمُ الَّذينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاعَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الآيَاتِ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

وإذا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَئْذِنُوا كَمَا اسْتَئْذَنَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِه وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاتي لايَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ). (سورة النور:٥٨ ـ ٦٠)

○ ○

وهذه آيات تشديد الحجاب على نساء النبيﷺفي سورة الأحزاب:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَميلاً . وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الله وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فإن الله أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا. يَا نِسَاءَ النبي مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرًا . وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لله وَرَسُوله وَتَعْمَلْ صالحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا .

يَانِسَاءَ النبي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاتَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِه مَرَضٌ وَقُلْنَ قولاً مَعْرُوفًا . وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولى وَأَقِمْنَ الصَّلَوةَ وَآتِينَ الزَّكَوةَ وَأَطِعْنَ الله وَرَسُولَهُ إنما يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً . وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ الله وَالْحِكْمَةِ إِنَّ الله كَانَ لَطِيفاً خَبِيرًا) . (سورة الأحزاب:٢٨ ـ ٣٤)

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أنا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الْلاتي أتيت أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ الله عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ

اللاتى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا للنبي إنْ أراد النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا .

تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُئْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا .

لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النبي إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فإذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلامُسْتَانِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النبي فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لايَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عظيماً .

إِنْ تُبْدُوا شيئاً أَوْ تُخْفُوهُ فإن اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا .

لاجُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاأَبْنَائِهِنَّ وَلاإِخْوَانِهِنَّ وَلاأَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاأَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلانِسَائِهِنَّ وَلامَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا.

إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا .

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا .

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا .

لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لايُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً . مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً . سُنَّةَ اللهِ فِي

الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً). (سورة الأحزاب:٥٠ ـ ٦٢)

وسياق الآيات واضح في أن الله تعالى أراد من نساء نبيهﷺ أن يتحلَّيْنَ بمتانة الشخصية ورصانة الكلام: فَلاتَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ، وأن لا يكثرن الرواح والمجئ ، ولايتصدَّيْنَ للأمور السياسية:وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ، وأن يكنَّ في مستوى مسؤولية كونهن زوجات النبيﷺ ، وفي مستوى مقام أمهات المؤمنين الذي أعطاه الله لهن ، وإلا.. فليتنحَّيْنَ من حياة رسول اللهﷺ!

وواضح أيضاً أن الظروف التي كانت تحيط بالنبيﷺ كانت مؤذية له في نبوته ، وشخصه ، وأهل بيته ، ونسائه .

آية الحجاب

مقصودهم بآية الحجاب قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النبي إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فإذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلامُسْتَأنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النبي فَيَسْتَحْيِى مِنْكُمْ وَاللهُ لايَسْتَحْيِى مِنَ الْحَقِّ وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَاكَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلاأَنْ تَنْكِحُواأَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عظيماً) .

وهي آية واحدة فيها ثلاثة أحكام: أدب الدخول الى بيت النبيﷺ . وحرمة تكليم نسائه إلا من وراء حجاب وستر ، وقد سميت بآية الحجاب لذلك . وحرمة الزواج بهنَّ بعد وفاة النبيﷺ ، لأنهن أمهات المؤمنين .

سبب نزول آية الحجاب

من الأكاذيب التي تكثر في أسباب النزول أنهم رووا لنزول آية الحجاب أسباباً عديدة متناقضة ، كل واحد منها سبباً مباشراً نزلت الآية على أثره! وأكثر ما قبلوه منها قول عمر إنه أمر النبي ﷺ أن يحجب نساءه فلم يفعل ، فنزلت الآية !

وعند التأمل فيها تجد منها سببين معقولين ينبغي قبولهما ورد ما سواهما ، لأن الآية نصَّت على أحدهما وأشارت الى الآخر:

فقد نصت الآية على أن رجلين أثقلا على النبي ﷺ وجلسا بعد وليمته ، وأطالا الجلوس: (وَلا مُسْتَأنسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النبي فَيَسْتَحْيِى مِنْكُمْ وَاللهُ لايَسْتَحْيِى مِنَ الْحَقِّ) . وهو ينطبق على ما رواه أنس من نزولها على أثر وليمة النبي ﷺ بعد زواجه من زينب بنت جحش .

كما أشارت الآية الى أن بعضهم كان يؤذي النبي ﷺ في أمر نسائه:(وَمَاكَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) ، وهذا ينطبق على مارووه من سوء أدب طلحة مع النبي ﷺ في أمر عائشة ، بحجة أنها ابنة عمه ، لأنها من عشيرته بني تَيْم ، فنزلت الآية على أثره !

روايات السبب الأول: تأخر الثقلاء في بيت النبي ﷺ

روى البخاري:٦/٢٤ ، عن أنس قال: (أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب . لما أهديت زينب بنت جحش إلى رسول الله(ص)وكانت معه في البيت ، صنع طعاماً ودعا القوم فقعدوا يتحدثون ، فجعل النبي(ص)يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون ، فأنزل الله تعالى:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ... الى قوله: مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، فضُرب الحجاب وقام القوم) .

وفي البخاري:٢٦/٦، عن أنس قال: (أَوْلَمَ رسول الله(ص)حين بنى بزينب ابنة جحش ، فأشبع الناس خبزاً ولحماً ، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه فيسلم عليهن ويدعو لهن ويسلمن عليه ويدعون له ، فلما رجع إلى بيته رأى رجلين جرى بهما الحديث ، فلما رآهما رجع عن بيته ، فلما رأى الرجلان نبي الله(ص)رجع عن بيته وثبا مسرعين ، فما أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أُخبر ، فرجع حتى دخل البيت ، وأرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب) . انتهى.

ورواه البخاري بروايات أيضاًتحت عنوان: (باب قوله: لاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبيِّ إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ. وَلَكِنْ إذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فإذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلامُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لايَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلاأَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيماً).(الأحزاب:٥٣) ثم رواه في مواضع أخرى مثل:١٤٢/٦ ، وقال أيضاً في: ١٧٦/٨: (سمعت أنس بن مالك يقول: نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش، وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحماً ، وكانت تفخر على نساء النبي وكانت تقول:إن الله أنكحني في السماء).انتهى. (ورواه أيضاً في الأدب المفرد ص٢٢٥).

وفي مسلم:١٥١/٤: (قال فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة فقال رسول الله (ص): ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه ، قال: فأكلوا حتى شبعوا ، قال فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم ، فقال لي يا أنس إرفع ، قال: فرفعت فما أدري حين وُضعتْ كان أكثر أم حين رُفعت ! قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله(ص)ورسول الله جالس وزوجته مولية

وجهها إلى الحائط ، فثقلوا على رسول الله ... ودخل وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليٌّ وأنزلت هذه الآية).

فهذا السبب المروي بأسانيد صحيحة لا بد من قبوله ، لأن الآية تنص عليه .

روايات السبب الثاني: إيذاؤهم للنبي صلى الله عليه وآله

رواه السيوطي في الدر المنثور:٢١٤/٥: (وأخرج ابن سعد ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في قوله: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ.. قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله ، لأنه قال: إذا توفي رسول الله(ص)تزوجْتُ عائشة !!

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن السدِّي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيحجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا ! لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده ! فنزلت هذه الآية !

وأخرج ابن جرير ، عن ابن عباس أن رجلاً أتى بعض أزواج النبي(ص)فكلمها وهو ابن عمها ، فقال النبي(ص): لاتقومَنَّ هذا المقام بعد يومك هذا! فقال: يا رسول الله إنها ابنة عمي ، والله ما قلت لها منكراً ولا قالت لي ! قال النبي: قد عرفت ذلك ، إنه ليس أحد أغْيَرُ من الله ، وإنه ليس أحد أغيرُ مني! فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي ! لأتزوجنها من بعده ! فأنزل الله هذه الآية) !!

ورواه البيهقي في سننه:٦٩/٧: (عن ابن عباس قال: قال رجل من أصحاب النبي(ص): لو قد مات رسول الله(ص)لتزوجت عائشة أو أم سلمة ، فأنزل الله عز وجل: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلاأَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيماً) .

وقال الطبري في تفسيره:٥٠/٢٢:(ذكر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل

الحجاب ، قال: لئن مات محمد لأتزوجن امرأة من نسائه سماها ، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلاأَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً. ذكر من قال ذلك...وروى الطبري فيه عن ابن زيد قال:(ربما بلغ النبي (ص) أن الرجل يقول: لو أن النبي(ص)توفي تزوجت فلانة من بعده ، قال: فكان ذلك يؤذي النبي(ص)فنزل القرآن: وَمَاكَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ..الآية). انتهى.

وفي أسباب النزول للواحدي ص٢٤٣: (قال رجل من سادة قريش: لو توفي رسول الله(ص)لتزوجت عائشة ، فأنزل الله تعالى ما أنزل).

وفي معاني القرآن للنحاس:٣٧٣/٥:(قال قتادة: قال رجل من أصحاب رسول الله(ص):إن مات رسول الله زوجت فلانة ، قال معمر: قال هذا طلحة لعائشة).

أما من طرقنا ، ففي تفسير التبيان:٣٥٨/٨: (وقال السدي: لما نزل الحجاب قال رجل من بني تيم أنحجب من بنات عمنا ؟! إن مات عَرَّسْنا بهنَّ ، فنزل قوله: وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيماً) .

وفي تفسير نور الثقلين:٢٩٨/٤: (كان سبب نزولها أنه لما أنزل الله: النَّبِيُّ أولى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أنفسهم وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ، وحرَّم الله نساء النبيﷺعلى المسلمين ، غضب طلحة فقال: يحرِّم محمدٌ علينا نساءه ويتزوج هو نساءنا !

لئن أمات الله محمداً لنركضن بين خلاخيل نسائه كماركض بين خلاخيل نساءنا !! فأنزل الله عز وجل: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلاأَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيما). انتهى.

ولا يتسع المجال لأن نستقصي روايات الفريقين المستفيضة في الموضوع، وطرقها عديدة ، وبعض أسانيدها صحيحة ، وكلها تؤيد ما أشارت اليه الآية ، ومادل عليه السياق من إيذاء بعض مرضى القلوب للنبيﷺفي زوجاته !

روايات الأسباب الأخرى المزعومة

يدعي عمر أنه هو السبب في نزول آية الحجاب ، وأنه قال للنبي صلى الله عليه وآله أحجب نساءك ، فإنه يدخل عليك البر والفاجر ، ويراهنَّ الرجال ويكلمونهن ، فلم يسمع النبي كلامي ! لكن الله سمع كلامي ووافقني وأنزل آية الحجاب !!

قال البخاري:١٤٩/٥و:٢٤/٦: (قال قال عمر: وافقت الله في ثلاث ، أو وافقني ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب) . وفي:١٠٥/١: (فإنه يكلمهن البر والفاجر).

وروى البخاري أن عائشة صدَّقت عمر ، قال في:٤٦/١: (باب خروج النساء إلى البراز...عن عائشة: إن أزواج النبي(ص)كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفْيَح ، فكان عمر يقول للنبي: أحجب نساءك ، فلم يكن رسول الله يفعل ! فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة ! حرصاً على أن ينزل الحجاب ، فأنزل الله الحجاب) !!

ورواه البخاري في:١٢٨/٧، وفيه: (قالت: فأنزل الله عز وجل آية الحجاب) .

وروى البخاري أن عائشة سحبت تصديقها لعمر !

قالت في مرة أخرى إن مشاهدة عمر لسودة كانت بعد نزول آية الحجاب ، وإن الوحي نزل يومها لم يطع عمر! قال البخاري:٢٦/٦: (خرجَتْ سوْدة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها ، وكانت امرأة جسيمة لاتخفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة أما والله ما تخفيْن علينا ، فانظري كيف تخرجين!

قالت فانكفأتْ راجعةً ورسول الله في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عِرْقٌ ، فدخلتْ فقالت: يارسول الله إني خرجتُ لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه ، ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه ، فقال: إنه قد أذن لكنَّ أن تخرجن لحاجتكن). انتهى.

فهذه الرواية الصحيحة عندهم أيضاً صريحة في أن قصة مشاهدة عمر لسورة كانت بعد فرض الحجاب ونزول آيته ، وأن الذي نزل فيها ليس آية الحجاب بل ترخيص نساء النبيﷺبالخروج من بيت النبيﷺلحاجتهن .

ثم سحبت عائشة تصديقها لعمر ولنفسها !

قالت كما في الأدب المفرد للبخاري ص٢٢٥: (كنت آكل مع النبي (ص)حَيْساً فمرَّ عمر فدعاه فأكل ، فأصابت يده إصبعي فقال حِسْ ، لو أُطاع فيكن مارأتكن عين ، فنزل الحجاب) . انتهى .

وقد وثقه في مجمع الزوائد:٧/ ٩٣ فقال: (رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، غير موسى بن أبي كثير ، وهو ثقة). انتهى.

وقال عنه في الدر المنثور:٢١٣/٥: (وأخرج النسائي ، وابن أبي حاتم ، والطبراني وابن مردويه ، بسند صحيح عن عائشة قالت: كنت أكل مع النبي(ص)طعاماً في قعب فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت إصبعه إصبعي فقال عمر: أوه ، لو أطاع فيكن ما رأتكن عين ! فنزلت آية الحجاب) ! انتهى.

وهذ الرواية الصحيحة عندهم تجعل غِيرةَ عمر وتقواه ، سبب نزول آية الحجاب ، وأنه كان يتأسف لأن النبيﷺلا يطيعه ! فيقول:(لو أطاع فيكن) ! ولا تذكر أن النبيﷺكرهَ أن تمسَّ يد زوجته يد رجل أجنبي !

النبيصلى الله عليه وآله أكثر غيرةً من عائشة وعمر !

فقد قال مجاهد إن النبيصلى الله عليه وآله كره ما حدث وكانت كراهته سبب نزول الآية !

قال في فتح الباري:٢١٩/١: (وروى بن جرير في تفسيره من طريق مجاهد قال: بينما النبي(ص)يأكل ومعه بعض أصحابه وعائشة تأكل معهم إذ أصابت يد رجل منهم يدها ، فكره النبي(ص)ذلك فنزلت آية الحجاب) . انتهى .

فهذه الرواية تشهد للنبيصلى الله عليه وآله بالغيرة والحمد لله ، وتجعل سبب نزول آية الحجاب كراهية النبيصلى الله عليه وآله لما حدث ، ولا تجعل سبب نزولها كراهية عمر لعدم إطاعة النبيصلى الله عليه وآله له في أمر أزواجه !

عبدالله بن عمر يردُّ قول أبيه لإثبات منقبة لأبيه !

ومن تناقضهم في الموضوع ما رواه أحمد:٤٥٦/١ ، عن عبد الله بن عمر قال: (فَضُلَ الناسَ عمرُ بن الخطاب بأربع: بذكر الأسرى يوم بدر أمر بقتلهم فأنزل الله عزوجل: لَّوْلاَكِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، وبذكره الحجاب ، أمر نساء النبي(ص)أن يحتجبن فقالت له زينب: وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا؟! فأنزل الله عز وجل: وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ! وبدعوة النبي(ص) له اللهم أيد الإسلام بعمر ، وبرأيه في أبي بكر ، كان أول الناس تابعه) ! انتهى.

فقد جعل ابن عمر نزول آية الحجاب بسبب كلام عمر ، لكن ليس على أثر تعرضه لسودة ، ولا على أثر أنَّ يده مسَّت يد عائشة ، بل على أثر مجادلته مع زينب بعد زواج النبيصلى الله عليه وآله بها !

فأين صارت مقولة عمر .. وهذه عائشة ترده ، وهذا مجاهد يردهما ؟! وهذا

أنس يشهد أن نزول الآية لاعلاقة له بغيرة عمر ، ولا بمس يد أجنبي ليد عائشة؟!

وهذا ابن عمر يقول إن نزول الآية تأخر عن زواج النبيﷺبزينب !

هل يمكن أن تكون أسباب نزول الآية متعددة ؟

نعم ، يمكن بأن تكون حصلت قبل نزولها بمدة قصيرة أو طويلة ، فتنزل الآية على أثرها جميعاً .كما يمكن أن تنزل السورة أو الآية مرات متعددة لأسباب متعددة ، كما ثبت في سورة الكوثر ، وفي آية: ولسوف يعطيك ربك فترضى ، وآية:سأل سائل بعذاب واقع ، وآية المودة في القربى ، وغيرها .

كما يمكن أن تكون الآية الواحدة فقرتين أو أكثر ، ويكون لكل فقرة منها سبب نزول مستقل ، كما ثبت في آية التطهير: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً، فهي موجودة في القرآن ضمن آيات نساء النبيﷺ كجزء آية ، لكن نصَّت الروايات الصحيحة عند الطرفين على أنها نزلت مستقلة في بيت أم سلمة ، وأن النبيﷺحدَّدَ أهل بيته بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأدار عليهم الكساء وقال: هؤلاء أهل بيتي، وأخرج منهم أم سلمة رضي الله عنها . فالدليل الخارجي دلَّ على أن هذا الفقرة الموجودة ضمن آية في نساء النبيﷺقد نزلت مستقلة بسبب مستقل .

ويؤيد ذلك الدليل الداخلي من الآية وهو استقلال معناها عما قبلها وبعدها بحيث لو حذفنا آية التطهير ووصلنا ما قبلها بما بعدها لما تأثر المعنى ولكان آية واحدةهكذا: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ ... وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيرًا .

وكذلك القول في آية الحجاب ، فقد دلَّ الدليل من داخلها وخارجها على أن حكم الحجاب نزل بسبب الثقلاء الذين تأخروا في وليمة النبيصلى الله عليه وآله ، وأن حكم تحريم نسائهصلى الله عليه وآله نزل بسبب سوء أدب طلحة ، كما رأيت .

أما الأمور الأخرى التي ادعى عمر وعائشة وغيرهما أن حكم الحجاب نزل على أثر كل واحد منها ، فلا يمكن قبولها ، بل لابد من ردها ، لأنها أمورٌ متباينة لايمكن الجمع بينها والقول بأن الآية نزلت على أثرها جميعاً .

وهذا لاينافي احتمال أن تكون حوادث صحيحة في نفسها ، حدثت في أوقات متفاوتة وتراكمت ، فنزلت الآية جواباً عليها ، ولكنها لاتكون سبباً للنزول بالمعنى الذي قالوه ، ولا إثباتاً لما أرادوه !

تمحل ابن حجر من أجل تصحيح كلام عمر!

كثيراً ما يرتكب علماؤهم التكلف والتمحل من أجل تصحيح كلام عمر ! فقد حاول ابن حجر أن يحلَّ المشكلة بتصحيح كل الروايات ، ويجعل كل منها سبباً لنزول الآية ! مع أنها متضادة في الزمان ، والمكان ، والحدث !! قال في فتح الباري:٢١٨/١: (قوله: أحجب نساءك ، أي إمنعهن من الخروج من بيوتهن . بدليل أن عمر بعد نزول آية الحجاب قال لسودة ما قال ،كما سيأتي قريباً .

ويحتمل أن يكون أراد أولاً الأمر بستر وجوههن ، فلما وقع الأمر بوفق ما أراد أحب أيضاً أن يحجب أشخاصهن مبالغة في التستر ، فلم يُجَبْ لأجل الضرورة . وهذا أظهر الإحتمالين ! وقد كان عمر يعدُّ نزول آية الحجاب من موافقاته ،كما سيأتي في تفسير سورة الأحزاب). انتهى.

ومعنى كلامه أن عمر كان يعدُّ الآية من موافقاته ، فلا بد من تصحيح كلامه بـ (يحتمل ويحتمل) حتى لو كان الإحتمال ركيكاً وغير معقول !!

ثم قال ابن حجر: (وسيأتي في تفسير الأحزاب أن سبب نزولها قصة زينب بنت جحش لمَّا أولم عليها وتأخر النفر الثلاثه في البيت ، واستحيا النبي(ص) أن يأمرهم بالخروج ، فنزلت آية الحجاب .

وسيأتي أيضاً حديث عمر: قلت يارسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب . . .

وروى ابن جرير في تفسيره من طريق مجاهد قال بينما النبي(ص)يأكل ومعه بعض أصحابه وعائشة تأكل معهم إذ أصابت يد رجل منهم يدها ، فكره النبي (ص) ذلك ، فنزلت آية الحجاب .

وطريق الجمع بينهما أن أسباب نزول الحجاب تعددت ، وكانت قصة زينب آخرها للنص على قصتها في الآية . والمراد بآية الحجاب في بعضها قوله تعالى: **يدنين عليهن من جلابيبهن) . انتهى.**

ثم قال في فتح الباري:٤٠٨/٨: (والحاصل: أن عمر وقع في قلبه نفرة من اطلاع الأجانب على الحريم النبوي ، حتى صرح بقوله له: أحجب نساءك وأكد ذلك ، إلى أن نزلت آية الحجاب . ثم قصد بعد ذلك أن لايبدين أشخاصهن أصلاً ولو كنَّ مستترات ! فبالغ في ذلك فمُنع منه ، وأذن لهن في الخروج لحاجتهن ، دفعاً للمشقة ورفعاً للحرج... وقد وقع في رواية مجاهد عن عائشة لنزول آية الحجاب سبب آخر أخرجه النسائي بلفظ: كنت أكل مع النبي(ص)حَيْساً في قَعْب ، فمرَّ عمر فدعاه فأكل فأصاب إصبعه إصبعي فقال: حس أو أوه ، لو أطاع فيكن ما رأتكن عين ، فنزل الحجاب .

ويمكن الجمع بأن ذلك وقع قبل قصة زينب ، فلقربه منها أطلقت نزول الحجاب بهذا السبب ، ولا مانع من تعدد الأسباب .

وقد أخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس قال: دخل رجل على النبي (ص) فأطال الجلوس فخرج النبي(ص)ثلاث مرات ليخرج فلم يفعل فدخل عمر فرأى الكراهية في وجهه فقال للرجل لعلك آذيت النبي(ص)فقال النبي لقد قمت ثلاثاً لكي يتبعني فلم يفعل ، فقال له عمر: يا رسول الله لو اتخذت حجاباً ، فإن نساءك لسن كسائر النساء ، وذلك أطهر لقلوبهن ، فنزلت آية الحجاب) !

ثم قال ابن حجر في:٢٠/١١:(قوله: كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله:أحجب نساءك ، تقدم شرحه مستوفى في كتاب الطهارة وقوله في آخره: قد عرفناك ياسودة ، حرصاً على أن ينزل الحجاب فأنزل الله عز وجل الحجاب). انتهى.

فقد قبل ابن حجر أن مشاهدة عمر لسودة كان بعد نزول آية الحجاب ، لكن مع ذلك قال إن الآية كانت نزلت موافقةً لعمر! لأن عمر أراد أولاً أن يستر ازواج النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وكأنهن كنَّ غير متسترات! (ثم قصد بعد ذلك أن لايبدين أشخاصهن أصلاً ولو كنَّ مستترات!) وأن تنزل آية ثانية بتحريم خروجهن من المنزل كلياً مبالغة في التستر ، فلم يوافقه الله تعالى !

فتكون أسباب نزول الآية عند ابن حجر:

أن النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كره ملامسة يد أجنبي ليد زوجته ، فنزلت على أثره الآية .

وأن ثقيلين أطالا الجلوس في بيته بعد الوليمة ، فنزلت على أثره الآية .

وأن عمر قال للنبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أحجب نساءك فلم يفعل ، فنزلت على أثره الآية !!

وأن عمر رأى سودة فتعرض لها وأخشن معها الكلام (حرصاً على أن ينزل الحجاب ، فنزلت على أثره الآية ! الخ...

فهل يقبل العقل أن آية واحدة نزلت على أثر هذه الأسباب مباشرة ، وهي أمور متباينة في الوقت والفعل ؟! وهل الحشو والتناقض إلا مثل هذا الكلام ؟!

أما محاولته أن يجعل آية الحجاب متعددة ، بقوله: (والمراد بآية الحجاب في بعضها قوله تعالى:يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ، فهي محاولة هروب فاشلة من تناقض روايتهم في سبب نزولها ، من أجل إثبات أنها نزلت موافقةً لعمر ! فآية الحجاب هي التي فيها:وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ . فهي المسماة عندهم آية الحجاب ، وكل الذين رووا سبب نزولها وأنه عمر أو غيره ، قصدوا هذه الآية ولم يذكروا آية غيرها !

لكن ابن حجر أراد أن يجعل آية الجلابيب آية الحجاب ، وهي لاتختص بنساء النبيﷺففيها: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ! لكن التخليط جائز عندهم، ما دام الغرض إثبات منقبة لعمر!

٭ ٭

ثم تعالَ وانظر الى فقه الحديث عند ابن بطال الذي ارتضى كلامه ابن حجر ، فهو نموذج لإصرارهم على إثبات منقبة لعمر ، حتى لو استوجبت طعناً بعصمة النبيﷺ وعدالته وغيرته !

قال ابن حجرفي الفتح:١/٢١٩: (قال ابن بطال: فقه هذا الحديث....وفيه: مراجعة الأدنى للأعلى فيما يتبين له أنه الصواب ، وحيث لايقصد التعنت. (يقصد مراجعة عمر للنبيﷺوالمراجعة تشمل مناقشته والرد عليهﷺ) !

وفيه: منقبة لعمر ! (أي أن الله وافقه على رأيه ، وخطَّأ نبيهﷺ) !

وفيه: جواز كلام الرجال مع النساء في الطرق الضرورية ، وجواز الإغلاظ في القول لمن يقصد الخير ! (يقصد كلام عمر وإغلاظه مع النبيﷺوسودة) !

وفيه: جواز وعظ الرجل أمَّه في الدين ، لأن سودة من أمهات المؤمنين !

(يقصد أن لعمر الحق في أن ينصحها ويعظها ، لكنهم حرَّموا نصيحة عائشة في حرب الجمل) !

ثم قال ابن بطال: وفيه أن النبي(ص) كان ينتظر الوحي في الأمور الشرعية لأنه لم يأمرهن بالحجاب مع وضوح الحاجة إليه ، حتى نزلت الآية . وكذا في إذنه لهن بالخروج) !! انتهى كلام ابن حجر وابن بطال ..

ولك أن تلاحظ قوله: (كان ينتظر الوحي في الأمور الشرعية) الذي يعني أن النبي ﷺ كان في غير الأحكام يقول باجتهاده وظنونه ، ولا ينتظر الوحي ، ولذا كان الله تعالى يخطِّؤه ويصوِّب رأي عمر !

على أن قولهم إنه ﷺ كان ينتظر الوحي في الأحكام مجاملة ، فقد قالوا إنه ﷺ كان يجتهد ويخطئ حتى في الأحكام ، وحتى في تبليغ رسالة ربه !!

والنتيجة: أنه يجب عليك أن تقبل أن آية الحجاب نزلت بناء على طلب عمر ، وأن عجلة عمر وغلظته وتدخله فيما لايعنيه ، وعدم انتظاره لأمر النبي ﷺ وما يوحيه ربه اليه.. كلها فضائل ، بل مناقب عظيمة تفوق انتظار النبي ﷺ للوحي ! بدليل أن الله تعالى وافق رأي عمر !

٭ ٭

وينبغي أن نلفت هنا الى بعض ألاعيب ابن حجر في جعله حديث: أحجب نساءك ، وحديث عمر مع سودة بصيغه المتباينة ، حديثاً واحداً ! ثم جعل حديث أنس عن زواج النبي ﷺ بزينب متصلاً به فقال:

(ويجمع بينه وبين حديث أنس في نزول الحجاب بسبب قصة زينب أن عمر حرص على ذلك حتى قال لسودة ما قال..! فاتفقت القصة للذين قعدوا في البيت في زواج زينب فنزلت الآية ! فكان كل من الأمرين سبباً لنزولها ... وقد سبق إلى الجمع بذلك القرطبي فقال: يحمل على أن عمر تكرر منه هذا القول قبل الحجاب وبعده ، ويحتمل أن بعض الرواة ضم قصة إلى أخرى ، قال: والأول

أولى ، فإن عمر قامت عنده أنفةٌ من أن يَطَّلع أحد على حرم النبي(ص)فسأله أن يحجبهن ، فلما نزل الحجاب كان قصده أن لايخرجن أصلاً ، فكان في ذلك مشقة ، فأذن لهن أن يخرجن لحاجتهن التي لا بد منها)! انتهى.

وهذا مثلٌ لتخرص شخص مغرم بعمر لايرى النبيﷺإلا بعده ، فتراه يفرض احتمالاًت لا دليل عليها بل الدليل على ضدها ، ويبني عليه منقبة لمن شغف به !

من هم الثقلاء الذين تأخروا بعد انصراف الناس من وليمة النبيﷺ ؟

ورد في رواياتهم ذكر ثلاثة رجال ثقلاء لم يسمهم الرواة ، وقد عودونا أنهم عندما لايُسَمُّون مذموماً ، فهو من شخصيات قريش !! ولم نجد من صرح باسم هذين الرجلين الثقيلين المؤذيين ، ولا باسم ثالثهم الذي خرج قبلهما فكان أقلَّ منهما أذى وسوء أدب ! قال في فتح الباري:٤٠٦/٨: (فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر.. في رواية عبد العزيز: وبقي ثلاثة رهط وفي رواية حميد: فلما رجع إلى بيته رأى رجلين ، ووافقه بيان بن عمرو عن أنس عند الترمذي ، وأصله عند المصنف أيضاً ، ويجمع بين الروايتين بأنهم أول ما قام وخرج من البيت كانوا ثلاثة ، وفي آخر ما رجع توجه واحد منهم في أثناء ذلك فصاروا اثنين . وهذا أولى من جزم ابن التين بأن إحدى الروايتين وَهْمٌ . وجوز الكرماني أن يكون التحديث وقع من اثنين منهم فقط والثالث كان ساكتاً . فمن ذكر الثلاثة لحظ الأشخاص ومن ذكر الإثنين لحظ سبب العقود . ولم أقف على تسمية أحد منهم) !!

وقال الطبري في تفسيره:٤٥/٢٢: (واختلف أهل العلم في السبب الذي نزلت هذه الآية فيه ، فقال بعضهم: نزلت بسبب قوم طعموا عند رسول الله(ص) في وليمة زينب بنت جحش ، ثم جلسوا يتحدثون ..... وقال: فيجئ القوم يأكلون

ويخرجون ، ثم يجئ القوم يأكلون ويخرجون ، فقلت: يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، قال: إرفعوا طعامكم ، وإن زينب لجالسة في ناحية البيت ، وكانت قد أعطيت جمالاً ، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت...) .

وقال في ص٤٦: (وأنا معه فلما انتهينا إلى الباب إذا رجلان قد جرى بهما الحديث في ناحية البيت ، فلما أبصرهما ولى راجعاً ، فلما رأيا النبي(ص) ولى عن بيته ، ولياً مسرعين . . . فأصابوا من الطعام حتى خرجوا ، وبقي منهم رهط عند رسول الله(ص) فأطالوا المكث...).

وقال في ص٤٧: (فرأى رجلين جالسين فانصرف راجعاً ، فأنزل الله: يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي .... وقال:كان هذا في بيت أم سلمة ، قال أكلوا ، ثم أطالوا الحديث ، فجعل النبي(ص) يدخل ويخرج ويستحي منهم) . انتهى.

وقال ابن سعد في الطبقات:١٠٦/٨: (فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار فجلس رسول الله وجلس معه رجال بعدما قام القوم ، ثم خرج رسول الله يمشي ومشيت معه حتى بلغ حجرة عائشة ، ثم ظن أنهم قد خرجوا ، فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم ، فرجع ورجعت معه الثانية).

وفي البخاري:٢٥/٦: (فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقلت: يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه . قال: إرفعوا طعامكم ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت..... فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر....).

وفي البخاري:٢٦/٦: (رأى رجلين جرى بهما الحديث ، فلما رآهما رجع عن بيته ، فلما رأى الرجلان نبي الله(ص)رجع عن بيته وثبا مسرعين ، فما أدري أنا

أخبرته بخروجهما أم أُخبر ، فرجع حتى دخل البيت وأرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب) . انتهى.

وفي البخاري:١٤١/٦: (قال حتى تصدعوا كلهم عنها (أي شبعوا وتركوا السفرة) فخرج منهم من خرج ، وبقي نفر يتحدثون ، قال: وجعلت أغتمُّ...).

وفي مسلم:١٤٩/٤: (أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه) !

وفي سنن الترمذي:٣٧/٥: (وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ، ورسول الله جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط ، فثقلوا على رسول الله.....)

وفي معجم الطبراني الكبير:٤٨/٢٤: (فجعل رسول الله(ص)يخرج والقوم مكانهم ويرجع والقوم قعود ، فأنزل الله: يا أيها الذين آمنوا...)(راجع أيضاً: مسند ابن راهويه:٤٥/٤ ، والطبراني الكبير:٤٩/٢٤ ، ومسند أحمد:١٩٦/٣ و٢٤٦، وصحيح مسلم:١٤٧/٤ و١٤٩و١٥١ والترمذي:٣٧/٥).

۞ ۞

قال القرطبي في تفسيره:٢٢٤/١٤: (قال ابن أبي عائشة في كتاب الثعلبي: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم) . انتهى.

لكن حسبك من هؤلاء الثقلاء أنهم محترمون جداً فقد أجمع رواة السلطة أن يستروا عليهم ! وزاد بعضهم في الستر عليهم فلم يذكر رجلين أو ثلاثة ، بل عبر عهم بالرهط والقوم !! وعذرهم الشراح بأن تأخرهم كان لعدم التفاتهم ، وكأنهم كانوا مستغرقين في ذكر الله تعالى والصلاة على نبيهﷺ، أو مشغولين في التفكير في مصالح الإسلام والمسلمين !

قال في فتح الباري:٤٠٧/٨: (فتهيأ للقيام ليفطنوا لمراده فيقوموا بقيامه ، فلما ألهاهم الحديث عن ذلك قام وخرج ، فخرجوا بخروجه إلا الثلاثة الذين لم يفطنوا لذلك لشدة شغل بالهم بما كانوا فيه من الحديث ، وفي غضون ذلك كان

النبي(ص)يريد أن يقوموا من غير مواجهتهم بالأمر بالخروج لشدة حيائه فيطيل الغيبة عنهم بالتشاغل بالسلام على نسائه ، وهم في شغل بالهم ! وكأن أحدهم في أثناء ذلك أفاق من غفلته فخرج ، وبقي الإثنان ! فلما طال ذلك ووصل النبي الى منزله فرأهما فرجع فرأياه لما رجع فحينئذ فطنا فخرجا ، فدخل النبي وأنزلت الآية ، فأرخى الستر بينه وبين أنس خادمه أيضاً ، ولم يكن له عهد بذلك .

تنبيه: ظاهر الرواية الثانية أن الآية نزلت قبل قيام القوم ، والأولى وغيرها أنها نزلت بعده ، فيجمع بأن المراد أنها نزلت حال قيامهم ، أي أنزلها الله وقد قاموا ! ووقع في رواية الجعد: فرجع فدخل البيت وأرخى الستر ، وإني لفي الحجرة وهو يقول: ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي... إلى قوله: من الحق..). انتهى . (ونحوه في تحفة الأحوذي:٥٨/٩)

وأنت تلاحظ أن ابن حجر وافق روايات أنس في سبب نزول الآية ، فكيف قبل أن سبب نزولها قول عمر ، وهو يختلف عنه في السبب والمكان والزمان ؟!

لم يكتفوا بموافقة الله تعالى لعمر في المعنى فقالوا حتى في اللفظ !!

جعلوا مقام عمر في الدين أنه يعظ النبيﷺوأزواجه ويغلظ عليهم ! وأعطوه الحق في ذلك لأن الله تعالى كان يوافقه وينزل وحيه مفصلاً على طلبه ! وزادوا على ذلك بأن عمر كان يتكلم بألفاظ يتمنى نزولها في القرآن فيجعلها الله قرآناً !

وقد رأيت قول عمر في آية الحجاب فإنه (أطهر لقلوبهن) فأنزل الله كلامه قرآناً بلفظ عمر فقال: (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) !

وقال عمر بن شبَّة في تاريخ المدينة:٨٦٥/٣: (موافقات أخرى: عن عروة بن رويم قال: لما أنزل الله على رسوله: ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ، وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ ، بكى عمر فقال: يانبي الله ، آمنا برسول الله(ص)وصدقناه ومن ينجو منا قليل؟ فأنزل الله

عز وجل: ثلة من الأولين وثلة من الآخرين (كذا) ! فدعا رسول الله(ص)عمر فقال: قد أنزل الله عز وجل فيما قلت ، فقال عمر: رضينا عن ربنا وتصديق نبينا.

عن أنس قال قال عمر: وافقت ربي في أربع ، نزلت هذه الآية: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأَنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ..الآيات، فقلت أنا: فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ، فنزلت: فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) .

وفي الدر المنثور:٥/ ٦: (وأخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر عن صالح أبي الخليل قال: نزلت هذه الآية على النبي(ص):وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأَنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ.. إلى قوله: ثم أنشأناه خلقاً آخر، قال عمر:فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ فقال(ص): والذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت يا عمر)!!

وفي سنن ابن ماجة:٣٢٢/١: (قال عمر: قلت: يا رسول الله؟ لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ؟ فنزلت: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً).

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ مَنْ وافق مَنْ؟ عمرُ وافق الله ، أم اللهُ وافق عمر ، أم تلاقيا في النقطة الوسط؟ ففي بعض الروايات: وافقني ربي ، وفي بعضها: وافقت ربي ، وفي بعضها ترديد من الراوي ، وفي بعضها ترديد من عمر ! ففي فتح الباري:٢٣٢/٩: (قال:وافقتُ الله في ثلاث.. وكذا في كتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٧٢ .

وفي البخاري:١٤٩/٥، ترديد من عمر: (قال عمر: وافقت ربي عز وجل في ثلاث ، أو وافقني ربي في ثلاث) وكذا في مسند أحمد:٢٤/١.

وفي مسند أحمد:٣٦/١ موافقة متكافئة:(وافقت ربي في ثلاث ووافقني ربي..) .

وفي تاريخ دمشق:١١٣/٤٤، ترديد من الراوي: (قال عمر بن الخطاب وافقني ربي ، أو قال وافقت ربي ثلاثاً)... الى آخر الأسطوانة .

نقد حديث عائشة عن المناصع

٢ ـ قال البخاري:٤٦/١: (باب خروج النساء إلى البراز... عن عائشة: إن أزواج النبي(ص)كنَّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيَح ، فكان عمر يقول للنبي: أحجب نساءك ، فلم يكن رسول الله يفعل! فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة ! حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله الحجاب) !! انتهى.

وأول إشكال على هذا الكلام أنا لانقبل قول عائشة إن نساء النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله كنَّ يخرجن لقضاء حاجاتهن الى الفلاة ! فقد ثبت عندنا وعندهم أن النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله اتخذ الكنيف في بيته ، ولم يكن يخرج لحاجته الى الفلاة ، فكيف يكون الرجل يستعمل الكنيف ، ونساؤه يخرجن الى الفلاة ؟!

وقد علَّم النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله المسلمين اتخاذ الخلاء وعلمهم آدابه ، حتى كان اليهود والمشركون يتفكهون بذلك ، ففي مجمع الزوائد:٢٠٥/١: (قال قال رجل من المشركين لعبد الله: إني لأحسب صاحبكم قد علمكم كل شئ حتى علمكم كيف تأتون الخلاء ! قال: إن كنت مستهزئاً فقد علَّمنا أن لانستقبل القبلة بفروجنا وأحسبه قال ولا نستنجي بأيماننا) . انتهى. وفي رواية: (قال رجل من أهل الكتاب) .

وفي مسند أحمد:٢٥٠/٢: (قال رسول الله(ص): إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الخلاء فلاتستقبلوها ولاتستدبروها ولايتنجى بيمينه). انتهى.

وكان المسلمون يتخذون الخلاء حتى في السفر ، فيحفرون حفرة وينصبون عليها ستراً من جوانبها ، فتكون بيت خلاء .

قال ابن ماجة:١٢٠/١: (عن سالم ، عن أبيه ، أن النبي (ص)نهى أن يصلى على قارعة الطريق ، أو يُضرب الخلاء عليها ، أو يبال فيها).

وفي دعائم الإسلام:١٠٤/١: (ورووا (يقصد أهل البيتعليهم السلام) أن رسول اللهﷺ كان إذا دخل الخلاء تقنَّع وغطى رأسه ولم يره أحد ، وأنه كان إذا أراد قضاء حاجة في السفر أبعد ما شاء ، واستتر) .

وفي مستدرك الوسائل:٢٤٨/١، عن الجعفريات: (عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن آبائه عن عليعليه السلامأن رسول اللهﷺ كان إذا أراد أن يتنخع وبين يديه الناس غطى رأسه ، ثم دفنه ، وإذا أراد ان يبزق فعل مثل ذلك ، وكان إذا أراد الكنيف غطى رأسه).

وفي مناقب آل أبي طالب:١٠٨/١، عن عائشة: (قلت يا رسول الله إنك تدخل الخلاء فإذا خرجت دخلت على أثرك فما أرى شيئاً إلا إني أجد رائحة المسك ! فقال: أنا معشر الأنبياء تنبت أجسادنا على أرواح الجنة ، فما يخرج منها شئ إلا ابتلعته الأرض . وتبعه رجل فعلمﷺمراده فقال: أنا معاشر الأنبياء لايكون منا ما يكون من البشر) .

وقد روى الجميع أن النبيﷺعلَّمَ المسلمين آداب الدخول الى بيت الخلاء والخروج منه . ففي البخاري:٤٥/١:(كان النبي(ص)إذا دخل الخلاء قال: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث.... وعن ابن عباس أن النبي دخل الخلاء فوضعتُ له وضوء (أي ماء) قال: من وضع هذا ؟ فأُخبر ، فقال: اللهم فقهه في الدين).

وفي مسلم:١٩٥/١:(كان(ص)إذا دخل الكنيف قال: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)

وفي سنن البيهقي:٩٣/١: (عن ابن عمر: دخلت بيت حفصة فحانت مني التفاتة فرأيت كنيف رسول الله (ص)مستقبل القبلة). انتهى.

أقول: قد وَهِمَ ابن عمر في ذلك ، وقد زعم في رواية أنه كان على السطح فرأى النبي صلى الله عليه وآله جالساً على حاجته مستقبل القبلة ! وكلها مكذوبات لتبرير فعل الخلفاء ، ولا يتسع المجال لتفصيل ذلك ، وغرضنا إثبات أن أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وتعاليم الإسلام تأبى أن لايكون في بيته بيت خلاء ، من أول هجرته الى المدينة ، وأنَّ من كانت هذه أخلاقه لايمكن أن يقبل أن تخرج نساؤه الى الفلاة لقضاء حاجتهن ، فلا بد من رد روايتهم بأنه لم يتخذ لهن خلاء الى السنة الرابعة أو الخامسة للهجرة، وأنهنَّ كنَّ لايخرجن إلا من الليل الى الليل كما زعمت عائشة! قالت: (فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا ، قالت وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط). (صحيح البخاري:٥/٥٧) .

تقصد عائشة أن عادتهم كانت التبرز في البرية كعرب البادية ، قبل أن يتخذوا بيت الخلاء(الغائط) . ولابد أنها تتحدث عن حي بني تيم ، لا بني هاشم .

وقد رووا أن خروج سودة الى المناصع كان بعد نزول آية الحجاب (فتح الباري: ٢١٨/١) ، وأنه بعد فرض الحجاب عليهن كنَّ يخرجن الى المناصع ، وأراد عمر منعهن ! ومعناه أن النبي صلى الله عليه وآله لم يتخذ بيت خلاء الى السنة الرابعة أو الخامسة !!

وحيث لايمكن قبول هذا الكلام ، فلعل عائشة وسودة كانتا تخرجان على خلاف عادة البيت النبوي !

فهل تطعنون في أخلاق نبيكم صلى الله عليه وآله وتقبلون رواية عائشة ؟!

٣ ـ هل ترون أن تدخلات عمر في شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله أمر يتفق مع الأخلاق والآداب الواجبة مع النبي صلى الله عليه وآله وحرمه ؟!

وما رأيكم في قول أم سلمة رضي الله عنها لعمر:(عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شئ ، حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله(ص) وأزواجه؟!! (قال عمر) فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد). (البخاري:٦/٦٩)

وقول زينب زوجة النبيﷺله: (يا عمر أما كان في رسول الله (ص) ما يعظ نساءه حتى تعظنا أنت ؟!) (صحيح مسلم:٧/ ١١٥) .وما رأيكم في صياح عمر بسودة: قد عرفناك ! وهي زوجة النبيﷺوكانت مستطرقة مستورة ؟!

٤ ـ قالت عائشة المتعصبة لعمر: (فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاء ، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة ! حرصاً على أن ينزل الحجاب ، فأنزل الله الحجاب) .انتهى.

فما الذي أدرى عمر بآية الحجاب حتى يستنزلها بتدخله في أمر امرأة تسير في دربها؟! وهل كان يعلم أن الله تعالى سينزل آية الحجاب ، وأنه كان ينتظر سبباً لها ، فأراد عمر بفضوله أن يوفر السبب لله تعالى ؟!

والسؤال الآخر: أن هذا يناقض مارجحه ابن حجر من أن عمر رأى سودة بعد نزول آية الحجاب ! وأنه أراد منع خروجهن كلياً فلم يوافقه ربه !

فكيف تقول عائشة إن آية الحجاب نزلت على أثر صياح عمر على سودة ، مع أن الآية بقولهم كانت نزلت !؟

٥ ـ هل رويتم أن أحداً غير عمر تكلم بكلام فأنزله الله بألفاظه قرآناً ، وهل تعتبرون ذلك مما فضل الله به عمر على النبيﷺ؟!

٦ ـ ما قولكم في تصرف طلحة وسوء أدبه مع النبيﷺ؟ وهل رويتم أن عائشة كرهت فعله ونهته ؟!

٧ ـ مادام نساء النبيﷺ كنَّ محجبات كغيرهن ، ومادام الحجاب الذي فرضه

الله عليهن هو حرمة الكلام معهن إلا من وراء حجاب ، وحرمة التزوج بهن بعد النبيﷺ، فأي الأمور المروية أقرب لأن تكون سبب نزول آية الحجاب:

ـ فعل طلحة وسوء أدبه مع النبيﷺ؟

ـ أم فعل الثقلاء وقعودهم في بيت النبيﷺ؟

ـ أم ادعاء عائشة أن يدها مست يد رجل أجنبي ؟

ـ أم ادعاء عمر أنه قال للنبيﷺ أحجب نساءك فلم يفعل ، فوافقه ربه؟!

○ ○

المسألة: ١٥٦

اعتراض عمر على النبيﷺ لماذا أعطى قوماً من غنائم حنين !

روى أحمد:٢٠/١و٣٥: (عن عمر قال: قسَّم رسول الله قسمة فقلت: يا رسول الله لَغَيْرُ هؤلاء أحقُّ منهم ! فقال النبي: إنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش ، أو يبخلوني ، فلست بباخل). انتهى. (ومسلم:١٠٣/٣ ، والبخاري:٤/ ٦٠)

وروى البخاري:٦٠/٤:(لما كان يوم حنين آثر النبي(ص)أناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عُيينة مثل ذلك ، وأعطى أناساً من أشراف العرب ، فآثرهم يومئذ في القسمة ، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدل فيها ، وما أريد بها وجه الله ! فقلت والله لأخبرن النبي(ص) فأتيته فأخبرته فقال: فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله)؟!

وفي البخاري:٢٠٩/٣: عن جبير بن مطعم (أنه بينما هو يسير مع رسول الله (ص) ومعه الناس مَقْفَلَهُ من حنين ، فعلقه الناس يسألونه ، حتى اضطروه إلى سَمُرَة فخُطف رداءه ! فوقف النبي(ص)فقال: أعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لاتجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً)!!

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ ما رأيكم في اعتراض عمر على قسمة النبي صلى الله عليه وآله؟ وهل يقصده النبي صلى الله عليه وآله بقوله: (إنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني فلست بباخل) .

٢ ـ ما الفرق بين قول (رجل): والله إن هذه القسمة ما عُدل فيها ، وما أريد بها وجه الله ، وبين قول عمر: لَغير هؤلاء أحقٌّ منهم ؟! وهل كان ذلك الرجل عمر ؟!

٣ ـ ما قولكم في أمر عمر بقتل رجل نهى النبي صلى الله عليه وآله عن قتله؟ ففي النص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص٣٢٣:

(المورد ٤٩ ـ أسرى حنين: لما نصر الله عبده ورسوله صلى الله عليه وآله على هوازن يوم حنين ، وفتح الله له يومئذ فتحه المبين نادى مناديه: أن لايقتل أسير من القوم ، فمرَّ عمر بن الخطاب برجل من الأسرى يعرف بابن الأكوع وهو مغلول ، وكانت هذيل بعثته يوم الفتح إلى مكة عيناً لها على رسول الله يتجسس أخباره وأخبار أصحابه ، فيخبرها بما يكون منهم قولاً وفعلاً ، فلما رآه عمر قال ـ كما نص عليه شيخنا المفيد في غزوة حنين من إرشاده ـ: هذا عدو الله كان عيناً علينا ، ها هو أسير فاقتلوه ، فضرب بعض الأنصار عنقه ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لامهم على قتله ، وقال: ألم آمركم أن لاتقتلوا أسيراً ؟! . اهـ (.

وقتلوا بعده من أسرى حنين ـ كما في إرشاد شيخنا المفيد أيضاً ـ جميل بن معمر بن زهير (قال): فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأنصار وهو مغضبٌ يقول لهم: ما حملكم على قتله ، وقد جاءكم رسولي أن لا تقتلوا أسيراً ؟ فاعتذروا بأنا إنما قتلناه بقول عمر ، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وآله حتى كلمه عمير بن وهب في الصفح عن ذلك). انتهى. (ورواه في المستجاد من الإرشاد ص٨٧).

المسألة: ١٥٧

اعتراض عمر على نبيناﷺ لصلاته على جنازة منافق !

عقد البخاري في صحيحه عدة أبواب ، روى فيها روايات كثيرة لإثبات فضيلة اعتراض عمر على النبيﷺ بسبب صلاته على عبدالله بن أبي بن سلول ، وزعم نزول الوحي موافقاً لعمر ، مخطئاً للنبيﷺ!!

وقد ذكر البخاري ، وعمر ، وابنه ، والفخر الرازي ، تصرف عمر الخشن وغير المعقول مع النبيﷺ حيث تصدى له ، ووثب اليه ، ووقف أمامه ، وجذبه من ثوبه ! ليمنعه من الصلاة على الجنازة ، وقال له: أليس نهاك الله عن هذا ؟!

وأكثر عليه الكلام ! فغضب النبيﷺ وقال: أخِّر عني يا عمر ! لكنهم قالوا إن النبيﷺ لم يغضب من عمر أبداً ، بل ارتاح منه وتبسم له !

قال البخاري:٧٦/٢ :(باب الكفن في القميص... عن ابن عمر أن عبد الله بن أبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي(ص)فقال يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه ، وصلِّ عليه واستغفر له ، فأعطاه النبي(ص)قميصه فقال: آذنِّي أصلي عليه فآذنه ، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين! فقال أنا بين خيرتين ، قال الله تعالى: إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ. (التوبة:٨٠) فصلى عليه ، فنزلت: وَلا تُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً . (التوبة:٨٤)

وقال في:١٠٠/٢: باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والإستغفار للمشركين... عن عمر بن الخطاب أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعِيَ له رسول الله(ص) ليصلي عليه ، فلما قام رسول الله(ص)وثبت إليه فقلت يا رسول الله

أتصلي على ابن أبيّ وقد قال يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، أعدِّد عليه قوله ، فتبسم رسول الله(ص)وقال: أخِّر عني يا عمر ، فلما أكثرت عليه قال: إني خُيِّرتُ فاخترتُ ، لو أعلم أني إن زدت على السبعين فغفر له لزدت عليها !

قال: فصلى عليه رسول الله(ص)ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة:وَلا تُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً.. إلى: وهم فاسقون . قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله(ص)يومئذ والله ورسوله أعلم) .

وقال البخاري:٢٠٦/٥: باب قوله:إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْلَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ...عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله(ص)فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله(ص)ليصلي فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله(ص) فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه! فقال رسول الله (ص): إنما خيرني الله فقال:إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْلَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً .. وسأزيده على السبعين . قال إنه منافق ! قال فصلى عليه رسول الله(ص)فأنزل الله تعالى: وَلا تُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) !

ثم كرر البخاري ما رواه في:١٠٠/٢. ثم عقد باباً بعنوان: باب قوله: وَلا تُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ . وروى فيه عن ابن عمر نحو ما تقدم ، وفيه: (ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق ، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم ؟! قال: إنما خيرني الله أو أخبرني الله فقال: إستغفر لهم....وصلينا معه ، ثم أنزل الله عليه: وَلاتُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) .

وقال البخاري: ٣٦/٧: باب لبس القميص...حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا ابن

عيينة عن عمر وسمع جابر بن عبد الله قال: أتى النبي(ص)عبد الله بن أبي بعدما أدخل قبره ، فأمر به فأخرج ووضع على ركبتيه ، ونفث عليه من ريقه ، وألبسه قميصه . والله أعلم !

...عن عبد الله بن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له ؟ فأعطاه قميصه وقال له: إذا فرغت منه فآذنا ، فلما فرغ آذنه به ، فجاء ليصلي عليه فجذبه عمر فقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين ! فقال إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْلَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ، فنزلت: وَلاتُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، فترك الصلاة عليهم) . انتهى.

○ ○

وفي الموضوع عدة مسائل بحثها المفسرون ، أهمها:

١ ـ تبريرهم تصرف عمر مع النبيﷺ .

٢ ـ هل صحيح أن النبيﷺفهم من قوله تعالى: إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ... أنه ليس نهياً عن الصلاة عليهم ؟!

٣ ـ حقيقة القصة وعدم صحة قول عمر إن آية: وَلاتُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً ، نزلت بعد وفاة ابن سلول ، بل نزلت السورة قبل وفاته !

○ ○

أما عن تصرف عمر ، فلم أجد أحداً من المفسرين أو شراح البخاري ومسلم خجل عن عمر أو لامَهُ على تصرفه ! بل وقفوا جميعاً الى جانبه في مقابل رسول اللهﷺ! ليثبتوا أنه كان مصيباً ، وأن رسول اللهﷺكان مخطئاً !!

قال في فتح الباري:٢٥٢/٨: (فكأن عمر قد فهم من الآية المذكورة ما هو الأكثر

الأغلب من لسان العرب ، من أن (أو) ليست للتخيير بل للتسوية في عدم الوصف المذكور ، أي أن الإستغفار لهم وعدم الإستغفار سواء ، وهو كقوله تعالى: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، لكن الثانية أصرح ، ولهذا ورد أنها نزلت بعد هذه القصة كما سأذكره .

وفهم عمر أيضاً من قوله: سبعين مرة ، أنها للمبالغة وأن العدد المعين لا مفهوم له ، بل المراد نفي المغفرة لهم ولو كثر الإستغفار ، فيحصل من ذلك النهي عن الإستغفار ، فأطلقه .

وفهم أيضاً أن المقصود الأعظم من الصلاة على الميت طلب المغفرة للميت والشفاعة له ، فلذلك استلزم عنده النهي عن الإستغفار ترك الصلاة ، لذلك جاء عنه في هذه الرواية إطلاق النهي عن الصلاة .

ولهذه الأمور استنكر إرادة الصلاة على عبد الله بن أبيّ .

هذا تقريرُ ما صدر عن عمر ، مع ما عرف من شدة صلابته في الدين وكثرة بغضه للكفار والمنافقين ، وهو القائل في حق حاطب بن أبي بلتعة مع ما كان له من الفضل كشهوده بدراً وغير ذلك ، لكونه كاتب قريشاً قبل الفتح: دعني يا رسول الله أضرب عنقه فقد نافق ، فلذلك أقدم على كلامه للنبي(ص) بما قال ولم يلتفت إلى احتمال إجراء الكلام على ظاهره ، لما غلب عليه من الصلابة المذكورة .قال ابن المنير: وإنما قال ذلك عمر حرصاً على النبي(ص)ومشورة إلزاماً . وله عوائد بذلك ! ولايبعد أن يكون النبي(ص)كان أذن له في مثل ذلك ، فلا يستلزم ما وقع من عمر أنه اجتهد مع وجود النص ، كما تمسك به قوم في جواز ذلك . وإنما أشار بالذي ظهر له فقط ، ولهذا احتمل منه النبي(ص) أخذه بثوبه ومخاطبته له في مثل ذلك المقام حتى التفت إليه متبسماً ، كما في حديث ابن عباس) . انتهى.

ثم زاد ابن حجر على هذا التوجيه (العلمي)لرأي عمر أن النبيﷺاعتذر الى عمر بأنه لم يفهم النهي من الآية كما فهمه عمر ، بل فهم منها التخيير ! فنزل النهي الصريح موافقاً لقول عمر فاقتنع النبيﷺ!

وينبغي أن يضيف ابن حجر بأن النبيﷺلا بد أن يكون اعتذر ثانية من عمر وشكره كثيراً لتسديده إياه !!

قال في فتح الباري:٢٥٤/٨: (قوله فتبسم رسول الله(ص)وقال أخِّر عني،أي كلامك (!) . واستشكل الداودي تبسمه(ص)في تلك الحالة مع ما ثبت أن ضحكه(ص)كان تبسماً ، ولم يكن عند شهود الجنائز يستعمل ذلك .

وجوابه: أنه عبَّر عن طلاقة وجهه بذلك تأنيساً لعمر وتطييباً لقلبه ، كالمعتذر عن ترك قبول كلامه ومشورته) ! انتهى.

وقد ارتضى ابن حجر قول الداودي بأن الضحك مكروه عند الجنازة لكن النبيﷺارتكب هذا المكروه ، فضحك لعمر وتبسم له تطييباً لقلبه (كالمعتذر عن ترك قبول كلامه ومشورته) !

أما سوء أدب عمر فلا شئ فيه ، فكأن النبيﷺكان يستحقه ! بل هو فضيلة ومنقبة لعمر ، بدليل رضا النبيﷺوأنسه وسروره به !!

أما الفخر الرازي فقد فاق ابن حجر فقال تفسيره:١٥١/١٦: (فلما مات جاء ابنه يعرِّفه فقال عليه الصلاة والسلام لابنه: صل عليه وادفنه ، فقال: إن لم تصل عليه يارسول الله لم يصل عليه مسلم ، فقام عليه الصلاة والسلام ليصلي عليه فقام عمر فحال بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلي عليه فنزلت هذه الآية ، وأخذ جبريل بثوبه وقال: وَلاتُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً !

واعلم أن هذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضي الله عنه ، وذلك لأن

الوحي نزل على وفق قوله في آيات كثيرة ، منها آية أخذ الفداء عن أسارى بدر وقد سبق شرحه . وثانيها: آية تحريم الخمر . وثالثها: آية تحويل القبلة . ورابعها: آية أمر النسوان بالحجاب . وخامسها: هذه الآية . فصار نزول الوحي على مطابقة قول عمر منصباً عالياً ودرجة رفيعة له في الدين . فلهذا قال عليه الصلاة والسلام في حقه: لو لم أبعث لبعثت يا عمر نبياً) !! انتهى.

عدد مناقب عمر في كلامهم

أولاً ، أن عمر كان مع ظهور النص ، بينما كان النبي ﷺ مع خلاف ظهوره ، فنزل الوحي مؤيداً لرأي عمر ، وهي منقبة عظيمة تجعله في صف النبي ﷺ!

ثانياً ، أن عمر أصلب في الدين وجهاد المنافقين من النبي ﷺ!

ثالثاً ، أن معنى قول النبي ﷺ لعمر لما وقف أمامه وأخذ بثوبه: (أخر عني ياعمر): أخر عني كلامك الآن من فضلك !!

رابعاً ، أن تصرفات عمر مع النبي ﷺ مغفورة لصلابته في الحق ، بل لايبعد أن يكون النبي ﷺ أذن لعمر بالخشونة وإساءة الأدب معه ، كما ادعى ابن المنير وارتضاه ابن حجر ! لكي يسدده إذا أخطأ !!

خامساً ، أن المتعصبين لعمر ليسوا مستعدين لأن يفحصوا مصداقية قوله وصحة زعمه أن آية النهي عن الصلاة على المنافقين نزلت في جنازة ابن سلول ، كما قال الرازي ، أو بعدها كما قال عمر ، أو قبلها كما نص على ذلك الفخر الرازي !

○ ○

لكن يبقى عليهم أن يجيبوا على إشكالين أساسيين ، ينقضان دفاعهم وسعيهم لإثبات هذه المنقبة !

أولهما: إذا كان الأمر كما تقولون ، فلماذا خطَّأ عمر نفسه وقال: (لقد أصبت في الإسلام هفوة ما أصبت مثلها قط ، أراد رسول الله أن يصلي على عبد الله بن أبي فأخذت بثوبه فقلت: والله ما أمرك الله بهذا ، لقد قال الله: إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْلَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ، فقال رسول الله: قد خيرني ربي فقال: إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...). (الدر المنثور:٢٦٤/٣،وقال أخرجه ابن أبي حاتم عن الشعبي . وكنز العمال:٤١٩/٢) ؟!

وثانيهما: هل يقبلون أن النبيﷺ بلغ به الجهل أنه فهم التخيير من قوله تعالى: إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْلَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ..؟!

إن هذا هو المفتاح لمعرفة واقع القصة التي ادعاها عمر فصدَّقه محبوه !

استنكار علماء سنيون كبار ما نسبه عمر الى النبيﷺ!

هل يجوز قبول شهادة عمر بأن النبيﷺ قد فهم من قوله تعالى: إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْلَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ... التخيير ولم يفهم منها النهي عن الصلاة عليهم ، مع وضوح أنها نهيٌ ، ومعناها أنك مهما استغفرت لهم فلن ينفع ذلك ، فلا تتعب نفسك ؟!

لقد وقع علماء السنة في محنة بين أن ينسبوا السذاجة الى النبيﷺ، أو يكذبوا البخاري وعمر! وقد اختار عدد من كبارهم تكذيب رواية البخاري ، ولم يتعدوها الى تكذيب عمر! قال في فتح الباري:٢٥٥/٨: (واستشكل فهم التخيير من الآية حتى أقدم جماعة من الأكابر على الطعن في صحة هذا الحديث ، مع كثرة طرقه واتفاق الشيخين وسائر الذين خرَّجوا الصحيح على تصحيحه! وذلك ينادي على منكري صحته بعدم معرفة الحديث وقلة الإطلاع على طرقه !

قال ابن المنير: مفهوم الآية زلت فيه الأقدام حتى أنكر القاضي أبو بكر صحة

الحديث وقال: لايجوز أن يقبل هذا ، ولا يصح أن الرسول قاله. انتهى.
ولفظ القاضي أبي بكر الباقلاني في التقريب: هذا الحديث من أخبار الآحاد التي لايعلم ثبوتها ! وقال إمام الحرمين في مختصره: هذا الحديث غير مخرَّج في الصحيح . وقال في البرهان: لايصححه أهل الحديث .
وقال الغزالي في المستصفى: الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح .
وقال الداودي الشارح: هذا الحديث غير محفوظ !

والسبب في إنكارهم صحته ما تقرر عندهم مما قدمناه ، وهو الذي فهمه عمر من حمل (أو) على التسوية لما يقتضيه سياق القصة ، وحمل السبعين على المبالغة . قال ابن المنير: ليس عند أهل البيان تردد أن التخصيص بالعدد في هذا السياق غير مراد . انتهى .

وأيضاً ، فشرط القول بمفهوم الصفة وكذا العدد عندهم ، مماثلة المنطوق للمسكوت وعدم فائدة أخرى ، وهنا للمبالغة فائدة واضحة ، فأشكل قوله (ص) سأزيده على السبعين ، مع أن حكم ما زاد عليها حكمها). انتهى.

أقول: خلاصة رأي هؤلاء المنكرين لصحة حديث عمر، المدافعين عن النبي صلى الله عليه وآله:

أنه يجب رد الأحاديث التي تقول إن النبي صلى الله عليه وآله صلى على جنازة رأس المنافقين ابن سلول والحكم بأنها موضوعة أو مردودة ، لأنها تخالف القرآن وتنسب الى النبي صلى الله عليه وآله فهماً للآيات لايمكن أن يصدر منه !

فهم يوافقوننا إنكار هذه المنقبة المزعومة لعمر ، من أجل تنزيه النبي صلى الله عليه وآله ؟!

أما ابن حزم ، فقد حكم بأن النبي صلى الله عليه وآله صلى على جنازة ابن سلول وأصاب ، وخرج عن خطهم وحكم بأن عمر قد أخطأ ! قال في الإحكام:٣/٢٧٤: (فإن قال

قائل: فما كان مراد الله بالتخيير...أتقولون إنه أراد تعالى ما قال عمر بن الخطاب من أن لايصلي عليهم ولايستغفر لهم ، ثم نزلت الآية الأخرى مبينة؟

فالجواب: أننا وبالله تعالى التوفيق لانقول ذلك ، ولايسوغ لمسلم أن يقوله ، ولانقول إن عمر ، ولا أحداً من ولد آدم فهم عن الله تعالى شيئاً لم يفهمه عنه نبي الله (ص) ، وهذا القول عندنا كفرٌ مجرد !

وبرهان ذلك: أن الله تعالى لو لم يرض صلاة النبي على عبد الله بن أبي لما أقره عليها ولأنزل الوحي عليه لمنعه ، كما نهاه بعد صلاته عليه أن يصلي على غيره منهم ، فصح أن قول عمر كان اجتهاداً منه أراد به الخير فأخطأ فيه وأصاب رسول الله (ص) ، وأُجِر عمر في ذلك أجراً واحداً). انتهى. (راجع: بدائع الصنائع:٧٧/٣ ، والبحر الرائق:٢٦٧/١، والمغني:٤٢٠/٢).

وقد زعم ابن حزم في المحلى:٢١٠/١١، أن سبب صلاة النبيﷺعلى ابن سلول انه لم يكن يعلم بشركه ، وإن علم بنفاقه ! قال: (فلو كان ابن أبي وغيره من المذكورين ممن تبين للنبيعليه السلامأنهم كفار بلا شك ، لما استغفر لهم النبي ولا صلى عليهم ، ولايحل لمسلم أن يظن بالنبي(ص) أنه خالف ربه في ذلك ، فصح يقيناً أنهعليه السلاملم يعلم قط أن عبدالله بن أبي والمذكورين كفار في الباطن) . انتهى.

ولم يحكم ابن حزم بكفر عمر لادعائه أنه فهم من قوله تعالى: إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْلَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ...ما لم يفهمه النبيﷺ؟!

لكن قال: (ولا نقول إن عمر ولا أحداً من ولد آدم فهم عن الله تعالى شيئاً لم يفهمه عنه نبي الله ، وهذا القول عندنا كفرٌ مجرد !)؟؟!

حقيقة القصة وبيان تصرف عمر فيها !

إن منشأ اشتباه عمر والذين ردوا حديثه في البخاري ، أنهم تصوروا أن قبول النبي صلى الله عليه وآله حضور جنازة ابن سلول وصلاته عليها ، يعني الإستغفار له ، مع أن لا ملازمة بينهما ، فقد صلى على جنازته ولم يستغفر له !

وقد روت ذلك مصادرنا ، وقد أفتى فقهاؤنا بأن الصلاة المنهي عنها على المنافقين في مثل قوله تعالى: وَلاتُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً ، هي الصلاة بالمعنى اللغوي أي الدعاء لهم والإستغفار، أما الصلاة عليهم بدون استغفار فليس منهياً عنها ، ولذا كان صلى الله عليه وآله يصلي على جنائزهم ، ويكتفي بأربع تكبيرات ولا يدعو لهم .ففي المقنعة ص٢٣٠:(روي عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي على المؤمنين ويكبر خمساً ، ويصلي على أهل النفاق سوى من ورد النهي عن الصلاة عليهم فيكبر أربعاً ، فرقاً بينهم وبين أهل الإيمان ، وكانت الصحابة إذا رأته قد صلى على ميت فكبر أربعاً ، قطعوا عليه بالنفاق) .

وفي الكافي:١٨١/٣، عن الإمام الصادق عليه السلام: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلى على ميت كبَّر وتشهد، ثم كبر، ثم صلى على الأنبياء ودعا، ثم كبر ودعا للمؤمنين، ثم كبر الرابعة ودعا للميت ، ثم كبر وانصرف . فلما نهاه الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين كبر وتشهد ، ثم كبر وصلى على النبيين صلى الله عليهم ، ثم كبر ودعا للمؤمنين ، ثم كبر الرابعة وانصرف ولم يدع للميت).

وفي الإستبصار:٤٧٦/١: (عن محمد بن يزيد ، عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فدخل رجل فسأله عن التكبير على الجنائز فقال: خمس تكبيرات ، ثم دخل آخر فسأله عن الصلاة على الجنائز؟ فقال: له أربع صلوات ، فقال الأول: جعلت فداك سألتك فقلت خمساً ، وسألك هذا فقلت أربعاً ، فقال:

إنك سألتني عن التكبير وسألني هذا عن الصلاة ، ثم قال: إنها خمس تكبيرات بينهن أربع صلوات ، ثم بسط كفه فقال: إنهن خمس تكبيرات بينهن أربع صلوات) . انتهى.

وفي تفسير العياشي:١٠٢/٢، عن الإمام الباقرعليه السلام، قال: (توفي رجل من المنافقين فأرسل رسول اللهﷺإلى إبنه: إذا أردتم أن تخرجوا فأعلموني ، فلما حضر أمره أرسلوا إلى النبي عليه وآله السلام فأقبل نحوهم حتى أخذ بيد ابنه في الجنازة فمضى ، قال: فتصدى له عمر ثم قال: يا رسول الله أما نهاك ربك عن هذا أن تصلي على أحد منهم مات أبداً أو تقوم على قبره ، فلم يجبه النبيﷺ.

قال: فلما كان قبل أن ينتهوا به إلى القبر قال عمر أيضاً لرسول اللهﷺ: أما نهاك الله عن أن تصلي على أحد منهم مات أبداً أو تقوم على قبره ذلك بأنهم كفروا بالله وبرسوله وماتوا وهم كافرون ؟! فقال النبيﷺلعمر عند ذلك: ما رأيتنا صلينا له على جنازة ، ولا قمنا له على قبر !

ثم قال: إن ابنه رجل من المؤمنين ، وكان يحق علينا أداء حقه ، وقال له عمر: أعوذ بالله من سخط الله وسخطك يا رسول الله). انتهى.

ومن الملاحظ أن الإمام الباقرعليه السلامعبَّر عن الأدعية التي بين التكبيرات بالصلوات ، ليبيِّن أن التحريم في الصلاة على المنافق يخص الدعاء له ، الذي يقع بعد التكبرة الرابعة ، وليشير أن الصلاة على الميت صلاة لغةً لا اصطلاحاً .

وفي كشف اللثام للفاضل الهندي:٣٠٩/٢: قال تعالى:وَلاتُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً ، وفيه أن الظاهر النهي عن الدعاء لهم ، لما في الأخبار من أنه ﷺكان يكبر على المنافق أربعاً).

وفي مستند الشيعة للنراقي: ٢٦٩/٦: (بل تتعين إرادة ذلك بملاحظة خبر محمد

بن مهاجر...). وهو الخبر المتقدم من الكافي:١٨١/١. راجع أيضاً: الحدائق الناضرة:٤١٧/١٠ ، وجواهر الكلام:٣٥٩/١٧ ومصباح الفقيه:٢ ق٥٠٢/٢)

وعلى هذا تكون صلاة النبي صلى الله عليه وآله على ابن سلول طبيعية وتكون بأربع تكبيرات بدون دعاء له ، ويكون الخلل في فهم عمر وليس في فهم النبي صلى الله عليه وآله أو عمله ! وقد صرَّحَت بذلك صحيحة الحلبي عن الإمام الصادق عليه السلام . ففي الكافي:١٨٨/٣: (علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حماد بن عثمان ، عن الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما مات عبد الله بن أبي بن سلول حضر النبي صلى الله عليه وآله جنازته فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فسكت ، فقال: يارسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فقال له: ويلك وما يدريك ما قلت ! إني قلت: اللهم احْشُ جوفه ناراً ، واملأ قبره ناراً ، وأَصْلِه ناراً ! قال أبو عبدالله عليه السلام: فأبدى من رسول الله ما كان يكره). انتهى.

ومعناه أن النبي صلى الله عليه وآله كان يستعمل التقية مع أتباع ابن سلول ليجذبهم الى الإسلام ، ولكن فضول عمر أجبره على إظهار أنه دعا عليه ولم يدع له !

وفي مجمع البيان:١٠٠/٥: (ولا تقم على قبره ، أي لاتقف على قبره للدعاء ، فإنه صلى الله عليه وآله كان إذا صلى على ميت يقف على قبره ساعة ويدعو له). انتهى.

فالصحيح: أن النبي صلى الله عليه وآله صلى على جنازة ابن سلول كما رواه الفريقان ، وأن عمر اعترض عليه أيضاً لصحة روايته عند الفريقين ، لكن سببه أن عمر لم يفرق بين المعنى اللغوي الشرعي للصلاة على الميت والمعنى العرفي .

كذبهم في وقت نزول آية: إستغفر لهم أولا تستغفر لهم

ادعى عمر أن آية: وَلاتُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً ، نزلت بعد اعتراضه على النبيﷺ لصلاته على ابن سلول ، مع أنها كانت نازلة في سورة التوبة مع آية: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ... في غزوة تبوك في السنة الثامنة ، أي قبل موت ابن سلول بنحو سنة ! فقول عمر إنها نزلت بعد اعتراضه على النبيﷺ غير صحيح !

والطريف أن البخاري نفسه كذَّبه فنصَّ على أن سورة براءة نزلت كاملة قطعة واحدة! قال في:١١٥/٥: (عن البراء قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة). انتهى.

وفي الدر المنثور:٢٥١/٢: (وأخرج ابن أبي شيبة ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي، والنسائي ، وابن الضريس ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والبيهقي في الدلائل ، عن البراء قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة). انتهى. فما عدا مما بدا حتى صارت الآية ٨٤ منها نشازاً مفصولة عن سياقها ؟! (راجع أيضاً: البخاري :١٨٥/٥ وأحمد:٢٩٨/٤ ، وتفسير الطبري:٥٦/٦ ، وأحكام القرآن :١١٢/٣ ، والبرهان:٢٠٩/١)

قد تقول: ما المانع أن تكون الآية التي ادعى عمر نزولها موافقةً له ، قد نزلت منفصلة عن بقية سورة التوبة ، بعد موت ابن سلول ، ثم ألحقت بها ؟!

والجواب: أن أدنى تأمل في سياق الآية ، يدلك على عدم صحة ادعاء نزولها منفصلة ، فسياق الآية التي قبلها ينص على أن النبيﷺ كان في سفر ، وهو سفر تبوك الذي نزلت فيه السورة!قال تعالى:(فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أول مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ . وَلاتُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ). فكيف يكون النبيﷺ في المدينة ويقول له الله تعالى: فإن رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ ؟!!

وهذه هي الآيات مع سياقها لمزيد اطمئنانك بما قلناه ، قال الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِد الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . أَلم يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلامُ الْغُيُوبِ . الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لايَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ .

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لاتَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أشد حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ .فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَإِن رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَئْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أول مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ . وَلا تُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ .

وَلاتُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إنما يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أنفسهم وَهُمْ كَافِرُونَ . وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَئْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ . رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لايَفْقَهُونَ .

لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلاعَلَى الَّذِينَ إِذا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أجد مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلايَجِدُوا مَايُنْفِقُونَ. إنما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ . يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لاتَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فإن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فإن اللهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ). (التوبة :٧٣-٩٦)

والنتيجة

أن موافقة الوحي المزعومة لعمر في هذه الرواية مكذوبة من راويها . وأن اعتراضات عمر بدأت قبل الصلاة على جنازته عندما أعطاهم النبيﷺ قميصه ليكفنوه به ، ثم واصل عمر اعتراضه بإصرار رغم بيان النبيﷺ وتوضيحه له !!

وأن النبيﷺ لم يخطئ لا في فهم حكم الله تعالى ، ولا في تطبيقه على حدوده ، ولم يحتج الى عمر ولا غيره ، ولا الى نزول آية لم تكن نازلة ، ولا إلى جر عمر بثوبهﷺ أو زعمهم أن جبرئيل ساعد عمر وجر بثوبهﷺ !!

مناقشة رأي صاحب تفسير الميزان

تابع صاحب الميزانرحمه الله النافين من علماء السنة لصلاة النبيصلى الله عليه وآله على جنازة ابن سلول ، وردَّ الروايات الواردة في مصادر الطرفين بحجة أنها مخالفة للقرآن !

قال في الميزان:٣٦٦/٩: (أقول: وقد ورد استغفار النبي(ص)لعبد الله بن أبي وصلاته عليه في بعض المراسيل من روايات الشيعة أيضاً ، أوردها العياشي والقمي في تفسيريهما ، وقد تقدم خبر القمي . وهذه الروايات على ما فيها من بعض التناقض والتدافع واشتمالها على التعارض فيما بينها ، تدفعها الآيات الكريمة دفعاً بيناً لا مرية فيه :

أما أولاً ، فلظهور قوله تعالى: إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْلَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ، ظهوراً بيناً في أن المراد بالآية بيان لغوية الإستغفار للمنافقين دون التخيير ، وأن العدد جئ به لمبالغة الكثرة لا لخصوصية في السبعين بحيث ترجى المغفرة مع الزائد على السبعين . والنبيصلى الله عليه وآله أجلُّ من أن يجهل هذه الدلالة فيحمل الآية على التخيير ، ثم يقول سأزيده على سبعين ، ثم يذكِّره غيره بمعنى الآية فيصرُّ على جهله ، حتى ينهاه الله عن الصلاة وغيرها بآية أخرى ينزلها عليه .

على أن جميع هذه الآيات المتعرضة للإستغفار للمنافقين والصلاة عليهم كقوله: إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وقوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أم لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وقوله: وَلاتُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً ، تعلل النهي واللغوية بكفرهم وفسقهم ، حتى قوله تعالى في النهي عن الإستغفار للمشركين: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أصحاب الْجَحِيمِ. آية: ١١٣ ، ينهى عن الإستغفار معللاً ذلك بالكفر وخلود النار وكيف يتصور مع

ذلك جواز الإستغفار لهم والصلاة عليهم ؟!

وثانياً ، إن سياق الآيات التي منها قوله: وَلاتُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً .. الآية، صريح في أن هذه الآية إنما نزلت والنبي(ص)في سفره إلى تبوك ولما يرجع إلى المدينة ، وذاك في سنة ثمان ، وقد وقع موت عبد الله بن أبي بالمدينة سنة تسع من الهجرة ! كل ذلك مسلَّمٌ من طريق النقل ، فما معنى قوله في هذه الروايات إن النبي(ص)صلى على عبدالله وقام على قبره ، ثم أنزل الله عليه: وَلا تُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً .. الآية ؟!

وأعجب منه ما وقع في بعض الروايات السابقة أن عمر قال للنبي(ص): أتصلي عليه وقد نهاك عن الصلاة للمنافقين ؟ فقال: إن ربى خيرني.. ثم أنزل الله: وَلا تُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ .. الآية .

وأعجب منه ما في الرواية الأخيرة من نزول قوله:سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أم لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ..الآية ، والآية من سورة المنافقون وقد نزلت بعد غزاة بني المصطلق ، وكانت في سنة خمس ، وعبدالله بن أبي حي عندئذ ، وقد حكى في السورة قوله: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ .

وقد اشتمل بعض هذه الروايات وتعلق به بعض من انتصر لها ، على أن النبي ﷺإنما استغفر وصلى على عبدالله ليستميل قلوب رجال منافقين من الخزرج إلى الإسلام . وكيف يستقيم ذلك وكيف يصح أن يخالف النبيﷺالنص الصريح من الآيات استمالةً لقلوب المنافقين ومداهنةً معهم ، وقد هدده الله على ذلك بأبلغ التهديد في مثل قوله:إذا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ.. الآية؟! فالوجه أن هذه الروايات موضوعة ، يجب طرحها بمخالفة الكتاب). انتهى.

أقول: من الواضح أن صاحب الميزانرحمه الله لم يستوف التأمل في أحاديث

المسألة في مصادر التفسير فضلاً عن الفقه، فقد وردفي صلاة النبي صلى الله عليه وآله على المنافقين وابن سلول روايات عديدة ، منها الصحيح بدرجة عليا كما تقدم !

وقوله رحمه الله:(ورد استغفار النبي(ص)لعبد الله بن أبي وصلاته عليه في بعض المراسيل من روايات الشيعة أيضاً) غير دقيق ، لأن الرواية المرسلة التي أوردها من تفسير القمي رحمه الله ذكرت صلاته صلى الله عليه وآله على جنازته وأنه استغفر له ، ثم نَفَتْ أن يكون دعا له أو استغفر له ! وهذا نصها ، الذي أورده في الميزان:٩/٣٥٥ ، قال: (وفي تفسير القمي في قوله تعالى: إستغفر لهم أو لا تستغفر لهم.. الآية ، أنها نزلت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة ومرض عبدالله بن أبي وكان ابنه عبدالله بن عبد الله مؤمناً فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوه يجود بنفسه فقال: يارسول الله بأبي أنت وأمي إنك إن لم تأت أبي كان ذلك عاراً علينا، فدخل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله والمنافقون عنده ، فقال ابنه عبدالله بن عبدالله: إستغفر له فاستغفر له ، قال عمر: ألم ينهك الله يا رسول الله أن تصلي على أحد أو تستغفر له؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، فأعاد عليه ! فقال له: ويلك إني قد خيِّرت فاخترت ، إن الله يقول: إستغفر لهم أو لاتستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم .

فلما مات عبدالله جاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إن رأيت أن تحضر جنازته ، فحضر رسول الله صلى الله عليه وآله فقام على قبره ، فقال له عمر: يا رسول الله ألم ينهك الله أن تصلي على أحد منهم مات أبداً وأن تقيم على قبره؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:ويلك! وهل تدري ما قلت؟ إنما قلت: اللهم احشُ قبره ناراً وجوفه ناراً وأصْلِه النار ! فبدا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يكن يحب). انتهى.

ويرد على كلامه رحمه الله:

أولاً ، أن روايات الباب عندنا متعددة وفيها الصحيح الذي أفتى الفقهاء اعتماداً

عليه بجواز الصلاة على جنازة المنافق بدون دعاء له ولا استغفار .

والمرسلة التي ذكرها هي الوحيدة التي ذكرت استغفار النبيﷺ لابن سلول ! فكان ينبغي أن يقول رحمه الله:اتفقت روايات الشيعة وفتاوي فقهائهم على أن النبي ﷺصلى على جنازة ابن سلول ، وأنه لم يستغفر له ، ما عدا مرسلة لاتنهض بالمعارضة في تفسير القمي ورد فيها أن النبيﷺفهم من الآية التخيير .

ثانياً ، من الواضح أن هذه المرسلة بمجموعها تتفق مع الأحاديث الصحيحة وفتاوى الفقهاء بجواز الصلاة على جنازة المنافق بدون دعاء واستغفار ، فختامها صريح في أنهﷺلم يستغفر له ولم يدع ، بل دعا عليه ! فيحتمل فيها اشتباه الراوي أو الناسخ في قوله إن ابنه قال للنبيﷺ:(إستغفر له ، فاستغفرَ له) ، لأن الإستغفار الوارد في أولها لايمكن أن يكون هو المنفي صريحاً في آخرها .

ثالثاً ، أما الإشكال على ما ورد فيها من قول النبيﷺلعمر: (ويلك إني قد خيِّرت فاخترت، إن الله يقول:إستغفر لهم أو لاتستغفر لهم...) وأنه كيف يصح القول إن النبيﷺفهم التخيير من ذلك ؟!

فجوابه: أن النهي عن الصلاة على جنائز المنافقين في قوله تعالى: وَلا تُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، نزل قبل موت ابن سلول كما تقدم ! فصلاة النبيﷺعلى جنازته تدل على أنه غير مشمول للنهي ، لعصمة النبيﷺ، فلا بد أن يكون النهي خاصاً بأناس أو أنواع من المنافقين ولايشمل ابن سلول ، أو يكون فيه استثناءً وابن سلول مستثنى ، بدليل صلاة النبيﷺعلى جنازته .

وقد تقدم عن أهل البيتعليهم السلام أن النهي عن الصلاة على المنافقين خاص وليس عاماً، قال الصدوق رحمه الله في المقنعة: (روي عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: كان رسول اللهﷺيصلي على المؤمنين ويكبِّر خمساً، ويصلي على أهل النفاق سوى

من ورد النهي عن الصلاة عليهم ، فيكبر أربعاً). انتهى.

كما أن النهي عن الإستغفار للمنافقين نزل قبل وفاة ابن سلول أيضاً ، فقد يكون أيضاً خاصاً بأناس أو بأنواع ليس ابن سلول منهم .

فتخييره صلى الله عليه وآله بين الصلاة وعدمها ، وبين الإستغفار وعدمه ، إن صحت روايته ، لا يكون بسبب فهمه صلى الله عليه وآله للآية كما زعم عمر، بل من طريق الوحي مقيداً لإطلاقها.

من أين صارت صلاة الميت عندهم أربع تكبيرات ؟!

عرفت أن مذهب أهل البيت عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله كان يصلي على المؤمنين بخمس تكبيرات، يتشهد بعد الأولى، ويصلي على الأنبياء عليهم السلام بعد الثانية، ويدعو للمؤمنين بعد الثالثة ، ويدعو للميت بعد الرابعة ، ثم يختم بالخامسة . أما على المنافقين فكان يصلي بأربع تكبيرات ، بدون أن يدعو لهم .

ومع أن الصحابة صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله على مئات الجنائز ، إلا أنهم اشتبه عليهم الأمر واختلفوا في عدد التكبيرات ، فأمرهم عمر بالأربع فاتبعوه .

قال المحقق البحراني في الحدائق الناضرة: ٤١٧/١٠ :(ولعل الشبهة الموجبة لتركهم التكبير الخامس ماورد في بعض الأخبار عنه صلى الله عليه وآله أنه كان يكبر أربعاً على بعض الأموات ، ولم يتفقهوا إلى أن ذلك إنما هو فيما إذا كان الميت منافقاً كما صرحت به أخبار أهل البيت عليهم السلام من أنه صلى الله عليه وآله كان يصلي على بعض خمس تكبيرات ، وعلى أناس أربعاً ، وأنه إذا كبر أربع تكبيرات اتُّهم بالنفاق .

وربما أكد ذلك عندهم إصرار الشيعة على الخمس ، حيث أنهم يتعمدون مخالفتهم ، وإن اعترفوا بأن السنة النبوية فيما عليه الشيعة ! بل قد صرح بهذا الوجه بعض شراح صحيح مسلم ، على ما نقله بعض أصحابنا رضوان الله عليهم ، حيث قال نقلاً عنه: إنما ترك القول بالتكبيرات الخمس في صلاة الجنازة ، لأنه

صار علماً للتشيع ! وقال عبد الله المالكي المغربي في كتابه المسمى بفوائد مسلم كما نقله بعض أصحابنا أيضاً: إن زيداً كبر خمساً على جنازة ، قال وكان رسول اللهﷺ يكبرها ، وهذا المذهب الآن متروك لأنه صار علماً على القول بالرفض .

وقد أوردنا في كتابنا سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد جملة من مخالفاتهم التي من هذا القبيل !

وقال رحمه الله:(روى الصدوق في كتاب العلل بسنده عن أبي بصير قال:(قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأي علة نكبر على الميت خمس تكبيرات ويكبر مخالفونا أربع تكبيرات؟ قال عليه السلام: لأن الدعائم التي بني عليها الإسلام خمس: الصلاة ، والزكاة، والصوم ، والحج ، والولاية لنا أهل البيت . فجعل الله للميت من كل دعامة تكبيرة ، وإنكم أقررتم بالخَمس كلها وأقر مخالفوكم بأربع وأنكروا واحدة ، فمن ذلك يكبرون على موتاهم أربع تكبيرات ، وتكبرون خمساً) . انتهى . (راجع أيضاً جواهر الكلام:٣١/١٢).

وقال البيهقي في سننه:٣٧/٤: (عن أبي وائل قال: كانوا يكبرون على عهد رسول الله(ص)سبعاً وخمساً وستاً ، أو قال أربعاً ، فجمع عمر بن خطاب أصحاب رسول الله ، فأخبر كل رجل بما رأى ، فجمعهم عمر على أربع تكبيرات) .

وقال ابن قدامة في المغني:٣٩٣/٢: (وروي أن عمر جمع الناس فاستشارهم ، فقال بعضهم: كبر النبي سبعاً ، وقال بعضهم خمساً ، وقال بعضهم أربعاً ، فجمع عمر الناس على أربع تكبيرات). انتهى .

وقد روت مصادرهم الأربع تكبيرات والخمس ، كما في مسند أحمد:٣٣٧/٣، و٣٤٩، و:٣٧٢/٤ ، والبخاري:٩١/٢ ، ومسلم:٥٤/٣ ، و٥٦ ، وابن ماجه:٤٨٢/١ ، وأبي داود:٧٩/٢، والترمذي: ٢٤٤/٢، وعقد البيهقي في سننه:٣٦/٤ باباً بعنوان: (باب من روى أنه كبر على جنازة خمساً) .

وقد أكثروا من رواية أن النبي صلى الله عليه وآله كبر على النجاشي أربعاً ، لكن روى الطبراني:٢٠/١٧، أنه صلى الله عليه وآله كبر عليه خمساً ، فضعَّفوا حديثه ! وأعرضوا كلياً عن أحاديث أهل البيت عليهم السلام وإجماعهم !

لكن ابن حزم أفتى في المحلى:١٢٤/٥ ، بأن أصل التكبير على الجنازة خمس ، وأفتى بصحة الأربع ، وأورد أحاديث عديدة في أن النبي صلى الله عليه وآله كان يكبر خمساً . وسَخِرَ من ادعائهم الإجماع على الأربع ، التي أمر بها عمر وجمع عليها الناس !

○ ○

الأسئلة

١ ـ ماذا يريد البخاري من تكثير الروايات وتكرارها في اعتراض عمر على النبي صلى الله عليه وآله ؟!

٢ ـ لو كنت أنت حاضراً ورأيت أن عمر وثب ووقف في وجه النبي صلى الله عليه وآله وجرَّ ثوبه ، وتكلم معه بأسلوبه الفظ ، ماذا سيكون موقفك ؟!

٣ ـ نص علماء اللغة وأصول الفقه على أن عدد السبعين في مثل قوله تعالى: إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْلَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ... لا مفهوم له وأن المعنى مهما استغفرت لهم فلن يغفر الله لهم . فهل توافقون على صحة قول عمر إن النبي صلى الله عليه وآله فهم التخيير خطأً من هذه الآية ؟!

٤ ـ ما هو موقفكم من كبار أئمتكم كالباقلاني، والجويني، والغزالي، والداودي وعياض ، وأمثالهم ، الذين ردوا هذا الحديث رغم تصحيح الشيخين له ، ونزَّهوا النبي صلى الله عليه وآله عما نسبه اليه عمر ، أي كذبوا البخاري ومسلماً أو عمر؟!

٥ ـ هل توافقون القرطبي على أن النبيﷺأخطأ في فهم التخيير ، بينما ألهم الله عمر نهيه عن الصلاة على المنافقين قبل نزول آية النهي ؟!

قال في تفسيره:٢١٨/٨: (إن قال قائل: فكيف قال عمر: أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه ، ولم يكن تقدم نهى عن الصلاة عليهم .

قيل له: يحتمل أن يكون ذلك وقع له في خاطره ، ويكون من قبيل الإلهام والتحدث الذي شهد له به النبي(ص) ، وقد كان القرآن ينزل على مراده ، كما قال: وافقت ربي في ثلاث . وجاء: في أربع ، وقد تقدم في البقرة ، فيكون هذا من ذلك . ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله تعالى: إستغفر لهم أو لاتستغفر لهم ، الآية . لا أنه كان تقدم نهي على ما دل عليه حديث البخاري ومسلم)؟!!

٦ ـ قال الرازي في تفسيره:١٥١/١٦: (عن ابن عباس أنه لما اشتكى عبدالله بن أبي ابن سلول عاده رسول الله(ص)فطلب منه أن يصلي عليه إذا مات ويقوم على قبره ، ثم إنه أرسل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام يطلب منه قميصه ليكفن فيه فأرسل إليه القميص الفوقاني ، فرده وطلب الذي يلي جلده ليكفن فيه ، فقال عمر: لمَ تُعطي قميصك الرجسَ النجس؟!فقال عليه الصلاة والسلام: إن قميصي لايغني عنه من الله شيئاً ، فلعل الله أن يدخل به ألفاً في الإسلام ، وكان المنافقون لا يفارقون عبد الله ، فلما رأوه يطلب هذا القميص ويرجو أن ينفعه ، أسلم منهم يومئذ ألف . فلما مات جاء ابنه يعرفه فقال عليه الصلاة والسلام لابنه: صل عليه وادفنه ، فقال: إن لم تصل عليه يا رسول الله لم يصل عليه مسلم ، فقام عليه الصلاة والسلام ليصلي عليه ، فقام عمر فحال بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلي عليه ، فنزلت هذه الآية ، وأخذ جبريل بثوبه وقال: ولاتصلِّ على أحد منهم مات أبداً) ! انتهى.

فهل ترون أن من مناقب عمر سوء أدبه مع النبي ﷺ وعدم اقتناعه بكلامه ؟!

وهل تقبلون حديث أن جبرئيل ساعد عمر ومنع النبي ﷺ من الصلاة على ابن سلول ، مع أنه صح عندكم أن عمر قال إن النبي ﷺ صلى عليه وصلى هو معه؟!

وهل توثقون يزيد الرقاشي واضع هذا الحديث لمصلحة عمر ، مع أنه ضعيف متروك عند علمائكم؟! (راجع: من له رواية في كتب الستة للذهبي:٣٨٠/٢ ، وإرواء الغليل للألباني:٥٩/٢ ، والكامل لابن عدي:٢٥٨/٧ ، وتلخيص الحبيرلابن حجر:٣٦٦/١ والمجموع للنووي:٦٨/١٨ ، والمحلى لابن حزم:١٣/٢) .

٧ ـ ثم قال الرازي: (فإن قيل: كيف يجوز أن يقال إن الرسول رغب في أن يصلي عليه بعد أن علم كونه كافراً وقد مات على كفره ، وأن صلاة الرسول عليه تجري مجرى الإجلال والتعظيم له ، وأيضاً إذا صلى عليه فقد دعا له ، وذلك محظور ، لأنه تعالى أعلمه أنه لايغفر للكفار البتة ، وأيضاً دفع القميص إليه يوجب إعزازه ؟!

والجواب: لعل السبب فيه أنه لما طلب من الرسول أن يرسل إليه قميصه الذي مس جلده ليدفن فيه ، غلب على ظن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه انتقل إلى الإيمان ، لأن ذلك الوقت وقت يتوب فيه الفاجر ويؤمن فيه الكافر ، فلما رأى منه إظهار الإسلام وشاهد منه هذه الأمارة التي دلت على دخوله في الإسلام ، غلب على ظنه أنه صار مسلماً ، فبنى على هذا الظن ورغب في أن يصلي عليه ، فلما نزل جبريل وأخبره بأنه مات على كفره ونفاقه، امتنع من الصلاة عليه)! انتهى.

فهل تقبلون ذلك وتنسبون عمر الى النباهة والفطنة ، وتنسبون النبي ﷺ الى السذاجة ، وأنه تخيل أن ابن سلول قد أسلم فأراد ان يعمل بتخيله وظنه ؟!

٨ ـ ثم قال الرازي في آخر كلامه: (وأما دفع القميص إليه فذكروا فيه وجوهاً:

الأول: أن العباس عم رسول الله(ص)لما أخذ أسيراً ببدر ، لم يجدوا له قميصاً ، وكان رجلاً طويلاً ، فكساه عبد الله قميصه . الثاني: أن المشركين قالوا له يوم الحديبية ، أنا لا ننقاد لمحمد ، ولكنا ننقاد لك ، فقال لا ، إن لي في رسول الله أسوة حسنة ، فشكر رسول الله له ذلك . والثالث: أن الله تعالى أمره أن لا يرد سائلاً). انتهى. فما رأيكم ؟!

٩ ـ هل يمكن أن تفسروا لنا قول الرازي: (فصار نزول الوحي على مطابقة قول عمر منصباً عالياً ودرجة رفيعة له في الدين . فلهذا قال عليه الصلاة والسلام في حقه: لو لم أبعث لبعثت يا عمر نبياً) . انتهى.

فهل تسمون عمر حسب هذا المنصب: نبي الظل ، أو نبياً مع وقف التنفيذ ، أو نبياً مرشحاً يوافقه الوحي ويخالف النبي الفعليﷺ ؟!

١٠ ـ ما رأيكم في قول ابن المنير إنه لايبعد أن النبيﷺأجاز لعمر أن يسئ الأدب معه ويغلظ عليه ، لكي يسدده عندما يخطئ ؟!

١١ ـ إذا وقف شخص أمامك وأمسك بثوبك وأراد أن يمنعك من الصلاة على جنازة ، فقلت له: أخر عني ، فهل معنى كلامك:أخر عني كلامك أوشخصك ؟!

١٢ ـ ألاترون في قول عمر عن فعله مع النبيﷺفي هذا الحادثة: (لقد أصبت في الإسلام هفوة ما أصبت مثلها قط) ! (الدر المنثور:٣/٢٦٤)أنه أحس بخطئه في اعتراضه على النبيﷺعندما أعطى القميص، ثم في إصراره رغم توضيح النبي ﷺ ، ثم في قوله وفعله الشاذ ، وأن توبيخ النبيﷺله وصل الى العظم ؟!

١٣ ـ ما رأيكم في فقه المسألة في مذهب أهل البيتعليهم السلام؟

١٤ ـ ما رأيكم في صيغة القصة كما رواها أهل البيتعليهم السلام؟ والتي يؤيدها ما

رواه عمر بن شبة في تاريخ المدينة:٣٧٠/١ ،قال: (حدثنا وهب بن جرير ، قال حدثنا أبي ، قال سمعت الحسن يقول: سأل عبدالله بن أبي النبي(ص)قميصه أن يكفن فيه إياه فأعطاه إياه. فقال عمر: يا رسول الله أتعطي هذا المنافق قميصك يكفن فيه؟فقال: ويحك يابن الخطاب وما علي أن أتألف بني النجار بقميصي)؟!

١٥ ـ ما رأيكم في سياق السورة الموحد ، وفي رواية البخاري أنها نزلت دفعة واحدة ، وتكذيبه لنفسه ولعمر ؟!

١٦ ـ رويتم أن عمر تدخل في أمر عبادي وفرض على المسلمين أن يكبروا أربعاً على الجنازة . فهل يجوز له ذلك ، أم تردون روايته كما فعل ابن حزم ؟! قال في المحلى:١٢٤/٥:(ويكبر الإمام والمأمومون بتكبير الإمام على الجنازة خمس تكبيرات لا أكثر، فإن كبروا أربعاً فحسن..... عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال:(كان زيد بن أرقم يكبر على جنائزنا أربعاً وإنه كبر على جنازة خمساً ، فسألته فقال: كان رسول الله(ص)يكبرها ... واحتج من منع أكثر من أربع بخبر رويناه من طريق وكيع عن سفيان الثوري عن عامر ابن شقيق عن أبي وائل قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فاستشارهم في الكتبير على الجنازة ، فقالوا: كبر النبي سبعاً وخمساً وأربعاً ، فجمعهم عمر على أربع تكبيرات كأطول الصلاة ... قالوا: فهذا إجماع ، فلايجوز خلافه !

قال أبو محمد: وهذا في غاية الفساد ، أول ذلك أن الخبر لا يصح لأنه عن عامر ابن شقيق ، وهو ضعيف ، وأما عمر بن شقيق فلا يدرى في العالم من هو ! ومعاذ الله أن يستشير عمر في إحداث فريضة بخلاف ما فعل فيها رسول الله(ص) ، أو للمنع من بعض ما فعله ﷺ ومات وهو مباح فيحرم بعده ! لايظن هذا بعمر إلا جاهل بمحل عمر من الدين والاسلام ، طاعن على السلف رضي الله عنهم)؟!

المسألة: ١٥٨

قصة أسرى بدر التي زعم عمر أنه أصاب فيها ، وأن النبيﷺ أخطأ !

معركة بدر أول معركة فاصلة بين الإسلام والشرك ، وكان عدد جيش المسلمين فيها ثلاث مئة ونيفاً ، وكانت تجهيزاتهم بسيطة ، وجيش المشركين نحو ألف بأحسن تجهيز ، ومع ذلك انتصر المسلمون عليهم ، فقتلوا سبعين من فرسانهم ، وأسروا سبعين من شخصياتهم ، ثم أطلقوهم مقابل فدية مالية .

وقد خلَّد الله تعالى هذه المعركة في القرآن ، ووبَّخ جماعة من أصحاب النبي ﷺ كانوا معارضين لخوضها خوفاً من قريش، وكانوا يريدون الإكتفاء بغنيمة القافلة وأسر مرافقيها ، مع أن الله تعالى وعدهم النصر !

قال الله تعالى:كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ من بَيْتكَ بالْحَقِّ وَإنَّ فَريقاً مِّنَ الْمُؤْمنينَ لَكَارهُون. يُجَادلُونَكَ في الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إلَى الْمَوْت وَهُمْ يَنظُرُونَ . وَإذْ يَعدُكُمُ اللهُ إحْدَى الطَّائفَتيْن أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَات الشَّوْكَة تَكُونُ لَكُمْ ويُريدُ اللهُ أَن يُحقَّ الحَقَّ بكَلمَاته وَيَقْطَعَ دَابرَ الْكَافرينَ . ليُحقَّ الْحَقَّ وَيُبْطلَ الْبَاطلَ وَلَوْ كَرهَ الْمُجْرمُونَ . إذْ تَسْتَغيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمدُّكُم بأَلْف مِّنَ الْمَلآئكَة مُرْدفينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إلا بُشْرَى وَلتَطْمَئنَّ به قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إلا منْ عند الله إنَّ اللهَ عَزيزٌ حَكيمٌ . إذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم به وَيُذْهبَ عَنكُمْ رجْزَ الشَّيْطَان وَليَرْبطَ عَلَى قُلُوبكُمْ وَيُثَبِّتَ به الأَقْدَامَ . إذْ يُوحي رَبُّكَ إلَى الْمَلآئكَة أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذينَ آمَنُواْ سَأُلْقي في قُلُوب الَّذينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاق وَاضْربُواْ منْهُمْ كُلَّ بَنَان . ذَلكَ بأَنَّهُمْ شَاقُّواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقق اللهَ وَرَسُولَهُ فإن اللهَ شَديدُ الْعقَاب . ذَلكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ للْكَافرينَ عَذَابَ النَّار .

يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ إذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئذ دُبُرَهُ إلا مُتَحَرِّفاً لِّقتَال أَوْ مُتَحَيِّزاً إلَى فئَة فَقَدْ بَاء بغَضَب مِّنَ الله وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئْسَ الْمَصير. فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكنَّ اللهَ رَمَى وَليُبْليَ الْمُؤْمنينَ منْهُ بَلاء حَسَناً إنَّ اللهَ سَميعٌ عَليمٌ. ذَلكُمْ وَأَنَّ اللهَ مُوهنُ كَيْد الْكَافرينَ. إن تَسْتَفْتحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنيَ عَنكُمْ فئَتُكُمْ شيئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمنين . يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ أَطيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ. (سورة الأنفال:٥ ـ ٢٠)

فالآيات صريحة في أن عمل النبي صلى الله عليه وآله كان بتوجيه الله تعالى ووحيه ، ولم يَدَّعِ أحد يومها أنه صلى الله عليه وآله أخطأ في الحرب ، أو في أخذ أسرى ، أو في إطلاقهم مقابل فدية مالية !

لكن عمر ادعى في خلافته أنه كان نهى النبي صلى الله عليه وآله عن أخذ الأسرى القرشيين ونهاه عن أخذ الفدية منهم ، فلم يطعه النبي صلى الله عليه وآله ، فعاقبه الله في معركة أحد ، فانهزم جيش النبي صلى الله عليه وآله وقتل منهم سبعون وأصيب النبي صلى الله عليه وآله ، فنزلت آيات توبخ النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين على ذنبهم في بدر ، وتؤيد رأي عمر !!

نقد الروايات العمرية

قال في مجمع الزوائد: ١١٥/٦: (وعن عمر بن الخطاب قال: فلما كان عام أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون ، وفر أصحاب رسول الله عن النبي(ص) فكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وأنزل الله عز وجل: أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ إني هَذَا قُلْ هُوَ منْ عندِ أَنْفُسكُمْ إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدير ، بأخذكم الفداء! رواه الطبراني في آخر حديث عمر الذي في الصحيح في مسنده الكبير) . انتهى.

وهذا الحديث الصحيح عنده باطل لأمور:

أولاً: لأن التوبيخ في الآية ليس للنبيﷺبل للذين أرادوا غنيمة القافلة وأسر مرافقيها وخافوا من القتال، ومنهم أبو بكر وعمر!

ففي صحيح مسلم:١٧٠/٥: (عن أنس أن رسول الله (ص)شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا).

(ورواه أحمد:٢١٩/٣ و٣٢٠ و٣٥٧ والشوكاني في نيل الأوطار:٤٥/٨).

فقولهم إن النبيﷺأعرض عنهما، وحذفهم لكلامهما، يدل على أنهما خافا وخوّفا النبيﷺمن حرب قريش! ويتأكد ذلك بقرينة أنهم رووا سرور النبي ﷺوإشراق وجهه بموقف المقداد بعد موقف أبي بكر وعمر!

ففي البخاري:٤/٥ أن المقداد قال: (لا نقول كما قال قوم موسى: إذهب أنت وربك فقاتلا، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي (ص)أشرق وجهه وسره ذلك). وفي الطبراني الكبير:٢١٣/١٠: (فرأيت وجه رسول الله(ص) انبسطت أساريره). انتهى.

ولم يكتفوا بحذف كلام أبي بكر وعمر، حتى كذبوا لهما وقالوا إنهما قالا فأحسنا! قال ابن حجر في فتح الباري:٢٢٣/٧: (لما وصل النبي(ص)الصفراء وبلغه أن قريشاً قصدت بدراً، وأن أبا سفيان نجا بمن معه، فاستشار الناس فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر كذلك، ثم المقداد...)! (ونحوه في النهاية:٣٢٠/٣، وأسد الغابة:٥٩/٤ و٤٠٩).

على أن بعض الروايات صرحت بشئ من كلامهما! ففي الدر المنثور:١٦٥/٣: (فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله إنها قريش وعزها، والله ما ذلت منذ عزت

ولا آمنت منذ كفرت ، والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته ، واعدد له عدته) !

(ورواه في عيون الأثر:٣٢٧/١ ، والنهاية:٣٢١/٣).

وفي الصحيح من السيرة:٢١/٥: (فقام أبو بكر ، فقال: يارسول الله ، إنها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت ، وما ذلت منذ عزَّت ، ولم تَخرج على هيئة الحرب . فقال له رسول الله (ص): أجلس ، فجلس ، فقال (ص): أشيروا عليَّ ، فقام عمر ، فقال مثل مقالة أبي بكر . فأمره النبي(ص) بالجلوس فجلس).

(عن مغازي الواقدي:٤٨/١ ، والسيرة الحلبية:١٥٠/٢ ، والدر المنثور:٣/ ١٦٦ ودلائل النبوة للبيهقي ، والبحار: ١٩/ ٢٤٧ ، وتفسير القمي:١/ ٢٥٨).

وثانياً: إن الدليل الذي استدلوا به وجعلوه فضيلة عمر ، وضمنوه الطعن على النبيﷺمتهافتٌ ، ففي الدر المنثور:١٦٣/٣: (أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم وأبن مردويه ، والبيهقي في الدلائل عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله(ص) ونحن بالمدينة وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت ، فقال: ما ترون فيها لعل الله يغنمناها ويسلمنا ، فخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين ، أمرنا رسول الله(ص) أن نتعادَّ ففعلنا فإذا نحن ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، فأخبرنا النبي(ص)بعدتنا فسرَّ بذلك وحمد الله ، وقال: عدة أصحاب طالوت . فقال: ما ترون في القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ فقلنا يا رسول الله لاوالله مالنا طاقة بقتال القوم ، إنما خرجنا للعير... الى أن قال: فقتلنا وأسرنا ، فقال عمر: يا رسول الله ما أرى أن تكون لك أسرى فإنما نحن داعون مؤلفون ، فقلنا معشر الأنصار إنما يحمل عمر على ما قال حسدٌ لنا ،فنام رسول الله(ص)ثم استيقظ ثم قال: أدعوا لي عمر فدعي له فقال له: إن الله قد أنزل عليَّ: ما كان لنبي أن تكون له أسرى.. الآية). انتهى.

(وهو في الطبراني الكبير:١٧٤/٤، وحسَّنه في مجمع الزوائد:٧٣/٦).

فهذا الحديث الحسن يدل أولاً ، على أن عمر وأبا بكر كانا من الذين قالوا

لاطاقة لنا بقتال قريش ، كالذين قالوا: لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده .

وثالثاً: إن قول عمر (ما أرى أن تكون لك أسرى فإنما نحن داعون مؤلفون) ! يدل على أن عمر كان معارضاً لأصل أخذ الأسرى لأنهم من قريش ، تعصباً أن يأسرهم الأنصار ! فهذا معنى قولهم: فقلنا معشر الأنصار إنما يحمل عمر على ما قال حسدٌ لنا !

ورابعاً: تقول الرواية إن عمر اعترض في بدر بعد المعركة ، فنزلت الآية مؤيدة لرأيه ، ونهت النبيﷺعن أخذ الأسرى ، لأن معركة بدر لم تكن إثخاناً كافياً يحلل أخذ الأسرى! فدعا النبيﷺعمر فقرأها له وأقر بأن رأيه كان خطأ ورأي عمر صواباً ، ومع ذلك خالف النبيﷺالآية وعصى أمر ربه ، وأخذ أسرى من قريش وساقهم الى المدينة ! ثم عصى ربه فيهم ثانيةً فأخذ منهم الفداء !

○ ○

وفي مسند أحمد:١/٣٠: (فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله عز وجل المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً ، فاستشار رسول الله(ص)أبا بكر وعلياً وعمر فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضداً . فقال رسول الله(ص)ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال قلت: والله ما أرى ما رأي أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكنني من فلان- قريب لعمر - فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم .

فهويَ رسول الله(ص)ما قال أبو بكر ولم يهوَ ما قلت ، فأخذ منهم الفداء فلما

أن كان من الغد قال عمر: غدوت إلى النبي(ص)فإذا هو قاعد وأبو بكر رضي الله عنه وإذا هما يبكيان ! فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما !

قال فقال النبي(ص): الذي عرض عليَّ أصحابك من الفداء ! لقد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة ، وأنزل الله عز وجل(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، إلى قوله: لَّوْلاَكِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ) من الفداء ، ثم أحل لهم الغنائم ، فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفرَّ أصحاب النبي(ص)عن النبي(ص)وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وأنزل الله تعالى:أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ، الآية.. بأخذكم الفداء) !! (ورواه مسلم:١٥٨/٣ و١٧٠ ومجمع الزوائد: ١١٣/٦ و١١٥ و١١٨ ورواه أحمد ٣٢/١ ونحوه في سنن أبي داود:٦٠٨/١).

ويَرِدُ على هذه الرواية إشكالات عديدة :

منها ، أنها طبَّقت قوله تعالى:لمسكم فيما أخذتم، على أخذ النبيﷺ والمسلمين أسرى بدر أو فداءهم ! وهذا غلط ، لأن لو حرف امتناع لامتناع فقوله تعالى: لولا كتاب من الله ، معناه أن الأخذ لم يتحقق ، وأنه أخذ تقديري ، فلا بد أن يكون أخذهم لمرافقي القافلة ، الذي أرادوه ونجاهم الله تعالى منه برحمته وكتابه الذي سبق .

ومنها ، أن عمر ادعى أن رأيه كان قتل الأسرى وأن الوحي وافقه ! لكن النبي ﷺعصى ربه ولم يقتلهم ، وساقهم الى المدينة ثم أخذ منهم الفداء ! وهذا مناقض للرواية الحسنة المتقدمة في أن عمر عارض أصل أخذ الأسرى !

ومنها ، أن عمر اتهم النبيﷺبأنه أخذ الأسرى باجتهاد منه بدون أمر ربه ، أو طمعاً بفدائهم المالي ، ثم نهاه ربه ، فعصى أمر ربه وأصرَّ على رأيه !

وهذا تحريفٌ للآية ، لأن التوبيخ فيها ليس للنبيﷺبل للذين خافوا من مواجهة قريش وأرادوا غنيمة القافلة ، وهم أبو بكر وعمر ومن وافقهم ! فهم الذين أرادوا عرض الحياة الدنيا ، وأخذ القافلة وأسْر مرافقيها ، ولو فعلوا ذلك لمسهم فيما أخذوا عذاب عظيم !

أما النبيﷺفقد أخذ أسرى بعد الإثخان في الأرض ، وأي إثخان أبلغ من سفره مسافة مئة وخمسين كيلو متراً الى بدر ، وإمعانه في قتل المشركين ؟!

وهذا المعنى واضح من آيات بدر: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ . يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ . وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. الى قوله: مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أسرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيم . لَّوْلاَكِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيم) .

ومنها ، أن الرواية تقول إن النبيﷺأخذ من الأسرى الفداء في الغد ، فنزلت عليه الآية توبخه وتنذره بالعذاب ، فقعد هو وأبو بكر يبكيان على ذنبهما ! ومع ذلك عاد النبيﷺبالأسرى الى المدينة ، وأخذ منهم الفداء بعد مدة !!

فمن يصدق أن النبيﷺنزل عليه التوبيخ ، وبكى على ذنبه ، ثم أصر عليه ؟!

أكذوبة: لو نزل العذاب ما نجا منه إلا ابن الخطاب !

يتضح لكل ذي عينين أن كل غرضهم من روايات قصة أسارى بدر أن يمدحوا عمر بن الخطاب ، ولو بتخطئة النبيﷺ !

وقد وضعوا لذلك حديثاً مكذوباً على رسول الله ﷺ يقول:(لو نزل العذاب لما نجا منه إلا ابن الخطاب) . ومع أن نُقَّادهم حكموا بوضعه ، إلا أن علماءهم يستشهدون به ويصححونه عملياً ، لافرق بين كبيرهم وصغيرهم !

كما حكموا بوضع حديث: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، ومع ذلك يستشهدون ، ويبنون عليه مذهبهم في الفقه والأصول والتفسير ! ولا يتسع المجال لإثبات ذلك من مصادرهم في العقائد وأصول الفقه والفقه والتفسير !

قال السيوطي في الدر المنثور:٢٠٢/٣: (وأخرج ابن المنذر ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، من طريق نافع ، عن ابن عمر قال ... فأخذ رسول الله(ص)بقول أبي بكر ففاداهم رسول الله فأنزل الله: لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، فقال رسول الله: إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ، ولو نزل العذاب ما أفلت إلا عمر).

وقال السرخسي في المبسوط:١٣٩/١٠: (وقال(ص)لو نزل العذاب ما نجى منه إلا عمر ، فإنه كان أشار بقتلهم ، واستقصى في ذلك) !! أي أصرَّ وألحَّ .

وقال الغزالي في المستصفى ص١٧٠: (وقال(ص)في قصة أسارى بدر حيث نزلت الآية على وفق رأي عمر: لو نزل بلاء من السماء ما نجا منه إلا عمر) .

وقال الكاشاني في بدائع الصنائع:١١٩/٧: (وأشار سيدنا عمر إلى القتل فقال رسول الله: لو جاءت من السماء نار ما نجى إلا عمر ! أشار عليه الصلاة والسلام إلى أن الصواب كان هو القتل) .

وفي زاد المسير لابن الجوزي:٢٥٨/٣: (وروي عن ابن عمر قال: لما أشار عمر بقتلهم وفاداهم رسول الله(ص)أنزل الله تعالى: ما كان لنبي.. إلى قوله: حلالاً طيباً . فلقي النبي(ص)عمر فقال: كاد يصيبنا في خلافك بلاء). انتهى.

وقال الجصاص في أحكام القرآن:٩٤/٣: بعد ذكر حديث عمر المزعوم في بكاء النبيﷺوأبي بكر: (وذكر في حديث عبدالله بن مسعود وابن عباس الآخر أن الوعيد إنما كان في عرضهم الفداء على رسول الله(ص)وإشارتهم عليه به ، والأول أولى بمعنى الآية ، لقوله تعالى: لمَسَّكم فيما أخذتم ، ولم يقل فيما عرضتم وأشرتم ، ومع ذلك فإنه يستحيل أن يكون الوعيد في قولٍ قاله رسول الله(ص) لأنه لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، ومن الناس من يجيز ذلك على النبي(ص)من طريق اجتهاد الرأي ! ويجوز أيضاً أن يكون النبي(ص)أباح لهم أخذ الفداء ، وكان ذلك معصية صغيرة ! فعاتبه الله والمسلمين عليها) .

وقد حاول القرطبي أن يبعد التوبيخ عن النبيﷺفجعله على الذين أشاروا عليه ثم على الذين باشروا الحرب ، ثم جعله على النبيﷺواعتذر عنه بأنه انشغل عن الإثخان بالحرب ، وعن قتل الأسرى !

قال في تفسيره:٤٥/٨: (والمعنى: ماكان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي(ص)أسرى قبل الإثخان ، ولهم هذا الأخبار بقوله: تريدون عرض الدنيا . والنبي(ص)لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب ، ولا أراد قط عرض الدنيا ، وإنما فعله جمهور مباشري الحرب ، فالتوبيخ والعتاب إنما كان متوجهاً بسبب من أشار على النبي بأخذ الفدية .

هذا قول أكثر المفسرين ، وهو الذي لايصح غيره . وجاء ذكر النبي(ص)في الآية حين لم يَنْهَ عنه حين رآه من العريش ، وأذْكَرَهُ سعدُ بن معاذ وعمرُ بن الخطاب وعبدُالله بن رواحة ، ولكنهعليه السلامشغله بَغْتُ الأمر ونزول النصر ، فترك النهي عن الإستبقاء ، ولذلك بكى هو وأبو بكر حين نزلت الآيات) !! انتهى.

فانظر الى هذا التناقض الواضح والتخبط الفاضح ، الذي وقع فيه مفسروهم !

فما دام قتْل الأسرى واجباً كما قال عمر ، ومادام الذي عصى واستبقاهم غير النبيﷺ، والنبي معذور لأنه انشغل عن إصدار الأمر بقتلهم ، فما باله استبقاهم بعد نزول آية التوبيخ ، وبعد إقراره لعمر بخطئه ؟!

ثم ما باله بعد أن قعد يبكي هو وأبو بكر خوفاً من نزول العذاب ، عصى ربه مرة أخرى وساق الأسرى معه مقيَّدين ، ووكل غلامه شقران بسوقهم ؟!

إنك تشعر أن تبرئة النبيﷺلايهمهم ، فالمهم عندهم إثبات فضيلة لعمر! لذلك يحكمون بخطأ النبيﷺوارتكابه المعصية في أسر الأسرى القرشيين المحترمين وفدائهم ، وترى التقي فيهم يحاول تبرئتهﷺبما يخطر بباله ولو بالتخبط ، لكنهم مجمعون على تأكيد إصابة عمر وخطأ النبيﷺ! لاحظ حديثهم المزعوم: (فقال رسول الله(ص):(إن كاد ليصيبنا في خلاف ابن الخطاب عذاب ، ولو نزل عذاب ما أفلت إلا عمر) !! فالمطلوب تفضيل عمر على النبي ﷺ، ولو بالطعن في النبيﷺ !!

وقد استنكر أهل البيتعليهم السلام هذا الطعن وردُّوه ، وحتى المأمون العباسي في مناظرته لعلمائهم: (قال آخر: قد قال النبي (ص): لو نزل العذاب ما نجى إلا عمر بن الخطاب. قال المأمون: هذا خلاف الكتاب أيضاً ، لأن الله تعالى يقول لنبيه: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، فجعلتم عمر مثل الرسول .

قال آخر: فقد شهد النبي(ص) لعمر بالجنة في عشرة من الصحابة .

فقال المأمون: لو كان هذا كما زعمتم لكان عمر لايقول لحذيفة: نشدتك بالله أمن المنافقين أنا ؟ فإن كان قد قال له النبي أنت من أهل الجنة ولم يصدقه حتى زكاه حذيفة ، فصدَّق حذيفة ولم يصدِّق النبي(ص) ، فهذا على غير الإسلام ، وإن كان قد صدق النبي (ص)فَلِمَ سأل حذيفة ؟!)! (عيون أخبار الرضا:١/٢٠٣)

ولم أرَ من علمائهم من وافقنا في تنزيه النبيﷺعن ذلك إلا الفخر الرازي ، قال في المحصول:١٥/٦: (مسألة: إذا جوزنا له (ص) الإجتهاد فالحق عندنا أنه لا يجوز أن يخطئ ، وقال قوم: يجوز بشرط أن لا يُقَرَّ عليه .

لنا: أنا مأمورون باتباعه في الحكم لقوله تعالى:فَلاوَرَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ، فلو جاز عليه الخطأ لكنا مأمورين بالخطأ ، وذلك ينافي كونه خطأ .

واحتج المخالف بقوله تعالى:عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ، فهذا يدل على أنه أخطأ فيما أذن لهم ، وقال تعالى: في أسارى بدر:لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، فقال عليه الصلاة والسلام: لو نزل عذاب من الله لما نجا إلا ابن الخطاب ، وهذا يدل على أنه أخطأ في أخذ الفداء ، ولأنه تعالى قال: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، فلما جاز الخطأ على من غيره جاز أيضاً عليه ، ولأن النبي (ص)قال: إنكم تختصمون لديَّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من غيره ، فمن قضيت له بشئ من حق أخيه فلا يأخذنه ، إنما أقطع له قطعة من النار ، فلو لم يجز أن يقضي لأحد إلا بحقه لم يقل هذا. ولأنه يجوز أن يغلط في أفعاله فيجوز أن يغلط في أقواله كغيره من المجتهدين !

والجواب: عن هذه الوجوه مذكور في الكتاب الذي صنفناه في عصمة الأنبياء عليهم السلام ، فلا فائدة في الإعادة).انتهى.

ولنعم ما قال أبو الفتح الكراجكي في التعجب من أغلاط العامة ص٦١: (ومن عجيب كذبهم ومفرط غلوهم دعواهم أن رسول اللهﷺقال: لو نزل العذاب ما نجى إلا عمر بن الخطاب ! وهذا تصريح بالكفر والردة والخروج عن الملة ، لأنهم أوجبوا أنه لولا عمر بن الخطاب لهلك جميع الناس، وفيهم رسول اللهﷺ

الذي قال الله تعالى فيه: وما كان ليعذبهم وأنت فيهم ! وفيهم أهل بيته المكرمون الذين شهد بطهارتهم التنزيل في قول الله تعالى: إنما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً!.وهل يخفى هذا الإفتعال إلا على العُمْيِ والجهال)؟! (راجع أيضاً الصحيح من السيرة:١١٠/٥، والنص والإجتهاد ص٣١٩ ففيهما تفصيلات مفيدة).

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ هل يمكنكم أن تتخلصوا مما زرَّقه المفسرون في أذهانكم، وتفسروا آيات معركة بدر بدون أن تطعنوا في عصمة نبيكمﷺوتتهموه بمعصية ربه ؟!

٢ ـ ما معنى قوله تعالى: يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ...تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ . لَوْلاَكِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيم. فما هو الحق الذي تبين لهم ، ومن هم البدريون المجادلون لنبيهمﷺبعد ما تبين لهم الحق ، ومن هم الذين كانوا يريدون أخذ القافلة وأسر مرافقيها وعرض الدنيا بدون إثخان في الأرض؟!

٣ ـ لماذا حذف الرواة جواب أبي بكر وعمر عندما شاورهما النبيﷺفي مواجهة قريش؟ وهل كان رأيهما ذات الشوكة ، أو غير ذات الشوكة ؟!

٤ ـ هل تقبلون قول عمر إن النبيﷺوأبا بكر قعدا يبكيان على ذنبهما وخافا نزول العذاب ؟ وماذا كان ذنبهما بالضبط ؟!

٥ ـ كيف تفسرون قول عمر: (يا رسول الله ما أرى أن تكون لك أسرى ، فإنما نحن داعون مؤلفون)؟! وما معنى داعون مؤلفون ؟!

٦ ـ قال عمر: (فلما كان عام أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ! فقتل منهم سبعون ، وفر أصحاب رسول الله عن النبي(ص) فكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه) . انتهى.

فهل تقبلون هذا الكلام الصريح في أن العقوبة نزلت على النبيﷺبسبب ذنبه ومعصيته لربه ولعمر؟! وهل تلاحظون أنه يتكلم كأنه غريب عن أحد ؟!

٧ ـ كيف تقبلون نسبة المعصية والخطأ الى النبيﷺ ، والله تعالى يقول: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا... فَلاوَرَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ...يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَتَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. فهل أمرنا الله بطاعتهﷺوهو يعصي ويخطئ؟!

٨ ـ هل تقبلون الحديث المزعوم: (لو نزل العذاب ما نجا منه إلا ابن الخطاب) وهل كان العذاب يشمل النبي وآلهﷺ؟!

٩ ـ قال عمر إن العذاب نزل في أحد على النبيﷺوالمسلمين ، فهل نجا هو من العذاب ، وقد وصف نفسه يومذاك كما في الدر المنثور:٨٨/٢: (أخرج ابن جرير عن كليب قال: خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران ، وكان يعجبه إذا خطب أن يقرأها ، فلما انتهى إلى قوله: إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ، قال: لما كان يوم أحد هزمناهم ففررت حتى صعدت الجبل ، فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى ، والناس يقولون قتل محمد) ! انتهى .

فما هي الأروى التي كان عمر في فراره من القتال ينزو مثلها ؟فهل نجا من العذاب ، أم شمله قوله تعالى: وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذ دُبُرَهُ إلا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ؟!

١٠ ـ قال ابن هشام: وكان ضرار بن الخطاب لَحِقَ عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول أنْجُ يا ابن الخطاب . لا أقتلك !!
فكان عمر يعرفها له بعد الإسلام رضي الله عنهما ؟!!

فكيف تفسرون ذلك ، وضرار بن الخطاب من فرسان قريش وشعرائها ، وقد كان يهجو النبي صلى الله عليه وآله، وكان مقرباً من أبي سفيان ؟!

١١ ـ قال ابن أبي الحديد في شرح النهج:١٧٦/١٤: (وأما الحديث الذي فيه (لو نزل عذاب لما نجا منه إلا عمر) ، فالواقدي وغيره من المحدثين اتفقوا على أن سعد بن معاذ كان يقول مثل ما قاله عمر ، بل هو المتبدئ بذلك الرأي ، ورسول الله (ص)بعدُ في العريش ، والمشركون لم ينفضَّ جمعهم كلَّ ذلك الإنفضاض ، فكيف خُصَّ عمر بالنجاة وحده دون سعد)؟! . انتهى.

فلماذا خصصتم عمر بالنجاة من العذاب دون سعد ؟ وهل تقبلون ما رواه ابن زيد قال: فقال رسول الله(ص): لو نزل عذاب من السماء ما نجا منكم غير عمر وسعد بن معاذ) . (مجمع البيان:٤٩٥/٤)

١٢ ـ قال الله تعالى: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنت فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . فهل نُسخت هذه الآية أم نزلت (وعمر فيكم) فحرفها المسلمون ؟!

○ ○

المسألة: ١٥٩

انقلاب الأمة على النبيﷺ في حياته بقيادة عمر !

اعترفت مصادر أتباع الخلافة القرشية بحادثة الإنقلاب على النبيﷺ الذي قاده عمر بتأييد طلقاء قريش ، عندما وقف في وجهه مرض وفاته ، ومنعه أن يكتب لأمته عهداً يؤمِّنها من الضلال ، ويجعلها سيدة العالم الى يوم القيامة !

وما أن أعلن عمر رفضه لذلك العرض النبوي الفريد ، صاح القرشيون الطلقاء (القول ما قاله عمر)! وكانوا أكبر مجموعة منظمة ، بلغ عددهم في المدينة ألوفاً ، لأن الذين أرسلهم النبيﷺ منهم في جيش أسامة بلغوا سبع مئة!

قال في فتح الباري:١١٦/٨:(وعند الواقدي أيضا أن عدة ذلك الجيش كانت ثلاثة آلاف ، فيهم سبعمائة من قريش) . انتهى.

من نصوص الإنقلاب العمري من أصح مصادرهم

قال البخاري:٣٦/١: (عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي(ص)وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده . قال عمر: إن النبي(ص)غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ! فاختلفوا وكثر اللغط! قال (ص): قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع . فخرج ابن عباس يقول: إن الرزيئة كل الرزيئة ، ما حال بين رسول الله(ص) وبين كتابه) !!

وقال البخاري:١٣٧/٥: (لما حضر رسول الله(ص)وفي البيت رجال فقال النبي (ص): هلموا أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده . فقال بعضهم: إن رسول الله (ص)قد غلبه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ! فاختلف أهل البيت واختصموا ،

فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . ومنهم من يقول غير ذلك ! فلما أكثروا اللغو والإختلاف قال رسول الله: قوموا).

وقال البخاري:٩/٧: (باب قول المريض قوموا عني...عن ابن عباس قال: لما حُضِرَ رسول الله(ص)وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب...ورواه البخاري أيضاً: ١٦٠/٨....

وفي مسلم:٧٥/٥: (عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ! ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ ! قال قال رسول الله(ص): إئتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فقالوا: إن رسول الله(ص) يهجر) !!

عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله(ص)وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي(ص): هلم أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعده ! فقال عمر: إن رسول الله(ص)قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله...الخ).

وفي مسند أحمد:٣٤٦/٣: (عن جابر أن النبي(ص)دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لايضلون بعده ، قال فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها) !

(ورواه أحمد:١/ ٣٢٤و٣٣٦ و٣٢٤)

وفي مجمع الزوائد:٩/ ٣٣: وعن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي(ص)قال: أدعوا لي بصحيفة ودواة أكتب كتاباً لاتضلون بعدي أبداً ! فكرهنا ذلك أشد الكراهة!! ثم قال: أدعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعده أبداً ! فقال النسوة من وراء الستر:ألا تسمعون ما يقول رسول الله(ص)؟! فقلت: إنكن صواحبات يوسف إذا مرض رسول الله(ص)عصرتنَّ أعينكن ، وإذا صح ركبتنَّ رقبته . فقال رسول الله: دعوهنَّ فإنهنَّ خيرٌ منكم) !!

أجواء الإنقلاب والمواجهة مع النبيﷺ يوم الخميس !

نتقل أجواء المواجهة القرشية مع النبيﷺ من كتاب عدالة الصحابة للمحامي الأردني أحمد حسين يعقوب، قال في ص١٨٢، **تحت عنوان: المواجهة الصاخبة:**

(النبي على فراش الموت، وجبريل الأمين لاينقطع عن زيارته، وأكثر ما كان يأتيه جبريل في مرضه.

النبي على علم بمستقبل هذه الأمة، وقد أدى دوره كاملاً وبلغ رسالات ربه، وبين لهم كل شئ على الإطلاق، وهو على علم تام بما يجري حوله ومدركٌ أنه السكون الذي يسبق الإنفجار فينسف الشرعية السياسية والمرجعية ! وبنسف الشرعية السياسية والمرجعية يتجرد الإسلام من سلاحه الجبار، ويتعطل المولِّد الأساسي للدعوة والدولة.

ولكن مثل النبي لا ينحني أمام العاصفة، ولا يقعده شئ عن متابعة إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة.

وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة الإلهية، والبيان الإلهي الشامل لكل شئ تحتاجه الأمة، بما فيه كيف يتبول وكيف يتغوط أفرادها، إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمته حتى تهتدي وحتى لا تضل، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تتربص بها وتنتظر موت النبي لتفتح أشداقها، فتعكر صفو الإسلام وتعيق حركته وتغير مساره !

النبي على فراش المرض، وبيته المبارك يغص بأكابر الصحابة، وقد أصر النبي على تلخيص الموقف والتذكير بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام، فقال النبي:

قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً.

ما هو الخطأ بهذا العرض النبوي ؟

من يرفض التأمين ضد الضلالة ؟

ولماذا ؟ ولمصلحة من ؟

ثم ، إن من حق أي مسلم أن يوصي ، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبل موته ، والذين يسمعون قوله أحرارٌ فيما بعد بإعمال هذا القول أو إبطاله !

هذا إذا افترضنا أن محمداً مجرد مسلم عادي ، وليس نبياً وقائداً للأمة .

فتصدى الفاروق عمر بن الخطاب ووجه كلامه للحضور وقال: إن النبي قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله !

فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لاتضلوا بعده أبداً ، ومنهم من يقول: القول ما قاله عمر !

فلما أكثروا اللغو والإختلاف عند النبي قال لهم رسول الله: قوموا عني[(١)].

وفي رواية ثانية أن الرسول عندما قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، تنازعوا ولاينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا هجر رسول الله ! قال النبي: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه !! [(٢)] .

وفي رواية ثالثة ، قال النبي: إئتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فقالوا: إن رسول الله يهجر [(٣)] .

وفي رواية رابعة للبخاري:إن النبي قال:إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده . قال عمر بن الخطاب: إن النبي غلبة الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وأكثروا اللغط ! قال النبي: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع . [(٤)]

رواية بلفظ خامس للبخاري: قال النبي: إئتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولاينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ إستفهموه . فذهبوا

يرددون عليه ، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه (٥) .

رواية بلفظ سادس للبخاري: قال النبي:إئتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولاينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهجر ، إستفهموه ، فقال النبي: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه .(٦).

رواية بلفظ سابع للبخاري: قال النبي: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله ! واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغط والإختلاف عند النبي قال: قوموا عني . (٧)

وفي رواية أن عمر بن الخطاب قال: إن النبي يهجر...(٨) وقد اعترف الفاروق أنه صدّ النبي عن كتابة الكتاب حتى لايجعل الأمر لعلي ! (٩).

تحليل المواجهة:

أطراف المواجهة: الطرف الأول ، هو محمد رسول الله وخاتم النبيين وإمام الدولة الإسلامية (رئيسها) .

الطرف الثاني ، هو عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة ، ووزير من أبرز وزراء دولة النبي ، والخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد .

مكان المواجهة: بيت النبي .

شهود المواجهة: كبار الصحابة رضوان الله عليهم .

النتائج الأولية للمواجهة:

١ ـ الإنقسام. إن الحاضرين قد انقسموا الى قسمين: القسم الأول: يؤيد الفاروق

فيما ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما يريد . وحجة هذا الفريق أن الفاروق من كبار الصحابة ، وأحد وزراء النبي ، ومشفق على الإسلام ، وأن النبي مريض ، وبالتالي فلا داعي لإزعاجه بكتابة هذا الكتاب . ثم إن القرآن وحده يكفي ، فهو التأمين ضد الضلالة ، ولا داعي لأي كتاب آخر يكتبه النبي .

القسم الثاني: يرفض المواجهة أصلاً بين التابع والمتبوع وبين نبي ومصدق به ، وبين رسول يتلقى تعليماته من الله ، وبين مجتهد يعمل بما يوحيه له اجتهاده ، وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت ، وبين واحد من وزرائه .

ويرى هذا القسم أن تتاح الفرصة للنبي ليقول ما يريد ، ولكتابة ما يريد لأنه نبي وما زال نبياً حتى يتوفاه الله ، ولأنه رئيس الدولة وما زال رئيساً للدولة حتى يتوفاه الله ، ويحل رئيس آخر محله .

ثم على الأقل ، لأنه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره ، ومن حقه أن يقول مايشاء ، وأن يكتب مايشاء .

ثم إن الأحداث والمواجهة تجري في بيته ، فهو صاحب البيت ، ومن حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته .

٢ ـ بروز قوة هائلة جديدة: برز الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد ، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عدداً كبيراً من المؤيدين بمواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه !) انتهى .

هوامش: (١) صحيح بخاري ـ كتاب المرضى باب قول المريض: قوموا عني: ٧/ ٩ وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية :٧٥/٥ وصحيح مسلم بشرح النووي:٩٥/١١ ومسند الإمام أحمد:٤م٣٥٦ ح٢٩٩٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد:٥١/٦ . (٢) راجع صحيح بخاري :٣١/٤ وصحيح مسلم:١٦/٣ ومسند الإمام أحمد:٢٢٢/١ وج٣م٢٨٦ . (٣) راجع صحيح مسلم:١٦/٢ و:٩٤/١١ـ٩٥ ، ومسند الإمام أحمد:٣٥٥/١ وتاريخ الطبري:١٩٣/٢ . (٤) راجع صحيح بخاري:٣٧/١ . (٥) راجع صحيح بخاري/١٣٧/٥ وتاريخ الطبري:١٩٢/٣.

(٦) صحيح بخاري:١٣٢/٢ و:٦٥/٤ـ٦٦ . (٧) صحيح بخاري:١٦١/٨ . (٨) راجع تذكرة الخواص لسبط الجوزي الحنفي ص٦٢ وسر العالمين وكشف ما في الدارين ، لأبي حامد الغزالي ص٢١ . (٩) راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد:١١٤/٣ و:٧٩/١٢ سطر٣ بتحقيق محمد أبوالفضل و:٨٠٣/٣ دار مكتبة الحياة و:٣ /١٦٧ دار الفكر) . **انتهى كلام صاحب كتاب (عدالة الصحابة) !**

مواجهة يوم الخميس خطة قرشية مدروسة !

أخبر الله رسولهﷺأن أمته سوف تختلف بعده وتضل ، كما فعلت الأمم السابقة ، فأخبرهم النبيﷺبذلك ، وحذرهم مراراً أن يرتدوا بعده كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض على شهوة الحكم والخلافة !

وحجَّ بهم حجة الوداع وودعهم وخطب فيهمﷺخمس خطب ، بيَّن لهم فيها كل ماينبغي بيانه ، وأكد في جميعها على فريضة اتباع عترته من بعده ، وإلا فهو الضلال والإنهيار ! وبشَّرهم في خطبه بالأئمة الإثني عشرعليهم السلام من بعده !

وفي خطبته السادسة في غدير خم ، أخذ بيد عليعليه السلاموأصعده معه المنبر ، وأعلنه لهم ولياً من بعده ، وأمرهم أن يهنئوه ويبايعوه ففعلوا ، وكان عمر من المهنئين ! فقد روى الخطيب البغدادي ، والحافظ الحسكاني ، وابن عساكر ، وابن كثير ، والخوارزمي ، وابن المغازلي بأسانيد صحيحة عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي(ص)بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال: من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم).(آيات الغدير ص٢٥٠)

وفي مرض وفاتهﷺأمره ربه أن يدعو أصحابه وأهل الحل والعقد في أمته ويُتِمَّ الحجة عليهم ، فأحضرهم وعرض عليهم أعظم عرض قدمه نبي لأمته !

عرض عليهم أن يضمن لهم ثباتهم على الهدى الى يوم القيامة ، وأن يكونوا سادة العالم الى يوم القيامة ! بشرط أن يقبلوا حكم الله ورسوله ، ويلتزموا بتنفيذ كتاب يكتبه لهم ويسمي فيه الأئمة الذين ارتضاهم الله لأمته من بعده !

فتصدى عمر بالنيابة عن قريش وأعلن رفضهم لعرض نبيهم ! فأطاعوه وصاحوا في وجه نبيهم: القول ما قاله عمر ، أي لانريد أن تكتب لنا كتاباً ، ولا نريد أمانك من الضلال ، فقد غلب عليك الوجع ، فلا اعبار بكلامك وكتابتك !

ومعنى ذلك أنهم اختاروا الضلال عن عمد وإصرار ! وواجهوا نبيهمﷺ! وصادروا منه قيادة الأمة في حياته وأعطوها الى عمر زعيم قريش الجديد ! واضطروا النبيﷺالى السكوت ، لأنهم خيروه بين السكوت وبين إعلان الردة وأنَّ محمداً أخذ يهجر ، وأراد فرض عشيرته بني هاشم على قريش والعرب! وأن غرضه تأسيس ملك دنيوي لهم كملك كسرى وقيصر ، فاليوم ابن عمه علي ابن الثلاث وثلاثين سنة ، ثم من بعده أولاد ابنته فاطمة الذين هم الآن دون العاشرة ، فإن دخلت الخلافة فيهم فلن تخرج منهم ، ولن يصل الى قبائل قريش شئ ! وهذا ظلم لقبائل قريش ما بعده ظلم !!

لقد قررت قريش ممثلة بمن بقي من زعمائها المنهزمين في فتح مكة ، وبحضورها المكثف في المدينة بعد فتح مكة ، أن تقدم عمر الجرئ لمصارحة النبيﷺومواجهته بأن بني هاشم تكفيهم النبوة ، أما الخلافة فيجب أن تكون لبقية قبائل قريش ، ويكون بنو هاشم فيها كغيرهم ، لا أكثر ! وصدق الله الخبير العليم بأن الأمة سوف تختار الضلال وترفض حكم الله ورسوله في خلافة نبيها !

وتصدت قريش لقيادة الأمة بقانون الغلبة ، وفتحت صراعاً دموياً على السلطة ، لم تعرف أمةٌ بعد نبيها أسوأ منه ، ولا خلافة لنبي أكثر منه سفكاً للدماء ! حتى

وصلت الخلافة الى غلمان بني أمية وبني العباس ، ثم الى الشراكسة والعثمانيين ، الى أن انهارت الخلافة والأمة بيد الغربيين ودفنت في استانبول بلا مراسم !!

كانت المدة بين يوم الغدير يوم الخميس١٨ ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة ، وبين يوم الخميس يوم الرزية٢٤ صفر من نفس السنة ، ستاً وستين يوماً فقط ! نشط فيها القرشيون ضد خلافة بني هاشم ، ووقعت فيها أحداث وأمور ، ونزلت آيات ، وصدرت من النبيﷺ خطب وأحاديث !!

وكان آخر عمل قام به النبيﷺ أن جهَّز جيش أسامة الى مؤته ، وأمر زعماء قريش ، مع نحو تسع مئة قرشي من الطلقاء أن يكونوا فيه ، ليخلو الجو منهم في المدينة فيرتبﷺ خلافة عليعليه السلام قبل وفاته !

واليك واحدة من الوقائع في تلك الفترة ينقلها الإمام السني أبو عبيد الهروي ، وبعض التفاسير ، تقول: (لما بلَّغ رسولﷺ بغديرخمٍّ ما بلَّغ، وشاع ذلك في البلاد ، أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري(من بني عبد الدار وزارة دفاع قريش) فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وبالصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، فقبلنا منك ، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضِبْع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه ! فهذا شئٌ منك أم من الله؟! فقال رسول اللهﷺ: والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله .

فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ! فما وصل اليها حتى رماه الله بحجر ، فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ.. الآية). انتهى .

ومع أن سورة المعارج مكية ، لكن نزول جبرئيل بها مجدداً ، يعني أن ماحدث

هو من العذاب الموعود ! وقد نصَّ المفسرون على تكرر نزول آيات عند وقوع تأويلها مثل: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) وغيرها .

نتائج المواجهة على كل صعيد !

نجح عمر بمساندة قريش القوية أن يحقق أهدافاً ضخمة ، ليس فقط على صعيد القرار القرشي بعزل بني هاشم ومبايعة قرشي من القبائل المافسة بالخلافة ، بل حقق على صعيد الإسلام والقرآن هدفين طالما طمحت اليهما قريش الطلقاء:

الأول: أن يكون القرآن هو المصدر الرسمي للإسلام فقط ، أما السنة فهي مصدر انتقائي ، يختار منه عمر وزعماء قريش ما يناسب ، ويتركون ما لايناسب بل يمنعون أصل صدوره من النبي صلى الله عليه وآله !

ثانياً: أن عمر الزعيم المختار من قبائل قريش هو المفسر الرسمي للقرآن ، وله الحق أن يمنع النبي صلى الله عليه وآله من كتابة وصيته التي ستُلزم المسلمين بإمام ومفسر رسمي للقرآن من بني هاشم !

وقد اضطر عمر لتحقيق هذين الهدفين أن يستعمل الغلظة والشدة في تلك اللحظات الحاسمة من حياة النبي صلى الله عليه وآله ، ويجرح شعور النبي صلى الله عليه وآله في بيته وهو يودع أمته ، ويجابهه بقرار أكثرية الصحابة ويقول له: أيها الرسول لاحاجة بنا الى وصيتك ولا الى إمام من عشيرتك ، فالقرآن كاف شاف ، ولا نحتاج أن تنصب له مفسراً أيضاً ، لأن تفسيره من حقنا نحن ! لقد قبلنا نبوتك والقرآن الذي أنزله الله عليك ، ولكن قريشاً تشاورت فيما بينها ونظرت في مستقبلها ، فرأت أنه ليس من العدل أن يستأثر بنو هاشم بالنبوة والخلافة ، فلا يبقى لقبائل قريش شئ ! فاختارت قريش لنفسها ووفقت وأصابت (العبارة الأخيرة صرح بها عمر في الطبري:٢٨٩/٣) !!

وبما أن الوصية التي تريد أن تكتبها تتنافى مع هذا القرار ، فقد قلتُ للحاضرين بلسان كل قريش: لاتقربوا له دواة ولا قرطاساً ! فخيرٌ لك أن تصرف النظر عن كتابة الوصية ، وإلا فإني سأشهد الحاضرين عليك بأنك تهجر ، وأن كلامك لم يعد وحياً !!

أما بعد وفاة النبيﷺ فلم يعد عمر مضطراً لأن يجرح شعور النبيﷺ ، بل يمكنه أن يعمل لأهدافه بأسلوبه الخاص الذي يسميه معاريض الكلام فيقول عنه: **(لايسرني أن لي بما أعلم من معاريض القول مثل أهلي ومالي)**(سنن البيهقي: ١٠/١٩٩) وبهذه المعاريض عمل لضبط القرآن والسنة ضمن مصلحة قريش! واتخذ خمس قرارات تتعلق بالسنة ، هي:

١ـ مَنْع رواية سنة النبيﷺ منعاً باتاً تحت طائلة العقوبة ، وقد عاقب عدداً من الصحابة لمجرد روايتهم الحديث عن النبيﷺ بالضرب والسجن ، وبقي بعضهم في سجنه أو الإقامة الجبرية ، حتى مات عمر !

٢ ـ مَنْع تدوين سنة النبيﷺ منعاً باتاً ، وهو قرار اتخذه عمر مع زعماء قريش من زمن النبيﷺ ، عندما رأوا بعض الغرباء وبعض شباب قريش يكتبون كل ما يقوله النبيﷺ مع أنه بشر ، يغضب فيقول غير الحق !

وفي خلافة أبي بكر طلب أبو بكر من الناس ما كتبوه من السنة ، وأحرقه !

وفي خلافته جمع عمر ماكتبوه من السنة وأحرقه ، وأصدر مرسوماً خلافياً بعث به الى الأمصار بإحراق كل مكتوب من السنة أو إتلافه !

٣ ـ أنكروا كتاب (الجامعة) الذي قال عليعليه السلام إنه بإملاء النبيﷺ وفيه كل ما يحتاج إليه الناس ، ولم يستفيدوا منه ، وقالوا عن النبيﷺ لم يخص علياً ولا أحداً من أهل بيته بشئ من العلم ، ولم يترك علماً غير القرآن .

٤ ـ انتقى عمر مجموعة روايات لسيرة النبي وسنته صلى الله عليه وآله وعمل على تعليمها للأمة على أنها السنة والسيرة الصحيحة ، دون ما خالفها !

٥ ـ رفع شعار (سنة النبي) التي رفضها بالأمس ، فشعار (حسبنا كتاب الله) صار (حسبنا كتاب الله وسنة نبيه) أي كتاب الله كما يفهمه عمر ، وسنة رسوله التي يرويها عمر ، أو يمضيها !

أما قراراته بشأن القرآن فهي كثيرة ، تعرضنا لها في كتاب تدوين القرآن .

ما عدا مما بدا..؟!

رفض عمر أن يكتب الرسول صلى الله عليه وآله كتاباً يضمن تأمين أمته وقال: حسبنا كتاب الله !! أما عند وفاة أبي بكر فأخذ بيده عصا جريد يسكِّت بها الناس ، ويقول: إسمعوا وأطيعوا ، يريد أن يكتب لكم كتاباً !!

قال الطبري في تاريخه:٦١٨/٢: (عن إسماعيل ، عن قيس قال: رأيت عمر بن الخطاب وهو يجلس والناس معه ، وبيده جريدة وهو يقول: أيها الناس إسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله(ص) ، إنه يقول إني لم آلكم نصحاً ! قال: ومعه مولى لأبي بكر يقال له شديد ، معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر !!

قال أبو جعفر: وقال الواقدي: حدثني إبراهيم بن أبي النضر ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث قال: دعا أبو بكر عثمان خالياً ، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ، أما بعد ، قال ثم أغمي عليه . فذهب عنه فكتب عثمان: أما بعد فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً منه !

ثم أفاق أبو بكر فقال إقرأ عليَّ ، فقرأ عليه فكبَّر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس أن افتلتت نفسي في غشيتي؟! قال: نعم . قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله . وأقرها أبو بكر من هذا الموضع). انتهى.

الأسئلة

أسئلة حول ما طلبه النبيﷺ من المسلمين ؟

١ ـ كان بإمكان النبيﷺ أن يكتب كتابه وعهده لأمته ، ويأمر بلالاً مثلاً أن يدعوهم الى المسجد ويقرأه عليهم ، فطالما كتب وأمر بدون أن يشارور أحداً ؟!

٢ ـ بماذا تجيبون لو سألكم شخص غير مسلم فقال: إن حديث الدواة والقرطاس ثابتٌ عندكم ، فهو في ست مواضع من البخاري وحده !

فلماذا غضب نبيكم وطرد الصحابة القرشيين ، ولم يكتب وصيته وعهده لمن يسمع ويطيع من الأجيال ؟

أما نحن فنجيب بأنهم عرفوا أن النبيﷺ يريد أن يكتب عهده للأمة بإمامة عليعليه السلام والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسينعليهم السلام، وحيث لم يقبلوا به ، فإن إصرار النبيﷺ على كتابته سيدفعهم الى الردة عن الإسلام ! ولا تكون نتيجة كتابة العهد إلا أن يقسم أمته في حياته الى قسمين وأمتين ! ويجعل العترة مع قلة قليلة في مواجهة الأكثرية المخالفة لهم ، وهذا يهدد أصل بقاء الإسلام !! لذلك اختار بأمر ربه عز وجل عدم الكتابة ، وسجل احتجاجه عليهم بطردهم ! وتركهم ليحصدوا نتائج ما اختاروه !!

٣ ـ قال المازري: (إن قيل: كيف جاز للصحابة الإختلاف في هذا الكتاب مع قوله(ص): آتوني أكتب ، وكيف عصوه في أمره ؟!

فالجواب: أنه لا خلاف أن الأوامر تقارنها قرائن تنقلها من الندب إلى الوجوب عند من قال: أصلها للندب ، ومن الوجوب إلى الندب عند من قال: أصلها

للوجوب ، وتنقل قريش أيضاً صيغة إفعل إلى الإباحة ، وإلى التخيير !! وإلى غير ذلك من ضروب المعاني ، فلعله ظهر منه(ص)من القرائن ما دل على أنه لم يوجب عليهم بل جعله إلى اختيارهم ، فاختلف اختيارهم بحسب اجتهادهم ، وهو دليل على رجوعهم إلى الإجتهاد في الشرعيات ، فأدى عمر اجتهاده إلى الامتناع من هذا ، ولعله اعتقد أن ذلك صدر منه(ص)من غير قصد جازم ، وهو المراد بقولهم: هجر وبقول عمر: غلب عليه الوجع)!! (شرح مسلم للنووي:٩٢/١١) ؟!

فهل تقولون إن الأوامر القرآنية والنبوية لايجب تنفيذها ، أوتقولون إن ظهوره في الوجوب يسقط بمجرد احتمال وجود قرينة تدل على التخيير والإستحباب ؟! وكيف يكون المسلمون مخيرين في أمر يتعلق بمصير كل أجيال الأمة وضلاهم أو عصمتهم من الضلال الى يوم القيامة ؟!

٤ ـ ماذا تجيبون لو سألكم شخص فقال: إن الأحاديث بل الآيات تدل على أن النبي صلى الله عليه وآله كان يعلم أن الأمة لاتقبل إمامة عليٍّ والعترة عليهم السلام ، فلماذا عرض عليهم أمراً يكرهونه بشدة كما قال عمر ، ويردونه بقوة كما فعل !

أما نحن فنجيب بأن واجب النبي صلى الله عليه وآله البلاغ وإقامة الحجة ، وقد تحقق ذلك وتأكد قوله تعالى: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ.(الأنفال:٤٢)

٥ ـ لاشك أن مطلب النبي صلى الله عليه وآله منهم كان أن يتعهدوا ويلتزموا بتنفيذ الكتاب الذي سيكتبه ، وليس مجرد رضاهم بأن يكتب لهم عهده من بعده ، وإلا لما خاضوا معه هذه المعركة التي انتهت بغضبه عليهم وطردهم من بيته !

وسؤالنا: ما حكم من قال له النبي صلى الله عليه وآله سآمرك بأمر فالتزم أمامي بتنفيذه ، فرفض وأغضب النبي صلى الله عليه وآله وآذاه ومنعه من إصدار أمره حتى طرده النبي صلى الله عليه وآله ؟!

أسئلة حول الكتاب الذي أراد النبيﷺ أن يكتبه

٦ ـ قال بعضهم: إن الكتاب الذي أراد أن يكتبه النبيﷺ والذي يؤمِّن أمته من الضلال والضعف الى يوم القيامة ، هو الوصية لأبي بكر بالخلافة ! واستند إلى حديث عائشة وزعمها أن النبيﷺ أراد أن يكتب عهده بالخلافة الى أبيها وأخيها ، ولكنه ترك ذلك لأن الأمة ستختار أبا بكر ! **فقد روى البخاري:٨/٧** ، عن عائشة أن النبيﷺ **قال لها:** (لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد ، أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون . ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون). (ورواه في:١٢٦/٨).

وقال مسلم:١١٠/٧، عن عائشة قالت: (قال لي رسول الله(ص)في مرضه ادعى لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ، ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر). انتهى.

وقال ابن حجر في فتح الباري:١٨٦/١: (واختلف في المراد بالكتاب ، فقيل: كان أراد أن يكتب كتاباً ينص فيه على الأحكام ليرتفع الإختلاف . وقيل: بل أراد أن ينص على أسامي الخلفاء بعده ، حتى لايقع بينهم الإختلاف ، قاله سفيان بن عيينة ، ويؤيده أنه(ص)قال في أوائل مرضه وهو عند عائشة أدعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر . أخرجه مسلم ، وللمصنف معناه . ومع ذلك فلم يكتب) .

وقال في فتح الباري:١٧٧/١٣: (قوله: فأعهد ، أي أعين القائم بالأمر بعدي ، هذا هو الذي فهمه البخاري فترجم به ، وإن كان العهد أعم من ذلك ، لكن وقع في رواية عروة عن عائشة بلفظ: أُدعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً.... وفي رواية للبزار: معاذ الله أن تختلف الناس على أبي بكر . فهذا يرشد إلى أن المراد

الخلافة . وأفرط المهلب فقال: فيه دليل قاطع في خلافة أبي بكر ! والعجب أنه قرر بعد ذلك انه ثبت أن النبي(ص)لم يستخلف) ! انتهى.

فهل يصح هذا الكلام في عهدٍ أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يكتبه فغضب منه عمر وكل الحزب القرشي ومنهم أبو بكر ، ومنعوا النبي صلى الله عليه وآله من كتابته ؟!

وهل تصدقون أحاديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يكتب الخلافة لأبيها وأخيها ، لتكون من بعده في عشيرة بني تيم ؟!

وهل تقولون إن ابن أبي بكر أحق من عمر بالخلافة ، وإن عمر قد غصب منه الخلافة ، لأنها كانت بنص النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر وابنه ؟!

وإذا صح أن المؤمنين يأبوْنَ إلا أبا بكر ، فهل أن الصحابة الذين عارضوه وأدانوه واحتجوا عليه ، كانوا غير مؤمنين؟! وهم أكثر من سبعين صحابياً ، وكلهم عندكم مؤمنون عدول ، بأيهم اقتديتم اهتديتم ؟!

وأخيراً ، يبقى السؤال الأهم من الجميع: أنه لو كانت خلافة أبي بكر هي التي أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يعصم بها الأمة من الضلال والضعف الى يوم القيامة ، فقد حصلت خلافته ، فلماذا لم تُعصم الأمة من الضلال ، وسرعان ما اختلفت ، وكفَّر بعضها بعضاً ، وسفك بعضها دماء بعضها ، حتى ضعفت وانهارت ؟

فكيف يحصل سبب التأمين والعصمة من الضلال ، ولا يحصل المسبب ؟!

٧ ـ سمع المسلمون من النبي صلى الله عليه وآله مراراً ، خاصة في حجة الوداع تعبير: (لن تضلوا بعدي أبداً) في وصاياه صلى الله عليه وآله بالقرآن والعترة عليهم السلام ، فقد تواتر عنه صلى الله عليه وآله قوله: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً . ورأوه في غدير خم أصعد علياً عليه السلام معه على المنبر ، ورفع بيده

وأمرهم بولايته وطاعته فقالﷺ: (من كنت مولاه فعلي مولاه) . فلا بد أن عمر وحزبه فهموا مقصود النبيﷺ يوم الخميس بقوله: إئتوني بقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً..وعرفوا أنه سيعهد بالخلافة كتبياً لعلي والعترةعليهم السلام ، فلم يجدوا وسيلة إلا التشكيك بسلامة عقله وحجية قولهﷺ ، فقالوا إنه يهجر عندكم القرآن حسبنا كتاب الله !!

فهل عندكم تفسير لردهم العنيف المؤذي الى أقصى حدود العنف والإيذاء لرسول اللهﷺ ، سوى أن كتابة العهد كانت ستحبط خطتهم لأخذ الخلافة ؟!

٨ ـ قال بعضهم إن الذي أراد أن يوصي به النبيﷺ كان أمراً عادياً ، وأن النبيﷺ أراد أن يذكرهم به فقط ! فما هو هذا الأمر العادي الذي يضمن عصمة الأمة من الضلال ، ويضمن سيادتها على العالم الى يوم القيامة ؟!

ولماذا عدّ ابن عباس عدم كتابة العهد رزيةً على الإسلام والمسلمين ، وكان يبكي لها بكاء الثكلى ، حتى خضب دمعه الحصى ! (فتح الباري:٨/١٠٠)

أسئلة في تحليل ما فعله عمر والموقف الشرعي منه

٩ ـ هل تعتبرون حديث رزية يوم الخميس من موافقات الله المزعومة لعمر وتخطئته لرسولهﷺ! وهل نزل جبرئيل على النبيﷺ يوم الرزية ، وقال له أخطأت يا محمد لأنك أردت أن تؤمِّن أمتك من الضلال فتكتب لها عهداً ، والحق مع عمر ، فدعها تضلّ ؟!

١٠ ـ قال بعضهم إن اعتراض عمر على العرض النبوي بقوله (أهَجَر) ، إنما هو استفهام محض ، وأن عمر شك شكاً بريئاً في أن النبيﷺ يهجر ، وحاشاه ، ولم يجزم بذلك ، والشك جائز على عمر فإنه لامعصوم إلا النبيﷺ !

فهل يصح هذا الشك ممن يؤمن بنبوة النبيﷺ ويعيش معهﷺ ؟!

ثم ، لو كان شك عمر بريئاً لتراجع عندما عرف أن النبيﷺخاطبهم بشكل طبيعي وأنه بخير ! بينما أصرَّ عمرعلى موقفه وزجر زوجة النبيﷺالتي قالت قربوا له قرطاساً ، وأفحش لها القول ! فأجابه النبيﷺ: بل هنَّ خير منكم ؟!!

١١ ـ قال عمر كما تقدم في مجمع الزوائد:٣٣/٩: (لما مرض النبي(ص)قال: أدعوا لي بصحيفة ودواة أكتب كتاباً لاتضلون بعدي أبداً ! فكرهنا ذلك أشد الكراهة!! ثم قال: أدعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعده أبداً ! فقال النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله(ص)؟! فقلت: إنكن صواحبات يوسف إذا مرض رسول الله(ص)عصرتنَّ أعينكن ، وإذا صح ركبتنَّ رقبته . فقال رسول الله: دعوهنَّ فإنهنَّ خيرٌ منكم) !! انتهى. فهل تصدقون عمر وتحكمون بأن نساء النبيﷺخير منه ومن وافقه ، أم تفضلونهم عليهنَّ ؟!

١٢ ـ لو أن نبي الله موسىعليه السلامقال لليهود (إيتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعدي أبداً ، ولا تغلبكم أمة من الأمم أبداً ، بل تحكمون العالم الى يوم القيامة) فقال له أحدهم: كلا لا نريد كتابك (حسبنا التوراة) !! ورفضوا أن يكتب لهم نبيهم عهده وعهد ربه !! فماذا تحكمون عليهم ؟!

١٣ ـ ما معنى الشعار الذي رفعه عمر في وجه النبي:ﷺ(حسبنا كتاب الله) !! ألم يكن يعرف أن الرد على النبيﷺلايجوز ، وأن أمر النبيﷺبالقبول بالكتاب واجبُ الإطاعة كالقرآن . ألا يعني ذلك:

أن عمر رفض السنة ، كما فعل معمر القذافي فزعم أن القرآن وحده يكفي ولا حاجة الى السنة ؟

وأنه صادر حق النبيﷺفي رسم مستقبل أمته بعد وفاته كما أمره ربه ؟

وصادر حقهﷺكمسلم في أن يوصي بما يريد ؟

وصادر حقهﷺ كصاحب بيت على فراش مرضه ، أن يتصرف كما يريد ؟

وصادر حقهﷺ في تفسير القرآن ، وبيان من هم أولوا الأمر ؟

وأنه نصب نفسه مقابل الله تعالى ولياً على الأمة ونبيهاﷺ وقرآنها ؟

بل نصب نفسه ولياً على الله تعالى ! وجعل الخلافة لقبائل قريش في مقابل النبوة لبني هاشم ، وهو يعلم أن النبيﷺ لايتكلم من عنده:**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**؟! ويعلم معنى قوله تعالى: **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**. (الزخرف:٣٢)

١٤ ـ لو أن رئيس عشيرة مشهود له بالحكمة وبُعد النظر، أحضرَ وجهاء عشيرته وهو في مرض وفاته ، وهو بكامل عقله وحواسه ، وقال لهم: أنا خائفٌ على مسقبلكم ، وعندي وصيةٌ إذا قبلتموها فإنها تؤمِّن مستقبلكم المالي الى يوم القيامة !! فآتوني بقلم وقرطاس حتى أكتبها لكم .

ففاجأهم أحد الزعماء قائلاً: لانريد وصيتك، نحن نشتغل ونحصل على المال ! وصاح أكثر الحاضرين: نعم قوله صحيح ، وانقسموا الى فريقين ، فريق يؤيد شيخهم وفريق ضده ، واختلفوا وعلا صراخهم ، فطردهم شيخهم ، وتوفي وفي قلبه حسرة أنهم لم يقبلوا منه أن يكتب لهم وصيته !

ثم اجتمع الناس حول الزعيم الذي منع شيخهم من الوصية ونصبوه رئيساً لهم ، فكسب مالاً لعشيرته مدة ، ثم ما لبث أن افتقرت وصارت أفقر العشائر !!

فما هو حكم الذي منع شيخهم من كتابة وصيته ؟ وعلى من تقع مسؤولية فقر العشيرة وتسلط العشائر عليها ؟!

١٥ ـ لو سألنا عاقلاً: ما هو موقفك من شخص يمنع أباك من كتابة وصيته ،

فغضب أبوك ومات وفي قلبه حسرة ، وفي قلبكم حسرة أنه لم يكتبها ؟!

١٦ ـ هل أن عمر وحزبه الحزب القرشي اجتهدوا برأيكم فأصابوا ، بينما أخطأ النبي صلى الله عليه وآله ؟! أم اجتهدوا فأخطأوا ، أم عصوا وضلوا ، أم ردوا على النبي صلى الله عليه وآله فكفروا ؟ وأين قاعدتكم في حرمة الإستدراك على النبي صلى الله عليه وآله ؟!

وإن قلتم إنهم اجتهدوا فأخطأوا ، فأعطونا مثالاً واحداً ردَّ فيه الصحابة على النبي صلى الله عليه وآله وعصوه ، فحكم عليهم بأنهم أخطأوا ولهم أجر واحد !!

١٧ ـ لو كنتَ حاضراً في ذلك المجلس ، فماذا يكون موقفك؟ وما حكمك على الذين عصوا أمر النبي صلى الله عليه وآله ؟ولو كنت في حزب قريش الذين طردهم النبي صلى الله عليه وآله فهل كنت تنسحب منه وتتوب الى الله ، وتجثو على قدمي النبي صلى الله عليه وآله وتطلب رضاه وتجدد إسلامك؟! ولماذا لم يفعل عمر ذلك؟!

١٨ ـ من هم الذين أيدوا عمر في مواجهته للنبي صلى الله عليه وآله وصاحوا: (القول ما قاله عمر) ، ولغطوا وشوشوا ، وغلبوا المخالفين لهم لأنهم بكثرتهم وحزبيتهم؟!

نحن نقول إنهم الحزب القرشي ! وهم الطلقاء الذين أسلموا بالأمس تحت السيف ، وهم نفسهم أئمة الكفر وجنود الشرك الذين قاتلوا النبي صلى الله عليه وآله الى الأمس القريب ! وبعد فتح مكة وهزيمتهم خططوا للسكن في المدينة ، والتفُّوا حول عمر وأبي بكر ، وعملوا معهما لمنع وصول الخلافة الى العترة الطاهرة ! وقد كان عددهم نحو ألف مقاتل ، وعدد نفوسهم في المدينة نحو ستة آلاف نسمة ، بعد أن كان القرشيون المهاجرون غير بني هاشم لايبلغون خمسين نسمة !

فقد ذكر ابن حجر أن عدد الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وآله منهم مع أسامة ليبعدهم عن المدينة سبع مئة مقاتل ! قال في فتح الباري:١١٥/٨: (وذكره ابنُ إسحاق في

السيرة المشهورة ولفظه بدأ برسول الله(ص)وجعه يوم الأربعاء فأصبح يوم الخميس فعقد لأسامة فقال: أغز في سبيل الله ، وسر إلى موضع مقتل أبيك ، فقد وليتك هذا الجيش ، فذكر القصة وفيها: لم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبو بكر وعمر ... وعند الواقدي أيضاً أن عدة ذلك الجيش كانت ثلاثة آلاف ، فيهم سبعمائة من قريش). انتهى.

فإذا كان المأمورون بالذهاب في جيش أسامة سبع مئة قرشي ، فكم عدد غير المشاركين ، وكم عدد نفوسهم في المدينة ؟!

كما ينبغي الإشارة الى أن يوم الخميس الذي عقد فيه النبيﷺلواء الجيش لأسامة وأمره بالتحرك هو الخميس الذي قبل خميس الرزية، فقد تخلفوا وسوَّفوا ولم يطيعوا أمرهﷺ ، وكان يحثهم على الحركة حتى لعن من تخلف عن جيش أسامة ! ففي هذا الجو دعاهم ليكتب لهم عهده ، فواجهوه بالإنقلاب!

أسئلة في تحمل عمر كل نتائج فعله

١٩ ـ رفض عمر القبول بمسار الأمة الذي رسمه لها الله تعالى ورسولهﷺمع أن النبيﷺأخبرهم أنه يضمن لهم الهداية والعزة الى يوم القيامة !

ونفَّذ عمر المسار الذي أراده ، بمساعدة الصحابة الطلقاء وهم الأكثرية ، ولم ينفع معهم إصرار النبيﷺوالأقلية المؤمنة فغضب النبيﷺوطردهم !!

ألا يتحمل عمر وحزبه بذلك كامل المسؤولية عن كل خلافات الأمة وضلالها وسفك دمائها وخساراتها، ثم عن ضعفها وانهيارها ، حتى يظهر المهدي الموعود عليه السلام ويصحح مسيرتها كما أرادها الله ورسولهﷺ ؟!

أسئلة حول تبريرهم فعل عمر

٢٠ ـ ما رأيكم في قول النووي في شرح مسلم:٨٧/١١ ، قال: (باب ترك الوصية لمن ليس له شئ يوصى فيه....: وأما كلام عمر فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره ! لأنه خشي أن يكتب (ص) أموراً ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها ، لأنها منصوصة لامجال للإجتهاد فيها ، فقال عمر: حسبنا كتاب الله ، لقوله تعالى: ما فرطنا في الكتاب من شئ ، وقوله: اليوم أكملت لكم دينكم ، فعلم أن الله تعالى أكمل دينه فأمن الضلال على الأمة ، وأراد الترفيه على رسول الله(ص)فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه). انتهى !

هل توافقون على أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن عنده شئ يوصي به أمته؟ وأن عمر أصاب وأخطأ النبي صلى الله عليه وآله وابن عباس وكل المخالفين لعمر ؟ لأن ادعاء النبي صلى الله عليه وآله أنه يريد تأمين أمته من الضلال لغوٌ وعبث ، وأن الأمة مؤمَّنَةٌ من الضلال بنص القرآن ، ولكن النبي صلى الله عليه وآله لم يفهم ذلك من آياته ، وفهمه عمر ؟!

وهل تقولون إن عمر أفقه من النبي صلى الله عليه وآله وأرحم منه بالأمة ، لأنه خلَّصها من أمور صعبة قد يأمر بها النبي صلى الله عليه وآله في عهده ، فتعجز عنها فتستحق العقوبة؟!

وهل تقولون بأن الله تعالى يظلم الناس ويعاقبهم على ما يعجزون عنه ؟!

٢١ ـ قال ابن حجر في مقدمة فتح الباري ص١٩٥: (قوله أَهَجَرَ بهمزة الإستفهام ، والإسم الهجر ، وهو الهذيان ، ويطلق على كثرة الكلام الذي لا معنى له). انتهى. وذكر ذلك علماء التفسير واللغة، كما في فتح القدير:٤٩٠/٣ ، والصحاح:٨٥١/٢ ، ولسان العرب: ٢٥٣/٥، وغيرها . فهل تقولون إن عمر قال إن النبي صلى الله عليه وآله قد هجر ، وإن طلبه أن يكتب لأمته عهداً هو هذيان؟! أم تقولون إن عمر شك في أن النبي صلى الله عليه وآله يهجر

ويهذي؟! وهل تعرفون مسلماً غير عمر شك في النبيﷺانه يهذي في مرض وفاته ؟

وهل في طلب النبيﷺأن يكتب لأمته عهداً يؤمِّنها من الضلال الى يوم القيامة ويجعلها سيدة العالم ، ما يوجب الشك في أنه يهذي ولايعقل ؟!

٢٢ ـ هل توافقون على التناقض الذي وقع فيه الخطابي فيما نقله عنه النووي في شرح مسلم:٩١/١١، حيث قال: (ولا يجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهم الغلط على رسول الله(ص)أو ظن به غير ذلك مما لا يليق به بحال ، لكنه لما رأى ما غلب على رسول الله(ص)من الوجع ، وقرب الوفاة ، مع ما اعتراه من الكرب خاف أن يكون ذلك القول مما يقوله المريض مما لا عزيمة له فيه ، فتجد المنافقون بذلك سبيلاً إلى الكلام في الدين... قال: وأكثر العلماء على أنه يجوز عليه الخطأ فيما لم ينزل عليه ، وقد أجمعوا كلهم على أنه لا يُقَرُّ عليه. قال: ومعلوم أنه(ص)وإن كان الله تعالى قد رفع درجته فوق الخلق كلهم ، فلم ينزهه عن سمات الحدث والعوارض البشرية ، وقد سهى في الصلاة ، فلا ينكر أن يظن به حدوث بعض هذه الأمور في مرضه ، فيتوقف في مثل هذا الحال حتى تتبين حقيقته ، فلهذه المعاني وشبهها راجعه عمر) . انتهى .

فقد نفى الخطابي الهذيان عن النبيﷺثم قال: (فلا ينكر أن يظن به حدوث بعض هذه الأمور في مرضه) ! فهل لقول الخطابي هذا معنى غير الهذيان؟!

٢٣ ـ هل توافقون على ما زعمه القاضي عياض بالعكس ، من أن عمر كان رأيه أن يكتب النبيﷺعهده للأمة وكان مصراً على ذلك ! وأن قوله (أَهَجَرَ) معناه ماذا لاتقدمون للنبيﷺقرطاساً ليكتب عهده مع أنه قال حقاً ولم يهجر !

فقد نقل عنه ابن حجر في الفتح:١٠١/٨، والنووي في شرح مسلم:٩٢/١١ ، أنه قال: (وقوله: أهجرَ رسول الله، هكذا هو في صحيح مسلم وغيره (أهجر) على الإستفهام وهو أصح من رواية هجر ويهجر ، لأن هذا كله لا يصح منه(ص) لأن معنى هجر: هذى! وإنما جاء هذا من قائله استفهاماً للإنكار على من قال لاتكتبوا! أي لا تتركوا أمر رسول الله(ص)وتجعلوه كأمر من هجر في كلامه ، لأنه(ص) لا يهجر ... ووقوع ذلك من النبي(ص)مستحيل لأنه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى: وماينطق عن الهوى ، ولقوله(ص): إني لاأقول في الغضب والرضا إلا حقاً... فكأنه قال كيف تتوقف؟! أتظن أنه كغيره يقول الهذيان في مرضه ؟! إمتثل أمره وأحضر له ما طلب فإنه لا يقول إلا الحق). انتهى.

وقال عياض: هذا أحسن الأجوبة) !! انتهى.

فإذا كان رأي عمر ومعه الحزب القرشي كتابة الكتاب كما زعم عياض ، فلماذا لم يكتبه النبيصلى الله عليه وآله، وهل أن أهل البيتعليهم السلامومن وافقهم هم الذين منعوا كتابته؟! ولماذا تنازعوا ولغطوا وعلا صياحهم حتى طردهم النبيصلى الله عليه وآله ؟!

٢٤ ـ هل توافقون على قول البيهقي: (فرأى عمر الصواب تركهم على هذه الجملة لما فيه من فضيلة العلماء بالإجتهاد ، مع التخفيف عن النبي(ص) ، وفي تركه(ص)الإنكار على عمر دليل على استصوابه) . (شرح مسلم للنووي:٩٠/١١) فهل اجتهاد عمر في ترك الأمة تضل أصحُّ من(اجتهاد)النبيصلى الله عليه وآلهفي تأمينها من الضلال؟! وهل ترون إنكاراً على عمر وحزبه أبلغ من طرد النبي إياهم من بيته ؟!

٢٥ ـ اعتذرتم لعمر بأنه اجتهد في مقابل نبيهصلى الله عليه وآله ، وأن المسلم التابع له حق الإجتهاد ، ومواجهة نبيه بالرفض ، وتأليب الناس عليه ، حتى لايكتب لأمته عهده ويضمن هداها وعدم ضلالها !! لكن أليس من التناقض المضحك في مذهبكم

أنكم فتحتم باب الإجتهاد لعمر في مقابل النبيﷺ، وأقفلتم على المسلمين باب الإجتهاد في مقابل عمر، ولم تعذروهم على رأيهم فيه ؟!

٢٦ ـ ألا تعجبون من أنفسكم لدفاعكم عن عمر وحزبه، ونسيانكم آيات الله تعالى في وجوب إطاعة النبيﷺوالتأدب معه ؟! فأين أنتم من قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى . ؟ وقوله تعالى: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُول إلا لِيُطَاعَ بِإذْنِ الله ... (النساء:٦٤)

وقوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا... (الحشر:٧)

وقوله تعالى محذراً الذين لايحترمون الرسولﷺويتحايلون على أمره: لاتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أمره أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.(النور:٦٣)

وقوله تعالى محذراً إياهم من إبطال كل أعمالهم بمعصيتهم للرسولﷺ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ. (محمد:٣٣)

وقوله تعالى محذراً إياهم من الضلال إن عصوه: قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فإن تَوَلَّوْا فإنما عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ. (النور:٥٤)

وقوله تعالى محذراً إياهم من العقوبة إن عصوه: وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فإن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا إنما عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ .(المائدة:٩٢)

وقوله تعالى واصفاً عاقبة من عصى الرسولﷺوكتم ما أنزل الله:يَوْمَئِذ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأرض وَلايَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً. (النساء:٤٢)

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً . لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً . وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا. (الفرقان:٢٧ ـ ٣١).

وقوله تعالى عن المنافقين الذين لايقبلون حكم الرسولﷺ، ويخالفونه ويشاقُّونه: وإذا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَاأنزل اللهُ وَإِلَى الرَّسُول رَأَيْتَ الْمُنَافقينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً. (النساء:٦١) وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً. (النساء:١١٥)

وأخيراً ، هل نسي عمر أنه بالأمس تصايح مع أبي بكر في حضرة النبيﷺ فنزلت سورة الحجرات ، ومنها قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاتَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ . (سورة الحجرات:٢)

ألم تروا أنتم أن سبب نزولها اختلافه مع أبي بكر على اقتراح تعيين زعيم قبيلة لبني تميم ، مع أن الأمر لرسول اللهﷺ لا لعمر ولا لأبي بكر! قال البخاري:٤٦/٦: (عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيِّران أن يهلكا أبا بكر وعمر ، رفعا أصواتهما عند النبي(ص)حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع ، وأشار الآخر برجل آخر ، قال نافع لا أحفظ إسمه ، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي ! قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ.. الآية . قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله(ص)بعد هذه الآية حتى يستفهمه) . انتهى.

ومعنى كلامه أن عمر اتعظ بتوبيخ الله له ولأبي بكر في سورة الحجرات، فكان يخفض صوته عند النبيﷺ فلايسمع النبيﷺ كلامه حتى يستفهمه منه فيعيده عليه ! ويقول البخاري:١٤٥/٨: (فكان عمر بعد....ذا حدث النبي(ص) بحديث حدثه كأخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه) انتهى .

فأين هذا الأدب الذي تزعمونه لعمر ، وأين خفض صوته وكلامه بالهمس

وأخي السرار مع الرسولﷺ ؟! هل في قوله لسيد المرسلينﷺ لا نريد أن تكتب لنا عهدك ، ولا نريد سنتك ولا تأمينك من الضلال ! يكفينا كتاب الله ، ولا نريد أن تنصب مفسراً له فنحن نفسره ! وإن أصريت على طلبك نقول إنه يهجر ، ويريد تأسيس ملك لبني هاشم كملك كسرى وقيصر؟!! حسبنا الله ونعم الوكيل !

○ ○

المسألة: ١٦٠

قول عمرعندهم سنةٌ مطاعة ، يردون به سنة النبي صلى الله عليه وآله !!

تقدم في المسألة (١٢٥) أن السنة عندهم كانت بمعنى سنة أبي بكر وعمر قبل سنة النبي صلى الله عليه وآله! وأن طالب العلم المتقي الذي كان يتوجس من ذلك خوفاً من الله تعالى ، يحرمونه من وظائف الدولة ! قال صالح بن كيسان كما في طبقات ابن سعد:٣٨٨/٢: (وأخبرت عن عبدالرزاق قال: أخبرنا معمر أخبرني صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن ، قال وكتبنا ما جاء عن النبي(ص)قال: ثم قال: نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة ! قال قلت إنه ليس بسنة فلا نكتبه ، قال فكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت...)!!

فقد تَحَسَّر ابن كيسان لأن زميله الزهري قد (أنجَحَ) بكتابة سنة الخلفاء ، وفاز برضا الدولة وألوف الوليد بن عبد الملك بن مروان ثمناً لدفاتره !أما هو فلم (يُنجح) لأنه اقتصر على سنة النبي صلى الله عليه وآله !

وكانت سنة عمر تسمى: (السنَّة الماضية)أي المطبقة عملياً، بينما سنة النبي صلى الله عليه وآله ليست هي الماضية ، فقد يطبقها الولاة وقد يتركونها !

أطاعوا عمر وخالفوا النبي صلى الله عليه وآله
حتى صاح ابن عباس وابن عمر: طفح الكيل!

قال ابن حزم في الإحكام:٥٨١/٤: (أو ليس ابن عباس يقول: أما تخافون أن يخسف الله بكم الأرض ! أقول لكم قال رسول الله (ص) وتقولون: قال أبو بكر وعمر !! وكان إسحاق بن راهويه يقول فيما روى عنه محمد بن نصر المروزي

في الإمام أنه سمعه يقول: من صح عنده حديث عن النبي(ص) ثم خالفه ـ يعني باعتقاده ـ فهو كافر). انتهى. (ونحوه أيضاً في:٥/٦٥٠)

وفي النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ص٢١٣: (وقال بعض العلماء: لو اجتمع مجتهدوا الأرض كلهم على قول وكان قول النبي يقتضي خلافه ، فالحق قول النبي عليه السلام ، وإجماع المجتهدين في مقابله كضرطة بعير في فلاة .

وقال السيد الآلوسي في جلاء العينين نقلاً عن ابن تيمية قال: قد كان بعض الناس يناظر ابن عباس في المتعة فقال له: قال أبو بكر قال عمر ، فقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ! أقول قال رسول الله(ص)وتقولون قال أبو بكر ، قال عمر)!! انتهى. (راجع مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠ / ٢١٥)

وفي الترمذي:١٥٩/٢، عن سالم بن عبد الله: (أنه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، فقال عبد الله بن عمر: هي حلال ، فقال الشامي: إن أباك قد نهى عنها ! فقال عبدالله بن عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله(ص): أمرُ أبي يُتَّبَع أم أمرُ رسول الله(ص)؟! فقال الرجل: بل أمر رسول الله(ص) . فقال: لقد صنعها رسول الله . هذا حديث حسن صحيح) . انتهى .

ورواه أبويعلى في مسنده :٣٤١/٩، وفيه:(ما ترى في التمتع بالعمرة إلى الحج؟ فقال عبد الله: حسن جميل لمن صنع ذلك . فقال له الرجل: فإن أباك قد كان ينهى عنها ! فغضب عبدالله ثم قال: ويلك أرأيت أن كان أبي نهى عنها ، وكان رسول الله(ص)عمل بها ، بأمر رسول الله (ص)تأخذ أم بأمر أبي؟! قال: لا بل بأمر رسول الله . قال: فإن رسول الله قد فعل ذلك ، فقم لشأنك) ! ورواه ابن سلمة في شرح معاني الآثار:١٤٢/٢. وحاول النووي في المجموع:١٥٥/٧، أن يضعفه ، لكن الألباني صححه في

صحيح سنن الترمذي:١/ ٢٤٧ برقم ٦٥٨، وعاد وضعف مثله في ضعيف سنن الترمذي ص٩٦ !!

وفي مسند أحمد:٩٥/٢: (سأل رجل ابن عمر عن المتعة وأنا عنده ، متعة النساء ، فقال: والله ما كنا على عهد رسول الله زانين ولا مسافحين ! ثم قال: والله لقد سمعت رسول الله(ص)يقول: ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون أو أكثر). ورواه في :١٠٤/٢، وفيه: (فغضب وقال والله..).ورواه أبو يعلى في:٦٩/١٠، و:٧٠/١٠ ، والقرطبي في تفسيره:٣٨٨/٢، وقال: (أخرجه الدارقطني ، وأخرجه أبو عيسى الترمذي) . انتهى.

وقال ابن كثير في النهاية:١٥٩/٥:(وقد كان الصحابة يهابونه كثيراً، فلا يتجاسرون على مخالفته غالباً ، وكان ابنه عبد الله يخالفه فيقال له: إن أباك كان ينهى عنها ، فيقول: لقد خشيت أن يقع عليكم حجارة من السماء ! قد فعلها رسول الله(ص) أفسنة رسول الله تتبع ، أم سنة عمر بن الخطاب ! وكذلك كان عثمان بن عفان ينهى عنها ، وخالفه علي بن أبي طالب كما تقدم وقال: لا أدع سنة رسول الله (ص)لقول أحد من الناس) ! انتهى.

وقال الشافعي في كتاب الأم:١٦٣/١: (قال الشافعي)أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر أنه سجد في سورة الحج سجدتين. فقلت للشافعي: فإنا لا نسجد فيها إلا سجدة واحدة ، فقال الشافعي فقد خالفتم ما رويتم عن عمر بن الخطاب وعبدالله بن عمر معاً ، إلى غير قول أحد من أصحاب النبي(ص) عامة ! فكيف تتخذون قول ابن عمر وحده حجة ، وقول عمر حجة وحده ، حتى تردوا بكل واحد منهما السنة ! وتبتنون عليها عدداً من الفقه ؟! ثم تخرجون من قولهما لرأي أنفسكم ؟ هل تعلمونه مستدركاً على أحد؟!

قولٌ العورةُ فيه أبين منها فيما وصفنا من أقاويلكم) !!

○ ○

الأسئلة

١ ـ ما قولكم في سبب هذا التحيز من الدولة القرشية لقول عمر على حساب سنة النبي ﷺ حتى انتقده ابن عباس وابن عمر والشافعي ؟!

٢ ـ هل تعملون بسنة النبي ﷺ في متعة الحج ومتعة النساء ، أم تتركونه الى قول عمر ونهيه عنهما ؟!

٣ ـ ما قولكم في تناقضات الألباني في تصحيحه وتضعيفه ، وقد سماه ابن باز: أمير المؤمنين الحديث ! وهل قرأتم كتاب السقاف: تناقضات الألباني البيِّنات؟!

٤ ـ ما رأيكم في كتاب: (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) للحافظ الشافعي محمد بن عقيل الحضرمي ؟!

○ ○

المسألة:١٦١

محمد هو النبي الفعلي..لكن عمر أيضاً له درجة النبوة !

في صحيح البخاري:١٤٩/٤: (عن أبي هريرة عن النبي(ص)قال: إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون ، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم ، فإنه عمر بن الخطاب) ! ورواه في البخاري:٢٠٠/٤، ومسلم:١١٥/٧، وقال: قال ابن وهب: تفسير محدثون: ملهمون ، والترمذي:٢٨٥/٥ ، وقال: يعني مفهمون ، والحاكم:٨٦/٣.

وقال ابن حجر في فتح الباري:٤١/٧: (محدث أي يلقى في روعه... ويؤيده حديث: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه . أخرجه الترمذي من حديث بن عمر ... وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عمر نفسه ...

وقوله: وإن يك في أمتي ، قيل لم يورد هذا القول مورد الترديد ، فإن أمته أفضل الأمم ، وإذا ثبت أن ذلك وجد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى ، وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل: إن يكن لي صديق فإنه فلان ، ويريد اختصاصه بكمال الصداقة ، لا نفي الأصدقاء ... وتمحضت الحكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول ، زيادة في شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيه ، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء عليهم السلام فيهم ، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء عليهم السلام فيها لكون نبيها خاتم الأنبياء(ص) عُوِّضوا بكثرة الملهمين . . . ويؤيده حديث: لو كان بعدي نبي لكان عمر ، فلو فيه بمنزلة إن في الآخر على سبيل الفرض والتقدير . . . والسبب في تخصيص عمر بالذكر ، لكثرة ما وقع له في زمن النبي(ص)من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها ! ووقع له بعد النبي(ص)عدة إصابات) !!

وفي مسند أحمد:١٥٤/٤، عن النبيﷺ: (لو كان من بعدي نبي ، لكان عمر بن الخطاب) . (ورواه في مجمع الزوائد:٦٨/٩ ، والطبراني الكبير:١٨٠/١٧ و٢٩٨ ، والجامع الصغير:٤٣٥/٢، وكشف الخفاء :١٥٤/٢، وتاريخ دمشق:٣٨٤/١٠، وتحفة الأحوذي:١١٩/١٠ ، وقال: فيه إبانة عن فضل ما جعله الله لعمر من أوصاف الأنبياء وخلال المرسلينعليهم السلام). انتهى.

وقال في فيض القدير:٤١٤/٥: (ففيه إبانة عن فضل ما جعله الله لعمر من أوصاف الأنبياء وخلال المرسلين وقرب حاله منهم ... فكأن النبي(ص)أشار إلى أوصاف جمعت في عمر ، لو كانت موجبة للرسالة لكان بها نبياً ، فمن أوصافه قوته في دينه ، وبذله نفسه وماله في إظهار الحق ، وإعراضه عن الدنيا مع تمكنه منها ، وخَصَّ عمر مع أن أبا بكر أفضل ، إيذاناً بأن النبوة بالإصطفاء ، لا بالأسباب ... قال الحاكم: صحيح ، وأقره الذهبي). انتهى.

وروى في كنز العمال:٣٦٥/١٠ ، و:٥٧٨/١١ و٥٧٩ ،و:٥٩٦/١٢ و٦٠٣، روايات كثيرة عن لسان النبيﷺفي فضائل عمر ، عن مصادر متعددة ، وفيها:إن الله عز وجل عند لسان عمر وقلبه ... إن الله جعل الحق على قلب عمر ولسانه... لو لم أبعث فيكم لبعث عمر ، أيد الله عز وجل عمر بملكين يوفقانه ويسددانه ، فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صواباً) !!

والنتيجة عند هؤلاء:أن عمر بن الخطاب مستكملٌ لجميع صفات النبوة والرسالة وإن لم يبعث فعلاً ، وبعث محمد بن عبداللهﷺ ! وهذا يعطيه مقام الشريك في نبوة نبيناﷺعملياً ، ويجعل أقواله وأفعاله الى جنب أقوال النبيﷺوأفعاله ! ويعطيه مقام الزميل للنبيﷺحتى لو لم يؤاخه، وآخى علي بن أبي طالبعليه السلام!

ويبرر جميع اعتراضات عمر على النبيﷺسواء وافقه فيها الوحي ، أم لا .

كما يعطيه مقام المهندس لنظام الحكم بعد النبيﷺ كما فعل في السقيفة ، بل مهندس مستقبل الأمة كله وأن له الحق في رفض كتابة النبيﷺ عهده !

وقد بلغ من غلوهم في عمر أنهم زعموا أن النبيﷺ كان يخاف أن يعزله الله من النبوة ويبعث عمر ، أو يبعث عمر رسولاً أول ، ويأمر نبيناﷺ أن يطيعه !

ففي الإحتجاج للطبرسي:٢٤٨/٢، أن المأمون بعدما زوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن على الرضاعليه السلام كان في مجلس وعنده أبو جعفرعليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة فقال له يحيى بن أكثم فيما قال: (وقد روي أن النبي(ص)قال: ما احتبس الوحي عني قط ، إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب . فقالعليه السلام: وهذا محال أيضاً لأنه لا يجوز أن يشك النبيﷺ في نبوته ، قال الله تعالى: اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ، فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به ؟!) . انتهى.

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ هل تقبلون قول المناوي: (وخَصَّ عمر مع أن أبا بكر أفضل ، إيذاناً بأن النبوة بالإصطفاء لا بالأسباب) . يقصد أن النبيﷺ خص عمر بأوصاف النبوة والرسالة مع أن أبا بكر أفضل منه ! فهل تجوِّزون أن يصطفي الله تعالى شخصاً نبياً أو رسولاً ، وفي الناس من هو أفضل منه ؟!

٢ ـ ما دام اصطفاء الله تعالى لاقانون له بزعمكم ! فقد يكون عمر أفضل من النبيﷺ ! فيكون أبو بكر أفضل منهما !

وقد يكون كثيرون غير النبيﷺ أفضل منه عندكم أيضاً ، مثل عثمان وطلحة ومعاوية ، وعائشة وحفصة ! فما تقولون ؟!

٣ ـ عندما يدور الأمر بين رأي الفاضل والمفضول ، فإن العقل يحكم بتقديم رأي الفاضل ، فهل تقدمون رأي أبي بكر ، ثم عمر ، ثم النبيﷺ ؟!

٤ ـ كيف تفسرون قوله تعالى:إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبراهيم وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ .(آل عمران:٣٣) فهل تقولون إن قوله(عَلَى الْعَالَمِينَ)اشتباه لأن النبوة اصطفاء لايقوم على التفضيل ؟!

وعندما تقرؤون قوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، آللهُ خَيْرٌ أما يُشْرِكُونَ. (النمل:٥٩) هل تضيفون اليها: وسلامٌ على الذين هم أفضل منهم؟!

٥ ـ هل تصححون حديث: (أيَّدَ الله عمر بملكين يوفقانه ويسددانه ، فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صواباً) ! وهل تعتقدون بمضمونه ؟!

وعندما هاجم عمر بيت علي وفاطمةعليهما السلام والممتنعين فيه عن البيعة وهددهم بإحراق البيت عليهم إن لم يخرجوا ويبايعوا أبا بكر ، وأراد قتل عليعليه السلام إن لم يبايع ! هل كان ذلك بتأييد الملكيْن المسدِّديْن له ؟!

۞ ۞

المسألة: ١٦٢

تعظيمهم لأي خليفة قرشي وتفضيله على الرسول الهاشمي صلى الله عليه وآله !!

يبدو أن أصحاب السقيفة خططوا لأن يسموا أبا بكر(خليفة رسول الله)وقد نجحوا في ذلك ، لكن بعض المتملقين زاد في الأمر فقال لأبي بكر: ياخليفة الله ، فنهاه أبو بكر كما في مسند أحمد:١٠/١و١١: (قيل لأبي بكر يا خليفة الله ، فقال: أنا خليفة رسول الله(ص) ، وأنا راض به ، وأنا راض به ، وأنا راض). انتهى.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف:٥٧٢/٨ ، وقال عنه في الزوائد:١٨٤/٥:(رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، إلا ان ابن أبي مليكة لم يدرك الصديق).

قال السيد ابن طاوس في الطرائف ص٤٠٤: (ومن طرائف أمر جماعة من المسلمين أنهم سموا أبا بكر خليفة رسول الله . ورأيت في بعض كتبهم أنهم خاطبوه أولاً يا خليفة الله ، فاختار هو أن يقال له يا خليفة رسول الله ! وقد ذكر ذلك الحميدي ، فما أعجب حال هؤلاء فإنه قد تقدمت رواياتهم في شرح حال بيعته أنه ما دعاه أحد الى الحضور ، وأنه توصل وحضر ، وبايعه عمر وأبو عبيدة قبل مشورة المسلمين ، فكيف صار خليفة رسولهم ؟ ولو سمى خليفة عمر لكان أقرب الى الصدق ، لأنه هو بايعه على الخلافة في ذلك اليوم .

ثم لو أن المسلمين جعلوه خليفة كان يجب أن يقال خليفة المسلمين !

والعجب أنهم يقولون إن نبيهم مات ولم يخلف أحداً ، ثم مع ذلك تقدموا مكابرة وقالوا أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله! فكيف استحسنوا لأنفسهم هذه المناقضة الظاهرة والأحوال المضطربة).

وتكررت هذه الحالة لعمر ، ففي شرح نهج البلاغة:٩٤/١٢: (قال رجل لعمر يا خليفة الله ، قال: خالف الله بك ، قال: جعلني الله فداك ! قال: إذن يهينك الله).

○ ○

وقد ردَّ عليعليه السلام تسميتهم هذه ، وجَبَهَ رسول أبي بكر بذلك ، كما في الإختصاص للمفيد ص١٨٥: (عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبيه ، عن جده قال: ما أتى على عليعليه السلام يومٌ قطٌّ أعظمُ من يومين أتياه ، فأما أول يوم فاليوم الذي قبض فيه رسول اللهﷺ . وأما اليوم الثاني ، فوالله إني لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر والناس يبايعونه إذ قال له عمر: يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك عليٌّ فابعث إليه حتى يأتيك فيبايعك ، قال: فبعث قنفذاً ، فقال له: أجب خليفة رسول الله ، قال علي: لأسرع ما كذبتم على رسول اللهﷺ ما خلَف رسول الله أحداً غيري ! فرجع قنفذ وأخبر أبا بكر بمقالة علي ، فقال أبو بكر: إنطلق إليه فقل له: يدعوك أبو بكر ويقول: تعال حتى تبايع ، فإنما أنت رجل من المسلمين ، فقال عليعليه السلام: أمرني رسول اللهﷺأن لا أخرج بعده من بيتي حتى أؤلف الكتاب ، فإنه في جرائد النخل وأكتاف الإبل . فأتاه قنفذ وأخبره بمقالة علي ، فقال عمر: قم إلى الرجل ، فقام أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وخالد بن الوليد ، والمغيرة بن شعبة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وقمت معهم ، وظنَّت فاطمة أنه لايدخل بيتها إلا بإذنها ، فأجافت الباب وأغلقته ، فلما انتهوا إلى الباب ضرب عمر الباب برجله فكسره وكان من سعف ، فدخلوا على علي وأخرجوه ملبباً) . انتهى. ونحوه في كتاب سليم ص١٤٧ ، وفيه: (سبحان الله ما أسرع ما كذبتم على رسول الله ، إنه ليعلم ويعلم الذين حوله أن الله ورسوله لم يستخلفا غيري) .

وكذا في الإحتجاج للطبرسي:١٠٨/١، ونحوه في تفسير العياشي:٦٦/٢ ، وفيه: (قال:

فأخرجوه من منزله ملبباً ومروا به على قبر النبي عليه وآله السلام قال: فسمعته يقول: ابْنَ أم إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي.. إلى آخر الآية! وجلس أبو بكر في سقيفة بني ساعدة وقدم عليٌّ فقال له عمر: بايع ، فقال له عليٌّ: فإن أنا لم أفعل فمه؟ فقال له عمر: إذا أضرب والله عنقك ! فقال له علي: إذا والله أكون عبدالله المقتول ، وأخا رسول الله . فقال عمر: أما عبد الله المقتول فنعم ، وأما أخو رسول الله فلا ، حتى قالها ثلاثاً ، فبلغ ذلك العباس بن عبد المطلب فأقبل مسرعاً يهرول ، فسمعته يقول: إرفقوا بابن أخي ولكم عليَّ أن يبايعكم ، فأقبل العباس وأخذ بيد عليٍّ فمسحها على يد أبي بكر ، ثم خلوه مغضباً ، فسمعته يقول ورفع رأسه إلى السماء: اللهم إنك تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله قد قال لي: إن تمُّوا عشرين فجاهدهم ، وهو قولك في كتابك: إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين. قال: وسمعته يقول: اللهم وإنهم لم يتموا عشرين ، حتى قالها ثلاثاً ، ثم انصرف) . انتهى.

فقد تمَّت خلافة أبي بكر بتهديد قريش للناس وإجبارهم على بيعته ، ومع ذلك سموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشهدوا على أنفسهم أنه لم يستخلفه .

○ ○

وعندما أوصى أبو بكر الى عمر سموه (خليفة خليفة رسول الله) فاستطالها عمر فسمى نفسه (أمير المؤمنين) ! قال الطبري في تاريخه:٢٧٧/٣: (لما وليَ عمر قيل: يا خلبفة خليفة رسول الله ، فقال عمر: هذا أمر يطول ، كلما جاء خليفة قالوا: يا خليفة خليفة خليفة رسول الله ، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمي أمير المؤمنين) . انتهى. ورواه ابن عساكر:٢٩٧/٣٠، وابن شبة في تاريخ المدينة: ٦٧٨/٢ ، وفيه: (فقال عمر: إن هذا لكثير ، فإذا متُّ أنا فقام رجل مقامي قلتم: خليفة خليفة رسول الله ، أنتم المؤمنون وأنا أميركم . فهو سمى نفسه) . انتهى.

واستمر إسم أمير المؤمنين للحاكم في زمن عثمان ، ولم يطلقوا عليه إسم خليفة ، ثم حكم عليٌّ عليه السلام فسموه أمير المؤمنين والوصي والخليفة ، لأنهم سمعوا ذلك من النبي ﷺ ورووه .

○ ○

وعندما تغلب معاوية لم يكتف بإسم أمير المؤمنين ، فسمى نفسه خليفة النبي ﷺ ! ثم لم يكتف بذلك فسمى نفسه (خليفة الله) !

ففي مروج الذهب للمسعودي:٥٢/٣: (قال معاوية يوماً ، وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب علي وعنده وجوه الناس: الأرض لله وأنا خليفة الله ، فما أخذت من مال الله فهو لي ، وما تركت منه كان جائزاً لي . فقال صعصعة:

تُمَنِّيكَ نفسُكَ ما لايكو نُ جهلاً معاويَ لا تأثمِ

فقال معاوية: يا صعصعة تعلمت الكلام! قال: العلم بالتعلم ، ومن لايعلم يجهل. قال معاوية: ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرك !

قال: ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذي لايؤخر نفساً إذا جاء أجلها .

قال: ومن يحول بيني وبينك ؟ قال: الذي يحول بين المرء وقلبه .

قال معاوية: اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير .

قال: اتسع بطن من لا يشبع ، ودعا عليه من لا يجمع) !! انتهى.

وبتشجيع معاوية سموا عثمان بعد وفاته خليفة الله ! فقد قال شاعرهم ، ونسبوه الى ليلى الأخيلية ! كما في الطبراني الكبير:٨٦/١ ، ومجمع الزائد:٩٩/٩:

أبعد عثمان ترجو الخير أمته قد كان أفضل من يمشي على ساق
خليفة الله أعطاهم وخولهم ما كان من ذهب حلو وأوراق
فلا تكذِّبَ بوعد الله واتَّقِهِ ولا تكونَنَّ من شئ بإشفاق
ولا تقولنْ لشئ سوف أفعله قد قدر الله ما كل امرئ لاق

وتمادى خلفاء بني أمية من بني مروان في استعمال لقب خليفة الله واستغلاله للدعاية للحاكم الأموي ! قال السيد مرتضى في صحيح السيرة:٢٩/١: (وكان من سياسات الأمويين تفضيل الخليفة الأموي على رسول الله ﷺ، يقول الجاحظ:

١ ـ فأحسب أن تحويل القبلة كان غلطاً ، وهدم البيت كان تأويلاً ، وأحسب ما روي من كل وجه: أنهم كانوا يزعمون: أن خليفة المرء في أهله أرفع عنده من رسوله إليهم . (رسائل الجاحظ:١٦/٢) .

٢ ـ ويقول أيضاً عن بني هاشم: ولم يجعلوا الرسول دون . أي كما فعله الأمويون . (آثار الجاحظ ص٢٠٥) .

٣ ـ قال الجاحظ: خطب الحجاج بالكوفة ، فذكر الذين يزورون قبر رسول الله (ص) بالمدينة ، فقال: تباً لهم ، إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية ! هلاَّ طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟! ألايعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله؟ يقول المبرد: إن ذلك مما كفرت به الفقهاء الحجاج . وأنه إنما قال ذلك والناس يطوفون بالقبر . وهذه القضية معروفة ومشهورة .

(راجع: النصائح الكافية ص ٨١عن الجاحظ ، والكامل في الأدب:٢٢٢/١ ط النهضة بمصر ، وشرح النهج للمعتزلي:٢٤٢/١٥ والبداية والنهاية:١٣١/٩ وسنن أبي داود:٢٠٩/٤ والعقد الفريد: ٥١/٥ والاشتقاق ص ١٨٨ ووفيات الاعيان:٧/٢ والالمام:٤/ ٣١٣ / ٣١٤ وفيه أن ذلك هو سبب خروجهم مع ابن الأشعث ، وراجع تهذيب تاريخ دمشق:٤/ ٧٢ وبهج الصباغة:٢٩١/٥ و ٣١٩ و ٣٣٨ عن العقد الفريد ، وعن كتاب افتراق بني هاشم ، وعبد شمس للجاحظ) .

٤ ـ وكتب الحجاج إلى عبد الملك: إن خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله إليهم ، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين.

(العقد الفريد:٣٥٤/٢ و:٥١/٥ وراجع ص٥٢ وراجع: البداية والنهاية:١٣١/١٩ وتهذيب تاريخ دمشق:٧٢/٤ وبهج الصباغة:٣١٧/٥).

٥ ـ قال خالد بن عبد الله القسري ، وذكر النبيﷺ: أيما أكرم رسول الرجل في حاجته أو خليفته في أهله! يعرض أن هشاماً خيرمن النبيﷺ.(الأغاني:١٩/ ٦٠).

٦ ـ ويقول خالد القسري أيضاً: والله لأمير المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه ! (الأغاني:١٩/ ٦٠ ، وراجع: تهذيب تاريخ دمشق:٥/ ٨٢).

٧ ـ وزعم خالد القسري أيضاً: أن عبد الله بن صيفي سأل هشاماً ، فقال: يا أمير المؤمنين أخليفتك في أهلك أحب إليك وآثر عندك ، أم رسولك ؟!

قال هشام: بل خليفتي في أهلي . قال: فأنت خليفة الله في أرضه وخلقه ، ومحمد رسول الله (مرٌّ) إليهم ؟ فأنت أكرم على الله منه .

فلم ينكر هذه المقالة من عبد الله بن صيفي ، وهي تضارع الكفر . إنتهى كلام خالد . (الأخبار الطوال ص ٣٤٦).

٨ ـ وقد ادعى الحجاج أن خبر السماء لم ينقطع عن الخليفة الأموي. (تهذيب تاريخ دمشق:٤/ ٧٢).(٤) وكان الحجاج يرى: أن عبد الملك بن مروان معصوم ! (العقد الفريد:٥/ ٢٥) . بل كان يرى نفسه: أنه لا يعمل إلا بوحي من السماء ، وذلك حينما أخبروه أن أم أيمن تبكي لانقطاع الوحي بموت رسول اللهﷺ! (تهذيب تاريخ دمشق:٤/ ٧٣ ، وراجع: الإمام الصادق والمذاهب الاربعة:١/ ١١٥) .

ولا عجب بعد هذا إذا عرفنا أن البعض يقول: إن من خالف الحجاج فقد خالف الإسلام ! (لسان الميزان:٦/ ٨٩). والذي يلفت نظرنا هنا: أننا نجد الوهابيين ينفذون السياسات الأموية هذه بأمانة ودقة ، حتى إن زعيمهم محمد بن عبد الوهاب يقول عن النبيﷺ: إنه طارش ! وبعض أتباعه يقول بحضرته أو يبلغه فيرضى: عصاي هذه خيرٌ من محمد ، لأنه ينتفع بها في قتل الحية والعقرب ونحوها ، ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع ، وإنما هو طارش) !! .(كشف الارتياب ص ١٣٩ عن خلاصة الكلام ص ٢٣٠ ، والطارش هو: الرسول في الحاجة) ! . انتهى.

وقال في شرح نهج البلاغة:٢٤٢/١٥: (فأما الكعبة فإن الحجاج في أيام عبد الملك هدمها ، وكان الوليد بن يزيد يصلي إذا صلى أوقات إفاقته من السكر إلى غير القبلة ! فقيل له ، فقرأ: (فأينما تولوا فثم وجه الله)... قال: وكانت بنو أمية تختم في أعناق المسلمين كما تُوسَمُ الخيل علامة لاستعبادهم . وبايع مسلم بن عقبة أهل المدينة كافة ، وفيها بقايا الصحابة وأولادها وصلحاء التابعين ، على أن كلاً منهم عبدٌ قِنٌّ لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، إلا عليَّ بن الحسين فإنه بايعه على أنه أخوه وابن عمه .

قال: ونقشوا أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم ، كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة . وكانت خطباء بني أمية تأكل وتشرب على المنبر يوم الجمعة لإطالتهم في الخطبة ، وكان المسلمون تحت منبر الخطبة يأكلون ويشربون)!!

۞ ۞

وعلى هذا النهج سار خلفاء بني العباس ! قال السيد المرتضى في الأمالي:٩٨/١: (وأخبرنا المرزباني ، عن محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا محمد بن الحسن اليشكري قال: قيل لأبي حاتم: من أشعر الناس ؟ قال: الذي يقول:

ولها مبسم كغرٍّ الأقاحي   وحديث كالوشي وشي البرود

نزلت في السواد من حبة القلـ   ـب ونالت زيادة المستزيد

عندها الصبر عن لقاي وعندي   زفراتٌ يأكلنَ صبر الجليد

يعني بشاراً . قال: كان يقدمه على جميع الناس ، ولما قال بشار:

بني أمية هُبُّوا طال نومكمُ   إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا   خليفة الله بين الناي والعود

فبلغ المهدى ذلك فوجد عليه ، وكان سبب قتله !) . انتهى.

۞ ۞

ولكن النص التالي يدلنا على أن الحس الإجتماعي للأمة تقبَّل لقب خليفة النبي ﷺولم يتقبل لقب (خليفة الله) .

ففي تاريخ بغداد:٣٠١/٢:(قال أبو معاوية: دخلت على هارون يعني أمير المؤمنين فقال لي: يا أبا معاوية هممت أنه من ثبت خلافه علي فعلت به وفعلت به ، فسكتُّ ، فقال لي: تكلم تكلم ! قال قلت: إن أذنت لي تكلمت . قال: تكلم .

فقلت: يا أمير المؤمنين ، قالت تيمٌ: منا خليفة رسول الله(ص) ، وقالت عديٌّ: منا خليفة خليفة رسول الله(ص) ، وقالت بنو أمية: منا خليفة الخلفاء ، فأين حظكم يابني هاشم من الخلافة ، والله ما حظكم فيها إلا ابن أبي طالب ! فقال: والله يا أبا معاوية ، لايبلغني أن أحداً لم يثبت خلافة علي ، إلا فعلت به كذا وكذا)!! انتهى.

۞ ۞

وجاء دور الفقهاء الباحثين أو المبررين ! قال الشربيني في مغني المحتاج:١٣٢/٤: (تجب طاعة الإمام وإن كان جائراً فيما يجوز من أمره ونهيه ، لخبر: إسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي مجدَّع الأطراف ، ولأن المقصود من نصبه اتحاد الكلمة ، ولا يحصل ذلك إلا بوجوب الطاعة.....ويجوز تسمية الامام: خليفة ، وخليفة رسول الله ، وأمير المؤمنين . قال البغوي: وإن كان فاسقاً. وأول من سمي به عمر بن الخطاب ، ولا يجوز تسميته بخليفة الله تعالى ، لأنه إنما يستخلف من يغيب ويموت ، والله تعالى منزه عن ذلك).انتهى .

ودليل البغوي ضعيف ، لأن الله تعالى قال: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائكَة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، مع أنه تعالى حيٌّ لايموت، والدليل الصحيح: أن خليفة الله وخليفة الرسول منصب يحتاج الى نص من الله أو رسوله ، وإلا كان ادعاءً وافتراءً .

وقال النووي في الأذكار ص٣٦٠: (ينبغي أن لايقال للقائم بأمر المسلمين خليفة الله ، بل يقال الخليفة ، وخليفة رسول الله(ص) ، وأمير المؤمنين . روينا في شرح السنة للإمام أبي محمد البغوي قال: لا بأس أن يسمى القائم بأمر المسلمين أمير المؤمنين ، والخليفة ، وإن كان مخالفاً لسيرة أئمة العدل ، لقيامه بأمر المؤمنين وسمع المؤمنين له . قال: ويسمى خليفة ، لأنه خلف الماضي قبله وقام مقامه . قال: ولا يسمى أحد خليفة الله تعالى بعد آدم وداود عليهما الصلاة والسلام . قال الله تعالى: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً ، وقال تعالى: يَا دَاوُدُ أنا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرض . وعن ابن أبي مليكة أن رجلاً قال لأبي بكر الصديق: يا خليفة الله ، فقال: أنا خليفة محمد (ص)وأنا راض بذلك . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: ياخليفة الله فقال: ويلك لقد تناولت تناولاً بعيداً إن أمي سمتني عمر ، فلو دعوتني بهذا الإسم قبلت ، ثم كبرت فكنيت أبا حفص ، فلو دعوتني به قبلت ، ثم وليتموني أموركم فسميتوني أمير المؤمنين، فلو دعوتني بذاك كفاك .

وذكر الإمام أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي البصري الفقيه الشافعي في كتابه الأحكام السلطانية أن الإمام سمي خليفة ، لأنه خلف رسول الله (ص)في أمته ، قال: فيجوز أن يقال الخليفة على الإطلاق ، ويجوز خليفة رسول الله . قال: واختلفوا في جواز قولنا خليفة الله ، فجوزه بعضهم لقيامه بحقوقه في خلقه ، ولقوله تعالى: هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ، وامتنع جمهور العلماء من ذلك ، ونسبوا قائله إلى الفجور ، هذا كلام الماوردي . قلت: وأول من سمي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لاخلاف في ذلك بين أهل العلم). انتهى.

وقال الإمام الزيدي يحيى بن الحسين، في الأحكام:٥٠٥/٢: (من حكم بحكم الله وعدل في العباد وأصلح البلاد ، من أهل بيت النبي المصطفى ، فهو خليفة الله العلي الأعلى ، إذا كانت فيه شروط الإمامة وعلاماتها وحدودها وصفاتها ، وفي

ذلك ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: (من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله). انتهى.

○ ○

أما نحن الإمامية فنحصر لقب خليفة الله تعالى، وخليفة النبيﷺ، في من ثبت لهم النص بذلك وهم آدم وداودعليهما السلام ونبينا وعترتهﷺالأئمة الإثنا عشرعليهم السلام.

ونقول إن المقصود بقوله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً، (سورة البقرة:٣٠)، شخص آدمعليه السلاموليس نوع الإنسان، والمقصود بقوله تعالى لقوم عاد: وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً، (الأعراف:٦٩)، المعنى اللغوي، أي جعلكم جيلاً بعدهم وارثاً لهم، وليس مقام الخلافة الإلهية، وكذلك قوله لقوم هود: وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرضِ، بدليل ذمه تعالى لقوم عاد وهود وإهلاكهم.

أما قوله تعالى:أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرض الَهٌ مَعَ الله قليلاً مَا تَذَكَّرُونَ، (النمل:٦٢) فهو وعدٌ إلهي باستخلاف الأمة الإسلامية، بجعل الإمام المهديعليه السلامخليفته في الأرض، ليملأها قسطاً وعدلاً.

○ ○

وكذلك نحصر لقب أمير المؤمنين بعليعليه السلام، لنص رسول اللهﷺ. ففي عيون أخبار الرضاعليه السلام:١٦/١: (عن الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالبعليه السلامقال قال رسول اللهﷺ: لكل أمة صديق وفاروق، وصديق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب، وإنه سفينة نجاتها وباب حطتها، وإنه يوشعها وشمعونها وذو قرنيها. معاشر الناس: إن علياً خليفة الله، وخليفتي عليكم بعدي، وإنه لأمير

المؤمنين وخير الوصيين ، من نازعه فقد نازعني ، ومن ظلمه فقد ظلمني ، ومن غالبه فقد غالبني ، ومن بره فقد برني ، ومن جفاه فقد جفاني ، ومن عاداه فقد عاداني ، ومن والاه فقد والاني ، وذلك أنه أخي ووزيري ، ومخلوق من طينتي ، وكنت أنا وهو نوراً واحداً) .

وفي الكافي:١٩٣/١، عن الإمام الرضاعليه السلام قال: (الأئمة خلفاء الله عز وجل في أرضه). وعن الإمام الصادقعليه السلام، في قوله تعالى:وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، قال: هم الأئمة).

وفي خصائص الأئمة للشريف الرضي ص١٠٥: (عن أبي صالح ، عن كميل بن زياد النخعي قال: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأخرجني إلى الجبان ، فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال: يا كميل بن زياد ، إن هذه القلوب أوعيةٌ فخيرها أوعاها ، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة ، فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق . . . الى أن قال:

اللهم بلى ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، أما ظاهراً مشهوراً ، أو خافياً مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، وكم ذا وأين أولئك ، أولئك والله الأقلون عدداً ، والأعظمون قدراً ، بهم يحفظ الله حججه وبيناته ، حتى يودعوها نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، وباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقةٌ بالمحل الأعلى ، أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه . آه آه شوقا إلى رؤيتهم ! إنصرف إذا شئت) . انتهى.

٭ ٭

الأسئلة

١ ـ ماجوابكم على قول السيد ابن طاوس: (والعجب أنهم يقولون إن نبيهم مات ولم يخلف أحداً ، ثم مع ذلك تقدموا مكابرة وقالوا أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ ، فكيف استحسنوا لأنفسهم هذه المناقضة الظاهرة)؟!

٢ ـ ما رأيكم في قول علي عليه السلام: (قال علي: لأسرع ما كذبتم على رسول الله ﷺ ما خلَف رسول الله أحداً غيري) ؟! وهل يقصد فيه استخلافة له يوم غدير خم إذ رفع بيده وأوصى المسلمين قائلاً: (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا: بلى ، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه) ؟

٣ ـ كيف تحكمون ببطلان بيع السلعة العقار بالإجبار والإكراه ، وتصححون بيعة المسلمين بالإكراه ؟ وما دامت كانت البيعة بالإكراه باطلة فماحكم تهديد عمر لعلي وفاطمة عليهما السلام بإحراق بيتهما إن لم يبايعا ؟!

٤ ـ ما رأيكم في قول معاوية: (الأرض لله وأنا خليفة الله ، فما أخذت من مال الله فهو لي ، وما تركت منه كان جائزاً لي) ؟!

٥ ـ ما قولكم فيما نسب الى إمامكم الشيخ محمد عبد الوهاب: (عصاي هذه خير من محمد) ! وإن ناقشتم في صحة نسبة ذلك اليه ، فهل تقولون إن رسول الله ﷺ ينفع الآن أم لا ؟ فإن قلتم نعم فلماذا تحرمون التوسل به ، وتحكمون بكفر من قال (يا رسول الله إشفع لي الى الله) ؟!

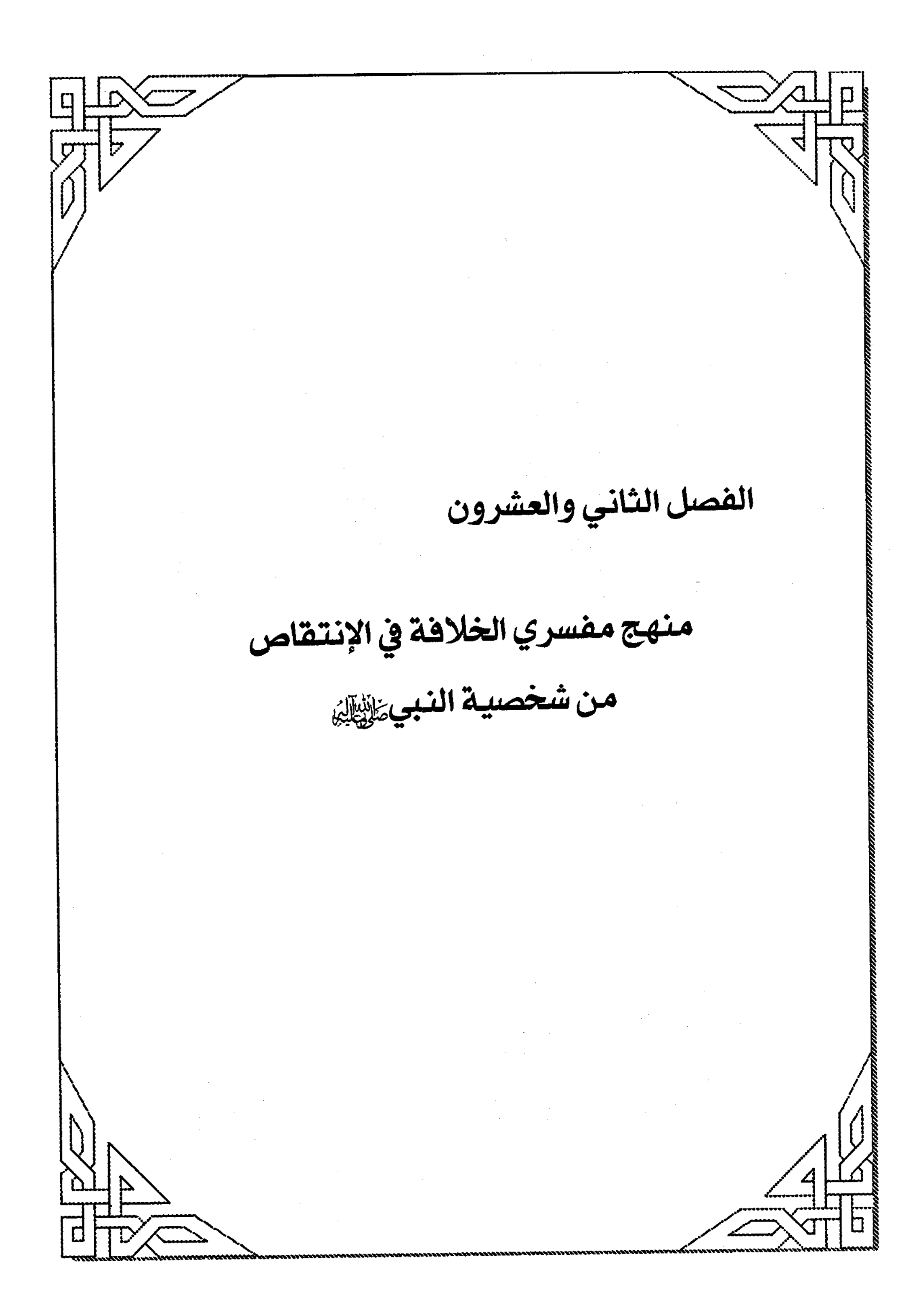
وإن قلتم لاينفع ، فقد قبلتم القول بأن عصا أحدكم أنفع من رسول الله ﷺ !!

٦ ـ ما رأيكم في فتوى الشربيني: (يجوز تسمية الامام: خليفة ، وخليفة رسول الله ، وأمير المؤمنين . قال البغوي: وإن كان فاسقاً ! وأول من سمي به عمر بن الخطاب)؟! وما هو الدليل على جواز ذلك بسند صحيح عندكم ؟

٧ ـ ماهو دليكم على تسميتكم الفساق الفجار الطغاة (خلفاء الله في أرضه) وتسميتكم الفاسق الفاجر (خليفة رسول الله) ﷺ؟!

وما جوابكم لله تعالى ولرسوله ﷺ إذا سألاكم : من أين ثبت لكم أنا استخلفنا هؤلاء ؟!

○ ○



الفصل الثاني والعشرون

منهج مفسري الخلافة في الإنتقاص من شخصية النبي صلى الله عليه وآله

نماذج من منهجهم التفسيري في التنقيص من شخصية النبي صلى الله عليه وآله !

يكفيك أن تقرأ ما كتب رواتهم ومفسروهم وفقهاؤهم في الآيات التي تتعلق بشخصية النبي صلى الله عليه وآله، أمثال قوله تعالى: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. (سورة التوبة:٤٣) .

وقوله تعالى: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وإذا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ، وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شيئاً قَلِيلاً. (الاسراء:٧٣ ـ ٧٤) ، وقوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً . (سورة الفتح:٢)

وقوله تعالى: وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى. الضحى:٧ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) . (الشرح:٢)

وقوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً. (الفتح:٢).

وقوله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمر شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْيُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ.(آل عمران:١٢٨)

وقوله تعالى: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . (الزمر:٦٥)

وقوله تعالى: وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شيئاً قَلِيلاً) .(الاسراء:٧٤)

وقوله تعالى: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمر اللهِ مَفْعُولاً. (سورة الأحزاب:٣٧)

وقوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى .وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى . (عبس:٣)

وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُول وَلا نَبِيٍّ إلا إذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِه فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاته وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . (الحج:٥٢)

وقوله تعالى: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. (التوبة:٤٣)

وقوله تعالى: يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . (التحريم:١)

وقوله تعالى: مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أسرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرض تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . (الأنفال:٦٧)

○ ○

ولو أردنا أن نستعرض رواياتهم وكلماتهم في ذلك لطال الكلام ، فنكتفي منها بنماذج تثبت أن التنقيص من شخصية النبي صلى الله عليه وآله عندهم منهجٌ ، وليس فلتةً من راوٍ أو مفسر ، ولا حالةً نادرةً لا يقاس عليها !

وقد تتحير في سبب تبنيهم لهذا المنهج الخاطئ الظالم لرسول الله صلى الله عليه وآله وأنبياء الله عموماً عليهم السلام.. لكنك تجده في مديحهم المطلق وغلوهم في أبي بكر وعمر، وابنتيهما عائشة وحفصة (وبعضهم يضيف اليهم عثمان ومعاوية، وبعضهم يضيف بقية الحكام) فقد عصموهم عملياً فلا يعترفون لهم بارتكاب أي خطأ ! بل يحكمون بضلال من لم يتولَّهُم ويعتقد بإمامتهم ، ويكفِّرون من ينتقدهم ويعدد أخطاءهم ، ويثبت معصيتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله !

فغلوهم في أئمتهم أحوجهم الى تبرير أخطائهم بإثبات أخطاء للنبي صلى الله عليه وآله!!

○ ○

المسألة:١٦٣

تفسيرهم قوله تعالى: عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ واتهامهم النبي صلى الله عليه وآله باتباع الظن، لتبرير عمل خلفائهم بظنونهم!

قال الله تعالى عن موقف المنافين في غزوة تبوك:

(يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إذا قيلَ لَكُمُ انْفرُوا في سَبيل الله اثَّاقَلْتُمْ إلَى الأرض أَرَضيتُمْ بالْحَيَاة الدُّنْيَا منَ الآخرَة فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاة الدُّنْيَا في الآخرَة إلا قَليلٌ.

إلا تَنْفرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَليمًا وَيَسْتَبْدلْ قوماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شيئاً وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ. إلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصرَهُ اللهُ إذْ أَخْرَجَهُ الَّذينَ كَفرُوا ثَانيَ اثْنَيْن إذْ هُمَا في الْغَار إذْ يَقُولُ لصَاحبه لاتَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكينَتَهُ عَلَيْه وَأَيَّدَهُ بجُنُود لَمْ تَروْهَا وَجَعَلَ كَلمَةَ الَّذينَ كَفرُوا السُّفْلَى وكَلمَةُ الله هيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزيزٌ حَكيمٌ.

انْفرُوا خفَافًا وَثقَالاً وَجَاهدُوا بأَمْوَالكُمْ وَأَنْفُسكُمْ في سَبيل الله ذَلكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. لَوكَانَ عَرَضًا قريباً وَسَفرًا قَاصدًا لاتَّبَعُوكَ وَلَكنْ بَعُدَتْ عَلَيْهمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلفُونَ بالله لَو اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلكُونَ أنفسهم وَاللهُ يَعْلَمُ إنَّهُمْ لَكَاذبُونَ.

عَفَا اللهُ عَنْكَ لمَ أَذنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذبينَ.

لايَسْتَئْذنُكَ الَّذينَ يُؤْمنُونَ بالله وَالْيَوْم الآخر أَنْ يُجَاهدُوا بأَمْوَالهمْ وَأَنْفُسهمْ وَاللهُ عَليمٌ بالْمُتَّقينَ. إنما يَسْتَئْذنُكَ الَّذينَ لايُؤْمنُونَ بالله وَالْيَوْم الآخر وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ في رَيْبهمْ يَتَرَدَّدُونَ. وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لاعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكنْ كَرهَ اللهُ انْبعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعدينَ. لَوْ خَرَجُوا فيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إلا خَبَالاً وَلاوْضَعُوا خلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفتْنَةَ وَفيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَليمٌ بالظَّالمينَ. لَقَد ابْتَغَوُا الْفتْنَةَ منْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأمور حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أمر الله وَهُمْ كَارهُونَ. وَمنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتنِّي أَلا في الْفتْنَة سَقَطُوا وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحيطَةٌ بالْكَافرينَ. إنْ تُصبْكَ حَسَنَةٌ

تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أمرنا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ .
قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .
قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إلا إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا أنا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ . (سورة التوبة: ٣٨ـ٥٢)

هذه الآيات من سورة التوبة نزلت في غزوة تبوك حيث جمع الروم جيشاً هناك لحرب النبي ﷺ فاستنفر المسلمين وقصدهم بنفسه ، واستأذنه بعض المؤمنين وعدد من المنافقين أن يتخلفوا عنه مدعين أعذاراً ، فقبل منهم وأذن لهم . وفي تفسير القمي:٢٩٣/١: (والمستأذنون ثمانون رجلاً من قبائل شتى) .

وفي طريق عودة النبي ﷺ من تبوك نزلت سورة التوبة التي سميت الفاضحة للمنافقين عموماً ، ومنها هذه الآيات في فضح موقفهم من غزوة تبوك .

وقد تمسك مفسروهم بقوله تعالى: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. وقالوا إن إذن النبي ﷺ للمنافقين معصية منه لربه وقد خففها بعضهم فجعلها ذنباً صغيراً !

وأطلقوا العنان لخيالهم في ذنوب النبي ﷺ وأخطائه التي عاتبه الله عليها ، فعفا عن بعضها ، وعاقبه على بعضها كأسرى قريش في بدر !

قال السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول ص١٠٤: (قوله تعالى: عفا الله عنك..الآية. أخرج ابن جرير عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: إثنتان فعلهما رسول الله(ص)لم يؤمر فيهما بشئ: إذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الأسارى ، فأنزل الله: عفا الله عنك لم أذنت) ! . انتهى.

واقتصر السيوطي على هذه الرواية وارتضاها ، باعتبارها لبَّ ما رويَ في سبب نزول الآية ، كما أوردها عامة من فسر الآية وتبناها ، أو ناقش فيها .

(راجع تفسير الطبري:١٨٤/١٠ ، والدر المنثور للسيوطي:٢٤٧/٣ ، وفتح القدير للشوكاني:٣٦٧/٢ ،

وعون المعبود:٣٢٥/٧، وتفسير زاد المسير لابن الجوزي:٣٠٢/٣ وفيه (وقال سفيان بن عيينة انظر إلى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل أن يعيره بالذنب).

وقال الجصاص في أحكام القرآن:١٥٢/٣: (وهذا يدل على أن الإستيذان في التخلف كان محظوراً عليهم، ويدل على صحة تأويل قوله: عفا الله عنك على أنه عفو عن ذنب وإن كان صغيراً).

وقال ابن أبي شيبة في المصنف:٢٢٣/٨: (حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن عون قال كان يقال: من أحسن الله صورته أخبره بالعفو قبل الذنب: عفا الله عنك لم أذنت لهم) . انتهى.

وقد حاول بعضهم أن يدافع عن النبي صلى الله عليه وآله وينفي ارتكابه لمعصية ربه كالفخر الرازي، لكن الزمخشري زاد على الجميع فنسب اليه الجناية ! وحاشاه صلى الله عليه وآله.

قال في الكشاف:١٩٢/٢: (عفا الله عنك .كناية عن الجناية لأن العفو مرادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت ! و(لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو، ومعناه: مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم، وهلا استأنيت بالإذن (حتى يتبين لك) من صدق في عذره ممن كذب فيه ! وقيل: شيئان فعلهما رسول الله(ص)ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه من الأسارى، فعاتبه الله تعالى . . . فكان عليه أن يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها، فمن ثم أتاه العتاب)!! انتهى.

○ ○

وقد أجاب أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلماء مذهبهم على ذلك بالأجوبة التالية:

الجواب الأول للإمام الرضا عليه السلام

في عيون أخبار الرضا عليه السلام:١٧٤/٢: (باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون

في عصمة الأنبياءعليهم السلام ، وهو حديث طويل جاء فيه: (فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن ، فأخبرني قول الله عز وجل: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قال الرضاعليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مأة وستين صنماً ، فلما جاءهمصلى الله عليه وآله بالدعوة الى كلمة الإخلاص كبُرَ ذلك عليهم وعَظُم ، وقالوا: أَجَعَلَ الآلهَةَ إلهاً واحداً أن هَذَا لَشَئٌ عُجَابٌ. وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أن امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ أن هَذَا لَشَئٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّة الآخرة أن هَذَا إلا اخْتلاقٌ . فلما فتح الله عز وجل على نبيهصلى الله عليه وآله مكة قال له يا محمد: إنا فَتَحْنَا لَكَ «مكة» فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ، عند مشركي أهل مكة بدعائك الى توحيد الله فيما تقدم. وَمَا تَأَخَّرَ ، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه ، فصار ذنبه عندهم ذلك مغفوراً بظهوره عليهم .

فقال المأمون: لله درك أبا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عز وجل: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ؟

قال الرضاعليه السلام:هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة ، خاطب الله عز وجل بذلك نبيه وأراد به أمته . وكذلك قوله تعالى: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وقوله عز وجل: وَلَوْلاأن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شيئاً قليلاً).

وصدق الإمام الرضاعليه السلام ، فالمتأمل في الآية وسياقها لايجد ذنباً أو خطأً للنبي صلى الله عليه وآله ليكون فيه عتبٌ عليه ، لأن مصبَّ الحديث عن نفاق المنافقين وتخلفهم وكذبهم . وقوله تعالى لرسولهصلى الله عليه وآله:عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ، هو في الواقع خطابٌ لهم بأن الله كاشفهم ، وتوجيهٌ للمسلمين لأن يكشفوهم ولا يغترُّوا بهم ،

وفيهم سماعون لهم ! ولذا قال عليه السلام أنه من باب: إياك أعني واسمعي ياجارة:

الجواب الثاني لعدد من علمائنا

قال الشريف المرتضى رحمه الله في تنزيه الأنبياء ص١٦٠: (أما قوله تعالى:عفا الله عنك ، فليس يقتضي وقوع معصية ولا غفران عقاب ، ولا يمتنع أن يكون المقصود به التعظيم والملاطفة في المخاطبة ، لأن أحدنا قد يقول لغيره إذا خاطبه: أرأيت رحمك الله وغفر الله لك ، وهو لا يقصد الى الاستصفاح له عن عقاب ذنوبه ، بل ربما لم يخطر بباله أن له ذنباً ، وإنما الغرض الإجمالي في المخاطبة واستعمال ما قد صار في العادة علماً على تعظيم المخاطب وتوقيره .

وأما قوله تعالى: لمَ أذنت لهم ، فظاهره الإستفهام والمراد به التقريع واستخراج ذكر علة إذنه ، وليس بواجب حمل ذلك على العتاب ، لأن أحدنا قد يقول لغيره لم فعلت كذا وكذا ، تارةً معاتباً ، وأخرى مستفهماً ، وتارة مقرراً ، فليس هذه اللفظة خاصة للعتاب والإنكار . وأكثر ما تقتضيه وغاية ما يمكن أن يدعى فيها أن تكون دالة على أنه صلى الله عليه وآله ترك الأولى والأفضل ، وقد بينا أن ترك الأولى ليس بذنب ، وإن كان الثواب ينقص معه ، فإن الأنبياء عليهم السلام يجوز أن يتركوا كثيراً من النوافل). انتهى.

وقال الطوسي في تفسير التبيان:٢٢٦/٥: (وقال أبو على الجبائي: في الآية دلالة على أن النبي صلى الله عليه وآله كان وقع منه ذنب في هذا الإذن ، قال: لأنه لا يجوز أن يقال لم فعلت ما جعلت لك فعله؟ كما لا يجوز أن يقول لم فعلت ما أمرتك بفعله . وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لأن قوله عفا الله عنك إنما هي كلمة عتاب له صلى الله عليه وآله لمَ فعل ما كان الأولى به أن لايفعله ، لأنه وان كان له فعله من حيث لم يكن محظوراً فإن الأولى أن لايفعله ، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يعاتب أخاً

له: لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه؟ وإن كان له معاتبته وكلامه بما يثقل عليه . وكيف يكون ذلك معصية وقد قال الله في موضع آخر: فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وإنما أراد الله أنه كان ينبغي أن ينتظر تأكيد الوحي فيه . ومن قال هذا ناسخ لذلك فعليه الدلالة) . انتهى.

وقال الطبرسي في مجمع البيان:٦٠/٥: (وهل كان هذا الإذن قبيحاً أم لا ؟ قال الجبائي: كان قبيحاً ، ووقع صغيراً ، لأنه لا يقال في المباح لم فعلته ، وهذا غير صحيح...الخ.).

وقال المجلسي في البحار:٤٦/١٧: (أقول: يجوز أن يكون إذنه صلى الله عليه وآله لهم حسناً موافقا لأمره تعالى ، ويكون العتاب متوجهاً إلى المستأذنين الذين علم الله من قبلهم النفاق ، أو إلى جماعة حملوا النبي صلى الله عليه وآله على ذلك كما مر مراراً ، ومن هذا القبيل قوله تعالى :يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ... (المائدة:١١٦) ولا تنافي بين كون استيذانهم حراماً وإذنه صلى الله عليه وآله بحسب ما يظهرونه من الأعذار ظاهراً واجباً أو مباحاً).

وقال الطباطبائي في تفسير الميزان:٢٨٥/٩:(والآية كما ترى وتقدمت الإشاره إليه في مقام دعوى ظهور كذبهم ونفاقهم وأنهم مفتضحون بأدنى امتحان يمتحنون به . ومن مناسبات هذا المقام إلقاء العتاب إلى المخاطب وتوبيخه والإنكار عليه كأنه هو الذي ستر عليهم فضائح أعمالهم وسوء سريرتهم ، وهو نوع من العناية الكلامية يتبين به ظهور الأمر ووضوحه ، لا يراد أزيد من ذلك فهو من أقسام البيان على طريق: إياك اعني و اسمعي يا جارة . فالمراد بالكلام إظهار هذه الدعوى لا الكشف عن تقصير النبي صلى الله عليه وآله وسوء تدبيره في إحياء أمر الله ، وارتكابه بذلك ذنباً حاشاه ، وأولوية عدم الإذن لهم معناها كون عدم الإذن أنسب لظهور فضيحتهم، وأنهم أحق بذلك لما بهم من سوء السريرة وفساد النية ،

لا لأنه كان أولى وأحرى في نفسه ، وأقرب وأمس بمصلحة الدين .

والدليل على هذا الذي ذكرنا قوله تعالى بعد ثلاث آيات: لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ . إلى آخر الايتين ، فقد كان الأصلح أن يؤذن لهم في التخلف ليصان الجمع من الخبال وفساد الرأي وتفرق الكلمة ، والمتعين أن يقعدوا فلا يفتنوا المؤمنين بإلقاء الخلاف بينهم والتفتين فيهم وفيهم ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب ، وهم سماعون لهم ، يسرعون إلى المطاوعة لهم ، ولو لم يؤذن لهم فأظهروا الخلاف كانت الفتنه أشد ، والتفرق في كلمه الجماعة أوضح وأبين . ويؤكد ذلك قوله تعالى بعد آيتين:وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ، فقد كان تخلفهم ونفاقهم ظاهراً لائحاً من عدم إعدادهم العده ، يتوسمه في وجوههم كل ذي لب ، ولا يخفى مثل ذلك على مثل النبي صلى الله عليه وآله وقد نبأه الله بأخبارهم قبل نزول هذه السورة كراراً ، فكيف يصح أن يعاتب هاهنا عتاباً جدياً بأنه لمَ لمْ يكف عن الإذن ولم يستعلم حالهم حتى يتبين له نفاقهم ويميز المنافقين من المؤمنين. فليس المراد بالعتاب إلا ما ذكرناه .

ومما تقدم يظهر فساد قول من قال إن الآية تدل على صدور الذنب عنه صلى الله عليه وآله لأن العفو لا يتحقق من غير ذنب ، وإن الإذن كان قبيحاً منه صلى الله عليه وآله ومن صغائر الذنوب ، لأنه لا يقال في المباح لم فعلته. انتهى.وهذا من لعبهم بكلام الله سبحانه ولو اعترض معترض على ما يهجون به في مثل المقام الذي سيقت الآية فيه لم يرضوا بذلك . وقد أوضحنا أن الآية مسوقه لغرض غير غرض الجد في العتاب .

على أن قولهم إن المباح لايقال فيه لمَ فعلت ، فاسدٌ ، فإن من الجائز إذا شوهد من رجح غير الأولى على الأولى أن يقال له لم فعلت ذلك ورجحته على ما هو

أولى منه ؟ على أنك قد عرفت أن الآية غير مسوقه لعتاب جدي .

ونظيره ما ذكره بعض آخر حيث قال: إن بعض المفسرين ولا سيما الزمخشري قد أساؤوا الأدب في التعبير عن عفو الله تعالى عن رسولهﷺفي هذه الآية وكان يجب أن يتعلموا أعلى الأدب معهﷺإذ أخبره ربه ومؤدبه بالعفو قبل الذنب ، وهو منتهى التكريم واللطف . وبالغ آخرون كالرازي في الطرف الآخر فأرادوا أن يثبتوا أن العفو لا يدل على الذنب ، وغايته أن الإذن الذي عاتبه الله عليه هو خلاف الأولى . وهو جمود مع الإصطلاحات المحدثة والعرف الخاص في معنى الذنب وهو المعصية ، وما كان ينبغي لهم أن يهربوا من إثبات ما أثبته الله في كتابه تمسكاً باصطلاحاتهم وعرفهم المخالف له ولمدلول اللغه أيضاً ، فالذنب في اللغة كل عمل يستتبع ضرراً أو فوت منفعة أو مصلحة مأخوذ من ذنب الدابة وليس مرادفاً للمعصية بل أعم منها.... فقد كان النبي ص يتوسم منهم النفاق والخلاف ويعلم بما في نفوسهم ، ومع ذلك فعتابهﷺبأنه لمَ لم يكفَّ عن الإذن ولم يستعلم حالهم ولم يميزهم من غيرهم ، ليس إلا عتاباً غير جدي للغرض الذي ذكرناه..... وقد كانوا تظاهروا بمثل ذلك يوم أحد وقد هجم عليهم العدو في عقر دارهم فرجع ثلث الجيش الاسلامي من المعركة ولم يؤثر فيهم عظة ولا إلحاح حتى قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، فكان ذلك أحد الأسباب العاملة في انهزام المسلمين). انتهى.

الجواب الثالث

أن العتاب المشاهد في الآية طريقي ولا موضوعية له ، لأنه جزء من السياق الذي هو تصعيد كشف المنافقين والدعوة الى كشفهم . فلا ذنب للنبيﷺ كما زعموا ، ولا عتب ، ولا ناسخ ولا منسوخ ! وأين الذنب النبوي في قوله تعالى في

خطاب كريم جميل: عفا الله عنك أيها النبي الرحيم حيث أذنتَ لهم بكرم أخلاقك ، فتخلفوا عنك ، ولو أنك لم تأذن لهم لرأيت عصيانهم ونفاقهم !

فصيغة: عَفَا اللهُ عَنْكَ..ليس مصبُّها فعل النبي صلى الله عليه وآله ، بل معناها أن ذات هؤلاء خبيثة ، ولو لم تأذن لهم لكشفتها ، فمن الآن فاكشفها وحذِّر المسلمين منهم ! ولذلك يصح استعمالها حتى لو كان قبلها آية في تخيير النبي صلى الله عليه وآله بالإذن لهم ! فهي كقولك لولدك الذي سامح شخصاً بديْن له عليه بموافقتك ، لادعائه أنه ليس عنده مال وأنه سيوفيه في المستقبل ، فتقول لولدك أمام الناس أو بحضور الشخص: إنه رجل كاذب وعفا الله عنك لم سامحته ، فلو لم تسامحه لا نكشف لك وللناس كذبه ، فإن عاد فلا تسامحه واكشف كذبه .

وأين الذنب في كرم أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وإذنه لهم ، وقد أستأذنه المنافقون من قبل في غزوة الأحزاب للمدينة وقال الله عنهم: وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النبي يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا. (الأحزاب:١٣) وأنزل عليه التخيير في الإذن للمؤمنين ، وهو تخيير يشملهم لتظاهرهم بالإيمان ، فقال في سورة النور: فإذا اسْتَئْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ..؟! وغزوة الأحزاب سنة أربع أو خمس للهجرة ، وغزوة تبوك سنة تسع للهجرة ؟!!

الجواب الرابع

لايمكن لنا أن نقبل أن النبي صلى الله عليه وآله قد عصى ربه أو عاتبه ربه على شئ ، بعد أن قال عنه سبحانه: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى ، فالذي لاينطق كلمة عن هوى ، لايمكن أن يفعل فعلاً عن هوى ؟!!

الجواب الخامس

أخبر الله تعالى بأنه هو الذي ثبطهم عن النفر من النبي صلى الله عليه وآله لأنه كره انبعاثهم !

قال تعالى: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ . فتخلفهم كان لازماً ، وإذن النبي صلى الله عليه وآله لهم كان مطابقاً لما هو لازم في علمه سبحانه ، فكيف يعاتبه على مساعدته على ما هو لازم وضروري؟!

بل ينبغي القول بأن من وسائل تثبيط الله تعالى لهم إلهامه لنبي صلى الله عليه وآله أن يأذن لهم بالتخلف عنه ، فهو لا ينطق عن الهوى .

الجواب السادس

روى الجميع أن جبرئيل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وآله بعد وقعة الخندق ، وأمره أن يغزو بني قريظة الذين ناصروا الأحزاب فقال له: (عفا الله عنك ، وضعت السلاح ولم تضعه الملائكة). ولم يقل أحد من المسلمين بأن وضعه السلاح بعد الخندق كان خطأً أو معصية ! فكيف صارت نفس العبارة دالة على الذنب في تبوك ، ولم تكن تدل على ذنب قبل خمس سنوات في الأحزاب ؟!

ففي تفسير فرات الكوفي ص١٧٤: (عن محمد بن كعب القرظي قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من الأحزاب قال له جبرئيل عليه السلام: عفا الله عنك أوضعتهم السلاح ، ما زلت بمن معي من الملائكة نسوق المشركين حتى نزلنا بهم حمراء الأسد ، أخرج وقد أُمرتَ بقتالهم وإني عادٍ بمن معي أزلزل بهم حصونهم حتى تلحقونا ! فأعطى علي بن أبي طالب عليه السلام الراية وخرج في أثر جبرئيل ....)

وفي فتح الباري:٣١٨/٧: (عن عائشة عند أحمد والطبراني: فجاءه جبريل وإن على ثناياه لنقع الغبار ، وفي مرسل يزيد بن الأصم عند بن سعد فقال له جبريل: عفا الله عنك وضعت السلاح ولم تضعه ملائكة الله...).

وفي مصنف ابن أبي شيبة:٥٠٤/٨: (لما كشف الله الأحزاب ورجع النبي(ص) إلى بيته فأخذ يغسل رأسه أتاه جبريل ، فقال: عفا الله عنك ، وضعت السلاح ولم

تضعه ملائكة السماء ، أتينا عند حصن بني قريظة ، فنادى رسول الله (ص) في الناس أن ائتوا حصن بني قريظة...) .ورواه الطبري في تفسيره :١٨١/٢١، والسيوطي في الدر المنثور:١٩٣/٥، والجصاص في الفصول:٢٤٢/٣

بل روى في بحار الأنوار:٣٩٠/١٨ ، أن النبي صلى الله عليه وآله قال عن معراجه: (كنت نائماً في الحجر إذ أتاني جبرئيل فحركني تحريكاً لطيفاً ، ثم قال لي: عفا الله عنك يامحمد قم واركب ، ففد إلى ربك ، فأتاني بدابة دون البغل ، وفوق الحمار ، خطوها مد البصر ، له جناحان من جوهر ، يدعى البراق...). انتهى.

فهل كان العفو المذكور والعروج برسول الله صلى الله عليه وآله جزاء على معصية ؟!

الجواب السابع

من تخبطهم في تفسير الآية أنهم قالوا إن إذن النبي صلى الله عليه وآله للمنافقين كان معصية ارتكبها النبي صلى الله عليه وآله وغفرها له الله تعالى ، ثم نسخ الآية وأجاز له أن يأذن لمن شاء منهم فقال في سورة النور: إنما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرَسُوله وإذا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أمر جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَئْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَئْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالله وَرَسُوله فإذا اسْتَئْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الله إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ . (النور:٦٢)

قال في الدر المنثور:٢٤٧/٣: (وأخرج النحاس في ناسخه عن ابن عباس في قوله: عفا الله عنك لم أذنت لهم.. الآيات الثلاث . قال: نسختها فإذا استاذنوك لبعض شانهم فأذن لمن شئت منهم..). انتهى. وذكر السيوطي مثله عن ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والنحاس ، وأبي الشيخ ، عن قتادة . وذكره الجصاص في أحكام القرآن:٣/ ١٥١ و السدوسي في الناسخ والمنسوخ ص٤٣ ، وابن حزم في الناسخ المنسوخ ص٤٠ ، وغيرهم ، فلم أرجع الى تفسير لهم إلا وجدته يذكر ذلك !

وقد فات هؤلاء الوضاعين والحشويين ومن اعتمد عليهم، أن سورة النور نزلت

قبل التوبة بأربع سنوات أو خمس ، وأن المتقدم لايكون ناسخاً للمتأخر !

هذا إذا صح النسخ هنا أصلاً، قال السيد الخوئي في البيان ص٣٥٧:(والحق أن الآيات الثلاث لانسخ فيها ، لأن صريحها أن المنع من الإستيذان وعتاب النبي صلى الله عليه وآله على اذنه إنما هو في مورد عدم تميز الصادق من الكاذب وقد بين سبحانه وتعالى أن غير المؤمنين كانوا يستأذنون النبي في البقاء فراراً من الجهاد بين يديه، فأمره بأن لايأذن لأحد إذا لم تبين الحال ، أما إذا تبين الحال فقد أجاز الله المؤمنين أن يستأذنوا النبي في بعض شأنهم ، وأجاز للنبي صلى الله عليه وآله أن يأذن لمن شاء منهم،وإذن فلا منافاة بين الآيتين لتكون إحداهما ناسخة للأخرى) .

هدفهم من الإنتقاص من شخصية النبي صلى الله عليه وآله

الذي يريده المنظرون لإثبات الذنوب والأخطاء للنبي صلى الله عليه وآله هو الحجة لتبرير أخطاء الخلفاء والحكام القرشيين ، وفتح الباب لهم ولفقهائهم للعمل بالظنون !

إنهم يريدون القول: ما دام النبي صلى الله عليه وآله يذنب ويجتهد ويخطئ في ظنونه ، فمعنى ذلك أن الإجتهاد والعمل بالظن مفتوح للأمة ، خاصة للخلفاء والفقهاء !

قال السرخسي في المبسوط:٦٩/١٦: (وينبني على هذا الفصل(اجتهاد الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وآله) الإختلاف بين العلماء رحمهم الله في أنه(ص) هل كان يجتهد فيما لم يوح إليه فيه؟ فمنهم من يقول كان ينتظر الوحي وما كان يفصل بالإجتهاد . والصحيح عندنا أنه(ص)كان يجتهد ، وما كان يقر على الخطأ. بيانه أنه لما شاور أبا بكر وعمر في حادثة قال قولاً: فإني فيما لم يوح إليَّ مثلكما !!

وقال(ص)للخثعمية: أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت تقضيه ؟ فقالت: نعم قال: فديْن الله أحق وهذا قول بالإجتهاد . وقال عليه السلام لعمر في القبلة: أرأيت لو تمضمت بماء ثم بحجته أكان يضرك ؟ وقال في بيان الصدقة على بني هاشم:

أرأيت لو تمضمضت بماء أكنت شاربه؟ فهذا ونحوه دليل أنه كان يقضي باجتهاده وما كان يُقَرُّ على الخطأ ، فقضاؤه يكون شريعة ، والخطأ لا يجوز أن يكون أصل الشريعة ، فعرفنا أنه ماكان يقر على الخطأ . وبيان ذلك في قوله تعالى: عفى الله عنك لم أذنت لهم .. الآية ..). انتهى.

وقال الجصاص في الفصول:٢٤٢/٣: (فقد كان النبي عليه السلام يجتهد في أمر الحروب أحياناً من غير مشاورة ، ولا فرق بين الإجتهاد في أمر الحروب وبينه في حوادث الأحكام ، ومما فعله في غالب رأيه فأنزل الله تعالى معاتبته بقوله عزوجل: عفا الله عنك لم أذنت لهم ، وقال تعالى: عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، ونحو ذلك من الآي التي نبه الله تعالى نبيه (ص) فيها على موضع إغفاله ، وعاتبه عليه) .

وقال في فتح القدير:٣٦٥/٢: (وفي الآية دليل على جواز الإجتهاد منه(ص). انتهى.

○ ○

الأسئلة

١ ـ بماذا تفسرون منهج المفسرين الرسميين في إثبات أخطاء للنبي صلى الله عليه وآله الذي ذكرناه في مقدمة الفصل ، ومنهجهم بالإجماع على تبرير أخطاء أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ، وعدم الإعتراف لهم بأي خطأ ؟!

٢ ـ هل تفهمون من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) أنه ارتكب ذنباً ؟ وهل إذا قال لك أخوك: غفر الله لك ، يقصد أنك ارتكبت ذنباً ؟!

٣ ـ ما رأيكم في الأجوبة التي أوردناها في نفي الذنب عن النبي صلى الله عليه وآله؟

٤ ـ إذا شك المسلم هل أن النبي صلى الله عليه وآله ارتكب معصية أم لا ، فهل ترون أن عليه

أن يحتاط ويفتي بأنهﷺارتكب ذنباً ؟!

٥ ـ كيف تجمعون بين نسبتة المعصية والذنب الى النبيﷺوبين قوله تعالى عنه: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى ، فالذي لاينطق كلمة عن هوى كيف يفعل عن هوى ؟!!

٦ ـ كيف تجمعون بين نسبة الإجتهاد والعمل بالظن الى النبيﷺ وبين قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى ، فهل رأيتم شخصاً كلامه علمٌ ويقين ، وتفكيره ظنٌ وتخمين ؟!

○ ○

المسألة: ١٦٤

نسبتهم القسوة الى النبي ﷺ في تفسير آيتي العقوبة والمحاربة لتبرير قسوة حكامهم !!

عرف القاصي والداني عن النبي ﷺ حسن خلقه ولين جانبه ، وإنسانيته الشفافة وعطفه على كل الناس ، حتى أن أعداءه طمعوا بعفوه وكرمه..

وقرأ المسلمون قوله تعالى عن نبيه ﷺ: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . (آل عمران:١٥٩)

وقوله تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . (التوبة:١٢٨)

في مقابل هذه الإنسانية الرفيعة ، تفاجؤك صورة منفِّرةٌ رسمتها مخيلة بعض الصحابة عن النبي ﷺ بأنه قاسٍ لاينبض قلبه بالعاطفة، ولا تدمع عينه على أحد ! وأنه حاقدٌ يعذِّب بدقِّ المسامير بالأيدي الى الحائط ، ويسمل عيون آخرين بمسامير الحديد المحماة ، ويقطع أيديهم وأرجلهم ويتركوهم ينزفون حتى يموتوا ، ثم يحرقهم بالنار!! نعم، كل ذلك لأجل تبرير قسوة حكام قريش !

كيف نصدقهم في أن النبي ﷺ كان قاسي القلب ؟!

قالت عائشة كما في مسند أحمد:١٤١/٦: (ثم دعا سعد(بن معاذ)قال: اللهم إن كنت أبقيتَ على نبيك(ص)من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك . قالت فانفجر كَلْمُهُ (جرحه) وكان قد برئ حتى ما يرى

منه إلا مثل الخرص ، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله(ص). قالت عائشة: فحضره رسول الله(ص)وأبو بكر وعمر ، قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال الله عز وجل رحماء بينهم !

قال علقمة: قلت أي أمَّهْ ، فكيف كان رسول الله(ص) يصنع ؟ قالت:كانت عينه لاتدمع على أحد! ولكنه كان إذا وَجَدَ فإنما هو أخذ بلحيته)!!

قال في مجمع الزوائد:٦/ ١٣:(قلت في الصحيح بعضه ، رواه أحمد ، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات). انتهى !

ومقصود عائشة أن أبا بكر وعمر أكثر رقةً وإنسانيةً من النبيصلى الله عليه وآله فقد كانا يبكيان وينتحبان على سعد بن معاذ ، عندما كان يحتضر في خيمته في المسجد ، أما النبيصلى الله عليه وآله فلم يكن يبكي على أحد ، بل كان إذا تأثر أو غضب ، يشدُّ بشعر بلحيته كمن يريد أن ينتفها !!

معاذ الله ، وحاشا رسول اللهصلى الله عليه وآله ! وكيف يصدق عاقل أن النبي العطوف الرحيمصلى الله عليه وآله كان بهذه الصفة ، وقد روى الصحابة بكاءه في مناسبات عديدة ، ففي البخاري:١٨٦/٨: (فلما دخلنا ناولوا رسول الله(ص) الصبي ونفسه تقلقل في صدره ، حسبته قال كأنها شنَّة ، فبكى رسول الله (ص) ، فقال سعد بن عبادة: أتبكي؟ فقال: إنما يرحم الله من عباده الرحماء). وفي البخاري:٨٥/٢: (فلما رأى القوم بكاء النبي بكوا). وفي مسلم:٧٦/٧:(فدمعت عينا رسول الله فقال: تدمع العين ويحزن القلب ولانقول إلا مايرضى ربنا، والله ياإبراهيم إنا بك لمحزونون). انتهى.

وكيف نصدق أن عمر كان أرق منه ؟! وغلظته وشدته مضرب المثل ! وهو الذي كان ينهى عن البكاء على الميت ، ويضرب عليه بالسياط ؟!

إن هذه الرواية وأمثالها في مصادر المسلمين نفثات شيطان سيئة ، تشوه شخصية النبي صلى الله عليه وآله الذي استطاع بتعليم ربه أن يطلق من منطقة الجزيرة القاحلة القاسية ، أعظم مد حضاري إنساني وأرحمه بالبشرية ، وأقله كلفة على الإطلاق حيث لم يتجاوز مجموع الذين قتلوا في معاركه من الطرفين ست مئة شخص !

بينما بلغت خسائر المسلمين في حرب الجمل وحدها التي سببتها عائشة صاحبة هذه المقولة في تمرُّدها مع طلحة والزبير على الخليفة الشرعي ، عشرين ألف قتيل !!

ماذا قال مفسروهم وفقهاؤهم في آية العقوبة والمحاربة ؟

إذا رجعت في مصادرهم الفقهية الى بحث نهي النبي صلى الله عليه وآله عن المُثْلَة ، أو الى تفسير قوله تعالى:وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. (النحل:١٢٦) أو تفسير قوله تعالى: إنما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأرض فساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أيديهم وأرجلهم مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأرض ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.(المائدة:٣٣)

اقشعرَّ بدنك مما ينسبونه الى النبي صلى الله عليه وآله من القتل والتمثيل بالناس !! مخالفين بذلك ما رووه ورويناه من أن النبي صلى الله عليه وآله عندما رأى تمثيل قريش وآل سفيان بجثة عمه حمزة في أحد، وأخبروه أن هنداً أم معاوية قطعت كبده ولاكت قطعة منه فلم تستطع مضغها فلفظتها ! قال صلى الله عليه وآله إنه سيقتص بالتمثيل بهم ، فنزل قوله تعالى: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . فقال النبي صلى الله عليه وآله: أصبر أصبر . ونهى المسلمين عن المثلة حتى بالكلب العقور !

ففي مجمع الزوائد:١٢٠/٦: (أحزنه ما رأى به فقال: لئن ظفرت بهم لأمثّلنّ بثلاثين رجلاً منهم، فأنزل الله عز وجل في ذلك:وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ

بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ، إلى قوله: يمكرون ... ولما نزل القرآن عفا رسول الله(ص) وتجاوز ، وترك المُثَل). انتهى.

وفي نهج البلاغة:٧٧/٣: (يابني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون قتل أمير المؤمنين ، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي ، أنظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربةً بضربة ، ولا يُمَثَّل بالرجل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور). انتهى.

لكنَّ رواة السلطة مع ذلك، نسبوا الى النبي ﷺ أنه بعد يوم أحد بثلاث سنوات قتل أشخاصاً ومثَّل بهم ، وسَمَلَ عيونهم ! أي فقأها بمسامير محماة ، وتركهم عطاشى حتى ماتوا ، بل رووا أنه أحرقهم بالنار !! وأن ذلك كان في السنة السادسة للهجرة ، أي بعد معركة أحد بثلاث سنوات ! (تفسير القرطبي:١٤٦/٢).

كل ذلك لتبرير فعل أبي بكر ، وإحراقه رجلين بالنار !

وقد ارتكب كل فقهائهم نسبة هذه التهمة الى النبي ﷺ مع الأسف ! وحجتهم أن البخاري وغيره رووها عن رواة موثوقين ! قال البخاري في صحيحه:٦٤/١: (عن أنس قال: قدم أناس من عكل أو عرينة فاجتَوَوُا المدينة ، فأمر لهم النبي(ص) بلقاح ، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها ، فانطلقوا ، فلما صحُّوا قتلوا راعي النبي (ص)واستاقوا النعم ، فجاء الخبر في أول النهار فبعث في آثارهم ، فلما ارتفع النهار جئ بهم فقَطَعَ أيديهم وأرجلهم وسُمِّرتْ أعينهم ، وأُلقوا في الحرة ، يستسقون فلا يسقوْن) .وقال بخاري في:٧٠/٥: (فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوا في ناحية الحرة ، حتى ماتوا على حالهم . قال قتادة بلغنا أن النبي(ص) بعد ذلك كان يحثُّ على الصدقة ، وينهى عن المُثْلة). انتهى.

ومقصوده أن النبي صلى الله عليه وآله تاب بعد ذلك ، وكان ينهى المسلمين عن المثلة ، ويحث على التصدق ويتصدق ليغفر له الله ما ارتكبه من المثلة !!

وقال بخاري في:٢٢/٤: (فبعث الطلب فما ترجَّل النهار حتى أتيَ بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم أمر بمسامير فأحميت فكحَّلهم بها ، وطرحهم بالحرة يستسقون فما يسقون ، حتى ماتوا) . وقال في:١٩/٨: (فأمر بمسامير فاحميت فكحَّلهم بها ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وما حسمهم ، ثم ألقوا في الحرة).انتهى. وروى مثله أبو داود:٣٣١/٢ .وقال في عون المعبود:١٥/١٢:(قال المنذري: وأخرجه البخاري، ومسلم والنسائي (بمسامير)جمع مسمار... (فكحَّلهم) أي بتلك المسامير المحماة . (وما حسمهم) الحسم الكي بالنار لقطع الدم ، أي لم يَكْوِ مواضع القطع لينقطع الدم بل تركهم .

ورواه مسلم:١٠٢/٥، وفيه:(فجئ بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمِّرت أعينهم ، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا ... وسمرت أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون). ورواه أبو داود:٦٠٢/١، والترمذي:٤٣١/٢

وفي الفائق للزمخشري:٢١٢/١: (قال أنس: فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه حتى ماتوا عطشاً). انتهى. أي يعض الأرض من العطش !!

وفي سبل الهدى:١١٦/٦: (قال أنس كما عند ابن عمر: خرجت أسعى في آثارهم مع الغلمان حتى لقي بهم رسول الله (ص) بالرغابة بمجتمع السيول ، فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها) .

وفي تفسير القرطبي:١٤٨/٦: (قال جرير: فكانوا يقولون الماء ، ويقول رسول الله(ص): النار ! وقد حكى أهل التواريخ والسير: أنهم قطعوا يدي الراعي ورجليه وغرزوا الشوك في عينيه حتى مات ، وأدخل المدينة ميتاً ! وكان اسمه يسار

وكان نوبياً. وكان هذا الفعل من المرتدين سنة ست من الهجرة. وفي بعض الروايات عن أنس: أن رسول الله (ص) أحرقهم بالنار بعد ما قتلهم) !!

زعموا أن الله تعالى وبّخ نبيه ﷺ على ما ارتكب !

قال الشوكاني في نيل الأوطار:٧/٣٣١: (وعن أبي الزناد: أن رسول الله(ص)لما قطع الذين سرقوا لقاحه وسمل أعينهم بالنار ، عاتبه الله في ذلك فأنزل: إنما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأرض فساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا.. الآية. (المائدة:٣٣). رواه أبو داود والنسائي ... حديث أبي الزناد مرسل ، وقد سكت عنه أبو داود ، ولم يذكر المنذري له علة غير إرساله ، ورجال هذا المرسل رجال الصحيح ، وقد وصله أبو الزناد من طريق عبد الله بن عبيد الله بن عمر ، عن عمر ، كما في سنن أبي داود في الحدود ، ويؤيده ما أخرجه أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس: أن ناساً أغاروا على إبل رسول الله(ص)وارتدوا عن الإسلام وقتلوا راعي رسول الله(ص) مؤمناً فبعث في آثارهم فأخذوا فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم قال: فنزلت فيهم آية المحاربة ... وأخرج أبو داود والنسائي عن ابن عمر ، أن الآية نزلت في العرنيين) . انتهى.

يقصد الشوكاني أن النبيﷺارتكب ذنْب سمْل العيون والمُثلة ، فعاتبه الله وأنزل آية حكم المحاربين المفسدين بقطع الأيدي والأرجل فقط !

وقال الطبري في تفسيره:٦/٢٨٥: (حدثني علي بن سهل قال: ثنا الوليد بن مسلم قال: ذاكرت الليث بن سعد ماكان من سمل رسول الله (ص) أعينهم وتركه حسمهم حتى ماتوا ! فقال: سمعت محمد بن عجلان يقول: أنزلت هذه الآية على رسول الله (ص) معاتبةً في ذلك ، وعلَّمه عقوبة مثلهم من القطع والقتل والنفي ، ولم يسمل بعدهم غيرهم . قال: وكان هذا القول ذكر لأبي عمرو فأنكر أن تكون

نزلت معاتبة ، وقال: بلى كانت عقوبة أولئك النفر بأعيانهم ، ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم ، فرفع عنه السمل).انتهى.(والدر المنثور:٢/٢٧٨).

ومناقشة الوليد بن مسلم للَّيث ، وهما من كبار الرواة عندهم ، تدل على شكهم واستغرابهم نسبة المعصية والتوبيخ الإلهي الى النبي صلى الله عليه وآله! بل نجد أن بعضهم تبرع بنفي ذلك ، واكتفى بنسبة نية ذلك فقط الى النبي صلى الله عليه وآله!

قال الطبري في تفسيره:٦/٢٨٥: (عن السدي قال: فبعث رسول الله (ص) فأتي بهم يعني العرنيين فأراد أن يسمل أعينهم ، فنهاه الله عن ذلك ، وأمره أن يقيم فيهم الحدود كما أنزلها الله عليه) . انتهى .

وقال الشافعي في الأم:٤/٢٥٩:(وإذا أسَرَ المسلمون المشركين فأرادوا قتلهم قتلوهم بضرب الأعناق ، ولم يجاوزوا ذلك إلى أن يمثلوا بقطع يد ، ولا رجل ولاعضو ولا مفصل ، ولا بَقْر بطن ، ولا تحريق ولا تغريق ، ولا شئ يعد مثلة . وما وصفت لأن رسول الله(ص)نهى عن المثلة وقتل من قتل كما وصفت .

فإن قال قائل: قد قطع أيدي الذين استاقوا لقاحه وأرجلهم وسمل أعينهم ، فإن أنس بن مالك ورجلاً رويا هذا عن النبي(ص) ، ثم رويا فيه أو أحدهما أن النبي (ص) لم يخطب بعد ذلك خطبة إلا أمر بالصدقة ونهى عن المثلة .

أخبرنا سفيان عن ابن أبي نجيح أن هبَّار بن الأسود كان قد أصاب زينب بنت رسول الله(ص)بشئ فبعث النبي(ص)سرية فقال: إن ظفرتم بهبَّار بن الأسود فاجعلوه بين حزمتين من حطب ثم أحرقوه . ثم قال رسول الله(ص): سبحان الله ما ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله عز وجل ، إن ظفرتم به فاقطعوا يديه ورجليه . وكان علي بن حسين ينكر حديث أنس في أصحاب اللقاح . أخبرنا ابن أبي يحيى، عن جعفر ، عن أبيه ، عن علي بن حسين قال: والله ما سَمَلَ رسول الله(ص)

عيناً ولا زاد أهل اللقاح على قطع أيديهم وأرجلهم). انتهى.

ومقصود الشافعي أنه ثبت عنده أن النبي صلى الله عليه وآله أمر بإحراق هبَّار بن الأسود بالنار ثم ندم وسحب أمره ، وهبَّار هذا تعرض لزينب ابنة النبي صلى الله عليه وآله في طريق هجرتها الى المدينة ، ونخس راحلتها وألقاها عنها فأسقطت جنينها !

كما ثبت عند الشافعي أن النبي صلى الله عليه وآله قد سمل أعين الذين سرقوا الإبل وقتلوا رعاتها ، لأنه يرجح رواية بخاري وغيره من رواة السلطة ، على رأي الإمام زين العابدين عليه السلام الذي نفى نسبة ذلك الى جده رسول الله صلى الله عليه وآله وحلف على نفيه !

وقال ابن حجر في فتح الباري:١/٢٩٤: (قال ابن شاهين عقب حديث عمران بن حصين في النهي عن المُثلة: هذا الحديث ينسخ كل مثلة . وتعقبه ابن الجوزي بأن ادعاء النسخ يحتاج إلى تاريخ . قلت: يدل عليه ما رواه البخاري في الجهاد من حديث أبي هريرة في النهي عن التعذيب بالنار بعد الإذن فيه . وقصة العرنيين قبل إسلام أبي هريرة وقد حضر الأمر ثم النهي . وروى قتادة عن ابن سيرين أن قصتهم كانت قبل أن تنزل الحدود ، ولموسى بن عقبة في المغازي: وذكروا أن النبي(ص)نهى بعد ذلك عن المثلة بالآية التي في سورة المائدة ، وإلى هذا مال البخاري ، وحكاه إمام الحرمين في النهاية عن الشافعي) . انتهى.

يقصد ابن حجر أن نهي النبي صلى الله عليه وآله عن المثلة كان بعد نزول آية حد المحارب في سورة المائدة ، التي هي آخر سورة من القرآن ، وقد نزلت قبيل وفاة النبي ! ومعناه أنه صلى الله عليه وآله لم ينه عنها في السنة السادسة بعد قصة العرنيين !

بينما قال ابن نجيم في البحر الرائق:١/٢٠٢: (والمثلة المروية في قصة العرنيين منسوخة بالنهي المتأخر ، وأراد بالنهي المتأخر ما ذكره البيهقي عن أنس قال: ما خطبنا رسول الله(ص) بعد ذلك خطبة إلا نهى فيها عن المثلة). انتهى.

أقول: وكل غرضهم من ذلك إثبات أن النبيصلى الله عليه وآلهارتكب المثلة في قصة العرنيين ، ونهى عنها بعدها مباشرة ، أو بعدها بثلاث سنوات !!

والصحيح أن النبيصلى الله عليه وآله لم يرتكب المُثلة ، وأنه نهى عنها في أحد

الصحيح أن النبيصلى الله عليه وآلهلم يرتكب شيئاً من ذلك ، وأنه قد يكون نوى بعد مقتل حمزة وتمثيل بني أمية به ، أن يقتص منهم ، فأنزل الله تعالى ترجيح الصبر بقوله تعالى:وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ.(النحل:١٢٦) فاختار النبيصلى الله عليه وآلهالصبر وأمر به المسلمين به ، ونهاهم عن المثلة التي نووها . وكان ذلك في معركة أحد في السنة الثالثة للهجرة، قبل قصة العرنيين بأربع سنوات ، وقبل فتح مكة بست سنوات. وقد رواه الجميع واتفقت عليه الرواية عن أهل البيتعليهم السلام! (راجع: تفسير القمي:١/١٢٣ ، وص٣٩٢ ، وتفسير العياشي:٢/٢٧٤ ، والتبيان: ٦/٤٤٠ ، وقال: ذكره الشعبي وقتادة وعطاء. ومجمع البيان:٦/١٣٥ و٢١١ ، وجوامع الجامع:٢/٣١٣ ، وشرح الأخبار:١/ ٢٧٥ و:٣/٢٣٠، وذخائر العقبى ص ١٨٠و١٨٢ ، ومناقب آل أبي طالب:١/١٦٦، والهداية الكبرى ص ٣٤٦ ، والعمدة ص ٤٥٣ ، وإقبال الأعمال:٣/٨٣، ومستدرك الوسائل:٢/٢٥٧ ، وتفسير الميزان:١٢/٢٠٣) .

ومن وافقنا منهم أو أورد رواية نزولها في أحد:

الحاكم في المستدرك:٣/١٩٧ ، وابن حزم:١٠/٣٧٧ ، والشوكاني في نيل الأوطار:٨/١٧٢ ، وابن أبي شيبة في المصنف:٨/٤٨٥ ، والابيهقي في سننه:٦/٣٧٦، والطبراني في الكبير:١١/٥٢، ومحمد بن سلمة في شرح معاني الآثار:٣/١٨٣، والمحاملي في أماليه ص ١٢٨، وابن حبان في صحيحه:٢/٢٣٩، والدار قطني في سننه :٤/٦٤، وابن حجر في فتح الباري :٧/٢٨٦، والزيلعي في نصب الراية:٢/٣٦٦، وابن أبي الحديد في شرح النهج:٤/٦٤و:١٥/١٧، والمناوي في فيض القدير:٦/٣٦٧ ، والنحاس في معاني القرآن:٤/٥١ و١١٢، والواحدي في أسباب النزول ص ١٩٢، والهيثمي في مجمع الزوائد:٦/ ١١٩ ، عن أبي هريرة ، وضعفها بصالح بن بشير ، وفي ص١٢٠، وضعفها بأحمد بن أيوب بن راشد). والطبري في تفسيره:١٤/٢٥٣، وقال: (وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من

أجله نزلت هذه الآية وقيل هي منسوخة أو محكمة)وكأنه رجح نزولها في أحد .

لكن القوم لايريدون الإعتراف بنزولها في أحد حتى لو رووه بسند صحيح !

بل حتى لو رواه البخاري كما شهد الثعالبي ، ولكنهم لايريدونه لأنه يكذب ما نسبوه الى النبي ﷺ من مُثلة في قصة العرنيين في السنة السادسة ، وهم بحاجة الى هذه النسبة من أجل أبي بكر !!

قال السيوطي في الدر المنثور:١٣٥/٤: (وأخرج ابن سعد ، والبزار ، وابن المنذر، وابن مردويه ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في الدلائل ، عن أبي هريرة أن النبي(ص)وقف على حمزة حين استشهد فنظر إلى منظر لم ير شيئاً قط كان أوجع لقلبه منه ، ونظر إليه قد مثل به فقال: رحمة الله عليك ، فإنك كنت ما علمت وصولاً للرحم ، فعولاً للخيرات ، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من أرواح شتى! أما والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك. فنزل جبريل والنبي (ص)واقف بخواتيم النحل:وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُمْ بِهِ.. الآية، فكفَّر النبي (ص)عن يمينه وأمسك عن الذي أراد وصبر .

وأخرج ابن المنذر ، والطبراني ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: قال رسول الله(ص)يوم قتل حمزة ومُثِّل به: لئن ظفرت بقريش لامثلن بسبعين رجلاً منهم فأنزل الله: وإن عاقبتم.. الآية. فقال رسول الله(ص): بل نصبر يارب ، فصبر ونهى عن المثلة .

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن جرير ، عن الشعبى قال: لما كان يوم أحد وانصرف المشركون فرأى المسلمون بإخوانهم مُثْلَةً، جعلوا يقطعون آذانهم وآنافهم ويشقون بطونهم ، فقال أصحاب رسول الله(ص): لئن أنالنا الله منهم لنفعلن ولنفعلن، فأنزل الله: وإن عاقبتم .. الآية ، فقال رسول الله(ص): بل نصبر. وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة النحل كلها

بمكة ، إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة يوم أحد ، حيث قتل حمزة ومُثِّلَ به ، فقال رسول الله(ص): لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين رجلاً منهم ، فلما سمع المسلمون ذلك قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط، فأنزل الله: وإن عاقبتم فعاقبوا.. إلى آخر السورة).

ولكن السيوطي مع كل هذه الروايات ، مال مع جمهورهم الذين لهم غرض في إثبات أن النبيﷺ قد مثَّل بالعرنيين ، ورجح أن نزول آية العقوبة تأخر الى فتح مكة في السنة الثامنة ! قال في الدر المنثور:١٣٥/٤: (قوله تعالى: وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به.. الآية. أخرج الترمذي وحسَّنه ، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند ، والنسائي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، وابن مردويه ، والحاكم وصحَّحه ، والبيهقي في الدلائل ، عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة منهم حمزة ، فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربَينَّ عليهم ، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ، فقال رسول الله(ص): نصبر ولا نعاقب كفوا عن القوم إلا أربعة) . انتهى. (وذكر نحوه في لباب النقول ص١٢١).

كما رووا نزولها في فتح مكة وقَوَّوه وصححوا حديثه:كما في مسند أحمد: ١٣٥/٥ والترمذي: ٣٦٢/٤، والحاكم:٣٥٩/٢ و٤٦٦ ، والطبراني في الكبير: ١٤٤/٣، والشوكاني في نيل الأوطار:٨ /١٧٢، وابن كثيرفي تفسيره:٦١٤/٢.

وأخيراً ، لوسلمنا صحة رواياتهم في نزول آية العقوبة في مكة، فلا تنافي رواية نزولها في أحد قبل خمس سنوات ! فليتهم سلكوا هذا المسلك العقلائي في الجمع بينها ، كما في هامش تفسير الجلالين ص٥١٠ ، قال: (وظاهر هذا تأخر نزولها إلى الفتح ، وفي الحديث الذي قبله نزولها بأحد ، وجمع ابن الحصار بأنها

نزلت أولاً بمكة ، ثم ثانياً بأحد، ثم ثالثاً يوم الفتح، تذكيراً من الله لعباده). انتهى.

ولكنهم لايريدون تكذيب جماعتهم في نسبة سَمْل العيون الى النبيﷺ!!
فروايتهم لاترد حتى لو لزم منها التنقيص من مقام النبيﷺ ، والتناقض !

قال الطبري في تفسيره:٢٨٣/٦: (وأولى الأقوال في ذلك عندي أن يقال: أنزل الله هذه الآية على نبيه(ص)معرفة حكمه على من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً ، بعد الذي كان من فعل رسول الله (ص) بالعرنيين ما فعل.... وقلنا: كان نزول ذلك بعد الذي كان من فعل رسول الله(ص)بالعرنيين ما فعل لتظاهر الأخبار عن أصحاب رسول الله (ص) بذلك) . انتهى .

۞ ۞

وقد ذكر العلامة مرتضى في الصحيح من السيرة:٢٧٥/٦: أن سعيد بن جبير نفى أن يكون النبيﷺقد سمل عيون أحد لقوله: (فما مثَّل رسول الله(ص) قبل ولا بعد) ، وقد فهم النفي من عبارة ابن جبير ، لكن مقصوده بقوله إن النبيﷺما فعل إلا في قصة العرنيين لا قبلها ولا بعدها ، إثباتها ونفي ما عداها ، وليس النفي المطلق . وأصل رواية ابن جبير في تفسير الطبري:٢٨١/٦ ، عن ابن شقيق قال: (حدثني سعيد بن جبير عن المحاربين ، فقال: كان ناس أتوا النبي(ص) فقالوا: نبايعك على الإسلام ، فبايعوه وهم كذَبَة وليس الإسلام يريدون . ثم قالوا: أنا نجتوي المدينة ، فقال النبي(ص): هذه اللقاح تغدو عليكم وتروح ، فاشربوا من أبوالها وألبانها . قال: فبينا هم كذلك إذ جاء الصريخ ، فصرخ إلى رسول الله (ص) فقال: قتلوا الراعي ، وساقوا النَّعم ! فأمر نبي الله فنودي في الناس أن: يا خيل الله اركبي . قال: فركبوا لاينتظر فارس فارساً . قال: فركب رسول الله (ص) على أثرهم ، فلم يزالوا يطلبونهم حتى أدخلوهم مأمنهم ، فرجع صحابة رسول الله (ص) وقد أسروا منهم ، فأتوا بهم النبي(ص) فأنزل الله: إنما جزاء الذين

يحاربون الله ورسوله... الآية ، قال: فكان نفيهم أن نفوهم ، حتى أدخلوهم مأمنهم وأرضهم ، ونفوهم من أرض المسلمين ، وقتل نبي الله منهم وصلب وقطع وسمل الأعين . قال: فما مثَّل رسول الله (ص) قبل ولا بعد . قال: ونهى عن المثلة ، وقال: لاتمثلوا بشئ . قال: فكان أنس بن مالك يقول ذلك ، غير أنه قال: أحرقهم بالنار بعد ما قتلهم) . انتهى. فقد صرح بأن النبي صلى الله عليه وآله قتل منهم وصلب وقطع وسمل الأعين ، حتى بعد نزول آية المحاربة ، وأنه لم يكن فعل ذلك من قبل ولا فعله بعده ، بل نهى عن المثلة !

فقول ابن جبير أشد من قول غيره ! لأنه ينسب الى النبي صلى الله عليه وآله أنه سمل عيونهم وصلبهم حتى بعد نزول آية المحاربة ، وأنه ندم عليه ونهى عن المثلة !!

كما نسبت الرواية الى النبي صلى الله عليه وآله عن لسان أنس أنه أحرقهم بالنار ، وورد ذلك عن أنس في عدة مصادر ، وقد شابه أنس أبا الزناد الموظف عند بني أمية والذي قال عن النبي صلى الله عليه وآله: (فلما وُعظ ونُهِيَ عن المثلة ، لم يعد)!!(تفسير القرطبي:٦/١٤٩) .

شهادة من الثعالبي على تحريف نسخة البخاري !

قال في تفسيره:٣/٤٤٨: (أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد ، ووقع ذلك في صحيح البخاري وغيره ، وقال النبي(ص): لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بثلاثين ، وفي كتاب النحاس وغيره بسبعين منهم ، فقال الناس: إن ظفرنا لنفعلن ولنفعلن ، فنزلت هذه الآية ، ثم عزم على النبي(ص) في الصبر عن المجازاة بالتمثيل في القتلى. ويروى أنه عليه السلام قال لأصحابه: أما أنا فأصبر كما أمرت فماذا تصنعون؟ فقالوا نصبر يا رسول الله كما ندبنا الله) .

أقول: في كلام الثعالبي أمران مهمان ، أولهما ، أن إطباق أهل التفسير على

نزول الآية وصدور النهي عن المُثْلة في أحد ، أي السنة الثالثة للهجرة . والإطباق يشبه الإجماع ، ويدل على غلبة اتجاه تنزيه النبي صلى الله عليه وآله عند قدماء مفسريهم .

وثانيهما ، أن البخاري قد روى ذلك في صحيحه ، ولا نجده في صحيحه ولا في باقي كتبه ، فلا بد أن تكون نسخة الثعالبي مختلفة ، وأن يتجه الإتهام الى النسخة التي بأيدينا ، وأنهم أسقطوا منها ذلك الحديث ، أو حذفوه !

واتهموا النبي صلى الله عليه وآله بأنه لم يَسقِ الماء لمن قتلهم ومَثّلَ بهم !!

قال ابن حجر في فتح الباري:٢٩٤/١: (واستشكل القاضي عياض عدم سقيهم الماء للاجماع على أن من وجب عليه القتل فاستسقى لايمنع ! وأجاب: بأن ذلك لم يقع عن أمر النبي(ص) ، ولا وقع منه نهي عن سقيهم . انتهى . وهو ضعيف جداً لأن النبي(ص) اطلع على ذلك ، وسكوته كاف في ثبوت الحكم). انتهى.

أقول: كأن ابن حجر يوافق ابن تيمية في قوله عن كتاب الشفاء لعياض: غلا هذا المغيربي !! ويقول لعياض: لاتغالِ في النبي صلى الله عليه وآله فقد كان سمْل العيون بأمره وعلمه !! (نقله عن ابن تيمية الشريف الدكتور محمود السيد صبيح في كتابه أخطاء ابن تيمية حق رسول الله وأهل بيته ، عن فهرس الفهارس:٢٠١/١ لعبد الحي كتاني).

وزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله رضي أن تحمل اليه رؤوس المقتولين لكن أبا بكر كان أتقى منه فلم يرضَ بذلك !

قال السرخسي في المبسوط:١٣١/١٠:(قال: وأكره أن تؤخذ رؤوسهم فيطاف بها في الآفاق لأنه مُثْلة ، وقد نهى رسول الله(ص)عن المُثلة ولو بالكلب العقور ، ولأنه لم يبلغنا أن علياً صنع ذلك في شئ من حروبه ، وهو المتبع في الباب .

ولما حمل رأس يباب البطريق إلى أبي بكر كرهه ، فقيل إن الفرس والروم

يفعلون ذلك ، فقال: لسنا من الفرس ولا الروم ، يكفينا الكتاب والخبر !

وقد جوَّز ذلك بعض المتأخرين من أصحابنا إن كان فيه كسر شوكتهم ، أو طمأنينة قلب أهل العدل ، استدلالاً بحديث ابن مسعود حين حمل رأس أبي جهل إلى رسول الله(ص) فلم ينكر عليه). انتهى .

ومعنى قول أبي بكر: (يكفينا الكتاب والخبر): تكفينا الرسالة والإخبار بقتل الشخص ، ولا حاجة الى إرسال رأسه.. هذا ، ويطول الأمر لو أردنا استقصاء كلمات فقهائهم ، فيما نسبوه الى النبي صلى الله عليه وآله من ارتكابه المُثلة المحرمة !

أهل البيت عليهم السلام دافعوا عن النبي صلى الله عليه وآله وكشفوا كذب الرواة !

كشف الإمام محمد الباقر عليه السلام أن أنس بن مالك كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله لكي يبرِّرَ للحكام انتهاك حقوق الإنسان وتعذيب من خالفهم من المسلمين ، وقال إن النبي صلى الله عليه وآله عذب شخصاً فدقَّ مساميرَ في يده بالحائط !

فقد روى الصدوق رحمه الله في علل الشرائع:٥٤١/٢ ، عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: **(إن أول ما استحل الأمراء العذاب لكذبة كذبها أنس بن مالك على رسول الله صلى الله عليه وآله أنه سمَّر يد رجل إلى الحائط ، ومن ثم استحل الأمراء العذاب !!)**.انتهى.وهذا يضع يدنا على سبب حرصهم في صحاحهم على نسبة التعذيب والمُثْلة الى النبي صلى الله عليه وآله !!

وقد سُجِّلت على أنس بن مالك سوابق في هذا المجال ، منها ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج:٧٤/٤ ، قال: (ناشد علي عليه السلام الناس في رحبة القصر ، أو قال رحبة الجامع بالكوفة: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه . فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها ، وأنس بن مالك في القوم لم يقم ، فقال له: **يا أنس ما يمنعك أن تقوم فتشهد ولقد حضرتها؟** فقال: يا أمير المؤمنين كبِرْتُ ونسيتُ ! فقال: **اللهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواريها العمامة !**

قال طلحة بن عمير: فوالله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه .
وروى عثمان بن مطرف: أن رجلاً سأل أنس بن مالك في آخر عمره عن علي بن أبي طالب فقال: آليت أن لا أكتم حديثاً سئلت عنه في علي بعد يوم الرحبة ، ذاك رأس المتقين يوم القيامة ، سمعته والله من نبيكم). انتهى.

وفي الفضائل لابن شاذان ص١٦٤: (عن سالم بن أبي جعدة قال: حضرت مجلس أنس بن مالك بالبصرة وهو يحدث ، فقال إليه رجل من القوم فقال: يا صاحب رسول الله ما هذه النمشة التي أراها بك؟ فإني حدثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: البرص والجذام لايبلو الله تعالى به مؤمناً ؟ قال: فعند ذلك أطرق أنس بن مالك إلى الأرض وعيناه تذرفان بالدمع، ثم قال: دعوة العبد الصالح علي بن أبي طالب نفذت فيَّ ، فعند ذلك قام الناس من حوله وقصدوه وقال: يا أنس حدثنا ما كان السبب؟ فقال لهم: إلهوا عن هذا...الخ.).

وفي خلاصة عبقات الأنوار للسيد الميلاني:٢٥٨/٣: (لقد كذب أنس بن مالك في قضية الطير المشوي ، كما هو ظاهر كل الظهور على من راجع مجلد حديث الطير من كتابنا . كما أنه كتم الشهادة عندما ناشده أمير المؤمنين عليه السلام في جماعة عن حديث الغدير، فكتم الشهادة ، معتذراً بالنسيان كاذباً ، فدعا عليه الإمام عليه السلام وسرعان ما ظهر عليه أثر دعوته....) . انتهى.

○ ○

وقد تقدم من كتاب الأم للشافعي إنكار الإمام زين العابدين عليه السلام لزعمهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله سَمَل عينَ أحد ! ورواه الشافعي أيضاً في مسنده ص٣١٥: (أخبرنا إبراهيم بن أبي يحيى ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين قال: لا والله ما سَمَل رسول الله (ص)عيناً ، ولا زاد أهل اللقاح على قطع أيديهم وأرجلهم). انتهى.

ورواه البيهقي في سننه:٧٠/٩ ، وقال: (حديث أنس حديث ثابت صحيح ، ومعه رواية ابن عمر ، وفيهما جميعاً أنه سمل أعينهم ، فلا معنى لإنكار من أنكر ، والأحسن حمله على النسخ). انتهى . ومعناه أن البيهقي لم يأخذ بشهادة الإمام زين العابدين عليه السلام ، ورجح شهادة أنس بن مالك وعبدالله بن عمر عليها !!

وتغافل عن شهادة ابن عباس التي تنزه النبي صلى الله عليه وآله، والتي رواها الطبري في تاريخه:٢٠٨/٢: (عن ابن عباس قال: إن الله عز وجل أنزل في ذلك من قول رسول الله(ص)وقول أصحابه: وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به.. إلى آخر السورة ، فعفا رسول الله(ص)وصبر ونهى عن المثلة). انتهى .

وتغافل عن شهادة ابن عباس التي رواها ابن هشام في سيرته:٦١١/٣، قال: (عن ابن عباس ، أن الله عز وجل أنزل في ذلك، من قول رسول الله(ص)وقول أصحابه: وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به...الآية ، فعفا رسول الله (ص) وصبر ونهى عن المثلة) . انتهى.

○ ○

الأسئلة

١ ـ ذكرت مصادركم العديد من أخطاء النبي صلى الله عليه وآله وذنوبه ، ولم تعترف بأي خطأ أو ذنب لأبي بكر وعمر ، فهل تعتقدون عملياً بعصمتها ، وهل تستطيعون أن تجدوا ولو معصية واحدة لكل منهما ؟!

٢ ـ هل تصدقون حديث عائشة الذي ينتقص من إنسانية نبينا صلى الله عليه وآله، حيث جاء فيه: (قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال الله عز وجل رحماء بينهم ! قال علقمة: قلت

أيْ أمَّهْ ، فكيف كان رسول الله (ص) يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد ! ولكنه كان إذا وَجَدَ فإنما هو آخذ بلحيته). ؟!

٣ ـ ما هو مقصود عائشة من قولها عن أبي بكر وعمر (إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله عز وجل: رحماء بينهم)؟!

٤ ـ هل كانت عائشة وطلحة والزبير على حق في خروجهم على الخليفة الشرعي ، أم أخطأوا ، وهل تابت عائشة من خطيئتها ، وهل دفعت ديات الذين قتلوا من الطرفين بسببها ؟!

٥ ـ بماذا رجحتم أحاديث نزول آية العقوبة بعد ذنب النبيﷺ وتمثيله بالرعاة العرنيين ، على أحاديث نزولها في أحد؟ مع أن في هذه الصحيح وفي تلك الصحيح حسب موازينكم؟ وإذا وجدت أحاديث صحيحة متعارضة بعضها يطعن في النبيﷺ وبعضها ينزهه ، فأيهما ترجحون ؟

٦ ـ قال البخاري في:٧٠/٥: (فأمر بهم فسمَّروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم . قال قتادة بلغنا أن النبي(ص) بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة). انتهى. هل معنى ذلك أن النبي ﷺ عصى الله في سمل أعينهم والتمثيل بهم ثم تاب ؟!

٧ ـ تكررت عبارة (سرقوا لقاحه) في أحاديث الباب ، فهل كانت الإبل ملكاً شخصياً للنبيﷺ؟ وهل تتصورون أنه غضب لنفسه ومثَّل بهم ؟!

٨ ـ رويتم أن النبيﷺ هدر دم هبَّار بن الأسود ، لأنه روَّع ابنته زينب وأسقط جنينها ، وأمر بحرقه بالنار ثم تراجع عن حرقه وبقي حكمه بهدر دمه ، قال الشافعي في كتاب الأم:٢٥٩/٤: (أن هبَّار بن الأسود كان قد أصاب زينب بنت

رسول الله(ص)بشئ ، فبعث النبي(ص)سرية فقال: إن ظفرتم بهبَّار بن الأسود فاجعلوه بين حزمتين من حطب ثم أحرقوه . ثم قال رسول الله(ص): سبحان الله ما ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله عز وجل ، إن ظفرتم به فاقطعوا يديه ورجليه) !

فهل يجري هذا الحكم على من روَّع ابنته الزهراء عليها السلام حتى أسقطت جنينها ؟!

٩ ـ لماذا لاتقبلون نفي أهل البيت عليهم السلام رواية تمثيل النبي صلى الله عليه وآله بالعرنيين وغيرهم مع أن أهل البيت النبوي؟ عليهم السلام أدرى بما فيه ، وأعرف بسيرة أبيهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد أوصاكم النبي صلى الله عليه وآله بالثقلين القرآن والعترة ، فهل هي وصية مستحبة عندكم وليست واجبة ؟!

١٠ ـ ما رأيكم في قول الثعالبي: (أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد ، ووقع ذلك في صحيح البخاري وغيره) . والثعالبي عندكم إمام جليل ، فهل أن نسخ المغرب الإسلامي من البخاري تختلف عن نسخه المشرقية ؟! وقد جاء في ترجمة الثعالبي في مقدمة تفسيره: (عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، يكنى أبا زيد ، ويلقب بالثعالبي الجزائري ، المغربي، المالكي . مولده: ذكر صاحبا شجرة النور الزكية ، والأعلام أنه ولد سنة ٧٨٦ هـ جزماً) وجاء في مقدمةتفسير ابن كثير: (الجواهر الحسان للثعالبي (ت٨٧٦ هـ(مؤلفه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري المغربي المالكي ، الإمام الحجة ، العالم ، الزاهد الورع ، وقد اعتمد في تفسيره على تفسير ابن عطية وأبي حيان وزاد عليهما ، وهو يذكر الروايات المأثورة بدون أسانيدها ، وإذا ذكر الإسرائيليات تعقبها بالنقد والتمحيص . وقد طبع الكتاب في الجزائر في أربعة أجزاء). فما رأيكم ؟!

١١ ـ ما رأيكم في اختلاف نسخ البخاري حتى المطبوعة منها، ففي نسخة طبعة حيدر آباد الهند مثلاً أن عمر قال عمر إن النبي ليهجر !

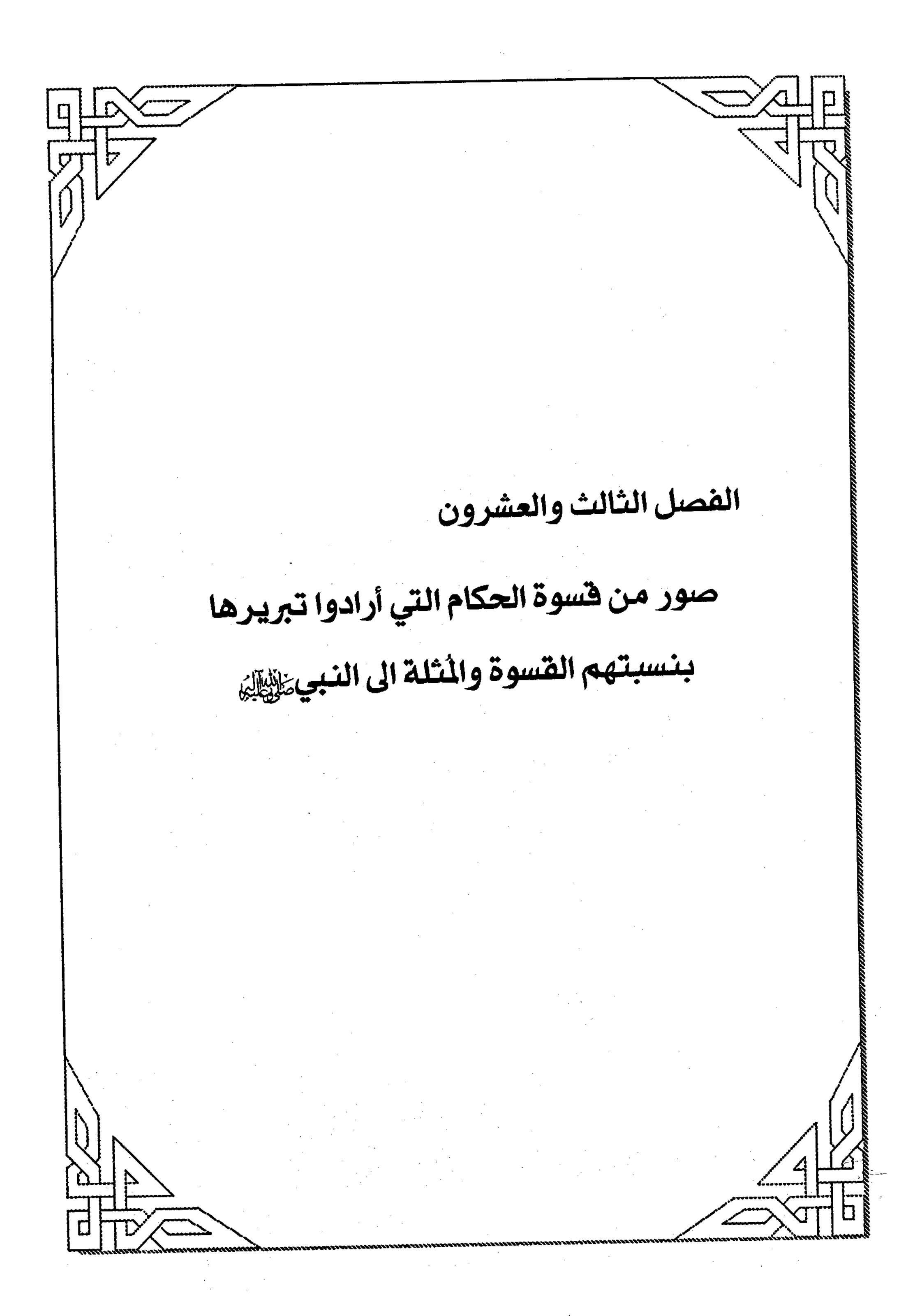
وهل صح عندكم أن نسخة البخاري كانت مسودة ، فصححوها من بعده ؟!

١٢ ـ ما رأيكم في قول ابن تيمية إن عياضاً قد غلا في النبي صلى الله عليه وآله في كتابه الشفاء ، وهل نفي عياض عن النبي صلى الله عليه وآله أنه ترك الرعاة العرنيين ينزفون ويعضون الأرض من العطش ، ولم يسقهم ، غلوٌّ بالنبي صلى الله عليه وآله ؟! وهل الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام مغالٍ في جده رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه نفى كل ذلك ؟!

١٣ ـ هل تقبلون رواية السرخسي في المبسوط:١٣١/١٠ ، بأن أبا بكر لم يقبل بحمل رأس المقتول اليه ، بينما قبل ذلك النبي صلى الله عليه وآله ؟!!

١٤ ـ ما رأيكم في تكذيب أهل البيت عليهم السلام لمالك بن أنس ، وفي كتمانه فضائل علي عليه السلام ؟!

○ ○



الفصل الثالث والعشرون

صور من قسوة الحكام التي أرادوا تبريرها بنسبتهم القسوة والمُثلة الى النبي صلى الله عليه وآله

المسألة: ١٦٥

أبو بكر أحرق شخصاً أو اثنين بالنار، وأبو موسى ومعاذ حللاه !

قال ابن كثير في النهاية:٣٥٢/٦: (وقد كان الصدِّيق حرق الفجاءة بالبقيع في المدينة ، وكان سببه أنه قدم عليه فزعم أنه أسلم ، وسأل منه أن يجهز معه جيشاً يقاتل به أهل الردة ، فجهز معه جيشاً ، فلما سار جعل لايمرُّ بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله ، فلما سمع الصديق بعث وراءه جيشاً فرده ، فلما أمكنه بعث به إلى البقيع، فجمعت يداه إلى قفاه وألقي في النار ، فحرقه وهو مقموط)!! انتهى.

ولا يغرُّك قول ابن كثير(فجهز معه جيشاً) فقد وجدنا هذاالجيش بعيراً وسيفاً ! ففي تاريخ الطبري:٤٩٢/٢: (فحمله أبو بكر على ظهر وأعطاه سلاحاً) !! ورواه ابن الأثير:١٤٦/٢ ، واليعقوبي في تاريخه:١٣٤/٢ وقال: (وحرق أيضاً رجلاً من بني أسد يقال له شجاع بن ورقاء) . انتهى.

وأضافوا الى أبي بكر في التحريق بالنار أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ، قال في فتح الباري:٢٤٣/١٢: (وفي رواية الطبراني التي أشرت إليها: فأتى بحطب فألهب فيه النار ، فكتَّفه وطرحه فيها ! ويمكن الجمع بأنه ضرب عنقه ثم ألقاه في النار . ويؤخذ منه أن معاذاً وأبا موسى كان يريان جواز التعذيب بالنار ، وإحراق الميت بالنار مبالغة في إهانته ، وترهيباً عن الإقتداء به). انتهى.

من غلظة عمر وضربه الناس بالكرباج !

نورد فيما يلي بضعة وعشرين مورداً من قسوة عمر بن الخطاب ، من مصادر محبيه ، تدل على أن نسبتهم قسوة القلب والضرب بغير حق والمُثْلة ، الى النبي ﷺ إنما هي من أجل تبرير هذا السلوك القاسي من الخلفاء القرشيين !

١ ـ مصادرته حرية ابن عمه سعيد لأنه أسلم !

(باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر... سمعت سعيد بن زيد يقول: لقد رأيتني وإنَّ عمر موثِّقي على الإسلام) .(ـ البخاري: ٨/٥٦)

٢ ـ ضربه جارية سوداء لأنها أسلمت !

(مر بجارية بني مؤمل ، حي من بني عديّ بن كعب ، وكانت مسلمة وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها ، حتى إذا ملَّ قال: إني أعتذر إليك ! إني لم أتركك إلا ملالة !! فتقول: كذلك فعل الله بك) ! (سيرة ابن هشام:١/٢١١)

٣ ـ زجره نساءً يبكين على ميتهن ، بحضور النبي صلى الله عليه وآله

(خرج النبي صلى الله عليه وآله على جنازة ، ومعه عمر بن الخطاب ، فسمع نساء يبكين فزبرهن عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :يا عمر دعهن فإن العين دامعة ، والنفس مصابة، والعهد قريب . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين). (المستدرك:١/٣٨١)

٤ ـ ضربه قريبات خالد بن الوليد ، رغم أن فيهن ميمونة زوجة النبي صلى الله عليه وآله

(لما مات خالد بن الوليد ، اجتمع في بيت ميمونة نساء يبكين ، فجاء عمر ومعه ابن عباس ومعه الدرة ، فقال: يا عبدالله ! أُدْخُلْ على أم المؤمنين فأْمرْها فتحتجب وأخرجهن عليَّ ، فجعل يُخرجهن عليه وهو يضربهن بالدرة ، فسقط خمار امرأة منهن ، فقالوا: يا أمير المؤمنين خمارها ! فقال: دعوها فلا حرمة لها ! وكان يُعْجَبُ من قوله: لا حرمة لها) . (كنز العمال :١٥/٧٣٠)

٥ ـ ضربه أخت أبي بكر وقريباته ، وفيهن عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله

(لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح ، فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها ، فنهاهن عن البكاء على أبي بكر ، فأبين أن ينتهين ، فقال عمر لهشام بن

الوليد: أُدْخُل فأخرج إليَّ ابنة أبي قحافة أخت أبي بكر ! فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إني أحرِّج عليك بيتي ، فقال عمر لهشام: أدخل فقد أذنت لك ، فدخل هشام فأخرج أم فروة أخت أبي بكر إلى عمر ، فعلاها الدرة فضربها ضربات ، فتفرق النُّوَّح حين سمعوا ذلك) .(تاريخ الطبري:٦١٤/٢)

(فقال عمر لهشام بن الوليد: قم فأخرج النساء ! فقالت عائشة: أحرِّجُك ! فقال عمر: أدخل فقد أذنت لك ! فدخل فقالت عائشة: أمخرجي أنت يا بنيَّ ! فقال: أما لك فقد أذنت لك ، فجعل يخرجهن امرأة امرأة وهو يضربهن بالدرة ، حتى خرجت أم فروة ! وفرق بينهن. (ابن راهويه وهو صحيح). (كنز العمال: ٧٣٠/١٥) :

٦ ـ خوف الصحابة منه الى حد الرعب غير المعقول !

(بينما عمر يمشي وخلفه عدة من أصحاب رسول الله وغيرهم ، بدا له فالتفت ، فما بقي منهم أحداً إلا سقط إلى الأرض على ركبتيه) !! (تاريخ المدينة:٦٨١/٢)

٧ ـ خاف الحجام منه فأحدث !

(دعا عمر ابن الخطاب رجلاً يأخذ من شاربه فتنحنح عمر وكان مهيباً ، فأحدث الحجام ، فأعطاه أربعين درهماً).(تاريخ المدينة:٦٨٣/٢)

٨ ـ خاف الرجل منه فتلعثم في كلامه !

(دخل رجل على عمر فقال: السلام عليك يا أبا غفر ، حفص الله لك ! فقال عمر: يا أبا حفص غفر الله لك ! فقال الرجل أصلعتني فرقتك ! يقول: أفرقتني صلعتك) ! (تاريخ المدينة:٦٨٣/٢)

٩ ـ ضربه لأنه يكلم زوجته في الطريق !

(مرَّ برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين إنها امرأتي ، قال: فهلا حيث لايراك الناس) !! (كنز العمال:٤٦٢/٥)

١٠ ـ مزق ثياب رجل لأنها ناعمة !

(أن رجلاً دخل على عمر وعليه ثوب ملالاً ، فأمر به عمر فمزق عليه ، فتطاير في أيدي الناس) ! (مصنف عبدالرزاق:٨٠/١١)

١١ ـ كان رجل يصلي وفي مقابله آخر ، فضربهما عمر !

(استقبال المصلي بوجهه مكروه ، لحديث عمر ، فإنه رأى رجلاً يصلي إلى وجه رجل ، فعلاهما بالدرة) . (مبسوط السرخسي:٣٨/١)

١٢ ـ شرب من نبيذ عمر ، فضربه عمر لأنه سَكِر !

(أن أعرابياً شرب نبيذاً من إداوة عمر فسكر ، فأمر به فجلد ! فقال: إنما شربت هذا من إداوتك ! فقال: إنما أجلدك على السكر)!! (لسان الميزان:٢٧/٣)

١٣ ـ ضرب طفله الصغير لأنه فرح بثيابه !

(دخل ابنٌ لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل(مشَّط شعره) ولبس ثياباً ، فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه !! فقالت له حفصة: لم ضربته؟ قال: رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغِّرها إليه) !! (مصنف عبد الرزاق:١٠/ ٤١٦)

١٤ ـ لكي يبرر عمله اتهم النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:لايُسأل الرجل فيمَ ضرب زوجته !

(الأشعث بن قيس قال: ضفت عمر ليلة ، فلما كان في جوف الليل قام إلى امرأته يضربها فحجزت بينهما. فلما أوى إلى فراشه قال لي: يا أشعث إحفظ عني شيئاً سمعته عن رسول الله:لايسأل الرجل فيمَ يضرب امرأته) !! (ابن ماجة:٦٣٩/١)

١٥ ـ أمر عامله بتخريب مدينة ، ثم ضربه لأنه نفذ أمره !

(كتب لعمير بن سعد عهداً بأن يخرب (عرب سوس) إذا لم يستجيبوا لشروطه ، فلما خربها بعد سنة علم عمر بذلك فضربه بالدرة ، فدخل عليه عمير منفرداً

وطلب منه عهده الذي كتبه اليه ! فقال عمر: رحمك الله فهلا قلت لي ذلك وأنا أضربك ؟ قال: كرهت أوبخك يا أمير المؤمنين) ! (بغية الطلب:٣٣٢/١)

١٦ ـ ضرب زعيم ربيعة لأن شخصاً قال له: هذا سيد ربيعة !

(كان قاعداً وفي يده الدرة والناس عنده فأقبل الجارود ، فلما أتى عمر قال له رجل: هذا سيد ربيعة ، فسمعها عمر وسمعها الجارود وسمعها القوم ، فلما دنا الجارود من عمر خفقه بالدرة على رأسه ! فقال الجارود: بسم الله ، مه يا أمير المؤمنين؟ قال: ذلك ! قال: أما والله لقد سمعتَها وسمعتَ ماقال الرجل ، قال: فمه؟ قال:خشيت أن يخالط قلبك منها شئ فأحببت أن أطأطئ منك)!(تاريخ المدينة:٦٩٠/٢)

١٧ ـ ضرب كبير الأنصار لأنه تبعه بعض الناس من المسجد !

(أتينا أبي بن كعب لنحدث إليه فلما قام قمنا ونحن نمشي خلفه ، فرهقنا عمر فتبعه فضربه عمر بالدرة !! قال فاتقاه بذراعيه فقال يا أمير المؤمنين ما تصنع ؟ قال: أو ما ترى ، فتنة للمتبوع مذلة للتابع)!! (سنن الدارمي:١٣٢/١)

١٨ ـ أرسل في إحضار امرأة فخافت وأسقطت جنينها !

(فصل . إذا بعث السطان إلى امرأة ليحضرها فأسقطت جنيناً ميتاً ، ضمنه ، لما روي أن عمر بعث إلى امرأة مغيبة كان يدخل عليها ، فقالت: يا ويلها مالها ولعمر !! فبينا هي في الطريق إذا فزعت فضربها الطلق ، فألقت ولداً ، فصاح الصبي صيحتين فمات ! فاستشار عمر أصحاب النبي(ص)فأشار بعضهم أن ليس عليك شئ إنما أنت وال ومؤدب ، وصَمَتَ عليٌّ فأقبل عليه عمر فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم ، وإن كانوا قالوا في هواك فلم ينصحوا لك ، إن ديته عليك لأنك أفزعتها فألقته) ! (المغني:٥٧٩/٩)

١٩ ـ كان يجبر الجواري على السفور ، ويضربهن إذا تستَّرن !

(كان إذا رأي جارية متقنعة علاها بالدرة وقال: ألقي عنك الخمار يادفار ، أتتشبهن بالحرائر) . (المبسوط:٢١٢/١)

(كنَّ إماء عمر يخدمننا كاشفات عن شعورهن تضرب ثديهن ! قال الشيخ: والآثار عن عمر بن الخطاب في ذلك صحيحة ، وإنها تدل على أن رأسها ورقبتها وما يظهر منها في حال المحنة (أي العمل) ليس بعورة) . (سنن البيهقي:٢٢٧/٢)

(قال ابن المنذر: ثبت أن عمر قال لأمة رأها متقنعة: إكشفي رأسك ولا تشبهي بالحرائر ، وضربها بالدرة. صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف:٢ /٨٢ ... قلت: وهذا إسناد صحيح.....عن أنس بن مالك قال: دخلت على عمر بن الخطاب أمة قد كان يعرفها لبعض المهاجرين أو الأنصار ، وعليها جلباب متقنعة به فسألها: عُتِقْت؟ قالت: لا: قال: فما بال الجلباب؟! ضعيه عن رأسك ، إنما الجلباب على الحرائر من نساء المؤمنين ، فتلكأت ، فقام إليها بالدرة فضرب بها رأسها حتى ألقته عن رأسها . قلت: وهذا سند صحيح على شرط مسلم .....كنَّ إماء عمر يخدمننا كاشفات عن شعورهن ، تضطرب ثديهن . قلت: وإسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات غير شيخ البيهقي أبي القاسم عبدالرحمن بن عبيد الله الحربي ، وهو صدوق كما قال الخطيب(٣٠٣/١٠)وقال البيهقي عقبه: والآثار عن عمربن الخطاب في ذلك صحيحة).(إرواء الغليل للألباني:٢٠٣/٦)

(كنَّ جواري عمر يخدمن الضيفان كاشفات الرؤس مضطربات البدن ، ولأن الأمة تحتاج إلى الخروج لحوائج مولاها ، وإنما تخرج في ثياب مهنتها ، وحالها مع جميع الرجال في معنى البلوى بالنظر والمس كحال الرجل في ذوات محارمه ولا يحل له أن ينظر إلى ظهرها وبطنها ، كما في حق ذوات المحارم ... وكل ما

يباح النظر إليه منها يباح مسه منها إذا أمن الشهوة على نفسه وعليها ، لما روي عن ابن عمر أنه مر بجارية تباع فضرب في صدرها ومس ذراعها ، ثم قال: اشتروا فإنها رخيصة) !! (مبسوط السرخسي:١٢/٩و١٥١/١٠)

٢٠ ـ محنة صبيغ التميمي لأنه سأل عن تفسير القرآن !

في سنن الدارمي:٥٤/١:(عن سليمان بن يسار أن رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت؟ قال أنا عبدالله صبيغ ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه وقال: أنا عبدالله عمر ، فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه !! فقال يا أمير المؤمنين حسبك ، قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي !

وفي رواية: فأرسل عمر الى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برأ ، ثم عاد له ! ثم تركه حتى برأ ، فدعا به ليعود له !! قال فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً ، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت ! فأذن له الى أرضه وكتب الى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين !

وفي رواية: فقام اليه وحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته ، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ، ألبسوه ثياباً واحملوه على قتب ، وأخرجوه حتى تقدموا به بلاده ، ثم ليقم خطيب ثم يقول: إن صبيغاً ابتغى العلم فأخطأه ! فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك ، وكان سيد قومه.... ثم كتب الى أهل البصرة أن لا تجالسوا صبيغاً ! قال أبو عثمان: فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا عنه... فإذا جاءكم كتابي هذا فلا تبايعوه ، وإن مرض فلا تعودوه ، وإن مات فلا تشهدوه .

وفي رواية: ثم أمر به فضرب مائة وجعل في بيت ، فلما برأ دعاه فضربه مائة أخرى ! وحمله على قتب ، وكتب الى أبي موسى الأشعري: إمنع الناس من مجالسته... كتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الأشعري أن لا يجالس صبيغاً ، وأن يحرمه عطاءه ورزقه .

وفي رواية: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجئ الى الحلقة ويجلس وهم لايعرفونه ، فتناديهم الحلقة الأخرى عَزْمةُ أميرالمؤمنين عمر ، فيقومون ويدعونه .

قال الشافعي في تحريم الكلام والبحث العلمي: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ ! أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على علم الكتّاب) !! (راجع: تدوين القرآن للمؤلف ص٢٤٣).

٢١ ـ الهجوم على بيت علي وفاطمةعليها السلام!!

(إن أبا بكر أُخبر بقوم تخلفوا عن بيعته عند علي ، فبعث إليهم عمر بن الخطاب فجاء فناداهم وهم في دار علي ، وأبوا أن يخرجوا ، فدعا عمر بالحطب فقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها عليكم على ما فيها ! فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة ! فقال: وإن !! فخرجوا وبايعوا إلا علياً ، فزعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي عن عاتقي حتى أجمع القرآن ، فوقفت فاطمة على بابها فقالت: **لاعهد لي بقوم حضروا أسوأ محضراً منكم! تركتم جنازة رسول الله صلى الله عليه وآله بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ، ولم تروا لنا حقاً !!**

فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة ؟ فقال أبو بكر: ياقنفذ ، وهو مولى له ، إذهب فادع علياً ، قال: فذهب قنفذ إلى علي ، فقال: ما

حاجتك ؟ قال: يدعوك خليفة رسول الله . قال عليعليه السلام: لسريع ما كذبتم على رسول الله ، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة ، قال فبكى أبو بكر طويلاً !

فقال عمر الثانية: لاتمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة ؟ فقال أبو بكر لقنفذ: عُدْ إليه فقل: أمير المؤمنين يدعوك لتبايع ، فجاءه قنفذ فنادى ما أمر به ، فرفع عليٌّ صوته فقال: سبحان الله لقد ادعى ما ليس له !!

فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة ، قال: فبكى أبوبكر طويلاً . ثم قام عمر فمشى ومعه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب ، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها باكية: يا رسول الله ماذا لقينا بعد أبي من ابن الخطاب وابن أبي قحافة ؟!

فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين ، فكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تنفطر ، وبقي عمر معه قوم ، فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له: بايع ، فقال: إن لم أفعل فمَهْ ؟ قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك ، قال: إذا تقتلون عبدالله وأخا رسوله . قال عمر: أما عبد الله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا ! وأبو بكر ساكت لا يتكلم .

فقال عمر: ألا تأمر فيه بأمرك ! فقال: لا أكرهه على شئ ما كانت فاطمة إلى جنبه . فلحق عليٌّ بقبر رسول الله(ص)يصيح ويبكي وينادي: ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) !! (الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٣٠)

يايزيد..قطّع ابن الزبير إرباً إرباً !

قال ابن كثير في النهاية:١٢٣/٨: (أن معاوية لما مرض مرضته التي هلك فيها ، دعا ابنه يزيد فقال: يا بني إني قد كفيتك الرحلة والرجال . ووطأت لك الأشياء ، وذللت لك الأعزاء ، وأخضعت لك أعناق العرب ، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي أسسته إلا أربعة نفر ، الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد

الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر . (كذا قال: والصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفي قبل موت معاوية بسنتين كما قدمنا) فأما ابن عمر فهو رجل ثقة قد وقذته العبادة ، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك ، وأما الحسين فإن أهل العراق خلفه ليدعونه حتى يُخرجونه عليك ، فإن خرج فظفرت به فاصفح عنه ، فإن له رحماً ماسة ، وحقاً عظيماً . وأما ابن أبي بكر فهو رجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ، ليست له همة إلا في النساء واللهو .

وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك روغان الثعلب ، وإذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً) .

مضى عهد التطوع للجهاد
وفرض الأمويون التجنيد الإجباري وإلا فالتثور !

في تاريخ دمشق:٢٥٦/١٠: (بشر بن مروان بن الحكم كان إذا ضرب البعث على أحد من جنده ثم وجده قد أخل بمركزه ، أقامه على كرسي ثم سمَّر يديه في الحائط ثم انتزع الكرسي من تحت رجليه ، فلا يزال يتشحط حتى يموت !! وإنه ضرب البعث على رجل حديث عهد بعرس ابنة عمه ، فلما صار في مركزه كتب إلى ابنة عمه كتاباً ، ثم كتب في أسفله:

لولا خلافةُ بشرٍ أو عقوبتُه ... وأن يرى حاسدٌ كفي بمسمار
إذاً لعطلت ثغري ثم زرتكم ... إن المحب إذا ما اشتاق زوَّار) .

الخليفة القصاب.. هارون الرشيد !

في تاريخ الطبري:٥٢٥/٦: (عن ابن جامع المروزي ، عن أبيه قال: كنت فيمن جاء إلى الرشيد بأخي رافع(أسيراً) قال: فدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن

الأرض بقدر عظم الذراع ، وعليه فرشٌ بقدر ذلك أو قال أكثر ، وفي يده مرآة ينظر إلى وجهه ، قال: فسمعته يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون .

ونظر إلى أخي رافع فقال: أماوالله يا ابن اللخناء إني لأرجو أن لايفوتني خامل، يريد رافعاً ، كما لم تفتني ! فقال له: يا أمير المؤمنين قد كنت لك حرباً وقد أظفرك الله بي ، فافعل ما يحب الله أكن لك سلماً ، ولعل الله أن يلين لك قلب رافع إذا علم أنك قد مننت عليَّ ، فغضب وقال: والله لو لم يبق من أجلي إلا أن أحرك شفتي بكلمة لقلت: أقتلوه !! ثم دعا بقصاب فقال: لا تشحذ مداك ، أتركها على حالها ، وفصِّل هذا الفاسق وعجِّل لايحضرن أجلي وعضوان من أعضائه في جسمه ! ففصله حتى جعله أشلاء ، فقال: عُدَّ أعضاءه ، فعددت له أعضاءه فإذا هي أربعة عشر عضواً ، فرفع يديه إلى السماء فقال: اللهم كما مكنتني من ثأرك وعدوك فبلغت فيه رضاك ، فمكني من أخيه . ثم أغمى عليه وتفرق من حضره . وفيها مات هارون الرشيد). انتهى. (ورواه في النهاية:٢٣١/١٠).

وفي معجم البلدان:٤٤٧/٤: (أبو جعفر الكرخي المعروف بالجرو ، وهذا الرجل مشهور بالجلالة فيهم قديماً ، وكان مقيماً بالبصرة ، قال: وشاهدته أنا وهو شيخ كبير ، وقد اختلت حاله فصار يلي الأعمال الصغار من قبل عمال البصرة ، وكان أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي لما ملك البصرة صادره على مال أقرف به ، وسمَّر يديه في حائط وهو قائم على كرسي ، فلما سُمِّرت يداه بالمسامير في الحائط نَحَّى الكرسي من تحته وسَلَتَ أظافيره وضرب لحمه بالقضيب الفارسي)!

سفيان بن معاوية.. قصاب وخباز للخليفة المنصور!

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج:٢٧٠/١٨:(وكان سفيان واجداً على ابن

المقفع لأنه كان يعبث به ويضحك منه دائماً ، فغضب سفيان يوماً من كلامه وافترى عليه ، فرد ابن المقفع عليه رداً فاحشاً ، وقال له: يا بن المغتلمة ! وكان يمتنع ويعتصم بعيسى وسليمان ابني علي بن عبدالله بن العباس ، فحقدها سفيان عليه ، فلما كوتب في أمره بما كوتب اعتزم قتله ، فاستأذن عليه جماعة من أهل البصرة منهم ابن المقفع ، فأدخل ابن المقفع قبلهم ، وعدل به إلى حجرة في دهليزه ، وجلس غلامه بدابته ينتظره على باب سفيان ، فصادف ابن المقفع في تلك الحجرة سفيان بن معاويه ، وعنده غلمانه وتنور نار يسجر ، فقال له سفيان: أتذكر يوم قلت لي كذا ؟! أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتله لم يقتل بها أحد ! ثم قطع أعضاءه عضواً عضواً وألقاها في النار وهو ينظر إليها !! حتى أتى على جميع جسده ، ثم أطبق التنور عليه وخرج إلى الناس فكلمهم !

فلما خرجوا من عنده تخلف غلام ابن المقفع ينتظره فلم يخرج ، فمضى وأخبر عيسى بن علي وأخاه سليمان بحاله ، فخاصما سفيان بن معاوية في أمره ، فجحد دخوله إليه ، فأشخصاه إلى المنصور ، وقامت البينة العادله أن ابن المقفع دخل دار سفيان حياً سليماً ولم يخرج منها !

فقال المنصور: أنا أنظر في هذا الأمر إن شاء الله غداً ، فجاء سفيان ليلاً إلى المنصور فقال: يا أمير المؤمنين ، إتق الله في صنيعتك ومتبع أمرك ، قال: لاتُرَعْ ، وأحضرهم في غد ، وقامت الشهادة ، وطلب سليمان وعيسى القصاص ، فقال المنصور: أرأيتم إن قتلت سفيان بابن المقفع، ثم خرج ابن المقفع عليكم من هذا الباب وأومأ إلى باب خلفه ، من ينصب لي نفسه حتى أقتله بسفيان ؟ فسكتوا واندفع الأمر ! وأضرب عيسى وسليمان عن ذكر ابن المقفع بعدها ، وذهب دمه هدراً) .

من مطامير المنصور وتعذيبه لحلفائه الحسنيين !

(حتى كانت نهاية أمرهم أن أمر المنصور بهدم السجن على الأحياء منهم ، ليذوقوا الموت من بين ألم القيود وثقل السقوف والجدران! وكان منهم من سمَّر يديه بالحائط).(وضوء النبي صلى الله عليه وآله للشهرستاني:٣٦٤/١ عن مروج الذهب:٢٩٩/٣وابن الأثير:٥٥١/٥).

تثور الخليفة المتوكل لتعذيب الأغنياء وجامعي الضرائب !

في الكنى والألقاب للقمي:٣٠٠/١: (وكان ابن الزيات قد اتخذ في أيام وزارته تنوراً من حديد وأطراف مساميره محدودة إلى داخل ، وهي قائمة مثل رؤوس المسالّ ، وكان يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال ، فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة ، تدخل المسامير في جسمه ، فيجدون لذلك أشد الألم ، ولم يسبقه أحدٌ لهذه المعاقبة). انتهى.

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ ما رأيكم في إحراق أبي بكر للفجاءة السلمي: هل هو معصية أم لا ؟وهل تعتبرون ندم أبي بكر توبة من ذلك ، فقد قال اليعقوبي في تاريخه:١٣٦/٢: (واعتل أبو بكر في جمادى الآخرة سنة ١٣. فلما اشتدت به العلة عهد إلى عمر بن الخطاب ، فأمر عثمان أن يكتب عهده ، وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله إلى المؤمنين والمسلمين: سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله ، أما بعد ، فإني قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فاسمعوا ، وأطيعوا ، وإني ما ألوتكم نصحاً ، والسلام ...

ودخل عبد الرحمن بن عوف في مرضه الذي توفي فيه فقال: كيف أصبحت يا خليفة رسول الله ؟ فقال: أصبحت مولياً ، وقد زدتموني على ما بي أن رأيتموني استعملت رجلاً منكم فكلكم قد أصبح وارماً أنفه ، وكلٌّ يطلبها لنفسه !!

فقال عبد الرحمن: والله ما أعلم صاحبك إلا صالحاً مصلحاً ، فلا تأس على الدنيا ! قال: ما آسى إلا على ثلاث خصال صنعتها ليتني لم أكن صنعتها ، وثلاث لم أصنعها ليتني كنت صنعتها ، وثلاث ليتني كنت سألت رسول الله عنها:

فأما الثلاث التي صنعتها ، فليت أني لم أكن تقلدت هذا الأمر . وقدمت عمر بين يدي ، فكنت وزيراً خيراً مني أميراً . وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أغلق على حرب ، وليتني لم أحرق الفجاءة السلمي أما أن أكون قتلته سريحاً ، أو أطلقته نجيحاً .

والثلاث التي ليت أني كنت فعلتها ، فليتني قدمت الأشعث بن قيس تضرب عنقه ، فإنه يخيل إلي أنه لا يرى شيئاً من الشر إلا أعان عليه ، وليت أني بعثت أبا عبيدة إلى المغرب وعمر إلى أرض المشرق ، فأكون قدمت يدي في سبيل الله ، وليت أني ما بعثت خالد بن الوليد إلى بزاخة ، ولكن خرجت فكنت ردءاً له في سبيل الله .

والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله عنهن: فلمن هذا الأمر فلا ينازع فيه وهل للأنصار فيه من شئ ، وعن العمة والخالة أترثان أو لاترثان ؟). انتهى.

وقال الراضي في سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص٢٦١: (قال أبو بكر في مرض موته: أما أني لا آسي على شئ في الدنيا إلا على ثلاث ....الخ.)

راجع كلامه هذا في: تاريخ الطبري:٣/٤٣٠ ط دار المعارف بمصر و:٢ / ٦١٩ ط آخر ، مروج الذهب:٢/٣٠١ ، الإمامة والسياسة:١/١٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:١/١٣٠ و:٢/٢٠

أفست بيروت على ط ١ بمصر و:٤٦/٢ ـ ٤٧ و:٥١/٦ ط مصر بتحقيق محمد أبو الفضل ، عبد الله بن سبأ للعسكري:١٠٦/١ ، العقد الفريد:٢٦٨/٤ ط لجنة / صفحة ٢٦٢ / التأليف والنشر و:٢/ ٢٥٤ ط آخر . ونقله العسكري في عبد الله بن سبأ:١٠٦/١ عن: كنز العمال:٣/ ١٣٥ ، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد:٢٧١/٢ ، الأموال لأبي عبيدة ص١٣١ ، لسان الميزان:١٨٩/٤ ، تاريخ الذهبي:٣٨٨/١ ، مرآة الزمان للسبط بن الجوزي ، ترجمة أبي بكر من تاريخ دمشق).

٢ ـ ما رأيكم في ضرب عمر للمسلمين ، هل كله حق أم فيه خطأ ومعصية ؟!

٣ ـ ما رأيكم في تحريم عمر الستر على الجواري ، وفي إجبار جواريه اللاتي كنَّ يخدمن الضيوف في دار الخلافة على السفور، وأنهن كنَّ مكشفات الصدور تترجرج أثداؤهن ؟! وهل تصلون خلف إمام مسجد إذا فعل ذلك ؟!

٤ ـ هل تعملون بفتوى عمر في تحريم السؤال عن معنى آيات القرآن ، وتحكمون بالجلد والنفي على طلبة علوم القرآن ؟!

٥ ـ ماهو السبب في إعراض المسلمين عن الجهاد والمرابطة في الثغور في زمن بني أمية ، حتى كان بشر بن مروان يسمِّر أيدي المتخلف عن الجندية ؟!

٦ ـ ما رأيكم في ختم هارون الرشيد لصحيفة أعماله بتقصيب الناس والتمثيل بجثة أخ رافع ، وما رأيكم في تقصيب بقية خلفائكم للمسلمين والتمثيل بهم في أزهى عصور الخلافة القرشية؟!

٧ ـ ماقولكم في وصية معاوية لعزيزه يزيد ، التي نقلها ابن كثير وغيره ، قال ابن كثير في النهاية:١٢٣/٨: (إن معاوية لما مرض مرضته التي هلك فيها ، دعا ابنه يزيد فقال: يا بني إني قد كفيتك الرحلة والرجال . ووطأت لك الأشياء ، وذللت لك الأعزاء ، وأخضعت لك أعناق العرب ، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر

الذي أسسته إلا أربعة نفر ، الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر..) انتهى.

فهل هذه وصية خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، أم وصية ملك لا يعرف الدين ؟!

۞ ۞

المسألة: ١٦٦

وعصموا الصحابة والأمةَ من أجل أبي بكر وعمر!
وعصموا أبا بكر وعمر في مقابل الصحابة جميعاً !

تقدم في المسألة ١١٦، قول ابن حبان في كتاب المجروحين:٣٣/١ ، وفيه: (فإن قال قائل: فكيف جَرَحْتَ مَنْ بعد الصحابة ، وأبيتَ ذلك في الصحابة ؟ والسهوُ والخطأ موجودٌ في أصحاب رسول الله(ص) كما وجد فيمن بعدهم من المحدثين؟ يقال له: إن الله عز وجل نزَّه أقدار أصحاب رسوله عن ثلب قادح ، وصان أقدارهم عن وقيعة متنقص ، وجعلهم كالنجوم يقتدى بهم... فالثلب لهم غير حلال ، والقدح فيهم ضد الإيمان ، والتنقيص لأحدهم نفس النفاق ، لأنهم خير الناس قرناً بعد رسول الله ، بحكم من: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى. وإن من تولى رسول الله إيداعهم ماولاه الله بيانه الناس لبالحري من أن لايجرح ، لأن رسول الله(ص)لم يودع أصحابه الرسالة وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب إلا وهم عنده صادقون جائزوا الشهادة ، ولو لم يكونوا كذلك لم يأمرهم بتبليغ من بعدهم ما شهدوا منه ، لأنه لو كان كذلك لكان فيه قدحاً في الرسالة . وكفى بمن عدله رسول الله شرفاً)!! انتهى .

أقول: كفى بكلام ابن حبان وهو إمام مقبول عندهم ، إثباتاً لسيرتهم على عصمة الصحابة ! وقد رأيت أن دليله على ذلك أمران:

أولهما ، أن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله جعلا الإسلام أمانة في أيدي الصحابة ، فهم معصومون عن تحريفه !

وثانيهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله أمر الأمة بطاعة الصحابة ، ولو كانوا يعصون الله تعالى لما أمر بطاعتهم ، فإن أمر الله تعالى بالطاعة المطلقة لإنسان غير معصوم ، محال .

وأنت تلاحظ أنه أخذ مقام العترة النبوية عليهم السلام وأعطاه للصحابة واستدل بأدلته !

وقد أجمع المسلمون على اختلاف مذاهبهم على أن النبي صلى الله عليه وآله أمر أمته باتّباع القرآن والعترة عليهم السلام لا الصحابة، كما في الحديث المتواتر: (إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي) ، وأمر المسلمين أن يصلوا في صلاتهم عليه وعلى عترته صلى الله عليه وآله ، لا عليه وعلى صحابته..الخ. !

فلو قلت لهم: أعطونا نصاً على أن الله تعالى جعل دينه أمانة بأيدي الصحابة ، وأمر الأمة بطاعتهم بعد النبي صلى الله عليه وآله ، لما استطاعوا أن يجيبوا !

ولو قلت لهم: لقد عرَّفتم الصحابة بأنهم الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهم أكثر من مئة ألف ، فهل كل هؤلاء عندكم عملياً معصومون ؟!

لأجابوك: كلا ، بل كبارهم ، مثل أبي بكر وعمر !

ولو سألتهم: إنكم تقولون إن الصحابة كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وأهل البيت عليهم السلام صحابة وعترة ، فهل يكفي أن نتَّبعهم ونترك غيرهم ؟!

لأجابوك: كلا لا يكفي ذلك ، حتى تتبعوا أبا بكر وعمر !!

فالصحابة عندهم إذن ، أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة وعثمان ، والعصمة التي يريدون إثباتها إنما هي لهؤلاء فقط لا غير ! ولا شأن لهم ببقية الصحابة !!

الذهبي يخترع قاعدة خاصة لعصمة أبي بكر وعمر !

رغم أن علماءهم يتكلمون عن عصمة الصحابة بلفَّافة ، وعن عصمة أبي بكر وعمر بلفَّافةٍ أقل غلظة ، كما رأيت من ابن حبان الذي هو من كبار أئمتهم في القرن الثالث . لكن الذهبي ، وهو من كبار أئمتهم في القرن الثامن ، كتب بنحو

قريب من الصراحة أن أبا بكر وعمر معصومان كعصمة الأنبياء عليهم السلام بلا أي فرق !!

والذهبي الملقب بشمس الدين هو (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني) معروف بكثرة مؤلفاته ، وبتشدده في النقد الرجالي والحديثي خاصة في أحاديث فضائل علي وأهل البيت عليهم السلام، لكنه لم يملك نفسه فاندفع في حب عمر وأبي بكر ، وأفتى صراحةً بأن العصمة لا تختص بالأنبياء عليهم السلام بل تشمل معهم نوعين من الناس هما: أبو بكر الصديق لتصديقه النبي صلى الله عليه وآله وعمر الفاروق ، لأنه حاكم عادل ! قال في كتابه (الموقظة في علم مصطلح الحديث) ص٨٤ ، بعد أن قسم طبقات أئمة الجرح والتعديل إلى: الحاد ، والمعتدل ، والمتساهل ، قال ما لفظه: **(والعصمة للأنبياء عليهم السلام، والصديقين ، وحكام القسط) !! انتهى.**

وبذلك أضاف الذهبي من جيبه الى الأنبياء عليهم السلام نوعين: الأول ، الصديقون ليثبت العصمة لأبي بكر. والثاني، حكام القسط ليثبتها لعمر لأنه حاكم عادل !

وإنما قلنا إنه وضع القاعدة من أجلهما خاصة ، لأنهم لايقولون بعصمة كل صدِّيق ، ولا كل حاكم عادل ، وإلا لزم أن يقولوا بعصمة كسرى الذي رووا أن النبي صلى الله عليه وآله قال عنه (ولدت في زمن الملك العادل) ! والذهبي نفسه أعطى وصف الملك العادل لمجموعة سلاطين تراكمة وشراكسة مع أنه لايثبت لهم العصمة ، وفيهم رافضي قوي الرفض على حد قوله، هو رزيك بن طلائع بن رزيك سلطان مصر! قال في سير أعلام النبلاء:٢٠٨/١٥: (وولي مكانه (طلائع) ولده الملك العادل رزيك ، وكان مليح النظم ، قوي الرفض ، جواداً شجاعاً ، يناظر على الإمامة والقدر) ! كما وصف: تُقَاق بن سلجوق التركماني بأنه الملك العادل ، في سير أعلام النبلاء:٢٤٣/١٨، وكذلك وصف ألب أرسلان في:٤١٤/١٨، ونور الدين حاكم الموصل:١٩٠/٢٠، وعلي بن السلار الكردي:٢٨١/٢٠ ، وأبا بكر بن أيوب الأيوبي:١٨٤/٢٣ ، وطومباي الأول ، في تذكرة الحفاظ ص٧، وغيرهم ممن

لايراهم معصومين ، فهو إذن يقصد بحكام القسط والعدل عمر وحده !

أقول: ليتهم ساوَوْا في العصمة بينهما وبين النبي صلى الله عليه وآله، فقد رأيتَ أنهم قتلوا أنفسهم لكي يثبتوا أخطاء النبي صلى الله عليه وآله حتى في تبليغ الوحي !

بينما قتلوا أنفسهم لكي يصححوا عمل أبي بكر وعمر ، صغيره وكبيره ، فجعلاهما بذلك أفضل من النبي صلى الله عليه وآله ، ومن كافة الأنبياء عليهم السلام !!

النبي صلى الله عليه وآله يخطئ ، لكن الأمة معصومة لأن فيها أبا بكر وعمر!

قال السيد العاملي في الصحيح من السيرة:٢٢٠/١: (عصمة الأمة في الخطأ):

وإذا كان الرسول يخطئ في اجتهاده ، فإن الأمة معصومة عن الخطأ ، بل سيأتي حين الحديث حول صحة ما في البخاري ومسلم: أن ظن الأمة لايخطئ أيضاً . أي أنه إذا حصل إجماع بعد الخلاف ، فإن ذلك يلغي أي تشكيك بصحة ما أجمعوا عليه ، بل لابد من الحكم بصحته وصوابه ، لأن الأمة معصومة (١) .

وقد واجه القائلون بعصمة الأمة فكرة أن تكون الأمة أعلى رتبة من النبي صلى الله عليه وآله فكيف وجب عليها طاعته واتباعه ؟ فأزعجهم ذلك وحاولوا التخلص منها ، فما أفلحوا في ذلك فراجع) .

وقال في هامشه: (١) راجع: تهذيب الأسماء:٤٢/١ ، وراجع: الإلمام:١٢٣/٦ ، والباعث الحثيث ص ٣٥ وشرح صحيح مسلم للنووي ، مطبوع بهامش إرشاد الساري: ٢٨/١ ، ونهاية السؤل:٣٢٥/٣ وسلم الوصول:٣٢٦/٣ ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٤ ، وإرشاد الفحول ص٨٢ و٨٠ ، والإحكام للآمدي:٤/ ١٨٨و١٨٩ . (٢) راجع: الإحكام:١٨٨/٤ ، ففيه مايستفاد منه ذلك ، وناقشه بما لا يجدي ، وكذا في كتاب: اجتهاد الرسول ص١٤١ و١٤٢ عن مصادر أخرى). انتهى .

وقال الجصاص في الفصول:٢٨١/٣: (فإن قال قائل: لوجاز وقوع الإجماع عن اجتهاد ولا يكون مع ذلك إلا حقاً وصواباً لأوجب أن يكون اجتهاد الأمة أفضل

من اجتهاد النبي(ص)وأعلى مرتبة ، لأن النبي(ص)قد كان يجوز عليه وقوع الخطأ في الإجتهاد ، والدليل على ذلك: أن الله تعالى ذكره قد عاتبه في أسارى بدر وأنزل: لَوْلاَكِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، وقال عز وجل: عفا الله عنك لم أذنت لهم ، وما جرى مجرى ذلك . فلما امتنع أن يكون اجتهاد الأمة أفضل من اجتهاد النبي(ص)، وكان النبي(ص)قد جاز عليه وقوع الخطأ في الإجتهاد ، دل ذلك على جواز وقوع الخطأ على الأمة فيما نقوله من طريق الرأي قال أبو بكر: قد أجيب عن هذا بأجوبة ، أحدها: أن اجتهاد النبي(ص)لا يقع فيه خطأ ، لأن معاصي الأنبياءعليهم السلام ولو كانت صغائر مغفورة فغير جائز وقوعها في شئ يظهر للناس ، ويلزمهم فيه الإتباع والإقتداء بالنبي(ص)ولو ظهرت معاصي الأنبياء ظاهرة للناس لكان فيه تنفير عن الطاعة ، وإيحاش عن السكون والطمأنينة إلى صحة ما ظهر من الأنبياءعليهم السلام.

ومن الناس من أجاب: أنا نقول إن اجتهاد النبي(ص)أفضل من اجتهاد الأمة ، ومعناه أنه أفضل من اجتهاد كل واحد منهم في نفسه، ولا نعني بذلك أن اجتهاده أفضل من اجتهاد الأمة مجتمعة ، كما نقول: إن صلاة النبي(ص)أفضل من صلاة الأمة ، وإنما المعنى: أنها أفضل من صلاة كل واحد منهم في نفسه ، لا أنها أفضل من صلوات جميع الأمة بأسرها مجتمعة ، وكما نقول: فلان أقوى من إخوة فلان وهم عشرة ، والمعنى أنه أقوى من كل واحد منهم في نفسه).انتهى.

وهكذا وصل الأمر بعلماء السلطة أن يجعلوا الأمة الملخصة بالصحابة ، والصحابة الملخصين بأبي بكر وعمر ، أفضل من النبيصلى الله عليه وآلهوأقوى حجيةً من إجماعه !! وقد لاحظت أن الجصاص ارتضى الوجه الأخير ، ولم يعلق عليه !!

۞ ۞

أما قولنا إنهم عصموا أبا بكر في مقابل جميع الصحابة ، فيكفي لإثباته أن تنظر الى تحيزهم لهما في كل خلاف لهما مع الصحابة ، وحكمهم بأن الحق دائماً مع أبي بكر وعمر ! من يوم السقيفة الى يوم وفاتهما ! بل الحق معهما قبل ذلك في مقابل رسول الله صلى الله عليه وآله !!

وبعد عصر أبي بكر وعمر ، فالحق دائماً مع عثمان لأنه على خطهما ، ثم مع عائشة وطلحة والزبير لأنهم على خطهما ، ثم مع معاوية لأنه على خطهما !

بل ، لقد تجاوزوا القول بعصمتهما فكفَّروا كل من ينتقدهما ! ومعناه أنهم جعلوا ولايتهما واتِّباعهما جزءً من الدين ، بل ركناً لايتحقق الإسلام إلا به !!

بل ، ما أيسر أن تجد في صحيح البخاري وغيره ، الحكمَ بالجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله ، ولو لم يشهد بالنبوة لمحمد صلى الله عليه وآله ، بينما تجد أن من أنكر أبا بكر وعمر وأبغضهما ، فلن يشم ريح الجنة ! وهذا يعني أن الشهادة لأبي بكر وعمر بمقامهما المميز من الدين ، أعظمُ من الشهادة لرسول الله صلى الله عليه وآله بالنبوة !

ففي البخاري:٤١/١: (أن النبي(ص)قال لمعاذ: من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة . قال ألا أبشِّر الناس ؟ قال: لا ، أخاف أن يتكلوا).

وفي:٥٥/٢ و:٢٠٢/٦: (فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).وروى شبيهه في:٣٣/١، ورواه أحمد:٤٤/٤).

وفي البخاري:١٧٢/٧: (لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لاإله إلا الله يبتغي به وجه الله إلا حرم الله عليه النار). انتهى.

فكل من يقول (لا إله إلا الله) حتى بدون عمل ، وحتى قبل موته أو عند موته. يدخل الجنة ، وأحاديثهم في ذلك مطلقة لا شرط فيها !!

۞ ۞

وبعد هذه الخلاصة عن عملهم الدائب لاتهام رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه كان يجتهد ويعمل بالظن ويقع في أخطاء ، وعملهم الدائب لعصمة من يحبونهم . . نصل الى هدفهم من ذلك وهو: تأصيل اتِّباع الظن، وإقامة دينهم على الظنون !

فقد كانوا بحاجة ماسة الى إشاعة هذه النظرية ، لأن أسلافهم بإعراضهم عن أهل البيت النبوي عليهم السلام فقدوا العلم القطعي ، ولم يبق عندهم إلا الظنون ! وقد وصفهم الإمام الباقر عليه السلام بأنهم تركوا النهر العظيم وأخذوا يمصون الثَّمَاد !

والنهر العظيم هو العلم القطعي عند النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، والثَّمَاد هو الرمل الرطب الذي فيه بلل الماء !! ففي الكافي:١/٢٢٢: (قال أبو جعفر عليه السلام: يمصون الثماد ويدَعون النهر العظيم ، قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله والعلم الذي أعطاه الله، إن الله عزوجل جمع لمحمد صلى الله عليه وآله سنن النبيين من آدم وهلم جراً إلى محمد صلى الله عليه وآله. قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره ، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله صيَّر ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام .

فقال له رجل: يا ابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: إسمعوا ما يقول! إن الله يفتح مسامع من يشاء ، إني حدثته أن الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله علم النبيين، وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين؟!). (أيضاً: بصائر الدرجات ص١٣٧).

۞ ۞

الأسئلة

١ ـ هل توافقون ابن حبان على قوله: (إن الله عز وجل نزَّه أقدار أصحاب رسوله عن ثلب قادح ، وصان أقدارهم عن وقيعة متنقص ، وجعلهم كالنجوم يقتدى

بهم ... فالثلب لهم غير حلال ، والقدح فيهم ضد الإيمان ، والتنقيص لأحدهم نفس النفاق ، لأنهم خير الناس قرناً بعد رسول الله ، بحكم من: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى. وإن من تولى رسول الله إيداعهم ماولاه الله بيانه الناس لبالحري من أن لايجرح) .

وهل معنى هذا إلا عصمتهم أحمعين أكتعين أبصعين ؟

وما هو دليله على هذا الكلام من القرآن أو السنة الصحيحة ؟!

٢ ـ إن كنتم تصححون حديث: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) ، كما فعل ابن حبان ، فكلهم معصومون ، والمسلم بالخيار أن يتبع أي واحد منهم . فهل تقبلون أن نقتدي بالمعارضين لبيعة أبي بكر وعمر من أهل البيت عليهم السلام فهم صحابة وأهل بيت ، أو نقتدي بمن معهم من المهاجرين والأنصار كسعد بن عبادة ، وحذيفة بن اليمان ، وعمار بن ياسر ، والمقداد ، وسلمان ، وأبي ذر ، وبريدة الأسلمي، وخالد بن سعيد بن العاص الأموي ، وغيرهم كثير ، ممن أدانوا بيعة السقيفة ورفضوها ؟!

٣ ـ ثبت عندكم قول النبي صلى الله عليه وآله إن فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء أهل الجنة ، أو سيدة نساء المؤمنين ، وأنه صلى الله عليه وآله قال: من أغضبها فقد أغضبني ، وأنها ماتت وهي غضبى على أبي بكر ، ولم تبايعة ، كل ذلك رواه البخاري ، فهل يكفي للمسلم أن يقتدي بها عليها السلام فيهتدي ؟!

٤ ـ أفتى ابن حبان بأن التنقيص لأي واحد من الصحابة نفاقٌ وخروج من الدين فقال: (والتنقيص لأحدهم نفس النفاق) فما رأيكم بمن انتقصوا من أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وخرجوا عليه ، وحاربوه ، ولعنوه على المنابر ؟! وما رأيكم في

انتقاص الصحابة بعضهم من بعض ، وتكفيرهم وقتالهم بعضهم بعضاً ؟!

٥ ـ ما رأيكم في قول الذهبي بعصمة الصديقين وحكام العدل ؟ وإذا ثبت عندكم أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي إنه صديق هذه الأمة ، فهل تحكمون بعصمته لقاعدة الذهبي؟!

٦ ـ لامعنى لقولكم إن الأمة معصومة ، إلا ما رويتم من أنها لاتجتمع على ضلال أو خطأ ؟ فإن خالف شخص واحد من الأمة هل يتحقق إجماع الأمة ؟!

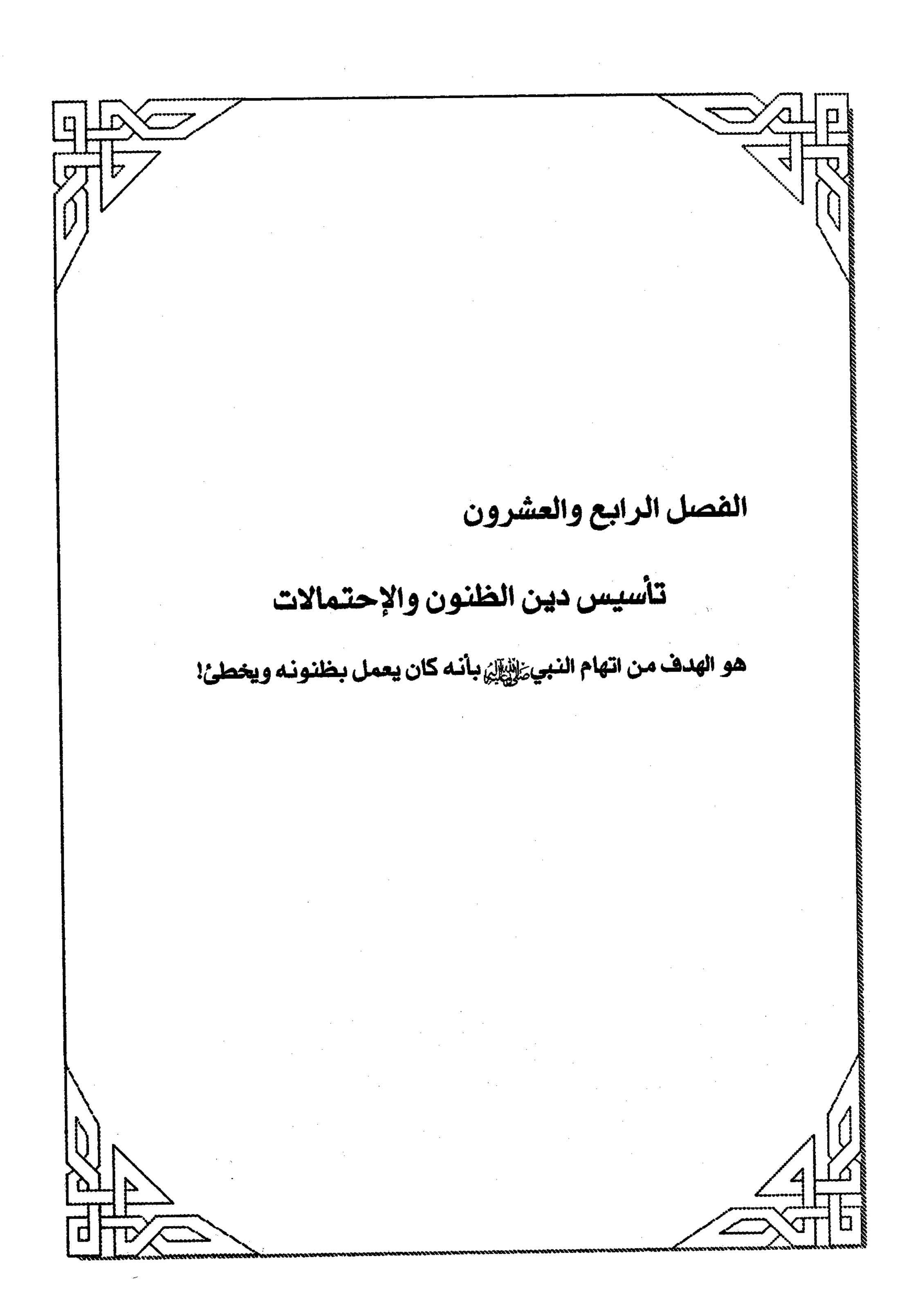
وكيف تدعون حصول إجماع الأمة على خلافة أبي بكر وعمر ، وقد خالف من الأمة أهل البيت عليهم السلام ومعهم نحو سبعين من المهاجرين والأنصار ؟!

٧ ـ إذا اختلف أبو بكر أو عمر مع صحابي آخر، فلماذا تلزمون المسلمين برأيهما ؟ وتحكمون بضلال المسلم إذا اتَّبع رأي سعد بن عبادة مثلاً ، الذي هو من كبار الصحابة ، وجهاده في نصرة النبي صلى الله عليه وآله أكثر من غيره ؟!

٨ ـ لماذا تحكمون بضلال أو كفر أو قتل من تبرأ من أبي بكر وعمر وسبهما ، ولا تحكمون بذلك في حق غيرهما من الصحابة ؟!

٩ ـ ما هو دليلكم من القرآن والسنة الصحيحة ، على أن تولي أبي بكر وعمر ركن من أركان الدين ، وأن إسلام المسلم لايتم إلا به ؟! وما دمتم تحكمون بأن من شهد بلا إله إلا الله وحدها يدخل الجنة حتى لو أنكر النبوة ، فلماذا لاتحكمون بأن شهد الشهادتين معاً ورفض أبا بكر وعمر يدخل الجنة ؟!

۞ ۞



الفصل الرابع والعشرون

تأسيس دين الظنون والإحتمالات

هو الهدف من اتهام النبي ﷺ بأنه كان يعمل بظنونه ويخطئ!

المسألة: ١٦٧

الإسلام دين العلم واليقين ، لا دين الظنون والإحتمالات

الإسلام علم.. في معرفة الكون والحياة والإنسان ، والسلوك الإنساني المطلوب على الأرض . بل هو علمُ العلوم ، لأنه ينظِّم تعامل الإنسان مع علومه وقدراته .

والإسلام دين العلم.. فقد نزل بعلم ، من عند الذي خلق السموات والأرض بالحق والعلم ، عز وجل ، وأنزل الكتاب بالحق والعلم ، وعلَّمَ رسولهﷺالحق والعلم ، وتلقى الرسولﷺمن ربه بعلم ، وبلَّغ رسالات ربه بعلم ، وعمل في صغير أموره وكبيرها بعلم .

وكل ما نسبه اليه القرشيون وأتباعهم من معاص ، وأخطاء ، وما ينافي العلم والحكمة ، فهو مردودٌ عليهم ! ورسول اللهﷺمنزهٌ عنها منذ طفولته ، كما شهد عليعليه السلامبقوله: (ولقد قَرَنَ الله به من لَدُنْ أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره). (نهج البلاغة:١٥٧/٢)

وآيات القرآن تؤكد هذه الحقيقة وتؤصلها في الإسلام

قال الله تعالى: وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً. (النجم:٢٨)

وقال تعالى: وَإِنْ تُطِعْ أكثر مَنْ فِي الأرض يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ الله إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ. (الأنعام:١١٦)

وقال تعالى: وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً . (الإسراء:٣٦)

وقال تعالى: وَلَوْ تَقَولَ عَلَيْنا بَعْضَ الأقاويل . لأخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَد عَنْهُ حَاجِزِينَ .(الحاقة: ٤٤ـ٤٧)

وقال تعالى: سَيَقُولُ الَّذينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلكَ كَذَّبَ الَّذينَ مِنْ قَبْلهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُون . (الأنعام:١٤٨)

وقال تعالى: وَمَا يَتَّبِعُ أكثرهم إِلأَظناً إِنَّ الظَّنَّ لايُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شيئاً إِنَّ اللهَ عَليمٌ بِمَا يَفْعَلُون . (يونس:٣٦)

وقال تعالى: أَلا إِنَّ لله مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأرض وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ. (يونس:٦٦)

وقال تعالى:يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كثيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أحدكم أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أخيه مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ . (الحجرات:١٢)

وقال تعالى: وَلا تَقُولُوا لمَا تَصفُ أَلْسنَتُكُمُ الْكَذبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى الله الْكَذِبَ إِنَّ الَّذينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذبَ لا يُفْلحُونَ . (النحل:١١٦)

وقال تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً قُلْ ءآللَّهُ أَذنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى الله تَفْتَرُونَ . (يونس:٥٩)

وقال تعالى: أَتَقُولُونَ عَلَى الله مَا لا تَعْلَمُونَ . (يونس:٦٨)

وقال تعالى: إِنْ هِيَ إلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أنزل اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى. (النجم:٢٣)

وقال تعالى:ثُمَّ أنزل عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْد الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائفَةً مِنْكُمْ وَطَائفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أنفسهم يَظُنُّونَ بالله غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهليَّة يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأمر مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأمر كُلَّهُ لله يُخْفُونَ فِي أنفسهم مَا لايُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوكَانَ لَنَا مِنَ الأَمر شَيْءٌ

مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.(آل عمران:١٥٤)

وقال تعالى: وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ.(الجاثية:٢٤)

○ ○

فهذه الآيات الكريمة تؤكد على ضرورة المعرفة والعلم اليقيني ، وتنفي حجية الظن مطلقاً نفياً كلياً ، وتوبِّخ الذين يبنون عقائدهم وأفكارهم ومواقفهم على ظنونهم ! وجميعها ترشد الى حكم العقل ، الذي يدرك أن الظن كالشك لا قيمة له ، ولا يغني من الحق شيئاً .

فالأصل القرآني والعقلي لزوم العلم في مختلف الأمور الفكرية والعملية ، وعدم الإكتفاء بالظن إلا في حالات فرعية ، حيث لايمكن تحصيل العلم أو يكون فيه مشقة وحرج ، كالشك في ركعات الصلاة وتخمين محصول الأرض والنخيل والكروم ، من أجل تقدير ثمنها أو زكاتها ، فيكتفي فيها الشرع والقانون بالظن ، لتسهيل عمل الناس وتعاملهم .

فالدين الإلهي قام على العلم ، وبالعلم أنزل الله كتابه الذي فيه تبيان كل شئ ، وبالعلم بيَّنه رسوله صلى الله عليه وآله لأمته ، وعن علمٍ تكفل الله ببيانه للأجيال فقال:(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ .ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ). (القيامة:١٧ـ١٩) .وحسب وعده أورث سبحانه علم الكتاب لعترة نبيه عليهم السلام الذين اصطفاهم وآتاهم العلم اليقيني ، وقال عنهم: (ثم أوثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا).(فاطر:٣٢) وقال عنهم: (قل كفىً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) . (الرعد:٤٣) وقال عنهم: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ). (هود:١٧)

ولذلك أوصى النبي صلى الله عليه وآله أمته بالقرآن الذي فيه العلم اليقيني ، وبالعترة الذين عندهم التفسير اليقيني .

وعلى هذا المنهج اليقيني عمل أهل البيت عليهم السلام وعلموا الأمة ، وبيَّنوا لها معالم دينها بالعلم لا بالظن ، وخاضوا معركة مع أتباع الظن والرأي ، ولم يقبلوا حتى تعابيرهم ومصطلحاتهم ! فقد سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها فقال الرجل: أرأيتَ إن كان كذا وكذا ، مايكون القول فيها ؟ فقال له: مَـه ، ما أجبتك فيه من شئ فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله . لسنا من"أرأيت"في شئ)!! (الكافي:١/٥٨).

وقد تقدم قول الإمام الباقر عليه السلام في الذين تركزا العلم واتبعوا الظن، إنهم تركوا النهر العظيم وأخذوا يمُصُّون الثماد! قال عليه السلام:(يمصُّون الثماد ويَدَعُون النهر العظيم! قيل له:وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله والعلم الذي أعطاه الله) (الكافي:١/٢٢٢) .

وأحاديث النبي وعترته صلى الله عليه وآله تؤكد هذه الحقيقة وتؤصلها في الإسلام

تجد في كل مصدر حديثي عند الشيعة تقريباً ، أبواباً بعنوان: (النهي عن الفتيا والقول بغير علم)، أو بعنوان:(باب إبطال المقاييس والرأي والبدع)، أو أبواباً مشابهة فيها أحاديث عديدة في تحريم استعمال الظنون والمقاييس في الدين.

وقد ألف قدماء علمائنا ومتأخروهم كتباً عديدة في إبطال القياس والإستحسان والمصالح المرسلة ، وكل عمل بالإحتمال ، أو بالظن العادي ، أو بالظن الغالب !

كما تجد فيها مناظرات لأئمتنا عليهم السلام وعلمائنا ، مع علماء المذاهب الظنية .

ففي كتاب المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي رحمه الله المتوفى٢٧٤هـ:١/١٨٩: (باب المقائيس والرأي....باب النهي عن القول والفتيا بغير علم.... وفي ص٢٠٤: (باب حق الله عزوجل على خلقه... عن زرارة بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حقُّ الله على خلقه؟ قال: حق الله على خلقه أن يقولوا بما يعلمون ، ويكفُّوا عما لا يعلمون ، فإذا فعلوا ذلك فقد والله أدَّوْا إليه حقه) .

رسول الله صلى الله عليه وآله يحذر الأمة من الظنيين بعده !

في المحاسن للبرقي:٢٠٦/١: (عن عبد الله بن شبرمة قال: ما أذكر حديثاً سمعته من جعفر بن محمد إلا كاد يتصدع قلبي ! قال: قال أبي ، عن جدي ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ! قال ابن شبرمة: وأقسم بالله ما كذب أبوه على جده ، ولا كذب جده على رسول الله صلى الله عليه وآله:قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله:من عمل بالمقائيس فقد هلك وأهلك ، ومن أفتى الناس وهو لايعلم الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ، فقد هلك وأهلك) .

علي عليه السلام يحذر الامة من علماء السلطة ومنهجها الظني !

في الكافي:٣٣/١: (عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الناس آلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الى ثلاثة، آلوا الى عالمٍ على سبيل هدى من الله ، قد أغناه الله بما علم عن غيره ، وجاهل مدع للعلم لاعلم عنده، معجب بما عنده، قد فتنته الدنيا وفتن غيره . ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة . ثم هلك من ادعى وخاب من افترى).

وفي الكافي:٥٤/١:(باب البدع والرأي والمقائيس)...عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواءٌ تُتَّبع ، وأحكامٌ تبتدع ، يخالَفُ فيها كتابُ الله ، يتولى فيها رجالٌ رجالاً . فلو أن الباطل خَلُصَ لم يَخْفَ على ذي حجى ، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف ، ولكن يؤخذ من هذا ضِغْثٌ ومن هذا ضغثٌ فيمزجان فيجيئان معاً ، فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى) .

الإمام الباقر عليه السلام يبين أن علم الأئمة عليهم السلام يقينٌ لا ظنون !

في بصائر الدرجات ص٣١٩: (باب في أن الأئمة عليهم السلام عندهم أصول العلم ما ورثوه عن النبي صلى الله عليه وآله لايقولون برأيهم):عن أبي جعفر عليه السلام قال: (ياجابر إنا لوكنا نحدثكم

برأينا وهوانا لكنا من الهالكين! ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم) .

الإمام الصادق عليه السلام يواجه فقهاء السلطة الظنيين !

في المحاسن:٢٠٨/١:عن الإمام الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:إن لله عندكل بدعة تكون بعدي يُكاد بها الإيمان ، ولياً من أهل بيتي موكلاً به يذب عنه ، ينطق بإلهام من الله ، ويعلن الحق وينوره ، ويرد كيد الكائدين (يعني عن الضعفاء) فاعتبروا يا أولي الأبصار ، وتوكلوا على الله) .

وفي المحاسن:٢١١/١: (عن أبي شيبة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن أصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس ، فلم تزدهم المقائيس من الحق إلا بعداً ، وإن دين الله لايصاب بالمقائيس) .

وفي المحاسن:٢١٢/١: (عن محمد بن حكيم ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن قوماً من أصحابنا قد تفقهوا وأصابوا علماً ورووا أحاديث ، فيرد عليهم الشئ فيقولون فيه برأيهم ؟ فقال: لا ، وهل هلك من مضى إلا بهذا وأشباهه ؟!) .

وفي المحاسن:٢٠٥/١: (عن عبدالرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مجالسة أصحاب الرأي فقال: جالسهم، وإياك وخصلتين تهلك فيهما الرجال: أن تدين بشئ من رأيك ، وتفتي الناس بغير علم) .

وفي دعائم الإسلام:٥٣٦/٢: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال لبعض أصحابه: إياك وخصلتين مهلكتين ، تفتي الناس برأيك ، وتدين بما لا تعلم ، إن أول من قاس إبليس وإن أول من سنَّ لهذه الأمة القياس ، لمعروف) !

وفي المحاسن:١٥٦/١: (عن حبيب قال: قال لنا أبو عبد الله عليه السلام: ما أحد أحب إلي منكم ! إن الناس سلكوا سبلاً شتى ، منهم من أخذ بهواه ، ومنهم من أخذ

برأيه ، وإنكم أخذتم بأمر له أصل .وفي حديث آخر قال: إن الناس أخذوا هكذا وهكذا ، فطائفة أخذوا بأهوائهم ، وطائفة قالوا بآرائهم ، وطائفة قالوا بالرواية ، والله هداكم لحبه وحب من ينفعكم حبه عنده).

وفي المحاسن:٢١٠/١: (عن معاوية بن ميسرة بن شريح ، قال: شهدت أبا عبدالله عليه السلام في مسجد الخيف وهو في حلقة فيها نحو من مائتي رجل ، فيهم عبدالله بن شبرمة فقال: يا أبا عبد الله أنا نقضي بالعراق فنقضي ما نعلم من الكتاب والسنة ، وترد علينا المسألة فنجتهد فيها بالرأي ؟ قال: فأنصت الناس جميع من حضر للجواب ، وأقبل أبو عبدالله عليه السلام على من على يمينه يحدثهم ، فلما رأى الناس ذلك أقبل بعضهم على بعض وتركوا الإنصات .

قال: ثم تحدثوا ماشاء الله ، ثم إن ابن شبرمة قال: يا أبا عبدالله إنا قضاة العراق وإنا نقضي بالكتاب والسنة ، وإنه ترد علينا أشياء نجتهد فيها بالرأي ؟

قال: فأنصت جميع الناس للجواب ، وأقبل أبو عبدالله عليه السلام على من على يساره يحدثهم ، فلما رأى الناس ذلك أقبل بعضهم على بعض وتركوا الإنصات .

ثم إن ابن شبرمة مكث ما شاء الله ثم عاد لمثل قوله ! فأقبل أبو عبد الله عليه السلام فقال: أي رجل كان علي بن أبي طالب، فقد كان عندكم بالعراق ولكم به خبر؟ قال: فأطراه ابن شبرمة وقال فيه قولاً عظيماً ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: فإن علياً أبى أن يدخل في دين الله الرأي، وأن يقول في شئ من دين الله بالرأي والمقائيس !

فقال أبو ساسان: فلما كان الليل دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: يا أبا ساسان لم يدعني صاحبكم ابن شبرمة حتى أجبته ، ثم قال: لو علم ابن شبرمة من أين هلك الناس ، ما دان بالمقائيس ولا عمل بها) .

وفي علل الشرائع:٨٦/١: (عن ابن شبرمة قال: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمدعليهما السلامفقال لأبي حنيفة: إتق الله ولا تقس الدين برأيك ، فإن أول من قاس إبليس ، أمره الله عز وجل بالسجود لآدم فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ... ثم قال لأبي حنيفة: أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان؟ قال لا أدري ، قال هي كلمة: لا إله إلا الله ، لو قال لا إله: كان شركاً ، ولو قال: إلا الله ، كان إيماناً . ثم قال جعفرعليه السلام: ويحك أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا ؟ قال قتل النفس ، قالعليه السلام: فإن الله عز وجل قد قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة ، ثم قالعليه السلام:أيهما أعظم الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة ، قالعليه السلام: فما بال الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة ؟! فكيف يقوم لك القياس؟! فاتق الله ولا تقس) .

وفي الأصول العامة للفقه المقارن ص ٣٢٩ ، عن حلية الأولياء لأبي نعيم:١٩٧/٣:
(عن ابن جميع قال: (دخلت على جعفر بن محمد أنا وابن أبي ليلى وأبو حنيفة فقال لابن أبي ليلى: من هذا معك ؟ قال: هذا رجل له بصرٌ ونفاذ في أمر الدين .
قال: لعله يقيس أمر الدين برأيه . الى أن قال ، في حديث طويل:
يانعمان ، حدثني أبي عن جدي: أن رسول اللهصلى الله عليه وآلهقال: أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس، قال الله تعالى له:أسجد لآدم ، فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيمة بإبليس ، لأنه أتبعه بالقياس!ثم قال له....أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا؟...الخ.)...

وقد روت مجلس أبي حنيفة عند الإمام الصادقعليه السلامروايات متعددة ، جاء في بعضها أن أبا حنيفة حاول أن يتخلص من إحراجه في القياس والعمل بالظنون ، بإحراج الإمام الصادقعليه السلامفي موقفه من تولي أبي بكر وعمر وعثمان ، الأمر

الذي يشير الى الربط بين العمل بالظن وبين توليهم زاتّباعهم .

فقد روى الصدوق في علل الشرائع:٨٩/١ ، عن بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قال: (كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه غلام من كندة فاستفتاه في مسألة فأفتاه فيها ، فعرفت الغلام والمسألة ، فقدمت الكوفة فدخلت على أبي حنيفة فإذا ذاك الغلام بعينه يستفتيه في تلك المسألة بعينها ، فأفتاه فيها بخلاف ما أفتاه أبو عبدالله عليه السلام ، فقمت إليه فقلت ويلك يا أبا حنيفة إني كنت العام حاجاً فأتيت أباعبدالله عليه السلام مسلّماً عليه فوجدت هذا الغلام يستفتيه في هذه المسألة بعينها ، فأفتاه بخلاف ما أفتيته .

فقال: وما يعلم جعفر بن محمد؟! أنا أعلم منه ، أنا لقيت الرجال وسمعت من أفواههم ، وجعفر بن محمد صُحُفي أخذ العلم من الكتب !

فقلت في نفسي: والله لأحجنّ ولو حبواً .

قال: فكنت في طلب حجة فجاءتني حجة فحججت ، فأتيت أبا عبدالله عليه السلام وحكيت له الكلام ، فضحك ثم قال: أما قوله إني رجل صحفي ، فقد صدق ، قرأت صحف آبائي إبراهيم وموسى ! فقلت: ومن له بمثل تلك الصحف ؟!

قال: فما لبثت أن طرق الباب طارق وكان عنده جماعة من أصحابه ، فقال للغلام: أنظر من ذا ؟ فرجع الغلام فقال أبو حنيفة ، قال أدخله ، فدخل فسلم على أبي عبدالله عليه السلام فرد عليه ، ثم قال: أصلحك الله أتأذن في القعود ؟ فأقبل على أصحابه يحدثهم ولم يلتفت إليه ، ثم قال الثانية والثالثة ، فلم يلتفت إليه ، فجلس أبو حنيفة من غير إذنه ، فلما علم أنه قد جلس التفت إليه فقال: أين أبو حنيفة ؟ فقيل هو ذا أصلحك الله .

فقال: أنت فقيه أهل العراق؟ قال نعم . قال: بما تفتيهم ؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله .

قال: يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته ، وتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال: نعم . قال: يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً ، ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم ، ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبيناﷺ ! ماورّثك الله من كتابه حرفاً ! فإن كنت كما تقول ولست كما تقول ، فأخبرني عن قول الله عز وجل: سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ، أين ذلك من الأرض؟

قال: أحسبه ما بين مكة والمدينة . فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابه فقال: تعلمون أن الناس يقطع عليهم بين المدينة ومكة ، فتوخذ أموالهم ، ولايؤمنون على أنفسهم ويقتلون ؟ قالوا: نعم . قال: فسكت أبو حنيفة .

فقال عليه السلام: يا أبا حنيفة أخبرني عن قول الله عز وجل: وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً ، أين ذلك من الأرض ؟ قال: الكعبة .

قال: أفتعلم أن الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله ، كان آمناً فيها ؟! قال: فسكت .

ثم قال له: يا أبا حنيفة ، إذا ورد عليك شئ ليس في كتاب الله ، ولم تأت به الآثار والسنة كيف تصنع؟ فقال: أصلحك الله ، أقيس وأعمل فيه برأيي .

قال: ياأبا حنيفة ، إن أول من قاس إبليس الملعون ، قاس على ربنا تبارك وتعالى فقال: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَني مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . فسكت أبو حنيفة .

فقال: يا أبا حنيفة ، أيُّما أرْجَس: البول أو الجنابة ؟ فقال: البول ، فقال: فما بال الناس يغتسلون من الجناية ولايغتسلون من البول؟ فسكت .

فقال: يا أبا حنيفة ، أيُّما أفضل: الصلاة أم الصوم؟ قال الصلاة ، قال: فما بال الحائض تقضي صومها ، ولا تقضي صلاتها ؟ فسكت .

فقال: يا أباحنيفة ، أخبرني عن رجل كانت له أم ولد ، وله منها ابنة ، وكانت له

حرةٌ لاتلد ، فزارت الصبية بنت أم الولد أباها ، فقام الرجل بعد فراغه من صلاة الفجر ، فواقع أهله التي لا تلد وخرج إلى الحمام ، فأرادت الحرة أن تكيد أم الولد وابنتها عند الرجل ، فقامت إليها بحرارة ذلك الماء فوقعت عليها وهي نائمة فعالجتها كما يعالج الرجل المرأة فعلقت ، أي شئ عندك فيها ؟

قال: لا والله ما عندي فيها شئ .

فقال: يا أبا حنيفة ، أخبرني عن رجل كانت له جارية فزوجها من مملوك له وغاب المملوك ، فولد له من أهله مولود ، وولد للمملوك مولود من أم ولد له ، فسقط البيت على الجاريتين ومات المولى ، من الوارث ؟

فقال: جعلت فداك ، لا والله ما عندي فيها شئ .

فقال أبوحنيفة: أصلحك الله إن عندنا قوماً بالكوفة يزعمون أنك تأمرهم بالبراءة من فلان وفلان وفلان ! فقال: ويلك يا أبا حنيفة ، لم يكن هذا معاذ الله .

فقال: أصلحك الله، إنهم يُعْظمون الأمر فيهما ! (أي يطعنون فيهما) .

قال: فما تأمرني؟! قال: تكتب إليهم ، قال: بماذا ؟ قال: تسألهم الكف عنهما . قال: لايطيعوني ، قال: بلى أصلحك الله إذا كنت أنت الكاتب وأنا الرسول أطاعوني . قال: يا أبا حنيفة أبيتَ إلا جهلاً ، كم بيني وبين الكوفة من الفراسخ ؟ قال: أصلحك الله ، ما لايحصى . فقال: كم بيني وبينك؟ قال لا شئ . قال: أنت دخلت عليَّ في منزلي فاستأذنت في الجلوس ثلاث مرات ، فلم آذن لك ، فجلست بغير إذني خلافاً عليَّ ، كيف يطيعوني أولئك ، وهم هناكَ وأنا هاهنا ؟

قال :فقبل رأسه وخرج وهو يقول: أعلم الناس ، ولم نره عند عالم !

فقال أبو بكر الحضرمي: جعلت فداك ، الجواب في المسألتين:

فقال: يا أبا بكر ، سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ، فقال: مع قائمنا أهل البيت .

وأما قوله: وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً ، فمن بايعه ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقد أصحابه ، كان آمناً) . انتهى.

وفي اختيار معرفة الرجال للطوسي:٦٨١/٢: (عن حريز قال: دخلت على أبي حنيفة وعنده كتب كادت تحول فيما بيننا وبينه ، فقال لي: هذه الكتب كلها في الطلاق وأنتم ! وأقبل يقلب بيده . قال قلت: نحن نجمع هذا كله في حرف ! قال: وما هو؟ قال قلت: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ . فقال لي: فأنت لاتعلم شيئاً إلا برواية ؟ قلت: أجل .

فقال لي: ماتقول في مُكاتب كاتب مكاتبته ألف درهم ، فأدى تسعمائة وتسعة وتسعين درهماً ، ثم أحدث ، يعني الزنا ، كيف نحده ؟

فقلت: عندي بعينها: حديث حدثني محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أن علياً عليه السلام كان يضرب بالسوط وبثلثه وبنصفه وببعضه ، بقدر أدائه .

فقال لي: مالي أسألك عن مسألة لايكون عندك فيها شئ ! فما تقول في جمل أخرج من البحر؟ فقلت: إن شاء فليكن جملاً وإن شاء فليكن بقرة ! إن كانت عليه فلوس أكلناه ، وإلا فلا). انتهى.

الإمام الكاظم عليه السلام يواصل خط الأئمة من العترة الطاهرة عليهم السلام

في الكافي:٥٧/١: (عن عثمان بن عيسى قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن القياس فقال: ما لكم والقياس ! إن الله لايُسألُ كيف أحلَّ وكيف حرَّم) !

وفي بصائر الدرجات ص١٦٧: (عن محمد بن حكيم عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنما هلك من كان قبلكم بالقياس! إن الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه حتى أكمل له جميع دينه في حلاله وحرامه فجاءكم بما تحتاجون إليه في حياته ، وتستغنون

به وبأهل بيته بعد موته صلى الله عليه وآله. وإنها لصحفٌ عند أهل بيته حتى أن فيها أرش خدش الكف). انتهى.

هذا، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام في الموضوع متواترة، يكفي منها ما تقدم.

المنهج اليقيني عند الشيعة والمنهج الظني عند غيرهم

على هذا التأصيل القرآني النبوي، قام المنهج اليقيني في مذهب أهل البيت عليهم السلام فهو يقول لك: إِنَّ الظَّنَّ لايُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً، وإنك طالبُ علم ولستَ طالب ظن، فلا تجمع ظنوناً وتقدمها الى المسلمين على أنها دين الله تعالى!

ولكي يكون ما تكسبه علماً نظيفاً من الظنون، عليك أن تتفهم القواعد الست التالية لبحثك العلمي في المواضيع الإسلامية:

الأولى: أن حجية العقل محصورة بمدركاته القطعية كحسن العدل وقبح الظلم أما ظنونه واحتمالاته فلاتغني من الحق شيئاً، كما أرشدك الله تعالى في كتابه.

الثانية، أن نص القرآن قطعي، فلا بد أن تكون دلالته قطعية، أو تنتهي إلى القطع وإلا فهو الظن أو الإحتمال الأبخس من الظن، وكلاهما لاقيمة لهما عند الله تعالى وعند العقل.

الثالثة، لابد لك من العلم بصدور النص الذي تستدل به من المعصوم: النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام، فإن علمت بصدور لفظه أو مضمونه أو قامت عندك حجة قطعية عليه فاعتمده، وإلا فهو ظن أو احتمال لاقيمة له، لا عند الله تعالى ولا عند العقل.

الرابعة، إن لم تجد علماً من نص قطعي ودلالة قطعية أو حجة قطعية، فاعلم أن

طريق الضلال يبدأ من هنا ! فاحذر أن تسلكه وتقول إني لم أستطع تحصيل العلم فلا بد أن أعمل بظني، فتحطب احتمالات وتنسبها الى دين الله تعالى! فإنما هي احتمالات، لا قيمة لها عند الله تعالى ولا عند العقل ، وإنها لاتصلح حلاً لمشكلتك ، بل الحل أن تعرف أنك في حالة شك في حكم الله تعالى ومفاهيم دينه ، فلاتبحث عن الظن ، بل ابحث عن الحكم العملي للشاك ، فهو حكم قطعي من الكتاب والسنة والعقل ، والعمل به عمل بعلم .

وتسمى القواعد التي تحدد حكم حالة الشاك: (الأصول العملية) ، كقاعدة براءة الذمة عن التكليف الشرعي الإلزامي وأصالة الحل ، (كل شئ لك حلال حتى تعلم أنه حرام ، وكل شئ مطلق حتى يرد فيه نهي)، وقاعدة: أن اشتغال الذمة اليقيني يستوجب الفراغ القيني ، (لا تنقض اليقين بالشك ولكن تنقضه بيقين آخر) . وكلها قواعد قطعية من الكتاب والسنة وقطعي العقل .

إن الأصول اللفظية والعملية التي يمتاز بها المذهب الشيعي ، والتي يعكف علماؤه القدماء والمعاصرون على تدريسها وإغناء بحوثها، ويقيِّمون بها مستوى طالب العلم ..تمثِّل إصرار المذهب على المنهج العلمي القطعي، ورفضه للظنون .

فالسيد الحاكم في منهج مذهبنا هو العلم بالنص وبدلالته ، ولاقيمة لظن المجتهد الجامع للشروط واحتمالاته ، فضلاً عن غير المجتهد .

فإن لم يوجد النص ، فالحاكم أيضاً هو النص الذي يحدد بنحو قطعي حكم حالة الشك ، ولا قيمة لظنون المجتهد واحتمالاته ، فضلاً عن غيره !

الخامسة: لكل واقعة في علم الله حكمٌ شرعي ، وهو واحد وليس متعدداً . وعندما يختلف المجتهدون في استنباط الحكم ، بسبب اختلاف مبانيهم العلمية وفهمهم للكتاب والسنة والأصل العملي ، يكون مايستنبطونه حكماً ظاهرياً ، وهو

وإن كان حجة في حق المكلف ، لكنه حكم ظاهري لحالته ، قد يطابق حكم الله الواقعي ، وقد يخالفه .

السادسة: أن الأصل القرآني والعقلي عدم حجية الظن مهما كان مصدره وصاحبه ، إلا إذا نصَّت الشريعة على اعتباره وحجيته ، تسهيلاً على الناس ، كظن الشاك في جهة القبلة ، والظن في عدد ركعات الصلاة ، والظن في تخمين المحاصيل ، وما شابه . فيعمل منه بالمنصوص ، ولا يتجاوز الى غيره ، ويسمى: الظن المعتبر شرعاً ، وسنورد نماذج منه .

ألا يحق لهذا المنهج العلمي أن يقول: لسنا ظنيين ولا من أهل أرأيتَ في شئ !

قال الشريف المرتضى في رسائله:٢٠١/١: (إعلم أنه لا بد في الأحكام الشرعية من طريق التوصل إلى العلم بها . . . ولهذه الجملة أبطلنا أن يكون القياس في الشريعة ، الذي يذهب مخالفونا إليه ، طريقاً إلى الأحكام الشرعية ، من حيث كان القياس يوجب الظن ولايقتضي العلم) .

وقال في ص٢٠٤:(وقد استقصينا الكلام في القياس وفرعناه وبسطناه وانتهينا فيه إلى أبعد الغايات ، في جواب مسائل وردت من أهل الموصل متقدمة ، أظنها في سنة نيف وثمانين وثلاثمائة ، فمن وقف عليها استفاد منها جميع مايحتاج إليه في هذا الباب) .

وقال المحقق الحلي في المعتبر:٣٢/١: (وأما القياس فلا يعتمد عليه عندنا ، لعدم اليقين بثمرته ، فيكون العمل به عملاً بالظن المنهي عنه ، ودعوى الإجماع من الصحابة على العمل به لم يثبت ، بل أنكره جماعة منهم) .

وقال ابن الشهيد في المعالم ص٢٢٦: (القياس هو الحكم على معلوم بمثل الحكم الثابت لمعلوم آخر ، لاشتراكهما في علة الحكم . فموضع الحكم الثابت

يسمى أصلاً ، وموضع الآخر يسمى فرعاً ، والمشترك جامعاً وعلة ، وهي إما مستنبطة أو منصوصة . وقد أطبق أصحابنا على منع العمل بالمستنبطة إلا من شذ ، وحكى إجماعهم فيه غير واحد منهم ، وتواترت الأخبار بإنكاره عن أهل البيت عليهم السلام، و بالجملة فمنعه يعدُّ في ضروريات المذهب.

وأما المنصوصة: ففي العمل بها خلاف بينهم ، فظاهر المرتضى رضي الله عنه المنع منه أيضاً . وقال المحقق رحمه الله: إذا نص الشرع على العلة ، وكان هناك شاهد حال يدل على سقوط اعتبار ما عدا تلك العلة في ثبوت الحكم ، جاز تعْدِية الحكم ، وكان ذلك برهاناً .

وقال العلامة: الأقوى عندي أن العلة إذا كانت منصوصة وعلم وجودها في الفرع كانت حجة . واحتج في النهاية لذلك بأن الأحكام الشرعية تابعة للمصالح الخفية والشرع كاشف عنها ، فإذا نصَّ على العلة عرفنا أنها الباعثة والموجبة لذلك الحكم ، فأين وجدت وجب وجود المعلول) . انتهى .

وقال المحقق الحلي في معارج الأصول ص١٨٨: (العمل بالقياس عملٌ بالظن والعمل بالظن غير جائز . أما الأولى فظاهرة ، وأما الثانية: فبقوله تعالى: وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . وبقوله: إِنَّ الظَّنَّ لايُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً. وبقوله: وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى الله مَا لا تَعْلَمُونَ .

لايقال: مع وجود الدلالة عليه لا يكون عملاً بالمظنون بل بالمقطوع به ، كالعمل بالشاهدين ، والحكم بالأرش ، واستقبال القبلة .

لأنا نقول: وجد المنع فوجب طرده ، فإذا خرج ما أشرتم إليه وجب تناوله لما بقي ، عملاً بمقتضى الدليل ، وسنبطل ما يزعمون أنه دليل على العمل به ، فيبقى ما ذكرناه من الدليل سليماً عن المعارض) . انتهى.

وقال الوحيد البهبهاني في الرسائل الفقهية ص٧: (الحكم الشرعي ليس إلا ما صدر من الشرع ، وحكم المجتهد صادر عن المجتهد ، وهو ليس بشرع ، نعم في ظنه أنه من الشرع ، والظن لايغني من الحق شيئاً . مع أن أحكامهم في الغالب متغايرة بل متضادة ، فلا يكون المجموع مظنوناً .

وأيضاً ، حكم الشرع ليس إلا منه ، وظن المجتهد ليس إلا من المجتهد ، مع كونه ظناً . فكون أحدهما عين الآخر فاسد جزماً ، وكونه يحسب مكان الآخر شرعاً ويكفي عوضاً له ، يتوقف على الدليل). انتهى.

وفي فرائد الأصول للشيخ الأنصاري:١٣١/١: (هذا ، ولكن حقيقة العمل بالظن هو الإستناد إليه في العمل والإلتزام بكون مؤداه حكم الله في حقه ، فالعمل على ما يطابقه بلا استناد إليه ليس عملاً به ، فصح أن يقال: إن العمل بالظن والتعبد به حرام مطلقاً ، وافق الأصول أو خالفها ، غاية الأمر أنه إذا خالف الأصول يستحق العقاب من جهتين: من جهة الإلتزام والتشريع ، ومن جهة طرح الأصل المأمور بالعمل به حتى يعلم بخلافه . وقد أشير في الكتاب والسنة إلى الجهتين:

فمما أشير فيه إلى الأولى قوله تعالى: قُلْءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ . وقوله عليه السلام: رجل قضى بالحق وهو لا يعلم .

ومما أشير فيه إلى الثانية قوله تعالى: إِنَّ الظَّنَّ لايُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً، وقوله عليه السلام: من أفتى الناس بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه . ونفس أدلة الأصول) .

وفي فرائد الأصول للشيخ الأنصاري:١٣٣/١: (ثم إنه ربما يستدل على أصالة حرمة العمل بالظن بالآيات الناهية عن العمل بالظن ، وقد أطالوا الكلام في النقض والإبرام في هذا المقام بما لا ثمرة مهمة في ذكره ، بعد ما عرفت ، لأنه إن أريد الإستدلال بها على حرمة التعبد والإلتزام والتدين بمؤدى الظن ، فقد

عرفت أنه من ضروريات العقل فضلاً عن تطابق الأدلة الثلاثة النقلية عليه .

وإن أريد دلالتها على حرمة العمل المطابق للظن ، وإن لم يكن عن استناد إليه: فإن أريد حرمته إذا خالف الواقع مع التمكن من العلم به ، فيكفي في ذلك الأدلة الواقعية . وإن أريد حرمته إذا خالف الأصول مع عدم التمكن من العلم ، فيكفي فيه أيضاً أدلة الأصول ، بناء على ما هو التحقيق من أن مجاريها صور عدم العلم الشامل للظن .

وإن أريد حرمة العمل المطابق للظن من دون استناد إليه وتديُّن به ، وعدم مخالفة العمل للواقع مع التمكن منه ، ولا لمقتضى الأصول مع العجز عن الواقع ، فلا دلالة فيها ولا في غيرها على حرمة ذلك ، ولا وجه لحرمته أيضاً .

والظاهر أن مضمون الآيات هو التعبد بالظن والتدين به ، وقد عرفت أنه ضروري التحريم ، فلا مهم في إطالة الكلام في دلالة الآيات وعدمها ، إنما المهم الموضوع له هذه الرسالة ، بيان ما خرج أو قيل بخروجه من هذا الأصل ، من الأمور الغير العلمية التي أقيم الدليل على اعتبارها ، مع قطع النظر عن انسداد باب العلم) . انتهى.

وقال السيد الخوئي في كتاب الإجتهاد والتقليد ص٢٣: (والمتحصل إلى هنا أن الإجتهاد بمعنى تحصيل الظن بالحكم الشرعي كما يراه المحدثون بدعة وضلال إلا أن الأصوليين لايريدون إثباته وتجويزه ، ولا يدَّعون وجوبه ولا جوازه بوجه بناء على عدم تمامية مقدمات الإنسداد ، كما هو الصحيح .

وأما الإجتهاد بمعنى تحصيل الحجة على الحكم الشرعي ، فهو أمرٌ لايسع المُحَدِّث إنكاره وهو الذي يرى الأصولي وجوبه . فما أنكره المحدِّثون لا يثبته الأصوليون ، كما أن ما يريد الأصوليون إثباته ، لاينكره المحدَّثون . إذن يظهر

أن النزاع بين الفريقين لفظي ، وهو راجع إلى التسمية ، فإن المحدِّث لايرضى بتسمية تحصيل الحجة اجتهاداً ، وأما واقعه فكلتا الطائفتين تعترف به) . انتهى.

والنتيجة

أن الإجتهاد عندنا عملية اكتشاف لا اختراع ، فهو بذل الجهد لمعرفة الأحكام الشرعية والمفاهيم الإسلامية ، فإن لم يكن لنا طريق للعلم ، فالحل أن نبحث عن الوظيفة الشرعية للمكلف في حالة الشك ، لا أن نركب ظنوننا ونتبع احتمالاتنا ، فذلك هو العمل بالظن المنهي عنه في القرآن والسنة، وهو الإجتهاد الذي يرفضه الشيعة، اللهم إلا أن يدل دليل خاص على حجية الظن في مورد ، فيقتصر عليه .

قال السيد الحكيم في الأصول العامة للفقه المقارن ص٨٦:

(فمراحل البحث لدى المجتهد إذن خمسة:

١ ـ مرحلة البحث عن الحكم الواقعي....

٢ ـ مرحلة البحث عن الحكم الواقعي التنزيلي وأهم أصوله: الاستصحاب...

٣ ـ مرحلة البحث عن الوظيفة الشرعية ، وأصولها هي: البراءة الشرعية ، الإحتياط الشرعي ، التخيير الشرعي .

٤ ـ مرحلة البحث عن الوظيفة العقلية ، وأصولها: البراءة العقلية ، الإحتياط العقلي ، التخيير العقلي .

٥ ـ مرحلة تعقد المشكلة وعدم التمكن من العثور على أدلة الحكم أو الوظيفة بأقسامها ، والأصول التي يرجع إليها عادة هي القرعة...) . انتهى.

ولا يتسع المجال لاستعراض كلمات فقهائنا في مسائل هذا المنهج القويم .

منهج العمل بالظنون والإحتمالات عند أتباع الخلافة !

ما هو المنهج الذي يقوم عليه البحث الديني عند علماء المذاهب السنية ؟

قد يجيبك بعضهم بأنه: منهج الإستدلال العلمي ، بالكتاب والسنة والعقل .

وهو كلامٌ طيب يسرُّ السامعين، لكنك عندما ترى استنباطهم من الكتاب والسنة تجد أن منهجهم يقوم على: الظن ، ثم الظن ، ثم الظن ، ثم الظن !!

وقد عبرنا بالظن الرباعي ، لأنه لايخرج عن أحد أربعة أنواع من الظن:

فهو إما ظنٌّ في فهم معنى الآية القرآنية .

أو: ظنٌّ في صحة الحديث .

أو: ظنٌّ في معناه .

أو: مجرد ظنٍّ فيما لانص فيه ، لايستند الى آية ولا حديث ، ولا الى مدركات العقل القطعية ! فهو القياس والإستحسان والمصالح المرسلة وترجيح احتمال من بين احتملات عديدة بدون مرجح ! وكلها عندهم حجة شرعية ! وكلها دين الله تعالى ، مهما تكاثرت وتخالفت وتناقضت !

وهذا النوع الأخير من الظن أكثر الظنون رواجاً عندهم ، وصاحبه أحد أربعة:

خليفة أو صحابي مقبول في المذهب ، ظن ظناً وأفتى به ، فاتبعوه !

أو إمام مذهب مرضي عند الخليفة، ظن ظناً أو رجح احتمالاً وأفتى به فاتبعوه !

أو عالم متضلع في المنهج الظني ، رجَّحَ ظناً أو احتمالاً فاتبعوه !

أو طالب علم مبتدئ ، دخل لتوه في غابة الظنون ، فاحتطب منها واتبعوه !

خلافٌ خادع بين الظنيين !

عندما تقرأ لأتباع الخلافة بحوثهم في تفسيره آيات النهي عن العمل بالظن . وتقرأ للأصوليين منهم بحوثهم المطولة في حجية العمل بأنواع الظنون والإحتمالات ، من القياس والإستحسان والمصالح المرسلة.. يبدو لك أن خلافاً حقيقياً أو معركة علمية جدِّية ، تدور بين القائلين بضرورة تحصيل العلم ورفض اتّباع الظن ، وبين القائلين بالعمل بالظن والقياس ، وأن أمامهم مشكلة حقيقية في آيات النهي عن اتباع الظن وأحاديثه المحكمة الصريحة ، فهم يبحثون كيف يمكنهم تجاوزها والتأسيس لمنهج اتَّبَاع الظن ؟

كما يبدو لك أنهم أمام مشكلة أخرى ، هي أن الصحابة والتابعين المقبولين عندهم ، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، صحَّت عنهم أقوالٌ ومواقفُ متناقضة ، نفوا في بعضها عن النبيصلى الله عليه وآله وعن أنفسهم الإجتهاد والعمل بالظن ، بينما نسبوا في بعضها الآخر الرأي والظن للنبيصلى الله عليه وآله وعملوا به هم !

لكن لايغرُّك كل ما تقرؤه في هذه المعركة ، لأنها من أصلها خادعة ! فالنتيجة متفقٌ عليها عند المخالف منهم والموافق ، وهي أن آيات النهي عن اتباع الظن يجب نسيانها أو ليُّ عنقها ، فالظن في الدين شرعي والنبيصلى الله عليه وآله عمل بظنونه ، والخلفاء في عملهم بظنونهم إنما اقتدوا به ! ويحق للحكام والمجتهدين والناس ، أن يعملوا بظنونهم ، ويكون ما غلب عليه ظن أحدهم دين الله تعالى !

أنظر الى كلامهم الجميل في رد الظنون ، ونفي العمل بالظن عن النبيصلى الله عليه وآله

قال البخاري في صحيحه:١٤٨/٨: (باب كان النبي(ص)يُسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول لا أدري ، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ولم يقل برأي ولا قياس

لقوله تعالى: بما أراك الله . وقال ابن مسعود: سئل النبي(ص)عن الروح فسكت ، حتى نزلت الآية) .

وفي سنن أبي داود:١٦١/٢: (عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب قال وهو على المنبر: يا أيها الناس ، إن الرأي إنما كان من رسول الله(ص) مصيباً ، لأن الله كان يُرِيه ، وإنما هو منا الظنُّ والتكلف) ! (ورواه في الدر المنثور:١٢٧/٦، عن ابن أبي حاتم) .

وقال الرازي في تفسيره:٥٦/١٧: (قوله: إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ ، معناه: لا أتبع إلا ما يوحى إليَّ ، فهذا يدل على أنه عليه الصلاة والسلام ما حكم إلا بالوحي ، وهذا يدل على أنه لم يحكم قط بالإجتهاد) .

وقال الرازي في تفسيره:٣٤/١١: (قوله: بما أراك الله ، معناه بما أعلمك الله . وسمي ذلك العلم بالرؤية ، لأن العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جارياً مجرى الرؤية في القوة والظهور . وكان عمر يقول: لايقولنَّ أحد قضيت بما أراني الله تعالى ، لم يجعل ذلك إلا لنبيّه ، وأما الواحد منا فرأيه يكون ظناً ، ولا يكون علماً إذا عرفت هذا فنقول: قال المحققون: هذه الآية تدل على أنه عليه الصلاة والسلام ، ما كان يحكم إلا بالوحي والنص.....).

وفي عون المعبود:٣٦٥/٩: (قال ابن القيم في أعلام الموقعين: مراد عمر قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ، فلم يكن له رأيٌ غير ما أراه الله إياه ، وأما ما رأى غيره فظنٌّ وتكلف) . انتهى.

وقال الغزالي في المستصفى ص٢٨٩: (قال النظام فيما حكاه الجاحظ عنه: إنه لم يخض في القياس إلا نفرٌ يسيرٌ من قدمائهم ، كأبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل ، ونفر يسير من أحداثهم ، كابن مسعود وابن عباس وابن الزبير . ثم شرع في ثلب العبادلة ، وقال: كأنهم كانوا أعرف بأحوال

النبي صلى الله عليه وآله من آبائهم! وأثنى على العباس والزبير إذ تركا القول بالرأي ولم يشرِّعا.

وقال الداودية: لانسلم سكوت جميعهم عن إنكار الرأي والتخطئة فيه ، إذ قال أبو بكر: أيُّ سماء تُظلني وأيَّ أرض تُقلني إذا قلت في كتاب الله برأيي . وقال: أقول في الكلالة برأيي ، فإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان !

وقال علي لعمر في قصة الجنين: إن اجتهدوا فقد أخطأوا ، وإن لم يجتهدوا فقد غشُّوا. وقالت عائشة: أخبروا زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله(ص) إن لم يتب لفتواه بالرأي في مسألة العينة .

وقال ابن عباس: من شاء باهلته إن الله لم يجعل في المال النصف والثلثين .

وقال: ألا يتقي الله زيد بن ثابت يجعل ابن الإبن ابناً ، ولا يجعل أبا الأب أباً .

وقال ابن مسعود في مسألة المفوضة: إن يك خطأ فمني ومن الشيطان .

وقال عمر: إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا .

وقال علي وعثمان: لو كان الدين بالرأي ، لكان المسح على باطن الخف أولى من ظاهره .

وقال عمر: إتهموا الرأي على الدين ، فإن الرأي منا تكلف وظن ، وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً. وقال أيضاً: إن قوماً يفتون بآرائهم ، ولو نزل القرآن لنزل بخلاف ما يفتون .

وقال ابن مسعود: قراؤكم وصلحاؤكم يذهبون ، ويتخذ الناس رؤساء جهالاً يقيسون ما لم يكن بما كان . وقال أيضاً: إن حكَّمتم في دينكم بالرأي ، أحللتم كثيراً مما حرمه الله ، وحرمتم كثيراً مما أحله الله .

وقال ابن عباس: إن الله لم يجعل لأحد أن يحكم في دينه برأيه ، وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولم يقل: بما رأيت .

وقال: إياكم والمقاييس ، فما عبدت الشمس إلا بالمقاييس .

وقال ابن عمر: ذروني من أرأيتَ وأرأيت !

وكذلك أنكر التابعون القياس قال الشعبي: ما أخبروك عن أصحاب أحمد فاقبله ، وما أخبروك عن رأيهم فألقه في الحِشّ ! إن السنة لم توضع بالمقاييس . وقال مسروق بن الأجدع: لاأقيس شيئاً بشئ أخاف أن تزل قدم بعد ثبوتها) .

ثم انظر كيف نفوا ما أثبتوه ، وأبطلوا ما أصّلوه !

قال البيهقي في سننه:١١٧/١٠، بعد أن روى قول عمر المتقدم: (وإنما أراد به والله أعلم ، الرأي الذي لا يكون مشبَّهاً بأصل ، وفي معناه ورد ما روي عنه وعن غيره في ذم الرأي فقد روينا عن أكثرهم اجتهاد الرأي في غير موضع النص !).انتهى.

ومعنى كلام البيهقي: أن الظن المنهي عنه في القرآن غير ظن القياس ، وكأن ظن القياس علم ويقين ! ثم اعترف البيهقي بأن نهي عمر عن الظن والرأي ثابتٌ ، لكن لمَّا عَمِلَ عمر نفسه بالرأي والظن ، فنحن نأخذ بما عمل ، ونترك ما قال !

وقال الغزالي في المستصفى ص٢٩٠:(بيَّنا بالقواطع من جميع الصحابة الإجتهاد والقول بالرأي ، والسكوت عن القائلين به ، وثبت ذلك بالتواتر في وقائع مشهورة كميراث الجد ، والإخوة ، وتعيين الإمام بالبيعة ، وجمع المصحف ، والعهد إلى عمر بالخلافة . وما لم يتواتر كذلك ، فقد صح من آحاد الوقائع بروايات صحيحة لاينكرها أحد من الأمة ، ما أورث علماً ضرورياً بقولهم بالرأي ،وعُرف ذلك ضرورةً ، كما عُرف سخاء حاتم وشجاعة علي ، فجاوز الأمر حداً يمكن التشكك في حكمهم بالإجتهاد .

وما نقلوه بخلافه ، فأكثرها مقاطيع ومروية عن غير ثبت ، وهي بعينها معارضة برواية صحيحة عن صاحبها بنقيضه، فكيف يترك المعلوم ضرورة بما ليس مثله !

ولو تساوت في الصحة لوجب إطراح جميعها ، والرجوع إلى ماتواتر من مشاورة الصحابة واجتهادهم .

الثاني: أنه لو صحت هذه الروايات وتواترت أيضاً لوجب الجمع بينها وبين المشهوَر من اجتهاداتهم ، فيحمل ما أنكروه على الرأي المخالف للنص ، أو الرأي الصادر عن الجهل الذي يصدر ممن ليس أهلاً للإجتهاد ، أو وَضَع الرأي في غير محله والرأي الفاسد الذي لايشهدله أصل ويرجع إلى محض الإستحسان ووضع الشرع ابتداء ، من غير نسج على منوال سابق .

وفي ألفاظ روايتهم ما يدل عليه ، إذ قال: اتخذ الناس رؤساء جهالاً ، وقال: لو قالوا بالرأي لحرموا الحلال وأحلوا الحرام . فإذاً ، القائلون بالقياس مُقرُّونَ بإبطال أنواع من الرأي والقياس ، والمنكرون للقياس: لا يقرون بصحة شئ منه أصلاً .

ونحن نقر بفساد أنواع من الرأي والقياس ، كقياس أصحاب الظاهر إذ قالوا: الأصول لاتثبت قياساً فلتكن الفروع كذلك ، ولا تثبت الأصول بالظن فكذلك الفروع ، وقالوا: لو كان في الشريعة علة لكانت كالعلة العقلية ، فقاسوا الشئ بما لايشبهه . فإذاً ، إن بطل كل قياس فليبطل قياسهم ورأيهم في إبطال القياس أيضاً وذلك يؤدي إلى إبطال المذهبين). انتهى.

أقول: أولاً، نسيَ الغزالي كغيره أو تناسوا أن المسألة فيها أصل قرآني هو حرمة العمل بالظن، فكيف يبحثها وكأن الدليل فيها قول الصحابة وعملهم فقط !

ثم تفنن في رأي الصحابة ، فقال لقد ثبت عنهم بالتواتر أنهم عملوا بالرأي والظن ، وروي عنهم روايةً أنهم نهوا عنه ، فيقدم ما تواتر عنهم على ما رواه آحاد ، وهذا معنى قول الغزالي: (فكيف يترك المعلوم ضرورة بما ليس مثله) !

ولكن هذا خطأ ، فإن نهي عمر مثلاً عن الرأي متواتر ، وعمله به متواترٌ أيضاً ! وليس معنى التواتر إلا نقل جماعة متعددة يمتنع عادةً اجتماعهم على الكذب ، وهذا متحقق في تحريم عمر للرأي والظن ، ثم في عمله به ! وقد أثبتوا التواتر لأقل من أخبار الباب ، فلايصح أن ينفوه عن نهي الصحابة عن الظن ! فالنسبة بين نفي الظن وإثباته لهم ، التساوي ، فلا بد من مرجح ، أو الرجوع الى الأصل .

ثانياً ، أضاف الغزالي من عنده شقاً ثالثاً للنزاع ! ففرض أنه يوجد روايةٌ عن الصحابة بتحريم العمل بالظن، وروايةٌ بتجويزه ، وتواترٌ في عملهم بالظن . ورتب عليه أنه إن تعارضت الروايتان وسقطتا ، نرجع الى عملهم المتواتر !

مع أن التعارض إنما هو بين رواية التحريم عنهم ورواية التجويز القولي أو العملي . فافتراض وجود شق ثالث سالم عن المعارضة ، تحريفٌ في المسألة.

ثالثاً، إن قوله: (ولو تساوت في الصحة لوجب إطراح جميعها والرجوع إلى ماتواتر من مشاورة الصحابة واجتهادهم) ، لعبٌ بالألفاظ ، فالموضوع هل حرم الصحابة الإجتهاد والعمل بالظن، أم أحلوه وفعلوه ؟ فإن تساوى النقل المتعارض عنهم وجب طرح الجميع والرجوع الى الأصل القرآني وهو تحريم العمل بالظن لا الرجوع كما زعم الى اجتهاد الصحابة وعملهم بالظن ، فإنه أحد شقي النزاع !

رابعاً، قوله: (إنْ بطل كل قياس فليبطل قياسهم ورأيهم في إبطال القياس أيضاً ، وذلك يؤدي إلى إبطال المذهبين) ! فيه مقدمة مطوية كاذبة: وهي أن الذين أبطلوا القياس استدلوا بالقياس ، وأنهم كالذين يقولون إن الحقائق نسبية ، فإن صح دليلهم أبطل نفسه ! مع أنهم استدلوا بالأصل القرآني والظهور الصريح لآياته في تحريم العمل بالظنون ، وقالوا لا بد من دليل شرعي يستثني منه القياس ، وإلا بقي مشمولاً لعموم تحريم الظن .

فإن تمَّ دليلهم وبطل القياس لايبطل دليلهم ، لأن مثل قوله تعالى: (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً....) إلخ. ليس ظناً ولاعملاً به حتى يبطل ، بل قاعدة يقينية ، لايخرج القياس من تحتها إلا بدليل قطعي .

خامساً ، افترض الغزالي وغيره أن الصحابة معصومون ، فإن تعارض النقل عنهم فلا بد أن نقبل طرفاً ونرد الآخر ، أو نُؤول أحدهما أو كليهما لننفي عنهم التناقض ! لكنه يعلم أنهم وقعوا في التعارض والتناقض ، فقد حرَّموا العمل بالظن قولاً ، وارتكبوه عملاً ! وقد ثبت ذلك عن عمر وغيره بأصح الروايات ! فالمشكلة تعارض قول أشخاص وعملهم ، ولايمكن لغزَّالي أن يحيك لها ستراً !

سادساً ، حاول الغزالي تأويل نهي عمر وغيره عن الرأي والعمل بالظن ، بجعله تحريماً خاصاً ببعض أنواع الظن ، فقال: (فيحمل ما أنكروه على الرأي المخالف للنص...الخ.) ، ولكن كلامهم في ذلك مطلق أو عام لا يقبل التأويل !

وكيف يمكنه تأويل قول عمر الذي نقله الغزالي نفسه: (إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا) . فقد دعا فيه عمر صريحاً الى التقيد بالأحاديث ، وحرَّمَ القول بالرأي مطلقاً !

من تهافت الغزالي وغلوه !

قال في المستصفى ص٢٩٢: (الإعتراض الخامس: أن الصحابة إن قالوا بالقياس اختراعاً من تلقاء أنفسهم فهو محال ، وإن قالوا به عن سماع من النبي صلى الله عليه وآله فيجب إظهار مستندهم والتمسك به، فإنكم تسلمون أنه لا حجة فيما أبدعوه ووضعوه ، ونحن نسلم وجوب الإتباع فيما سمعوه ، فإنه إذا قال صلى الله عليه وآله: إذا غلب على ظنكم أن مناط الحكم بعض الأوصاف فاتبعوه ، فإن الأمر كما ظننتموه !

والجواب من وجهين: أحدهما ، أن هذه مؤونة كفيناها ، فإنهم مهما أجمعوا

على القياس فقد ثبت بالقواطع أن الأمة لاتجتمع على الخطأ ، بل لو وضعوا القياس واخترعوه استصواباً برأيهم ومن عند أنفسهم ، لكان ذلك حقاً واجب الإتباع ، فلا يجمع الله أمة محمد ﷺ على الخطأ ، فلاحاجة بنا إلى البحث عن مستندهم الثاني: هو أنا نعلم أنهم قالوا ذلك عن مستندات كثيرة خارجة عن الحصر ، وعن دلالات وقرائن أحوال وتكريرات وتنبيهات ، تفيد علماً ضرورياً بالتعبد بالقياس وربط الحكم بما غلب على الظن كونه مناطاً للحكم ، لكن انقسمت تلك المستندات إلى ما اندرس فلم ينقل، اكتفاء بما علمته الأمة ضرورة وإلى ما نقل ! ولكن لم يبق في هذه الأعصار إلا نقل الآحاد لم يبق على حد التواتر ولايورث العلم إلا ما تواتر، ولكن الآحاد لفظها يتطرق الإحتمال والتأويل إليه فلايحصل العلم بآحادها ، وإلى ما هي قرائن أحوال يعسر وصفها ونقلها ، فلم ينقل إلينا ، فكفينا مؤونة البحث عن المستند لما علمناه من التواتر من إجماعهم ، ونحن مع هذا نشبع القول في شرح مستندات الصحابة والألفاظ التي هي مدارك تنبيهاتهم للتعبد بالقياس ، وذلك من القرآن ، وقوله تعالى: فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ... الخ.). انتهى.

أقول: كلام الغزالي هذا نموذج لكلامهم المتهافت في الموضوع ! فهو يقوم على دعويين فاسدتين: الأولى: أن فعل الصحابة واجب الإتباع ، حتى لو خالف قولهم الصريح الصحيح ! وخالف نص القرآن الصريح !

والثانية: أن الصحابة أجمعوا عملياً على العمل بالرأي والظن ، وإجماعهم إجماع الأمة ، وهو حجة ولا نسأل عن دليله ، بل يجب اتباعه حتى لو كان إجماعاً على اختراع شريعة ! وهذا معنى قوله: (إن هذه مؤونة كفيناها ، فإنهم مهما أجمعوا على القياس فقد ثبت بالقواطع أن الأمة لاتجتمع على الخطأ ، بل لو وضعوا

القياس واخترعوه استصواباً برأيهم ومن عند أنفسهم لكان ذلك حقاً واجب الإتباع) !! انتهى.

وهذا تغميض هذا للعيون ، وإفراط في اتباع الصحابة ، حتى لو خالفوا القرآن والرسول صلى الله عليه وآله، وناقضوا أنفسهم ، وأسسوا ديناً جديداً !

كما أنه إعراض عن تحريم العترة النبوية للظنون في الدين ، وهم صحابة وعترة ؟! فعن أي إجماع يتحدث عنه الغزالي وأهل البيت عليهم السلام مخالفون له ؟!

واي إجماع هذا ، وقد نقل بعض كبار علمائهم الإجماع على ضده؟!

قال الرازي في المحصول:١٠٤/٥: (وأما إجماع الصحابة ، فهو أنه نقل عن كثير منهم التصريح بذم القياس على ما تقدم بيانه ، ولم يظهر من أحد منهم الإنكار على ذلك الذم ، وذلك يدل على انعقاد الإجماع على فساد القياس .

فإن قلت: هذا معارض بأنه نقل عنهم أنهم اختلفوا في مسائل مع أنه لا طريق لهم إلى تلك المذاهب إلا القياس .

قلت: ما ذكرناه أولى ، لأن التصريح راجح على ما ليس بتصريح .

وأما إجماع العترة ، فلأنا كما نعلم بالضرورة بعد مخالطة أصحاب النقل ، أن مذهب الشافعي رضي الله عنه وأبي حنيفة ومالك رحمهما الله القول بالقياس ، فكذا نعلم بالضرورة أن مذهب أهل البيت كالصادق والباقر إنكار القياس . وقد تقدم في باب الإجماع أن إجماع العترة حجة) . انتهى.

ثم أي منطق هذا في تصحيح عمل شخص أو جماعة بالظن ، وقد نهى عنه القرآن والسنة والعقل ، بأن دليلهم موجود لكنه ضاع ولم يصلنا؟!

أنظر الى قوله: (نعلم أنهم قالوا ذلك عن مستندات كثيرة خارجة عن الحصر..... لكن انقسمت تلك المستندات إلى ما اندرس فلم ينقل....ولكن لم يبق في هذه

الأعصار إلا نقل الآحاد... وإلى ما هي قرائن أحوال يعسر وصفها ونقلها ، فلم ينقل إلينا...) . انتهى.

فقد اعترف بعدم وجود دليل على عمل الصحابة بالظن ، لكنه افترض أنه موجود وقد ضاع نصفه فلم يصل الينا ! وكان نصفه الآخر قرائن اعتمدوا عليها لايمكن وصفها ونقلها الينا !

وهذا كله رجم بالغيب ، يفترض في الصحابة العصمة وأنهم لايخطئون !!

أقوى أدلتهم على القياس..مضحك !

أصل حجتهم على القياس والعمل بالظنون ، عملُ الخلفاء خاصة عمر بن الخطاب ، لكنهم أرادوا أن يبرروا ذلك ويجدوا أدلة من الكتاب والسنة ، فوقع نظرهم على قوله تعالى(فاعتبروا يا أولي الأبصار) فقالوا الحمد لله إن معناها فقيسوا يا أولي الأبصار !!

والآية هي الثانية من سورة الحشر ، نزلت في حشر اليهود الأول ، قال تعالى: سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . هُوَالَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَلِ الْحَشْرِ مَاظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ الله فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ .

ومعنى الآية: خذوا العبرة من مصير بني قريظة ، وإرادة الله الماضية فيهم وفي أمثالهم: كيف تحزَّبوا على النبيصلى الله عليه وآله مع الأحزاب ، ولما انهزم الأحزاب قذف الله في قلوبهم الرعب فاستسلموا ، فخرَّبوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين !

فأين القياس الذي يريدونه من الآية ، قياس أمر على آخر وإعطاؤه حكمه لمجرد الظن أنه يشبهه ، والظن أنه يشترك معه في العلة ؟!

فلو كان الأمر باالإتعاظ وأخذ العبرة أمراً بالقياس ، فكل أمر بالتفكر والتدبر والتأمل وحساب العاقبة ، أمرٌ بالقياس !!

قال الراغب في المفردات ص٣٢٠: (والإعتبار والعبرة بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد ، قال: إن في ذلك لعبرة.. فاعتبروا يا أولي الأبصار) . انتهى.

فكل انتقال من حدث مشاهد الى غيره اعتبار ، وبالمعنى المجازي قياس ، وقد يكون قياساً منطقياً ، فهل كل قياس مجازي أو منطقي هو قياسهم الفقهي الظني؟! وهل منه قياس الثوب والمساحة أيضاً ؟!

○ ○

وقد أطالوا في الإستدلال بهذه الآية الى حد الإسراف والتمحُّل ، وكتبوا فيها مئات الصفحات ، وخصص لها الفخر الرازي في المحصول من علم الأصول ، اثنتي عشرة صفحة (٥/٢٦ ـ ٣٧) ! قال: (أما الكتاب فقوله تعالى: فاعتبروا يا أولى الأبصار ، وجه الإستدلال به أن الإعتبار مشتق من العبور وهو المرور..... والقياس عبورٌ من حكم الأصل إلى حكم الفرع ، فكان داخلاً تحت الأمر) !! انتهى.

فكيف قبل عقل هذا الفيلسوف أن الأمر بالعبور الفكري من شئ الى شئ ، ومن حدث الى نتيجة ، هو أمر بالقياس الفقهي ؟!

وكيف عَبَرَ هو من أمر عام بالتفكير ، الى نوع خاص من التَّسْرية الظنية للحكم الى مظنون المشابهة والعلة ؟! أليس ذلك قياساً مضحكاً ؟!

وقال الآمدي في الإحكام:١٥٢/٤: (والمعتمد في ذلك ، الإحتجاج بقوله تعالى: فاعتبروا يا أولي الأبصار ، أوجب الإعتبار ، وأراد به القياس) !!

وقال الجصاص في أحكام القرآن: ٥٧٣/٣: (والقياس في أحكام الحوادث ضرب من الإعتبار). (راجع أيضاً :٣١/٤، وأصول السرخسي:١٠٦/٢، و١٢٥، والمستصفى ص٢٩٣).

وقال الجصاص في الفصول:٣١/٤ ، مستدلاً بالآية على القياس: (فدل على أن الإعتبار هو أن تحكم للشئ بحكم نظيره المشارك له في معناه ، الذي تعلق به استحقاق حكمه . فإن قيل: الإعتبار هو التفكر والتدبر . قيل له: هو كذلك ، إلا أنه تفكر في رد الشئ إلى نظيره على الوجه الذي قلنا ، ألا ترى أنك تقول قد اعتبرت هذا الثوب بهذا الثوب ، إذا قومته بمثل قيمته . فكان المعنى أنك رددته إليه وحكمت له بمثل حكمه ، إذ كان مثله ونظيره . وحكى لي بعض أصحابنا عن أبي عبدالله بن زيد الواسطي قال: رأيت القاساني وابن سريج قد صنفا في القياس نحو ألف ورقة ، هذا في نفيه وهذا في إثباته ، اعتمد القاساني فيه على قوله تعالى: أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، واعتمد ابن سريج في إثباته على قوله تعالى: فاعتبروا يا أولي الأبصار)! انتهى.

فانظر الى قول الآمدي عن الإعتبار في الآية:(أوجب الإعتبار وأراد به القياس)! وقول الجصاص: (إلا أنه تفكر في رد الشئ إلى نظيره على الوجه الذي قلنا) !

فأين يوجد في الآية أن التفكر المأمور به فيها هو عينه القياس الفقهي (على الوجه الذي قلنا) ؟!! وأيٌّ سفسطة حكاها عن ابن سريج وأنه كتب نحوخمس مئة ورقة في الإستدلال بالآية على القياس ؟!

ونعم ما قاله ابن حزم في رد القياس كما في المحلى:٥٧/١: (ومن العجيب أن يكون معنى الإعتبار القياس ويقول الله تعالى لنا: قيسوا، ثم لا يبين لنا ماذا نقيس ، ولا كيف نقيس ، ولا على ماذا نقيس) !! انتهى . (راجع للتوسع: الذريعة في أصول فقه للسيد المرتضى:٧١٠/٢ ، والأصول العامة للفقه المقارن للسيد محمد تقي الحكيم ص٣٣٤).

دعواهم أن العلم لازم في المسائل العلمية دون العلية !

قال في فتح القدير:١١٢/٥:(إِنَّ الظَّنَّ لايُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شيئاً) أي إن جنس الظن لا يغني من الحق شيئاً من الإغتناء ، والحق هنا العلم . وفيه دليل على أن مجرد الظن لايقوم مقام العلم ، وأن الظان غير عالم ، وهذا في الأمور التي يحتاج فيها إلى العلم وهي المسائل العلمية، لافيما يكتفى فيه بالظن ، وهي المسائل العملية)!

فقد أطلق القول بأن المسائل العملية يكتفى فيها بظن الحاكم والمفتي والناس ، وانت خبير بما لهذا الإطلاق من آثارٌ خطيرة على الدين والمجتمع !

السَّرَخسي..وما أشبهه !

قال في الأصول:٣١٨/١: (الفقه أربعة ، ما في القرآن وما أشبهه ، وما جاءت به السنة وما أشبهها ، وما جاء عن الصحابة وما أشبهه ، وما رآه المسلمون حسناً وما أشبهه . ففي هذا بيان أن ما أجمع عليه الصحابة فهو بمنزلة الثابت بالكتاب والسنة في كونه مقطوعاً به حتى يُكفَّر جاحده ! وهذا أقوى ما يكون من الإجماع ، ففي الصحابة أهل المدينة وعترة رسول الله (ص) ، ولاخلاف بين من يعتد بقولهم أن هذا الإجماع حجة موجبة للعلم قطعاً ، فيُكَفَّر جاحده كما يُكفر جاحد ما ثبت بالكتاب أو بخبر متواتر !

فإن قيل: كيف يستقيم هذا وتوهم الخطأ لم ينعدم بإجماعهم أصلاً ، فإن رأيهم لايكون فوق رأي رسول الله (ص) ، وقد قال تعالى: عفا الله عنك لم أذنت لهم ، وقال تعالى: ما كان لنبي أن يكون له أسرى ، الآية ، ففي هذا إشارة إلى أنه قد كان وقع لرسول الله(ص) الخطأ في بعض ما فعل به برأيه ، فعرفنا أنه لايؤمن الخطأ في رأي دون رأيه أصلاً .

قلنا: رسول الله (ص)كان معصوماً عن التقرير على الخطأ ، خصوصاً في إظهار

أحكام الدين ، ولهذا كان قوله موجباً علم اليقين ، واتباعه فرض على الأمة ، قال تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.... وسنقرر هذا الكلام في موضعه إن شاء الله تعالى. فإذا ثبت هذا فيما ثبت بتنصيص رسول الله(ص) فكذلك فيما يثبت بإجماع الصحابة ، فإنه لايبقى فيه توهم الخطأ بعد إجماعهم حتى يُكَفَّر جاحده) . انتهى.

أقول: كلام السرخسي عجيب وما أشبهه ! خاصة حكمه بكفر من خالف ما يحسبه إجماعاً للصحابة ، وقد رأيت اضطراب ميزانهم في الإجماع حتى ادعوا إجماع الصحابة على العمل بالظن ، بينما ادعى الرازي إجماعهم على تحريمه !

أما جوابه الأخير على جعله كلام الصحابة معصوماً فوق كلام النبي ﷺ ، فظاهر الركة! حيث ادعى أن النبي ﷺ يخطئ فينبهه ربه، وجعل إجماع الصحابة مثله اشتهاءً بلا دليل !

الفخر الرازي يفلسف ظنونهم فيجعلها علماً !

قال في المحصول:٧٨/١: (وأما الفقه فهو في أصل اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه ، وفي اصطلاح العلماء عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية العملية والمستدل على أعيانها بحيث لايعلم كونها من الدين ضرورة .

فإن قلت: الفقه من باب الظنون ، فكيف جعلته علماً ؟! قلت: المجتهد إذا غلب على ظنه مشاركة صورة لصورة في مناط الحكم ، قطع بوجوب العمل بما أدى إليه ظنه ، فالحكم معلوم قطعاً ، والظن واقع في طريقه). انتهى.

أقول: يقصد بمناط الحكم علته ، يعني أن المجتهد عندما يغلب على ظنه اشتراك أمرين في علة الحكم ، يقطع بوجوب العمل بظنه ، وهذا القطع علمٌ بالحكم الشرعي ، وإن نَشأ من الظن !

وبذلك قفز الرازي ثلاث خطوات على غير أرض صلبة:

ففي الأولى ، فرض أن المجتهد يعرف علة الحكم ومناطه ! مع أنه صرح بأن معرفة علل الأحكام الشرعية محال ، إلا ما نص عليه الشارع !

قال في المحصول: ١١١/١، في جعل الزنا علة للحد: (الثالث الشرع إذا جعل الزنا علة فإن لم يصدر عنه عند ذلك الجعل أمر ألبتة ، استحال أن يقال إنه جعله علة للحد لأن ذلك كذب ، والكذب على الشرع محال).

وقال في نفس الصفحة: (القياس لايفيد ظن الحكم إلا إذا ظننا كون الحكم في الأصل معللاً بالوصف الفلاني ، وذلك الظن محال ، لما سيأتي في الباب الثاني أن تعليل الحكم الشرعي محال) . انتهى.

وفي الخطوة الثانية ، ادعى أن المجتهد يحصل له العلم من غير طريق القياس بوجوب العمل برأيه عن طريق القياس الظني ، وهو محل الكلام ، فأين دليله !

وفي الثالثة ، ادعى أن ظن المجتهد باشتراك أمرين في المناط والحكم ، يتحول الى علم ويقين ! فهل رأيت بذرة أكبر من ثمرتها ، أو نتيجة أصدق من مقدماتها.. إلا عند هؤلاء الظنيين ؟!

على أن كلام الفخر الرازي هذا عن علمية القياس جاء في أول كتابه ، لكنه تنازل عنه عندما وصل الى بحث القياس في المجلد الخامس ص١٢٢، فقال:
(إن القياس قد يكون يقينياً وقد يكون ظنياً ، أما الأول فكمن علم علة الحكم في الأصل ثم علم حصول مثل تلك العلة في الفرع) . انتهى.

فقد اعترف بأن القياس العلمي هو القياس على منصوص العلة فقط ، وهو مذهبنا ! ولانطيل في نقد كلامهم في المسألة فهو كثير متشابه، يكفي منه ماتقدم.

وتهاوى بناء الدين عندهم بظنونهم..كالأواني المستطرقة !

كانت الخطوة الأولى أن الخليفة فتح لنفسه باب الظن في الدين ، لفقده العلم .

ثم نظَّر له أتباع الخلافة بأن النبي ﷺ كان يعمل بالظن ويجتهد ويخطئ !

ثم فتحوا باب الظن في الدين أمام الحاكم ، وأشباه العلماء ، والناس !

ثم قالوا إن ظنونهم كلها صحيحة ، وإنها دين الله تعالى !

ولك أن تقدر مدى تأثير ذلك على بناء الشريعة والعقيدة ، حيث اندفع الظانون في طرح ظنونهم المتناقضة في فهم نصوص القرآن والسنة ، بل ظنونهم الذاتية عندما لايجدون نصاً من الكتاب أو السنة !

وكرَّزوا منهجهم الإحتمالي بتسميته دين الله تعالى الذي أنزله !

فكان منهجاً خطيراً في التحريف ، ألبسوه ثوباً شرعياً باسم إجماع الصحابة !

ثم لم يكتفوا بها حتى أصدروا فتاواهم بتكفير من خالفهم !

وغاية ما تجرأ الناقدون منهم أن يتوقفوا في تسمية هذه الآراء والظنون دين الله تعالى ، توقفوا توقفاً فقط ، لأنهم يشكون في أنها دين الله تعالى ، ولا ينفون !

قال الرازي في المحصول:١٣٧/٦: (المسألة الخامسة: اختلفوا في أنه هل يجوز أن يقول الله تعالى للنبي(ص)أو للعالم: أحكم فإنك لا تحكم إلا بالصواب ؟

فقطع بوقوعه مويس بن عمران ، وقطع جمهور المعتزلة بامتناعه ، وتوقف الشافعي في امتناعه وجوازه . وهو المختار) .

وقال الجصاص في الفصول:٣٧٢/٤: (اختلف أهل العلم فيما يوجبه الإجتهاد من الأحكام ، هل يسمى ديناً لله تعالى؟ فقال قائلون: لايقال إنه دين الله تعالى ، لأنه يوجب أن يكون الله تعالى قد شرع لنا أدياناً مختلفة على حسب اختلاف المجتهدين. ويلزم قائله أيضاً أنَّ دين الله تعالى يحلُّ تركه والعدول عنه ، ولو

جاز ترك دين الله تعالى لجازت مخالفة الرسول الله(ص).

ومن الناس من يطلق أنه دين الله تعالى ، لأنه لو لم يكن ديناً لله تعالى لكان فيه إحلال الفروج والدماء والأموال بغير دين الله تعالى .

قال أبو بكر(أي الجصاص): والصحيح أنه دين لله تعالى ، ومن أبى إطلاق ذلك فإنما خالف في الإسم لا في المعنى ، لأن أصحاب الإجتهاد كلهم مجمعون أن الله تعالى قد فرض القول به على من أداه إليه اجتهاده ، وأن العامل به عامل من الله تعالى ، وما ألزمونا من إيجاب أن لله تعالى أدياناً مختلفة فإنه لايلزم ، لأن اختلاف الفروض من جهة النص لم يلزمهم ذلك) . انتهى. !

وقال الآمدي في الإحكام:٤/٧:(وأما المعارضة فمن خمسة وعشرين وجهاً:

الأول: قال النَّظَّام: إن العقل يقتضي التسوية بين المتماثلات في أحكامها ، والإختلاف بين المختلفات في أحكامها، والشارع قد رأيناه فرق بين المتماثلات وجمع بين المختلفات ، وهو على خلاف قضية العقل ، وذلك يدل على أن القياس الشرعي غير وارد على مذاق العقل ، فلا يكون العقل مجوزاً له ...

الثاني: قالت الشيعة: إن القول بالتعبد بالقياس يفضي إلى الإختلاف ، وذلك إذا ظهر لكل واحد من المجتهدين قياس مقتضاه نقيض حكم الآخر ، والإختلاف ليس من الدين لقوله تعالى: ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً . وقوله تعالى: وأن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . وقوله: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . وقوله: إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً . وقوله تعالى: ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا . ذكر ذلك في معرض الذم ، ولا ذم على ما يكون من الدين.......

الثالث: أنه إذا اختلفت الأقيسة في نظر المجتهدين ، فإما أن يقال بأن كل مجتهد مصيب ، فيلزم منه أن يكون الشئ ونقيضه حقاً ، وهو محال . وإما أن

يقال بأن المصيب واحد ، وهو أيضاً محال ، فإنه ليس تصويب أحد الظنين مع استوائهما دون الآخر ، أولى من العكس). انتهى.

وقال الجصاص في الفصول:٣٢٥/٤: (فمما استدلوا به من جهة الظاهر على بطلان قول القائلين بتصويب المجتهدين في أحكام حوادث الفقه: أن الله تعالى قد عاب الإختلاف والتفرق ، وذم المختلفين في الدين وعنَّفَهم بقوله تعالى: **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا** . وقال تعالى: **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا** . وقال عز وجل: **أن اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه** . وقال تعالى: **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً**. وقال تعالى: **وإِنَّ الظَّنَّ لايُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شيئاً**. وقال تعالى: **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس** . وقال تعالى: **ولو اتبع الظن أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن** .

فتضمنت هذه الآيات النهي عن الإختلاف والتفرق نهياً عاماً في الأصول والفروع ، فدل أن ما أدى إلى ذلك فليس هو حكماً لله تعالى ، لأنه انتفى من الإختلاف ، ونفاه عن أحكامه ، وأن يكون من عنده بقوله تعالى: **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً** . وقول القائلين بتصويب المجتهدين يوجب جواز الإختلاف ، ويحكم مع ذلك القول ببطلان الظن والحكم بالهوى . وليس الحكم بالظن واتباع الهوى إلا أن يحكم الحاكم بما يغلب في ظنه ويستولي على رأيه ، من غير اتباع دليل يوجب له القول به .

الجواب: يقال لهم: أخبرونا عن الإختلاف الذي ذمه الله تعالى وعاب أهله في هذه الآيات ونهى عنه ، هو الإختلاف في أحكام حوادث الفتيا ؟

فإن قالوا نعم ، قيل لهم: فينبغي أن يكون للصحابة والأئمة الهادية من الصدر الأول الحظ الأوفر من هذا الذم ، ومن مواقعة هذا النهي ، لكثرته فيما بينهم من

مسائل الفتيا . فإن كانوا كذلك عندكم ، فقد صرتم إلى مذهب الطاعنين في السلف من سائر فرق الضلالة ! وليس هذا قول أحد من الفقهاء ... فإذا كان المختلفون في مسائل الفقه معذورين ومأجورين ، فكيف يجوز أن يكونوا رضي الله عنهم من أهل هذه الآيات، فقد وجب باتفاقنا جميعاً أن الإختلاف في مسائل الفتيا غير مراد بها ولا داخل فيها . ولو كانت هذه الآيات موجبة لذم الإختلاف عاماً ، لوجب أن يكون المختلفون عند الفتاوى في تدبير الحروب مستحقين لحكم هذه الآيات مذمومين باختلافهم). انتهى.

أقول: مع أن الجصاص أدق من السرخسي والآمدي ، لكنه كالَ بالجملة فاعتبر جميع الآيات التي استدلوا بها على بطلان القياس والتصويب نوعاً واحداً ، ومضمونها أمراً واحداً هو ذم الإختلاف.. ثم أجاب عنها بأن الصحابة قد قاسوا وقالوا بالتصويب ، وهم فوق الذم ، فيستحيل أن تقصدهم الآيات !!

وهذا تسطيح لايليق بعالم له دقة نظر ! فإن من جملة الآيات التي أوردها هو قوله تعالى: إِنَّ الظَّنَّ لايُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شيئاً .وهو نهيٌ عن اتباع الظن من حيث هو اتباع ظن ، لامن حيث أنه يوجب الإختلاف أو الإتفاق ! فلماذا لم يجب عنه ؟!

ثانياً ، إن موضوعه الذي طرحه هو تصويب المجتهدين وتخطئتهم ، أي هل يصح أن نسمي اجتهاد كل منهم صواباً ، ونقول إنهم جميعاً أصابوا حكم الله تعالى ، لأن الحكم في علم الله متعددٌ بعدد اجتهاد المجتهدين الى يوم القيامة ؟ أم نقول إن حكم الله واحد ، وقد يصيبه بعضهم أو يخطؤه ، أو كلهم؟!

وهذا لاعلاقة له مباشرة بذم الإختلاف في الفتيا وعدمه ، فكان اللازم أن يبحث قوله تعالى:وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا . (النساء:٨٢) ، وهل تدل الآية وأمثالها على أن عدم الإختلاف في حكم الله تعالى بسبب وحدته وعدم

تعدده بتعدد ظنون المجتهدين ، أم لسبب آخر ؟ ولكنه أهمل هذا أيضاً !

ثالثاً ، أن التصويب والتخطئة لايختصان بالفتيا فلماذا حصرهما بها؟ فهما يشملان كل عمل بالظن ، وقد مثلوا للقياس ببيعة عمر لأبي بكر ، وبيعة أبي بكر لعمر، وليست البيعة من الفتيا ، وقد اعترف بذلك الجصاص حيث قال: (فتضمنت هذه الآيات النهي عن الإختلاف والتفرق نهياً عاماً في الأصول والفروع) !

أما إن اعتبر الجصاص كل الظنون نوعاً من الفتيا ، فقد جعل تحريم اتّباع الظن في القرآن والسنة لاغياً ، ولم يُبْقِ له موضوعاً ! فأين موضوعه ؟!

رابعاً ، لم يُجب على إشكال النَّظَّام وهو من أقوى النقوض على القياس الذي هو أصل التصويب ، حيث قال النظام: (والشارع قد رأيناه فرق بين المتماثلات ، وجمع بين المختلفات ، وهو على خلاف قضية العقل ، وذلك يدل على أن القياس الشرعي غير وارد على مذاق العقل ، فلا يكون العقل مجوزاً له).

ويكفي مثالاً له إشكال الإمام الصادقعليه السلام على أبي حنيفة ، الذي أخذ منه النَّظام ، من أن المرأة تقضي الصوم ولاتقضي الصلاة مع أن الصلاة أهم ، ويجب الغسل من الجنابة ولا يجب من البول ، مع أن البول أرجس من المني !

خامساً ، خلط الجصاص بين القياس والتصويب ، وأجاب على الإشكال على القياس والعمل بالظن ، ولم يجب على التصويب أبداً !!

سادساً ، اكتفى الجصاص بدل البحث العلمي بإصدار فتوى بالتصويب ، وأن جميع اجتهادات المجتهدين ، المختلفة ، المتعددة ، المتعارضة ، المتناقضة ، هي دين الله تعالى وحكمه لعباده ، فقال: (والصحيح أنه دين الله تعالى) ، ولم يبين معنى فتواه ، ولا تصوره للتصويب ولا دليله ! فأين البحث العلمي وحتى الظني؟!

سابعاً ، ما هو دليل الجصاص على التصويب ، أي على أصله الذي هو القياس والعمل بالظن؟ الجواب: لم يأت بدليل إلا التهويل بالصحابة ، وأنك إن لم تقبل ظنونهم على اختلافها وتناقضها ، فأنت تتهم ظنونهم بأنها اختلاف مذموم ، وتتهمهم بأنهم مذمومون في القرآن ، فأنت من فرق الضلال ، لأن الصحابة معصومون واختلافهم كله رحمة، وظنونهم كلها صواب ، وكلها دين الله تعالى !

ثامناً ، قال الجصاص:(فكيف يجوز أن يكونوا رضي الله عنهم من أهل هذه الآيات فقد وجب باتفاقنا جميعاً أن الإختلاف في مسائل الفتيا غير مراد بها ولا داخل فيها) .

فدليله أن آيات ذم الإختلاف يستحيل أن تقصد الصحابة ، ومقصوده بمسائل الفتيا كل المسائل التي اختلفوا فيها ، في أصول الدين ، والفقه ، والسياسة !
ولا وجه لإصراره على تسميتها مسائل الفتيا إلا قصده التهوين من المسائل التي اختلفوا فيها ، وجعلها كالإختلاف في فتوى جزئية بين مجتهدَيْن ، كتفاصيل الصلاة مثلاً !

تاسعاً ، كيف يمكن له أن يلتزم بأن اختلافات الصحابة كله صواب ، وقد أفتى بعضهم بفسق بعض ، وكفَّره ، وقاتل بعضهم بعضاً واستحل دمه ؟ فهل كل ذلك صواب ، وكله دينُ الله تعالى ؟!

وهل أن رفض العترة وسعد بن عبادة وغيرهم لبيعة أبي بكر وعمر ، صوابٌ ودينُ الله تعالى ؟

وهل أن اتهام العباس وعلي لعمر وأبي بكر كما ورد على لسان عمر في صحيح مسلم ، بأنهما غادران خائنان آثمان ، صوابٌ ودين؟! (صحيح مسلم:١٥٢/٥)

وهل يبقى مصداق لقوله:(فإن كانوا كذلك عندكم فقد صرتم إلى مذهب

الطاعنين في السلف من سائر فرق الضلالة)بعد طعن الصحابة ببعضهم وتضليلهم؟!
اللهم إلا أن يطبقها على الصحابة أنفسهم ، فينقض غرضه !

عاشراً ، قال الجصاص: (ولو كانت هذه الآيات موجبة لذم الإختلاف عاماً، لوجب أن يكون المختلفون عند الفتاوي في تدبير الحروب مستحقين لحكم هذه الآيات مذمومين باختلافهم) .انتهى.

وقصده بذلك أن ينقض على المشكلين بأمر أجمع المسلمون على أنه ليس ذماً لأطرافه ، وهو ما رووه من اختلاف بعض الصحابة مع النبيﷺ! فهو يقول إن أبيتم إلا أن تكون آيات الإختلاف ذماً للصحابة ، لزم أن تكون ذماً لهم وللنبيﷺلاختلافهم معه في تدبير الحرب ! فارفعوا الذم عن الصحابة ، أو فاقبلوا الذم لهم مع النبيﷺ!!

وهذه شنشنة نعرفها من أخزم ، وأسلوبٌ قرشي سئ في ربط الصحابة بالنبي ﷺلتخليصهم من الطعن ، أو يشاركهم النبيﷺفيه !!

لكن هل يقاس الطَّوْد بالذَّرِّ ، والتابع بالمتبوع ، والمسدد من ربه في كل حرف من منطقه ، وكل حركة من أفعاله ، بأناس كان يتألف قلوبهم بالمشورة في الحرب وغيرها ، ومن شهد القرآن بأخطائهم الكثيرة وأن النبيﷺلو أطاع آراءهم الفاسدة لوقع المسلمون في المهالك: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأمر لَعَنِتُّمْ).(الحجرات:٧) ؟!

فتأمل كيف انحرف الجصاص في بحثه ، والى أين وصل في دفاعه ؟!

الظنون المعتبرة شرعاً تسهيلاً على العباد

مع أن الأصل القرآني والنبوي والعقلي حرمة العمل بالظن ، لكن ذلك لايمنع أن تضع الشريعة المقدسة أمارات ظنية ، أو تكتفي بغلبة الظن في حالات يتعذر

فيها تحصيل العلم أو يتعسر ، كمن لاطريق له الى معرفة جهة القبلة ، فيكتفي منه الشرع بالصلاة الى الجهة التي يغلب عليها ظنه أنها القبلة .

وتسمى هذه (الظنون المعتبرة شرعاً) ، ويقتصر فيها على ما نصت عليه الشريعة ، ولا يتجاوز الى غيرها ، ويكون العمل بها عملاً بالعلم لا بالظن .

قال المظفر في أصول الفقه:١٧/٢: (وفي الحقيقة إن الأخذ بالظن المعتبر الذي ثبت على سبيل القطع بأنه حجة ، لايكون أخذاً بالظن بما هو ظن ، وإن كان اعتباره عند الشارع من جهة كونه ظناً ، بل يكون أخذاً بالقطع واليقين ، ذلك القطع الذي قام على اعتبار ذلك السبب للظن ، وسيأتي أن القطع حجة بذاته لا يحتاج إلى جعل من أحد). انتهى .

وهذه نماذج منها في فقه أهل البيت عليهم السلام:

قال الشريف المرتضى في رسائله:١٤٣/٣: (ومعلوم أن الظن لاحكم له مع إمكان العلم ، وإذا تمكن الحاكم من أن يعلم صدق المدعي ، وجب أن ينظر في ذلك ليعلم بحسب علمه ، كما وجب عليه النظر فيما يؤدي إلى غلبة الظن من بيانه ، وإذا لم يفعل فقد فرط).

وقال أبو الصلاح الحلبي في الكافي ص١٤٨: (وأما ما يقتضي العمل بغلبة الظن فهو أن يسهو في عدد الركعات والأحكام ويغلب ظنه بشئ من ذلك ، فعليه أن يعلم بما غلب ظنه).

وقال الطوسي في المبسوط:١٢٣/١: (ومن شك بين الثنتين والثلاث والأربع بنى على الأربع . . . فإن غلب في ظنه في أحد هذه المواضع أحدهما عمل عليه ، لأن غلبة الظن في جميع أحكام السهو يقوم مقام العلم سواء).

وقال الشهيد الثاني في روض الجنان ص٣٤٠:(وعن الصادق عليه السلام:إذا وقع وهمك

على الثلاث فابن عليه وإن وقع وهمك على الأربع فسلم وانصرف، ولأن تحصيل اليقين عسر في كثير من الأحوال ، فاكتفيَ بالظن تحصيلاً لليسر ودفعاً للعسر).

وقال الطوسي في الخلاف:٢٥٤/٢: (سكان الجزائر والسواحل الذين لا طريق لهم غير البحر ، يلزمهم ركوبه إلى الحج إذا غلب في ظنهم السلامة ، فإن غلب في ظنهم العطب لا يجب عليهم ذلك).

وقال المحقق الحلي في شرائع الإسلام:١٠٢٦/٤: (فلو أجج ناراً في ملكه لم يضمن ولو سرت إلى غيره ، إلا أن يزيد عن قدر الحاجة ، مع غلبة الظن بالتعدي كما في أيام الأهوية).

وقال العلامة الحلي في قواعد الأحكام:٥٠٢/٣: (والأقرب أنه لايشترط في استفاضة الوقف والنكاح العلم ، بل يكفي غلبة الظن).

وقال الشهيد الأول في اللمعة الدمشقية ص١٩٠: (ولايجوز القذف (الإتهام بالزنا) إلا مع المعاينة كالميل في المكحلة ، لا بالشياع أو غلبة الظن)

وقال ابن فهد الحلي في الرسائل العشر ص٣٧٩: (يقبل قول الصبي في الهدية لتسامح السلف فيه وجريان العادة ، ولا فرق بين أن يكون الإخبار قبل الأكل أو بعده ، ويجوز تسليم الوعاء إليه ، وتكفي غلبة الظن).

وقال الشهيد الثاني في مسالك الأفهام:٢١٦/٢: (لو لم يحاذ ميقاتاً ، فإنه يحرم عند محاذاته علماً أو ظناً ، لصحيحة عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام).

وقال في مسالك الأفهام:٤١٣/١٣: (قد تقدم أن المعتبر في التعديل الخبرة الباطنة الموجبة لغلبة الظن بالعدالة ، وأما الجرح فلا يكفي فيه مطلق الظن إجماعاً ، بل لا بد فيه من العلم بالسبب) .

وقال النراقي في مستند الشيعة:١١١/١٨: (احتج الوالد العلامةرحمه الله لما اختاره: بأن غلبة الظن كافية في معرفة العدالة لنفي الجرح ، إذ اشتراط القطع بها يؤدي إليه غالباً ، فحسن الظاهر إن بلغ حداً يفيد غلبة الظن يجوز الاكتفاء به) .

وقال الجواهري في جواهر الكلام:١٦/٢١:(وكذا يجب الدفاع على كل من خشي على نفسه مطلقاً ، أو ماله ، أو عرضه ، أو نفس مؤمنة ، أو مال محترم ، أو عرض كذلك ، إذا غلب ظن السلامة ، كما أشبعنا الكلام فيه في كتاب الحدود ، فلاحظ كي تعرف الفرق بين النفس والمال ، بالنسبة إلى اعتبار غلبة الظن بالسلامة في الثاني دون الأول . بل وبالنسبة إلى وجوب الدفع عنه مع حصول الغلبة المزبورة ، وعدمه) .

○ ○

ونلاحظ أن اعتماد الظن في كثير من هذه الموارد عند غيرنا أوسع منه عندنا:

ففي سبل السلام لابن حجر:١٩٠/٣: (وفي المهذب والإنتصار أنه مع غلبة الظن بالزنا في المرأة أو العلم ، يجوز (اتهامها بالزنا) ولا يجب ومع عدم الظن يحرم).

وفي المستصفى للغزالي ص١١٠: (إذ القاضي لم يحصل له العلم بصدقهم ، وجاز له القضاء بغلبة الظن بالإجماع) ! انتهى.

هذا مضافاً الى اعتمادهم ظن المجتهد في القياس وفي غير القياس !

قال الغزالي في المستصفى ص ٣١٨: (والأصل هو المجتهد ، وهذا الجنس مما يغلب على ظن بعض المجتهدين ، وما من مجتهد يمارس النظر في مأخذ الأحكام إلا ويجد ذلك من نفسه ، فمن أثر ذلك في نفسه حتى غلب ذلك على ظنه فهو كالمناسب ، ولم يكلف إلا غلبة الظن فهو صحيح في حقه ، ومن لم يغلب ذلك على ظنه فليس له الحكم به ، وليس معنا دليل قاطع يبطل الإعتماد

على هذا الظن بعد حصوله) !!

وقال في المستصفى ص٣٥٣: (الأمارات الظنية ليست أدلة بأعيانها ، بل يختلف ذلك بالإضافات ، فرب دليل يفيد الظن لزيد وهو بعينه لا يفيد الظن لعمرو مع إحاطته به ، وربما يفيد الظن لشخص واحد في حال دون حال ، بل قد يقوم في حق شخص واحد في حال واحدة في مسألة واحدة دليلان متعارضان ، كان كل واحد لو انفرد لأفاد الظن ، ولا يتصور في الأدلة القطعية تعارض .

وبيانه: أن أبا بكر رأى التسوية في العطاء إذ قال: الدنيا بلاغ ، كيف وإنما عملوا لله عز وجل وأجورهم على الله ، حيث قال عمر: كيف نساوي بين الفاضل والمفضول ، ورأى عمر التفاوت ليكون ذلك ترغيباً في طلب الفضائل ، ولأن أصل الإسلام وإن كان لله فيوجب الإستحقاق . والمعنى الذي ذكره أبو بكر فهمه عمر رضي الله عنهما ، ولم يفده غلبة الظن ، وما رآه عمر فهمه أبو بكر ولم يفده غلبة الظن ولا مال قلبه إليه ، وذلك لاختلاف أحوالهما ، فمن خلق خلقة أبي بكر في غلبة التأله وتجريد النظر في الآخرة ، غلب على ظنه لا محالة ما ظنه أبو بكر ، ولم ينقدح في نفسه إلا ذلك ، ومن خلقه الله خلقة عمر وعلى حالته وسجيته في الإلتفات إلى السياسة ورعاية مصالح الخلق وضبطهم وتحريك دواعيهم للخير ، فلا بد أن تميل نفسه إلى ما مال إليه عمر مع إحاطة كل واحد منهما بدليل صاحبه) . انتهى.

وقصد الغزالي أن النبي صلى الله عليه وآله ساوى بين المسلمين في العطاء لظنه ، وأبو بكر اتبع النبي صلى الله عليه وآله وساوى بينهم في العطاء لظنه ، لكن عمر ميَّز بينهم لظنه أيضاً ، وكوَّن منهم طبقة ثرية . فالظن الذاتي حجة عندهم مهما اختلفت ذوات الظانين ، وكله صواب ، وكله دين الله تعالى !!

لكن المساواة في العطاء حكم شرعي وليست اجتهاداً من النبي صلى الله عليه وآله كما زعم،

وعندنا أن اجتهاد عمر كان في مقابل النص ، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام عندما عوتب على التسوية في العطاء:

(أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلِّيت عليه ، والله ما أطورُ به ما سَمَرَ سمير ، وما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً . لو كان المال لي لسَوَّيْتَ بينهم ، فكيف وإنما المال مال الله !

ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله . ولم يضع امرؤٌ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم ، وكان لغيره ودهم . فإن زلَّتْ به النعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم ، فشرُّ خَدِينٍ ، وألأمُ خليل). ! (نهج البلاغة:٢/ ٦)

الأسئلة

١ ـ كيف تعتمدون على الظن وتجعلونه ديناً تدينون به ، وقد قرأتم نهي الله عن الظن في القرآن ، ورويتم أن النبي ﷺ قال:(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)؟! (البخاري:١٨٨/٣،ورواه في:١٣٦/٦ و:٨٨/٧ و٨٩ و:٣/٨ورواه مسلم :١٠/٨).

٢ ـ كيف تجمعون بين عمل عمر بن الخطاب بالظن ، وبين قوله: (إن الرأي إنما كان من رسول الله(ص)مصيباً ، لأن الله كان يُرِيه ، وإنما هو منا الظنُّ والتكلف). (سنن أبي داود:١٦١/٢) ؟!

٣ ـ قال الجصاص في الفصول:٧٢/٤: (وإن غلب في ظنه أنه قاصد قتله كان له أن يقتله . فكان حكم جواز الإقدام على قتله منوطاً بغلبة الظن . وإذا جاز الحكم بغلبة الظن في مثله ، فما دونه أحرى بجواز ذلك فيه). انتهى .

فهل يجوز للشخص الذي يظن ان فلاناً يريد أن يقتله ، أن يبادر الى قتله؟!

٤ ـ ما دمتم تعتبرون كل مجتهد مصيباً ، وتعتبرون الظن علماً وحجةً للحاكم والمجتهد ، بل للشخص فتجيزون له أن يعمل بظنه ويقتل من يظن أنه يريد قتله ، فأي قيمة تبقى للعلم ومعرفة الواقع ؟وأي معنى للمذاهب ، وتفضيل بعض العلماء على بعض ؟!

٥ ـ ماذا تعملون إذا تعارضت الظنون وكلها عندكم صواب ، وكلها دين الله تعالى ! وإذا تعارضت فتاوى المجتهدين، أو تعارضت ظنون الحكام مع بعضهم ، أو مع الناس ، وتعارضت ظنون المتخاصمين ، وظنون المتقاتلين؟

هل كلهم على حق وصواب ؟!

٦ ـ الإجتهاد في مذهب أهل البيت عليهم السلام اكتشاف وليس اختراعاً ، والمجتهد لايمكنه أن يفتي بظنه ، فإذا كان الإجتهاد بالظن والترجيح عندكم صحيحاً ويجوز للمجتهد أن يحرِّم شيئاً لأنه يظن ضرره ، أو يحلله لأنه يظن فائدته ، والجميع مصيب وحكمهم حكم الله تعالى ، فلماذ لاتعدون الإجتهاد والرأي مصدراً من مصادر التشريع ، وما الفرق بين اجتهدكم وبين التشريعات الكنسية ؟!

٧ ـ مارأيكم في قول ابن حجر في فتح الباري: ٤٨٢/١: (قلت: تعليل الأئمة للأحاديث مبني على غلبة الظن ، فإذا قالوا أخطأ فلان في كذا لم يتعين خطؤه في نفس الأمر ، بل هو راجح الإحتمال فيعتمد . ولولا ذلك لما اشترطوا انتفاء الشاذ ، وهو ما يخالف الثقة ، فيه من هو أرجح منه في حد الصحيح) !

وقال الغزالي في المستصفى ص١٣٢: (ولو غلب على ظنه في حديث أنه مسموع من الزهري لم تجز الرواية بغلبة الظن ، وقال قوم: يجوز ، لأن الإعتماد في هذا الباب على غلبة الظن ، وهو بعيد ، لأن الإعتماد في الشهادة على غلبة الظن ، ولكن في حق الحاكم ، فإنه لا يعلم صدق الشاهد ، أما الشاهد فينبغي أن يتحقق لأن تكليفه أن لايشهد إلا على المعلوم فيما تمكن فيه المشاهدة ممكن ، وتكليف الحاكم أن لا يحكم إلا بصدق الشاهد محال ، وكذلك الراوي لا سبيل له إلى معرفة صدق الشيخ ، ولكن له طريق إلى معرفة قوله بالسماع ، فإذا لم يتحقق فينبغي أن لا يروي .

فإن قيل: فالواحد في عصرنا يجوز أن يقول: قال رسول الله ولا يتحقق ذلك ،

قلنا: لاطريق له إلى تحقق ذلك ، ولا يفهم من قوله قال رسول الله(ص)أنه سمعه ، لكن يفهم منه أنه سمع هذا الحديث من غيره ، أو رواه في كتاب يعتمد عليه ، وكل من سمع ذلك لا يلزمه العمل به ، لأنه مرسل لا يدري من أين يقوله

وإنما يلزم العمل إذا ذكر مستنده حتى ينظر في حاله وعدالته .

فهل يصح بعده أن يقال إن منهج البحث الحديثي عندهم مبني على العلم ؟!

٨ ـ قال الفخر الرازي في المحصول:٣٩٠/٤:(لو جاز أن يوثر ظننا في صيرورة ما ليس بمصلحة مصلحة لجاز أن يؤثر ظننا بمجرد التشهي في ذلك....إذا كان كون الفعل مصلحة ليس تابعاً لظننا ، فيجوز أن يكون الظن مطابقاً وأن لايكون فيكون الإذن في العمل بالظن إذناً في فعل ما لا يجوز فعله). انتهى .

فكيف تقولون إن ظنون المجتهدين كلها صواب ، وكلها حكم الله تعالى ؟!

٩ ـ ما قولكم في قول الكراجكي في كتابه: التعجب من أغلاط العامة ص١٥٠:

(ومن العجيب: أن يكون كل مجتهد مصيباً إلا الشيعة ، فإنهم في اجتهادهم على خطأ وبدعة ، وكل من أفتى في الإسلام بفتوى ، سواء قام إليها أم رجع إلى غيرها ، فهو من فقهاء الأمة ، وفتواه معدودة في خلاف أهل الملة ، وأقواله مسموعة ، وهو من أهل السنة والجماعة ، إلا الأئمة من أهل بيت النبوة عليهم السلام ، فإن الباقر والصادق وآباءهما والأئمة من ذريتهما صلوات الله عليهم أجمعين ليسوا عندهم من الفقهاء ، ولا يعدون أقوالهم خلافاً ، ولا يصدقون لهم قولاً ، ولا يصوبون لهم فعلاً ، وليسوا من أهل السنة والجماعة ، ومن اتبعهم واقتدى بهم فهو من أهل البدعة ، وهذا من التجريد في العداوة إلى الغاية) ؟!

١٠ ـ ما جوابكم على إشكال تناقض الأشعريين في بحوثهم العقائدية والفقهية ، الذي قال عنه السيد ابن طاووس في الطرائف ص٥٢٥:

(ثم يقال للأشعرية خاصة فيما ذهبوا إليه من القياس من الشرعي عندهم: نراكم في كتب الأصول تدعون القطع على أن أفعال الله يستحيل تعليلها بأمور

لأجلها كانت كذلك . والقياس إنما يصح لكم بعد ثبوت العلل في القياس واستعمالها ، فإن ادعى ذو جهالة منهم أن ثبوت العلل إنما يحتاج فيه الى غلبة الظن دون القطع قيل له: إذا ثبت ما تدعون من استحالة التعليل على الله تعالى كيف يبقى مجال الظن أو غيره ؟! وهذا لا جواب لهم عنه إلا بإبطال القياس ، أو جواز التعليل على الله تعالى). فما جوابكم ؟!

١١ ـ قال في فتح الباري:١٧٠/١٣: (عن أبي وائل قال قلت لعبد الرحمن بن عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً ؟! فقال: ما ذنبي بدأت بعلي فقلت له أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر ، فقال: فيما استطعت ، وعرضتها على عثمان فقبل ... واستدل بهذه القصة الأخيرة على جواز تقليد المجتهد وأن عثمان وعبد الرحمن كانا يريان ذلك ، بخلاف علي). انتهى.

فهل توجبون على الأمة تقليد أبي بكر وعمر في ظنونهما وتجعلونها جزء من الدين ! وإن لم تكن كذلك ، فلماذا شرط ابن عوف على علي عليه السلام العمل بها ؟!

١٢ ـ قال الآمدي في الأحكام:١٦٦/٤: (وأيضاً قوله تعالى: عفا الله عنك لم أذنت لهم ، عاتبه على ذلك ونسبه إلى الخطأ ، وذلك لا يكون فيما حكم فيه بالوحي فلم يبق سوى الإجتهاد ، وليس ذلك خاصاً بالنبي صلى الله عليه وآله، بل كان غيره أيضاً من الأنبياء متعبداً بذلك. انتهى.

وبذلك نفى الجصاص أن يترتب الخطأ على وحي الله لنبيه صلى الله عليه وآله!

وقد تقدم أنه أثبته فقال في أحكام القرآن:٣٤٩/٢:(قوله تعالى: إنا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ.. الآية .فيه إخبار أنه أنزل الكتاب ليحكم بين الناس بما عرفه الله من الأحكام والتعبد ... ربما احتج به من يقول أن النبي(ص)

لم يكن يقول شيئاً من طريق الإجتهاد ، وأن أقواله وأفعاله كلها كانت تصدر عن النصوص وأنه كقوله تعالى: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى. وليس في الآيتين دليل على أن النبي(ص)لم يكن يقول شيئاً من طريق الإجتهاد ، وذلك لأنا نقول ما صدر عن اجتهاد فهو مما أراه الله وعرفه إياه ، ومما أوحى به إليه أن يفعله ، فليس في الآية دلالة على نفي الإجتهاد عن النبي في الأحكام).

فهل يصح أن يوحي الله تعالى الى نبيه أن يجتهد ، ويعمل بظنه فيخطئ ؟!

١٣ ـ ما قولكم في هذه المناظرة بين الشيخ المفيد وعدة قضاة ، منهم الباقلاني؟

في الفصول المختارة للشيخ المفيد ص٨١: (سئل الشيخ أيده الله في مجلس لبعض القضاة وكان فيه جمع كثير من الفقهاء والمتكلمين ، فقيل له:

ما الدليل على إبطال القياس في الأحكام الشرعية ؟ فقال الشيخ أدام الله عزه: الدليل على ذلك أنني وجدت الحكم الذي تزعم خصومي أنه أصل يقاس عليه ويستخرج منه الفرع ، قد كان جائزاً من الله سبحانه التعبد في الحادثة التي هو حكمها بخلافه مع كون الحادثة على حقيقتها وبجميع صفاتها ، فلو كان القياس صحيحاً لما جاز في العقول التعبد في الحادثة بخلاف حكمها ، إلا مع اختلاف حالها وتغير الوصف عليها ، وفي جواز ذلك على ما وصفناه دليل على إبطال القياس في الشرعيات .

فلم يفهم السائل معنى هذا الكلام ولا عرفه ، والتبس على الجماعة كلها طريقه ولم يَلُحْ لأحد منهم ولا فطن به ، وخلط السائل وعارض على غير ما سلف ، فوافقه الشيخ على عدم فهمه للكلام وكرره عليه ، فلم يحصل له معناه.

قال الشيخ أيده الله: فاضطررت إلى كشفه على وجه لايخفى على الجماعة ، فقلت: إن النبي صلى الله عليه وآله نص على تحريم التفاضل في البرِّ ، فكان النص في ذلك

أصلاً زعمتم أيها القايسون أن الحكم بتحريم التفاضل في الأرُزِّ مقيسٌ عليه ، وأنه الفرع له ، وقد علمنا أن في العقل يجوز أن يتعبد القديم سبحانه وتعالى بإباحة التفاضل في البرِّ وهو على جميع صفاته ، بدلاً من تعبده بحظره فيه ، فلو كان الحكم بالحظر لعلة في البر أو صفة هو عليها ، لاستحال ارتفاع الحظر إلا بعد ارتفاع العلة أو الوصف . وفي تقديرنا وجوده على جميع الصفات والمعاني التي يكون عليها مع الحظر عند الإباحة ، وهذا دليل على بطلان القياس فيه .

ألا ترى أنه لما كان وصف المتحرك إنما لزمه لوجود الحركة ، أو لقطعه المكانين ، استحال توهم حصول السكون له في الحقيقة مع وجود الحركة أو قطعه للمكانين ، وهذا بيِّن لمن تدبره . فلم يأت القوم بشئ يجب حكايته)؟!

١٤ ـ هل تقولون بأن النبيصلى الله عليه وآله تبرأ من السنة قبل وفته ، لأنها كانت عن اجتهاد وظن ، حسب الحديث المزعوم :(عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن رسول الله (ص) قال في مرضه: لا يمسك الناس عليَّ شيئاً، لا أحلُّ إلا ما أحلَّ الله في كتابه، ولا أحرِّمُ إلا ما حرم الله في كتابه). (الأحكام لابن حزم:١٩٧/٢) ؟!

١٥ ـ ما رأيكم في قول ابن حزم في الأحكام:٧٥٤/٦:

(قال تعالى:إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى. وقال رسول الله (ص): الظن أكذب الحديث . فكل من حكم بتهمة أو باحتياط لم يستيقن أمره ، أو بشئ خوف ذريعة إلى ما لم يكن بعد ، فقد حكم بالظن ، وإذا حكم بالظن فقد حكم بالكذب والباطل ، وهذا لايحل ، وهو حكم بالهوى ، وتجنب الحق . نعوذ بالله من كل مذهب أدى إلى هذا). ؟!

١٦ ـ هل توافقون ابن قدامة على قوله في المغني:١٩٤/١: (ولا فرق بين أن يغلب على ظنه أحدهما أو يتساوى الأمران عنده ، لأن غلبة الظن إذا لم تكن

مضبوطة بضابط شرعي لا يلتفت إليها ، كما لايلتفت الحاكم إلى قول أحد المتداعيين إذا غلب على ظنه صدقه بغير دليل) ؟!

١٧ ـ هل تجوِّزون الحلف بغلبة الظن كما حلفت عائشة وعبدالله بن عمر ، وانكشف عندكم خطؤهما ؟ ففي فتح الباري:٣٥١/٦: (قوله: لا والله ماقال رسول الله(ص) ...وقد تقدم بيان الجمع بين ما أنكره ابن عمر وأثبته غيره ، وفيه جواز اليمين على غلبة الظن) !! وفي شرح مسلم للنووي:٢٣٢/٦: (قوله عن عائشة: فقالت لا والله ما قاله رسول الله قط إن الميت يعذب ببكاء أحد . في هذه جواز الحلف بغلبة الظن بقرائن وإن لم يقطع الإنسان ، وهذا مذهبنا . ومن هذا قالوا له الحلف بديْن رآه بخط أبيه الميت على فلان ، إذا ظنه) ؟!

١٨ ـ ما رأيكم في تناقضات أصحاب القياس وغرائبهم في أقيستهم ، التي ذكر قسماً منها ابن حزم في الأحكام:١٠٨٦/٨، قال: (في ذكر طرف يسير من تناقض أصحاب القياس في القياس ، يدل على فساد مذهبهم في ذلك إن شاء الله تعالى...الخ.) انتهى . ثم أورد تناقضهم وغرائبهم في أكثر من عشرين صفحة ؟!

○ ○

تم المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال)

ويليه المجلد الثالث إن شاء الله تعالى

وقد بلغت الأسئلة والإشكالات في المجلد الأول:٤١١

وفي الثاني:٣٤٣ ، ومجموعها أكثر من ألف .

○ ○

هذا الكتاب ..

ما زال المخالفون لمذهب أهل البيت الطاهرين عليهم السلام يكررون إشكالاتهم على مذهب الحق وأتباعه في خطبهم وكتبهم، ويوزعون كتيباتهم وأشرطتهم على الحجاج والزوار، في بلاد الحرمين وبقية بلاد المسلمين والمهجر !

وهذه أسئلة وإشكالات علمية كتبناها ليفهموا منها أن الأولى لهم أن يعالجوا المشكلات والتناقضات التي امتلأت بها مصادرهم، وقامت عليها مؤلفاتهم وأبحاثهم في عقائدهم وفقههم وتفسيرهم .

فإن إصلاح الدار أوجب من انتقاد الجار !

دار الهدى
للطباعة والنشر